موسوعة الأسرة المسلمة ١

تصوير ابو عبد الرحمن الكردي

استراتيجيات

في تربية الأسرة المسلمة

إعداد
لجنة البحوث والدراسات

إشراف
د. توفيق الواعى

شروق للنشر والتوزيع

منتدى اقرأ الثقافي
----
www.iqra.ahlamontada.com

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع بدار الكتب
٢٠٠٥/١٧٦١

شروق للنشر والتوزيع

[illegible]

إستراتيجيات
في
تربية الأسرة المسلمة

إشراف

أ.د. توفيق يوسف الواعي

شروق للنشر والتوزيع
بالمنصورة

٤ـ ثم رسم معالم الأسرة المسلمة لتكون المحضن الصالح للذرية الكريمة والنشء العظيم الناهض بتقبل الأولاد، ورحمتهم وحسن استقبالهم وتحقيق الأمن النفسي لهم، وتنمية قدراتهم العقلية والذهنية، وتأهيلهم لحمل أمانة الدعوة وأعباء الرسالة.

٥ـ أرشد الزوج والزوجة إلى مهاماتهما في الحياة، وجعلها رؤية عين ومنهج حياة كاملة، حيث لا معنى لأسرة تأكل وتشرب وتمرح كما يأكل الحيوان!! فتكون الأسرة المسلمة بهذا أول أسرة عرفت طريقها الصحيح وسارت إليه بفطرة سوية وهدف واضح.

٦ـ حدد العلاقات بين الزوج والزوجة تحديدا واضحاً بغير غبش أو لبس وكذلك بيّن مسئولية كل منهما الاجتماعية داخل الأسرة من معاملة أهل الزوج وأهل الزوجة، وكل ما يتصل بالقرابة.

٧ـ بين الفرق الواضح بين معاملة المرأة في المجتمعات القديمة والإسلام، وتأثير الحضارة الحديث عليها ، كما ذكر أقوال الباحثين المنصفين في المرأة المسلمة فيكون هذا الكتاب قد رسم بحق استراتيجية تربوية للأسرة المسلمة تصلح دليلاً مهماً لمن أراد أن ينهج الطريق المستقيم، والله نسأل أن يوفق لما يحب ويرضى.

أ.د. توفيق الواعي

تمهيد

من المسلَّم به أن الأسرة هي الخلية الحيوية الأساسية التي يتكون منها جسم المجتمع البشري؛ فإذا صلحت صلح المجتمع كله، وإذا فسدت فسد المجتمع كله... بل هي الأمة الصغيرة، منها تعلم النوع الإنساني أفضل أخلاقه الاجتماعية فلا أمة حيث لا أسرة، بل لا آدمية حيث لا أسرة.

وتستمد الأسرة أهميتها وعلو شأنها من أنها هي البيئة الاجتماعية الأولى والوحيدة التي تستقبل الإنسان منذ ولادته، وتستمر معه مدى حياته، تعاصر انتقاله من مرحلة إلى مرحلة، بل لا يوجد نظام اجتماعي آخر يحدد مصير النوع الإنساني كله كما تحدده الأسرة.

ولا يوجد نظام أولى الأسرة العناية والرعاية الكاملة مثل نظام الإسلام، فشملها بتوجيهاته التربوية وحدد لها من قواعده التشريعية، ما يكفل قيامها على أسس سليمة، ويرفع مستواها ويوثق أواصر العلاقات بين أفرادها، ويدعم كيانها، ويؤمن حياتها.

ذلك أن الأسرة في المنهج الإسلامي، هي القاعدة الركينة التي تقوم عليها الجماعة المسلمة، ويقوم عليها المجتمع الإسلامي، فاستحقت أن يحيطها القرآن برعاية ملحوظة، واستغرق تنظيمها وحمايتها وتطهيرها من فوضى الجاهلية جهداً كبيراً، نراه ماثلاً بإحاطة وتفصيل في صور شتى من صحائفه، يربطها بالله وتقواه في كثير من آياته، ويمدها بالإشعاعات الروحية والتنظيمات القانونية والضمانات التشريعية في كل حالة من حالاتها.

إن النظام الاجتماعي الإسلامي نظام أسرة، بما أنه نظام رباني للإنسان ملحوظ فيه كل خصائص الفطرة الإنسانية وحاجاتها ومقوماتها...

ينبثق نظام الأسرة في الإسلام من معين الفطرة وأصل الخلقة، وقاعدة التكوين الأولى للأحياء جميعاً وللمخلوقات كافة، تبدو هذه النظرة في قوله تعالى: ﴿ومن كلِّ شيءٍ خلقنا زوجين لعلّكم تذكّرون﴾(الذاريات: ٤٩) ومن قوله سبحانه: ﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلَّها ممَّا تُنبتُ الأرضُ ومن أنفسهم وممَّا لا يعلمون﴾(يس: ٣٦).

ثم تتدرج النظرة الإسلامية للإنسان، فتذكر النفس الأولى التي كان منها الزوجان «آدم وحواء» ثم الذرية، ثم البشرية جميعاً، كما تبينه الآية الأولى من سورة النساء: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً

الفصل الأول

مفهوم الأسرة المسلمة

مفهوم الأسـرة المسلمـة

أهداف معرفية يرجى تحقيقها بدراسة هذا المبحث:

١ـ يحدد معنى لفظ الأسرة والألفاظ ذات الصلة.

٢ـ يحدد مواطن البحث عن أحكام الأسرة أو الأحوال الشخصية في كتب الفقه القديم.

٣ـ يوضح أهمية بناء الأسرة في نظر الإسلام.

٤ـ يوضح حقيقة النكاح وأهميته في بناء الأسرة.

٥ـ يبين حكم النكاح في الإسلام.

٦ـ يبرهن على أن النبي رغب في النكاح ولا سيما بذات الدين الولود.

٧ـ يوضح الحكمة من وجود الأسرة.

المحتوى العلمي:

يحسن بنا قبل الحديث عن الأسرة المسلمة أن نحدد معنى اللفظة وما يتعلق بها وما ترمز إليه من معان حتى يكون الدارس على علم بمعاني المصطلحات أولاً، وما ترمز إليه ثانياً.

معنى الأسرة:

أسرة الإنسان: عشيرته ورهطه الأدنون، مأخوذ من الأسر، وهو القوة، سموا بذلك لأنه يتقوى بهم، والأسرة: عشيرة الرجل وأهل بيته، وقال أبو جعفر النحاس: الأسرة أقارب الرجل من قبل أبيه[1].

الألفاظ ذات الصلة:

لفظ الأسرة لم يرد ذكره في القرآن الكريم، وكذلك لم يستعمله الفقهاء في

---

(١) لسان العرب، وتاج العروس، والمصباح المنير مادة: (أسر).

عباراتهم فيما نعلم. والمتعارف عليه الآن إطلاق لفظ(الأسرة) على الرجل ومن يعولهم من زوجه وأصوله وفروعه. وهذا المعنى يعبر عنه الفقهاء قديماً بألفاظ منها: الآل، والأهل، والعيال. كقول النفراوي المالكي: من قال: الشيء الفلاني وقف على عيالي، تدخل زوجته في العيال (١).

وفي ابن عابدين: أهله زوجته، وقالا، يعني صاحبي أبي حنيفة: كل من عياله ونفقته غير مماليكه، لقوله تعالى: ﴿فنجيناه وأهله أجمعين﴾ (الشعراء: ١٧٠)(٢).

الحكم الإجمالي ومواطن البحث:

ـ ما يعرف بأحكام الأسرة أو الأحوال الشخصية إذن فهو اصطلاح حادث، والمراد به مجموعة الأحكام التي تنظم العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة.

ـ وقد فصلها الفقهاء في أبواب النكاح والمهر والنفقات والقسم والطلاق والخلع والعدة والظهار والإيلاء والنسب والحضانة والرضاع والوصية والميراث ونحوها. وتنظر هذه الأحكام تحت هذه العناوين أيضاً، وتحت عنوان (أب، ابن، بنت) .. إلخ (٣).

تعدد الآراء في مفهوم الأسرة:

مفهوم الأسرة عند الباحثين يتكون حسب الاتجاهات التي يتبعونها ويقولون بها فعرفها بعض الإسلاميين بقولهم:

الأسرة لغة: هي: أهل الرجل وعشيرته.

وفي الاصطلاح الشرعي: هي الجماعة المعتبرة نواة المجتمع، والتي تنشأ برابطة زوجية بين رجل وامرأة، ثم يتفرع عنها الأولاد، وتظل ذات صلة وثيقة بأصول الزوجين من أجداد وجدات، وبالحواشي من إخوة وأخوات، وبالقرابة القريبة من الأحفاد (أولاد الأولاد) والأسباط (أولاد البنات) والأعمام والعمات، والأخوال والخالات وأولادهم.

ويجمع المعنيين اللغوي والاصطلاحي: مفهوم الحماية والنصرة وظهور رابطة التلاحم، القائمة على أساس العرق والدم والنسب، والمصاهرة، والرضاع.

(١) الفواكه الدواني ٢/ ٧٦ ط مصطفى محمد.

(٢) ابن عابدين ٥/ ٤٥٢ ط بولاق الثالثة.

(٣) انظر: موسوعة الفقه الإسلامي الكويت ٤/ ٣٢٣، ٣٢٤.

ونظام الأسرة، هو الأحكام والقواعد التي تنظم شؤونها بدءاً وأثناءً وانتهاءً.

هذا وقد عرفها الاتجاه المادي بتعريفات أخرى واتجاهات أخرى.

تعني عندهم كلمة الأسرة(Family) معيشة رجل وامرأة أو أكثر معاً، على أساس الدخول في علاقات جنسية يقرها المجتمع، وما يترتب على ذلك من حقوق وواجبات اجتماعية، وما يترتب على ذلك أيضاً من رعاية وتربية للأطفال الذين يأتون نتيجة لهذه العلاقة.

لكن الكثير من المفكرين المحدثين وخاصة من الأمريكان يميلون إلى إطلاق لفظ «أسرة» على كل وحدة اجتماعية مكونة من شخص واحد أو مجموعة أشخاص، تكفل لنفسها استقلالاً اقتصادياً منزلياً، سواء انطوت هذه المجموعة على وجود زواج وأطفال أو اقتصرت على عنصر الرجال فحسب، وسواء تربطهم قرابة يقرها المجتمع أو انعدمت هذه الرابطة بينهم. وفي ضوء هذه الاعتبارات يعتبر كل فرد مستقل في معيشته أسرة، وكذلك مجموعة الأصدقاء الذين يعيشون عيشة منزلية واحدة.

وينطبق التعريف أيضاً على المؤسسات الاجتماعية التي ترعى مئات الأطفال.

كما يذهب بعضُهم أيضاً إلى أنه من الأفضل أن يطلق على الوحدات ذات الطابع الاقتصادي والمعيشي اسم العائلة (Homing Life) سواء كانت مرتكزة على القرابة أو لم تكن كذلك. أما لفظ أسرة (Family) فيكون مقصوراً على نظام الأسرة الزوجية وما تنطوي عليه من اعتبارات متعلقة بالنطاق ومحور القرابة وطبقات المحارم والحقوق والواجبات التي تحددها المواثيق والعرف الزواجي [(١)].

ويستمر هذا الاتجاه في الحديث عن الأسرة بمنطقه الذي يخلط بين الصواب والخطأ، وهذا يدل على تأرجح مفهوم الأسرة عندهم، هذا وقد واصلوا الحديث عن تعريفات الأسرة فقالوا:

١ـ **الأسرة هي الخلية الاجتماعية الأولى.** وهي أكثر الظواهر الاجتماعية عمومية وانتشاراً، فلا نكاد نجد مجتمعاً يخلو بطبيعته من النظام الأسري، وهي أساس الاستقرار في الحياة الاجتماعية، إذ يمكننا أن نتصور حالة الإنسانية إذا لم تكن منتظمة في أسر.

٢ـ **الأسرة هي من تنظيم المجتمع.** فهي ليست عملاً فردياً أو إرادياً ولكنها تقوم

---

(١) العلوم السلوكية والإنسانية دكتور منير حسن فوزي.

على أوضاع ومصطلحات يقرها المجتمع. فمثلاً الزواج بأشكاله المختلفة ومحور القرابة وطبقات المحارم والعلاقات الزوجية وما إليها؛ أمور يحددها المجتمع ويرسم اتجاهاتها، ويفرض على الأفراد الالتزام بحدودها، ومن يخرج على ذلك يردعه المجتمع.

٣- الأسرة هي الإطار العام الذي يحدد تصرفات أفرادها. فهي التي تقوم بأول عملية اجتماعية وهي عملية «التنشئة والترويض الاجتماعي»، والأسرة هي التي تنقل التراث القومي والحضاري من جيل إلى جيل، وهي فوق ذلك مصدر العادات والتقاليد وقواعد السلوك والآداب العامة وهي دعامة الدين الرقية على تنفيذ طقوسه وتعاليمه.

٤- الأسرة هي نظام اجتماعي يؤثر في غيره من النظم الاجتماعية ويتأثر بها. فإذا كان النظام الأسري في مجتمع ما، منحلاً وفاسداً؛ فإن هذا الفساد يتردد صداه في وضعه السياسي وإنتاجه الاقتصادي ومعاييره الأخلاقية، وبالمثل إذا كان النظام الاقتصادي أو السياسي فاسداً، فإن هذا الفساد يؤثر في مستوى معيشة الأسر وفي خلقها القويم وفي تماسكها.

٥- الأسرة هي الوسيط الذي اصطلح عليه المجتمع، لإشباع غرائز الإنسان ودوافعه الطبيعية والاجتماعية، وذلك مثل حب الحياة وبقاء النوع، وتحقيق الدوافع الغريزية والجنسية، والاتصالات والعواطف الاجتماعية، مثل عواطف الأبوة والأمومة والأخوة، والمشاركات الوجدانية مثل التعاطف والتراحم والتواد والتواصل الاجتماعي وما إلى ذلك. وهذه كلها عبارة عن قوالب ومصطلحات يحددها المجتمع للأفراد ويستهدف من ورائها تحقيق الغايات من المجتمع الإنساني[1].

الأسرة في التاريخ: [2].

خضع النظام الأسري في التاريخ لأشكال متباينة من الاتجاهات حسب نظم الحياة السائدة في هذا العصر، فقد اتسم النظام الأسري في مصر الفرعونية بالاستقرار والتماسك، وخضعت الأسرة المصرية لنظم ومراسم دقيقة في شؤون الزواج والطلاق

---

(١) المرجع السابق.

(٢) قصدت من عرض مكانة الأسرة في الأمم والشعوب القديمة والفلاسفة والمفكرين المحدثين مجرد سرد تطور تاريخي لاهتمام الفكر الإنساني بالأسرة، دون أن يعني ذلك الموافقة على الأفكار والاتجاهات التي تبنتها تلك الشعوب والتي تتناقض أحياناً مع الفكر الإسلامي، الذي يبقى في النهاية هو الأساس القويم والنور المضيء والدعامة الراسخة لصلاح الأسرة وتقدم للمجتمع، ذلك لأنه تنزيل من الحكيم الخبير، الذي خلق العباد فوضع لهم المنهج المناسب لحياتهم.

ودعت الكتب القديمة (كتاب الموتى ـ نصوص الأهرام ـ التوابيت ـ تعاليم بتاح حوتب ـ قصة الفلاح المصري) إلى دعم نظام الأسرة والحرص على مقوماته. . . وقد امتاز النظام الأسري في مصر القديمة، بالسيادة الأبوية حيث كان الأب يعمل بجد منذ الصباح الباكر، وكانت الأسرة كبيرة العدد واسعة النطاق، وقد ارتكزت التربية في الأسرة على المبادئ الأخلاقية، التي تقوم على الصدق والعدل والاستقامة والنظام وحسن المعاملة والبعد عن الجشع، كما كان هناك حرص على أداء العبادات والطقوس، وعرفت الأسرة المصرية القديمة تعدد الزوجات والطلاق، وأوصت التعاليم باليتامى والأرامل والمطلقات خيراً في إطار التكافل الاجتماعي، إلا أن الزواج شمل طبقات المحارم خاصة بين الملوك والأمراء دعماً لصفة فرعون المقدسة وتقليل المتطلعين إلى العرش.

كما لقيت الأسرة اهتماماً في التوراة التي نظمت لبني إسرائيل قواعد الزواج والعلاقات الزوجية وحالات الطلاق وطبقات المحارم، وحبذت نظام وحدانية الزوج والزوجة (Monogamy) ونفرت من الطلاق وتعدد الزوجات، واشترطت موافقة الزوجة الأولى على الزواج الثاني. . . وفي الصين نجد تعاليم الفيلسوف «كونفوشيوس» تحض على الوظيفة الأخلاقية للأسرة باعتبار أن المجتمع الفاضل يعتمد على الأسرة الفاضلة التي تقوم بدورها على الفرد الفاضل، وترتكز الأسرة الفاضلة في نظره على التضامن الطبيعي بين عناصرها والطاعة والإخلاص والمشاركة الوجدانية.

وحظي النظام الأسري باهتمام الفيلسوف اليوناني أفلاطون الذي وضع نموذجاً لجمهوريته الفاضلة، والأسرة في عامة الشعب تقوم على وحدانية للزوج والزوجة والتعاقد المشروع، ويباح لديهم الطلاق في حدود ضيقة حفاظاً على الكيان الأسري، كما يجب تحديد النسل وفق حاجة الدولة ومواردها، أما الأسرة لدى طبقة الحراس فتخضع لمتطلبات الدولة، سواء في الاتصالات الجنسية أو تربية الأبناء بهدف ضمان نسل قوي.

واعتبر «أرسطو» الأسرة أول اجتماع تدعو إليه الطبيعة وتتألف الأسرة في رأيه من الزوج والزوجة والبنين والأرقاء، وقد حبت الطبيعة وحددت المراكز الاجتماعية لكل طرف، فالرجل سيد الأسرة ورأسها، أما المرأة فهي أقل عقلا وذكاء ووظيفتها تربية الأبناء والعناية بالمنزل، وعلى العبيد والأرقاء القيام بالأعمال الصعبة.

ويرى «أوجست كونت Conte» أن الأسرة هي الخلية الأولى في جسم المجتمع

ويمكن مقارنتها في طبيعتها وجوهر وجودها بالخلية الحية في التركيب البيولوجي للكائن الحي، وهي أول وسط طبيعي واجتماعي ينشأ فيه الفرد ويتلقى مبادئ الثقافة واللغة والتراث الاجتماعي، ذلك أن الفردية في نظر كونت لا تمثل شيئاً في الحياة الاجتماعية، بعكس الأسرة التي تمتزج فيها العقول وتتفاعل الوجدانات وتتعدد الوظائف وهي نظام موجود بالفطرة، كما ركز على الوظيفة الأخلاقية للأسرة تليها الوظيفة العقلية ومنهما تفسر العلاقات الاجتماعية بين الزوجين والأبناء، ثم تأتي الوظيفة التربوية وهدفها ترويض الطفل ليكون مواطناً فاضلاً ثم الوظيفة الدينية التي يراها من مهمة الأم لتلقين الفرد مبادئ الدين الوضعي الجديد الذي دعا إليه.

أما «هربرت سبنسر Spencer» فيعتبر الأسرة وحدة بيولوجية واجتماعية تسيطر عليها الغريزة الواعية، وهي امتداد للتجمعات الحيوانية، ولذا فإنها تخضع للانتقال من المتجانس إلى اللامتجانس خاصة في وظائفها حيث تقلصت وظائف رب الأسرة الحاكم والقاضي والمربي، وانتقلت إلى هيئات اجتماعية متعددة. ويفرق «سبنسر» بين خصائص الأسرة في المجتمعات الحربية(حيث تسود الطاعة والانضباط)والمجتمعات الصناعية (حيث حرية الرأي والمشاركة). والأسرة في المجتمعات المستقرة تقوم بدور خطير في التربية بأشكالها المتعددة، بدنية ودينية وأخلاقية واجتماعية وتعليمية، وركز على الاهتمام بإثارة الحماس القومي، حتى تتأصل في النفوس فضيلة الحياة بالجماعة وللجماعة (١).

يعرف العلماء في الإسلام الأسرة: بأنها الخلية المكونة من الزوج والزوجة والأولاد. ولهذا يقول الشيخ حسن أيوب: إن معنى الأسرة في العرف الاجتماعي الشائع هو المجموعة الصغيرة المكونة من الزوجين والأبناء.

وأساس هذه الأسرة الزوجان (رجل وامرأة)، وهما اللذان يقومان بالدور الأساس الفعال في التكوين والتنظيم والرعاية من البداية إلى النهاية.

والمجتمع بعد ذلك مجموع هذه الأسر، وهي لبناته التي يقوم عليها وينمو بها ويحصل له منها الامتداد الأفقي حتى يصير شعباً، والرأسي حتى يظل تاريخاً لمن جاء بعده.

فالعناية بالأسرة والاهتمام بها وحياطتها بكل أسباب التكريم والتقويم، له آثاره الكبيرة في المجتمع، خصوصاً إذا كان المجتمع يعيش في مجمله في نفس الإطار الذي

(١) مصطفى الخشاب ـ علم الاجتماع العائلي صـ ٨ ـ ٣٧ ط دار النهضة.

تنشأ فيه الأسرة بدون ازدواجية في الشخصية الاجتماعية، وبدون تناقضات بين ما تتطلبه حياة الأسرة وبين ما يتفاعل في واقع المجتمع[١].

ويقول الأستاذ مقداد يالجن:

الوحدة الأساسية في المجتمع المسلم هي الأسرة، أبًا، وأمًا، وأولادًا: بنين وبنات. وقد أولى الإسلام هذه الخلية رعايته واهتمامه، ووضع لها من الأسس والمبادئ ما يكفل لها الحفظ والاستمرار. ونحن نبين في هذا الكتاب دور كل من الأب والأم (الزوجة) والأولاد في الأسرة وحقوق كل منهما في هذه الخلية التي هي أساس المجتمع المسلم[٢].

بناء الأسرة في نظر الإسلام:

عرفنا فيما سبق أن معنى الأسرة في العرف الاجتماعي الشائع هو المجموعة الصغيرة المكونة من الزوجين والأبناء.

اهتم الإسلام اهتمامًا لا مزيد عليه بشأن الأسرة، وأسس تكوينها، وأسباب دوام ترابطها وأدائها لوظيفتها على خير وجه وأكمله. فما ترك القرآن والسنة صغيرة ولا كبيرة يكون فيها سعادة الأسرة واستقرارها إلا بيناها تفصيلًا. أو بينا الأصل الذي تندرج تحته هي ومثيلاتها.

ولم يكتف الإسلام بتوضيح الحقوق والواجبات التي لكل حيال الآخر أو الآخرين. إذ إن ذلك وحده بالنسبة لأخطر نواة في بناء المجتمع لا يكفي، إنما اهتم القرآن والسنة بوضع الأسرة كلها في بوتقة تنصهر فيها الأثرة والأنانية، وتذوب فيها

(١) السلوك الاجتماعي في الإسلام صـ ١٩٨ ط التراث العربي.

(٢) بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام صـ ٢٥٢ ط دار المريخ الرياض.

صفات القهر والغلبة والقوة، حتى تتبخر من حياتها، وتصفو من شوائب الكدر والنكد، والتعالي والتفاخر، والإهمال والتباعد إلا ما كان لماماً، ثم يعود الأمر إلى حاله السوي.

فترى القرآن الكريم يثير في نفوس الأزواج من الجنسين الشعور بأن كلاً منهما ضروري للآخر ومتمم له لتحقيق وجوده، وامتداد أثره، فيقول للرجل: إن المرأة جزء منك. ولا غنى لحي عن جزئه، ويقول للمرأة: إنك من الرجل انفصلت فهو أصل لك، ولا غنى لإنسان عن أصله.

اقرأ ذلك في قوله تعالى:

﴿ هو الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾(الأعراف: ١٨٩).

فالنفس الواحدة هي نفس آدم، وزوجه هي حواء.

وهما يعيشان حياتهما الزوجية في وئام وحب واتحاد يلصق الواحد منهما بالآخر، ويجعل من الاثنين وحدة شعور، ووحدة عواطف، ووحدة مضجع، ووحدة رؤية لجمال الحياة، ووحدة أسرار متبادلة، ووحدة أمل، ووحدة عمل، ووحدة تفاهم، ووحدة إنتاج للذرية، وحدب عليها، وسهر وكد من أجلها. اقرأ هذه المعاني كلها وأكثر منها في ست كلمات من كتاب الله تعالى حيث يقول: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾(البقرة: ١٨٧).

قال القرطبي في تفسيره لهذه الكلمات: أصل اللباس في الثياب، ثم سمي امتزاج كل واحد من الزوجين بصاحبه لباساً، لانضمام الجسدين وامتزاجهما وتلازمهما تشبيهاً بالثوب... وقال بعضهم: يقال لما ستر الشيء وداراه لباس. فجائز أن يكون كل واحد منهما ستراً لصاحبه عما لا يحل كما ورد في الخبر. وقال الربيع: هن فراش لكم وأنتم لحاف لهن. وقال مجاهد: أي سكن لكم، أي يسكن بعضكم إلى بعض[1] وكلها معان تتفق مع الآية:

وبذلك ندرك أن العلاقة بين الزوجين هي علاقة امتزاج والتصاق كما جاء عن عيسى عليه السلام قوله: رجل المرأة أحب إليها من أبيها وأمها، ألا تراها تترك أباها وأمها وتلتصق بزوجها؟ وعلاقةٌ هذا شأنها هي أقوى علاقة اجتماعية من الناحيتين الغريزية والعاطفية، وإذا التقت الغريزة والعاطفة في أمر فهناك أقوى رابطة نفسية.

ويظهر القرآن الارتباط الغريزي الفطري والعاطفي الوجداني بين الزوجين على أنه آية من آيات الله ونعمة من نعمة، وذلك في قوله تعالى:

(١) تفسير القرطبي، ج٢ ص ٣١٦ .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(الروم: ٢١).

-فسكون الزوج إلى زوجه وكذلك التصاق المرأة بزوجها أمر طبيعي فطري، وما بينهما من المودة والمحبة والرحمة أمور عاطفية تتولد وتنشأ عن الجانب الغريزي وغيره، فكلما تأججت الغريزة الجنسية في كلا الطرفين كانت أبواب الحب والرحمة والمودة مفتحة ومهيأة لكي يندمج الطرفان ويضحي كل منهما من أجل صاحبه بالكثير من مغريات الحياة. . وإثارة الغريزة الجنسية بينهما ترجع إلى حسن تصرف كل منهما تجاه الآخر وإلى أشياء أخرى، فقد يسكن الرجل إلى أي امرأة، وقد تسكن المرأة إلى أي رجل وتلتصق به عن طريق الحلال أو الحرام، بدون أن توجد بينهما عواطف الحب والرحمة والمودة، وقد توجد هذه العواطف طفرة ثم تتلاشى، لأن العواطف ليس من طبيعتها الدوام بالنسبة للشخص الواحد أو الشيء الواحد مثلاً، ونجد ذلك واضحاً بين الشباب المستهتر. . . يحب الشاب فتاة فيلهو بها أياماً ثم يذهب إلى غيرها. فهو بالنسبة للسكن إلى المرأة التي تلبي غريزته الجنسية يبحث دائماً عنها أينما وجدت، وكيفما كانت، أما الحب والرحمة والمودة التي تشده إلى ربط نفسه بالمرأة وربطها به، حتى يكونا زوجين مستقرين فذلك يأتي ابتداء من التوافق في أشياء عديدة.

يأتي من التوافق الروحي والاجتماعي، والثقافي، والتوافق في الآلام وفي الآمال، ويأتي بالتوافق في التربية، والأخلاق، والأمزجة، والأهواء، وأشياء كثيرة هي في الحقيقة أسرار نفسية لا يعلمها إلا الله تعالى. . . ولذلك كان من الأهمية بمكان أن يرى كل من الزوجين الآخر قبل الزواج وأن يحصل نوع من التعارف عن قرب أو بعد، حتى يشعر كل منهما أنه وفق لصاحبه فيتزوجان، وقد أحس كل منهما بأن من يسكن إليه بينه وبينه عواطف المحبة والمودة والرحمة. . . وبعد الزواج على كل من الزوجين أن يحرص على أن تظل هذه العواطف مشبوبة ومتأججة دائماً لتظل الحياة جميلة حلوة، وحتى تؤدي هذه الزيجة ثمرتها بإنجاب الأولاد في هذا الجو المستقر السعيد.

وقد يهمل كل من الزوجين أسباب دوام المحبة والرحمة، أو يهملها أحدهما فيترتب على ذلك نفور في العواطف وفي العلاقة قد يتبعه نفور، ثم تباعد قد يصل إلى الطلاق، أو يضطر كل منهما أن يعايش الآخر على مضض فيكون بينهما تلبية للغريزة فقط وهي السكن وقضاء المآرب الجنسي وإنجاب الأولاد، دون أن يكون بينهما العواطف التي هي أساس الجمال والسعادة كما سبق. وسيأتي ما يزيد

الأمر وضوحاً ويحل كثيراً من المشكلات التي تعترض الحياة الزوجية.

وفي القرآن سورة من طوال السور تسمى «سورة النساء» نالت المرأة فيها حقوقاً ما كانت تخطر ببالها، ولا تحلم بأن يجود عليها الزمن ببعضها. لذلك لم تستطع المرأة أن تستعمل هذه الحقوق إلا في إطار الإسلام؛ لأن الإسلام يوجد التغيير ويرفع من شأن الإنسان. ويضع المسلمين على بساط المساواة ويعطي كل مسلم ومسلمة الحق في أن يقول للآخر: هذا حقي أعطاني الله إياه فلا تتعرض لغضب الله بمنعه عني، ومن بين آيات هذه السورة آية تحرك مشاعر الرجل نحو المرأة بالعطف والرحمة إلى أبعد حد. وفي نفس الوقت تضع الرجل أمام عهد قوي، وميثاق عظيم أخذه على نفسه - وهو عقد الزواج وما يترتب عليه - وتحذره من التفريط فيه، أو في أثر من آثاره، وإلا اعتبر ناقض عهد وغادراً وخائناً. ثم تثير الآية في نفس الرجل والمرأة الشعور بأخص خصائص الحياة الزوجية، وأن كل واحد من الزوجين أفضى إلى الآخر بما عنده من أسرار. ومن تكشف. ومن شهوة وامتزاج والتئام إلخ(١).

مكانة الأسرة في الإسلام:

تعتبر الأسرة المسلمة أو البيت المسلم من أهم المؤسسات في حياة المسلمين عامة، وفي منهاج العمل الإسلامي بصفة خاصة، ويرجع ذلك إلى الدور الكبير المنوط بالأسرة في تنشئة الأجيال وصناعة الرجال الذين هم عدة المستقبل وركائز البناء ودرع الأوطان.

والمجتمع في أي دولة عبارة عن مجموعة من الأسر، فبقدر سلامة الأسرة وأصالتها تكون سلامة المجتمع وأصالته وبالتالي قوة الدولة وصلابتها وسلامة بنيانها، أما إذا انهارت الأسرة انهار تبعاً لها المجتمع ثم الدولة.

ومقياس سلامة الأسرة وأصالتها لا يكون بالجوانب المادية الدنيوية فقط كصحة الأبدان ومستوى السكن والغذاء واللباس والمستوى الاجتماعي والثقافي... إلى غير ذلك، ولكن أسباب القوة والأصالة في الأسرة المسلمة تتمثل أول ما تتمثل في التزام أفراد الأسرة بالإسلام عقيدة وعبادة وأخلاقاً و آداباً ومعاملات، بحيث يهيمن الإسلام على جو الأسرة تماماً، فنرى الإسلام واضحاً في كل جانب من جوانب حياة الأسرة والبيت، في كل صغيرة وكبيرة في المظهر و المخبر في المطعم والمشرب، في الأثاث

(١) انظر: السلوك الاجتماعي في الإسلام للشيخ حسن أيوب.

والملباس،في الأفراح والأتراح، في العادات والتقاليد،في علاقة أفراد الأسرة بعضها مع بعض، في اتباع هدي الرسول ﷺ (في أعمال اليوم والليلة،والأدعية المأثورة في كل تلك الأحوال، ترى الإسلام في كل صغيرة وكبيرة في حياتها . في مواعيد النوم والاستيقاظ،وفي معاملة الخدم، وفي العلاقة مع الجيران وفي حدود العلاقة مع المحارم وغيرهم من الأقرباء إلى غير ذلك من أمور)، فترى الأب رب الأسرة يقوم بواجبه نحو زوجته وأبنائه ويكون نعم الراعي لرعيته، وكذلك الأم تقوم بواجبها نحو زوجها وأبنائها، وكذلك الأبناء يقومون بواجبهم نحو أبيهم وأمهم بما يمليه عليهم الإسلام من البر والإحسان والطاعة في غير معصية، وهكذا يسود المناخ الإسلامي جو البيت المسلم القدوة فتنشأ فيه الذرية صالحة وتكون بحق قرة أعين للوالدين وذخراً للأمة ، وفي المقابل يخلو جو الأسرة المسلمة القدوة من اللهو واللغو والإثم ومن العادات الجاهلية ومن المحرمات في المطعم و المشرب والملبس والمقتنيات ، ويخلو من الإسراف والترف وما نهى عنه الإسلام.

مكانة البيت المسلم في منهاج العمل الإسلامي:

ترى الإمام البنا حينما حدد الهدف العظيم الذي نشده وهو التمكين لدين الله بإقامة دولة الإسلام العالمية وعلى رأسها الخلافة الإسلامية حدد أيضاً وسائل البناء ومراحله ومنها الفرد المسلم والبيت المسلم والمجتمع المسلم والحكومة الإسلامية فالدولة الإسلامية والخلافة وأستاذية العالم.

فكان الأفراد المسلمون والبيوت المسلمة والمجتمع المسلم بمثابة القاعدة الصلبة التي يقوم عليها بناء الحكومات المسلمة مستقرة قوية، ليتم ذلك على مستوى الشعوب الإسلامية. والفرد المسلم القدوة هو الذي يقيم البيت المسلم القدوة، كما أن البيت المسلم القدوة هو الذي يخرج الأفراد المسلمين القدوة وهكذا يتم توريث الأصالة الإسلامية للأجيال بقوة، وإذا حدث تقصير في هذا التوريث تعرضت الأسرة و الأفراد إلى هبوط المستوى والانهيار، خاصة أن دعاة الشر والفساد لا يألون جهداً في غزو أفرادنا وبيوتنا بكل ألوان فسادهم وشرورهم.

الفصل الثاني

مقومات البيت المسلم

مقومات
البيت المسلم

أهداف معرفية يرجى تحقيقها بدراسة هذه المقدمة:

١ـ يوضح أهمية أن نهتم بالمرأة اهتمامنا بالرجل.

٢ـ يوضح أهمية بناء الأسرة المسلمة.

٣ـ يبين أن بناء الأسرة المسلمة هو الخطوة الثالثة ـ بعد إصلاح النفس ودعوة الغير.

٤ـ يذكر باختصار ملامح الأسرة المسلمة

٥ـ يذكر أسس اختيار الزوجة.

٦ـ يبين الأسس التي تقوم عليها الأسرة المسلمة.

٧ـ يبرهن على أن الزواج عبادة وأمانة ومسؤولية يدبرها الرجل

٨ـ يوضح رسالة البيت المسلم.

٩ـ يوضح مكانة الأسرة في الإسلام

١٠ـ يحدد مكانة البيت المسلم في منهاج العمل الإسلامي

١١ـ يحدد أساس بناء الأسرة المسلمة القدوة وحقيقة السعادة الزوجية.

١٢ـ يعدد بعض التوصيات العامة المتعلقة بالأسرة المسلمة (المبنى ـ أثاث البيت ـ الملبس ـ الطعام والشراب ـ الميزانية . . . . . إلخ).

١٣ـ يوضح ما ينبغي أن يكون عليه الأب القدوة.

١٤ـ يوضح ما ينبغي أن تكون عليه الأم القدوة.

١٥ـ يوضح ما ينبغي أن يكون عليه الابن القدوة والابنة القدوة.

المحتوى العلمي:

لا يجوز أن نهتم بالرجل ونهمل المرأة ونهتم بالشباب المسلم ونهمل الفتيات، فالمرأة نصف المجتمع وصانعة الرجال، والأخ المسلم إذا لم يجد الأخت المسلمة التي يقيم بها البيت المسلم سيضطر إلى الزواج من أي فتاة، قد تفسد عليه حياته وتثبطه عن مواصلة السير على طريق الدعوة وهكذا بإهمالنا إعداد الأخوات المسلمات نعرض جهدنا مع الشباب المسلم إلى الضياع، ثم إن الأسرة المسلمة المؤسسة على التقوى هي دعامة أساسية في بناء الدولة المنشودة، وهي التي تنشئ الأجيال القادمة بالصورة التي تؤهلهم لمواصلة المسير وحمل الأمانة.

ويلزم الاهتمام بالأطفال والشباب في كل مراحل أعمارهم حتى يشبوا على التدين الصحيح والإعداد اللازم ليكونوا الرديف المتين للأجيال الحالية، خاصة وأن مهمتنا كبيرة تمتد خلال الأجيال المتالية، وفي إهمال أي جيل من الأجيال يحدث انفصال وتتعرض إلى مخاطر كبيرة.

كما ينبغي إصلاح النفس ودعوة الغير، وهذان واجبان أساسيان على كل مسلم ومسلمة، ومع أداء هذين الواجبين يظهر واجب ثالث لا يقل أهمية وهو إقامة البيت المسلم، فكما أن الفرد المسلم رجل العقيدة يلزم إعداده ليمثل النموذج الإسلامي الصحيح والقدوة الرائدة التي تحتذى، فما أحوجنا إلى الأسرة المسلمة القدوة لأنها دعامة قوية في بناء المجتمع المسلم، فالأسرة لها دور خطير في قوة المجتمع وتماسكه أو تمزقه وانحلاله، إذ إن البيت هو المحضن أو الخلية التي يتربى فيها النشء ويتشكل في فترة تكوينه وإعداده، وللبيت انطباعاته الراسخة في شخصية الأطفال تلازمهم طوال حياتهم.

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**».

والحديث عن إقامة البيت المسلم لا توفيه وقفة أو إطلالة، ولكن لابد من الرجوع إلى ما كتب ويكتب حوله من مؤلفات ودراسات ولكننا نكتفي هنا بملامح وأضواء رجاء الانتفاع بها:

١ ـ حسن الاختيار:

إن الأخ المسلم والأخت المسلمة اللذين دعوناهما لإصلاح النفس ودعوة الغير

عليهما أن يبحث كل منهما عن الآخر، ولا يرضى بغيره بديلاً ليشاركه الحياة الزوجية.

ولتؤسس الأسرة المسلمة على التقوى من أول يوم، فعلى الأخ المسلم أن يختار ذات الدين التي فقهت رسالتها في هذه الحياة فتكون له خير عون على طريق الدعوة، تعينه وتذكره إذا نسي، وتشجعه ولا تثبطه، وتحفظه في غيبته مهما طالت، وتنشئ أولاده تنشئة إسلامية، وعلى الأخت المسلمة كذلك ألا تقبل لنفسها زوجاً إلا صاحب العقيدة الذي يتقي الله فيها ويعينها على طاعة الله وتحقيق مرضاته.. وسنة رسول الله ﷺ توجهنا إلى ذلك حيث يقول ﷺ: **«تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»** كما أن رسول الله ﷺ لم يقر ولي أمر الفتاة على تزويجها بمن لا ترغب فيه كرهاً عنها، وهذا يعطي الأخت المسلمة فرصة اختيار الزوج الصالح.

٢ـ الالتزام بحدود الإسلام:

نريد أن تعود وتسود حدود الإسلام وآداب الإسلام في كل مراحل إقامة البيت المسلم في الخطبة وعقد الزواج وإعداد بيت الزوجية والزفاف بعيداً عن العادات والتقاليد الفاسدة القديمة منها والمستوردة والتي فيها مخالفة لشرع الله أو التي تقيم العقبات في طريق الزواج وربما حالت دون تمامه، وها نحن نتمم عقد الزواج في المسجد في جو طاهر مبسط بعيد عن تلك المظاهر والعادات التي تصاحب هذه المناسبة والتي فيها سرف وفيها مخالفة للشرع؟وربما أنكر البعض ذلك في بدايته، كما أنكروا الزي الإسلامي من قبل، ولكن مع إصرارنا صار عقد الزواج في المسجد مألوفاً كما صار الزي مألوفاً، إنه صراع بين الفضيلة والرذيلة وبتمسكنا بالفضيلة وآداب الإسلام نستطيع أن نفرض شخصيتنا الإسلامية.

٣ـ السعادة بين الزوجين:

إذا تم الاختيار على أساس الدين وتمت الخطوات وفق تعاليم الإسلام نكون قد بدأنا تأسيس البيت المسلم على أساس متين يحقق الاستقرار والسعادة الحقة التي يفتقدها كثير من الأسر اليوم.

فالسعادة ليست من خارج النفس ولا تتحقق بالمال والمسكن والملبس والأثاث ولكنها تنبع من داخل النفس من تقوى الله واهب السعادة واهب المودة والرحمة وصدق الله العظيم: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾. (الروم: ٢١)

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد

٤ـ المودة والرحمة:

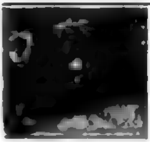

شواهد من الرحمة بين الزوجين في القرآن والسنة:

ـ أيوب عليه السلام وزوجته:

قال تعالى: ﴿ واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب(1) وعذاب (41) اركض(2) برجلك هذا مغتسل بارد وشراب (42) ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب (43) وخذ بيدك ضغثا (3) فاضرب به ولا تحنث(4) إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب ﴾(ص: ٤٤).

ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «بينا أيوب يغتسل عرياناً خرّ عليه رجل جراد (5) من ذهب، فجعل يحثي(6) في ثوبه، فنادى ربه: يا أيوب، ألم أكن أغنيتك عما ترى ؟ قال: بلى يا رب، ولكن لا غنى لي عن بركتك». (رواه البخاري١٨٩).

قال الحافظ ابن حجر: لم يثبت عند البخاري في قصة أيوب شيء، فاكتفى بهذا الحديث الذي على شرطه. وأصح ما ورد في قصته ما أخرجه ابن أبي حاتم وابن جريج وصححه ابن حبان والحاكم. . .عن أنس أن أيوب عليه السلام ابتُلي فلبث في بلائه عشر سنين، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه، فكانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما للآخر: لقد أذنب أيوب ذنباً عظيماً وإلا لكُشف عنه هذا البلاء، فذكره الآخر لأيوب. . .فحزن ودعا الله حينئذ فخرج لحاجته وأمسكت امرأته بيده، فلما فرغ أبطأت عليه، فأوحى الله إليه أن اركض برجلك، فضرب برجله الأرض فنبعت عين، فاغتسل منها فرجع صحيحاً، فجاءت امرأته فلم تعرفه، فسألته عن أيوب فقال: إني أنا هو. . . وروى ابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن عبيد بن عمير نحو حديث أنس، وفي آخره قال: «فسجد وقال: وعزتك لا أرفع رأسي حتى تكشف عني،فكشف عنه». وعن الضحاك عن ابن عباس: «رد الله على امرأته شبابها حتى ولدت له ستة وعشرين ولداً ذكراً». وكذا روى وهب بن منبه ومحمد ابن إسحاق في المبتدأ قصة مطولة جداً،

---

(١) بنصب: أي بضُر. (٢) اركض برجلك: اضرب برجلك.

(٣) ضغثاً: أي حزمة حطب. (٤) لا تحنث: لا تأثم.

(٥) خرّ عليه رجل جراد: سقط عليه جماعة جراد.

(٦) يحثي: يأخذ بيديه جميعاً

وحاصلها أنه كان بحوران وكان له البُثية[1] سهلها وجبلها، وله أهل ومال كثير وولد، فسُلب ذلك كله شيئاً فشيئاً وهو يصبر ويحتسب. ثم ابتلي في جسده بأنواع من البلاء حتى أُلقيَ خارجاً من البلد، فرفضه الناس إلا امرأته، فبلغ من أمرها أنها كانت تخدم بالأجرة تطعمه، إلى أن تجنبها الناس خشية العدوى، فباعت إحدى ضفيرتيها لبعض بنات الأشراف وكانت طويلة حسنة، فاشترت له به طعاماً طيباً، فلما أحضرته له حلف ألا يأكله حتى تخبره من أين لها ذلك، فكشفت عن رأسها فاشتد حزنه وقال حينئذ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣)﴾ فعافاه الله تعالى... ومن طريق الحسن: «أن إبليس أتى امرأته فقال لها: إن أكل أيوبَ ولم يسمّ عوفي، فعرضت ذلك على أيوب فحلف ليضربنها مائة، فلما عوفي أمره الله أن يأخذ عُرجُوناً[2] فيه مائة شمراخ[3] فيضربها ضربة واحدة». (١٩٠).

هلال بن أمية وزوجته:

زوجة هلال بن أمية ترعاه في شدته إثر مقاطعته هو والثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، لكنهم صدقوا ولم يحلفوا ولم يعتذروا بالكذب، وخلفهم رسول الله ﷺ وأرجأ أمرهم.

ـ عن كعب بن مالك قال: «... ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة... حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسولُ رسول الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال: لا بل اعتزلها ولا تقربها. وأرسل إلى صاحبيَّ مثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر. قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه ؟ قال: لا ولكن لا يقربك. قالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا...» (رواه البخاري ومسلم)(١٩٣).

---

(١) البُثية: تصغير بثنة وهي الأرض السهلة اللينة الطيبة الإنبات.

(٢) عُرجُون: ما يحمل التمر وهو من النخل. كالعنقود من العنب.

(٣) شمراخ: غصن دقيق ينبت في أعلى الغصن الغليظ.

من أقوال الفقهاء في تبادل الرحمة بين الزوجين:

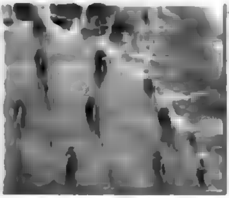

الصبر عند إعسار الزوج:

قال ابن القيم: قالوا[1]: فالله تعالى أوجب على صاحب الحق الصبر على المعسر، وندبه إلى الصدقة بترك حقه، وما عدا هذين الأمرين فجور لم يحه له. ونحن نقول لهذه المرأة (التي أعسر زوجها) كما قال الله تعالى لها سواء بسواء: إما أن تُنظِريه إلى الميسرة، وإما أن تصدقي؛ ولا حق لك فيما عدا هذين الأمرين. والذي تقتضيه أصول الشريعة وقواعدها في هذه المسألة، أن الرجل إذا غَرَّر بالمرأة بأنه ذو مال، فتزوجته على ذلك فظهر معدماً لا شيء له، أو كان ذا مال وترك الإنفاق على امرأته، ولم تقدر على أخذ كفايتها من ماله بنفسها ولا بالحاكم، أن لها الفسخ. وإن تزوجته عالمة بعسرته، أو كان موسراً ثم أصابته جائحة اجتاحت ماله، فلا فسخ لها في ذلك، ولم تزل الناس تصيبهم الفاقة بعد اليسار، ولم ترفعهم أزواجهم إلى الحكام ليفرقوا بينهم وبينهن. وبالله التوفيق (١٩٣).

الصبر عند مرض الزوجة:

قال ابن القيم: قالوا: لو تعذر من المرأة الاستمتاع لمرض متطاول وأعسرت بالجماع، لم يمكَّن الزوج من فسخ النكاح، بل يوجبون عليه النفقة كاملة[2] مع إعسار زوجته بالوطء(١٩٣ب).

وهذا يعني أن من الرحمة،التسامح في تحصيل بعض الحقوق المتبادلة مثل حق الاستمتاع الجنسي وحق الإنفاق.

٥ـ تحقيق شمول العبادة:

رسالتنا في هذه الحياة عبادة الله، وعلينا أن نحولً كل أمور حياتنا إلى عبادة نتقرب بها إلى الله ونستعين بها على عبادة الله وطاعته،فالأكل والشرب والرياضة والعلم والعمل والزواج وتربية الأولاد كلها عبادات وقربات إلى الله، نتحرى في كل منها ما يرضي الله ونتجنب ما يغضبه، فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة أن ينظرا إلى

---

(١) نحسب أن هذا القول صحيح. إن كان عند المرأة ما يغنيها عند إعسار الزوج

(٢) أي يكون طلاقاً لا فسخاً للعقد، وبهذا يحق لها النفقة

زواجهما على أنه عبادة يرجوان من ورائها ثواب الله ورضوانه.

ولذا يحتم على كلا الطرفين معرفة ما يتصل بالزواج من آداب وتعاليم وحقوق وواجبات، والحرص على القيام بهذه الواجبات والتزام هذه الآداب ويتعاونان على البر والتقوى وطاعة الله من خلال زواجهما.

وصدق رسول الله ﷺ: **«رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء»** رواه أبو داود بإسناد صحيح.

٦ـ الثقة المتبادلة:

كلما توافرت الثقة بين الزوجين تحققت السعادة وراحة النفس حيث لا ظنون ولا ريب ولا سماع لأقاويل أو افتراءات ـ ولا يتم ذلك إلا في ظل تقوى الله وحسن مراقبته في السر والعلن وفي الغيب والشهادة ـ فيطمئن الزوج ويثق أن زوجته له وحده تحفظه في غيبته مهما طالت، وتشعر هي أيضاً أن زوجها لها وحدها، وفي ظل هذه الثقة يستطيعان الا يجعلا لشياطين الإنس والجن بينهما سبيلاً.

من الأمور التي ينبغي أن يلتفت إليها الزوجان، أن يثق كلٌّ بالآخر لأن الزواج المبني على الشك والغيرة يستحيل أن يدوم أو يهنأ به قلب زوجين مؤمنين، لأن المؤمن والمؤمنة يجب على كل منهما أن يتحرى قبل الزواج فيأخذ ذات الدين، وتأخذ هي صاحب الإيمان والخلق قال عليه السلام: « فا ظفر بذات الدين تربت يداك» وقال: « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه».

فإذا كان الأصل ثابتاً والقواعد متينة والأسرة شريفة والإيمان يعمر القلوب، جاءت الطمأنينة، وحل الصدق، وانقشع سوء الظن، وسعدت الحياة وتفرغت الأسرة لتؤدي دورها في الحياة.

حض الشريعة على الثقة واجتناب سوء الظن بين الزوجين:

ـ عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرُق[1] أهله ليلاً»**. وزاد مسلم: **«يتخونهم أو يلتمس عثراتهم»**. (رواه البخاري ومسلم)(١٩٦).

(١) لا يطرق أهله ليلاً: الطروق، المجيء بالليل من سفر أو من غيره على غفلة.

- وعن جابر بن عتيك أن النبي ﷺ كان يقول: «**من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يبغض الله، فأما التي يحبها الله فالغيرة في الريبة، وأما التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة**». (رواه أبو داود)(١٩٧).

وصدق رسول الله ﷺ، فإن من مظاهر الثقة وحسن الظن قَصْرَ الغيرة على موطن الريبة فحسب، أما الغيرة في غير ريبة فهي تعني غياب الثقة وغلبة سوء الظن. وإن الثقة من جانب أحد الزوجين تدعو إلى مزيد من الصدق وحفظ العهد عند الطرف الآخر.

نماذج تطبيقية تؤكد وجوب حسن الظن:

أولاً: من جانب الرجل:

- عن أبي هريرة أن أعرابياً أتى رسول الله ﷺ فقال: إن امرأتي ولدت غلاماً أسود، وإني أنكرته، فقال له رسول الله ﷺ: «**هلَ لك من إبل؟**» قال: نعم، قال: «**فما ألوانها؟**» قال: حُمْرٌ. قال: «**هل فيها من أورق**»[1]؟ قال: إن فيها لوُرْقاً: «**قال، فأنَّى تُرى ذلك جاءها؟**» قال: يا رسول الله، عِرْق نَزَعها[2]. قال: «**ولعل هذا عرق نزعه**» ولم يرخص له في الانتفاء منه. (رواه البخاري ومسلم)(١٩٨).

- عن أبي سعيد الخدري قال: كان (في هذا البيت) فتى منا حديث عهد بعرس، فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق. فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار يرجع إلى أهله، فاستأذنه يوماً فقال له رسول الله ﷺ: «**خُذ عليك سلاحك فإني أخشى عليك قريظة**»، فأخذ الرجل سلاحه ثم رجع فإذا امرأته بين البابين قائمة، فأهوى إليها الرمح ليطعنها به، وأصابته غيرة، فقالت له: اكفف عليك رمحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني، فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش فأهوى إليها بالرمح. . . (رواه مسلم)(١٩٩).

ثانياً: من جانب المرأة:

- عن عائشة قالت: لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي، انقلَب[3]

---

(١) الأوْرَق: الذي فيه سواد ليس بحالك بل يميل إلى الغبرة.

(٢) عرْق نَزَعَها: أصل النزع الجذب وقد يطلق على الميل. والمراد بالعرق الأصل من النسب، شبهه بعرق الشجرة. والمعنى: يحتمل أن يكون في أصولها من هو باللون المذكور فاجتذبه إليه فجاء على لونه.

(٣) انقلب: أي رجع إلى فراشه.

فوضع رداءه(١) وخلع نعله فوضعها عند رجليه، وبسط طرف إزاره(٢) على فراشه فاضطجع، فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت، فأخذ رداءه رُويداً وانتعل رويداً(٣)، وفتح الباب فخرج ثم أجَافَه(٤) رويداً، فجعلت دِرْعي(٥) في راسي، واختَمَرت(٦) وتقنَّعت إزاري(٧)، ثم انطلقت على إثره حتى جاء البَقيع(٨)، فقام فأطال القيام، ثم رفع يديه ثلاث مرات، ثم انحرف فانحرفت فأسرع فأسرعت فهرول فهرولت، فأحضر(٩) فأحضرت فسبقته فدخلت فليس إلا أن اضطجعت فدخل فقال: **«مالك ياعائش حَشيا(١٠) رابية(١١)؟!»** قلت: لا شيء قال: **«لتخبريني أو ليُخبرني اللطيف الخبير»**. قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وامي، فأخبرته قال: **«فأنت السواد الذي رأيت أمامي؟»** قلت: نعم. فَلَهَدَني(١٢) في صدري لهْدَة أوجعتني ثم قال: **«أظننت أن يحيف(١٣) الله عليك ورسوله ﷺ!»** قلت: مهما يكتم الناس يعلمه الله، نعم. قال: **«فإن جبريل أتاني حين رأيت فناداني فأخفاه منك، فأجبته فأخفيته منك، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك(١٤). وظننت أن قد رقدت فكرهت أن أوقظك، وخشيت أن تستوحشي(١٥)، فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم»**، قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: **«قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون»**. (رواه مسلم) (٢٠٠).

وأخيراً من لازم حسن الظن المتبادل بين الزوجين، اجتناب نبش الماضي وما كان فيه من خطأ أو خطيئة، لأن الله قد أمر بالستر، ستر العبد على نفسه أولاً، ثم ستر العبد على غيره ثانياً.

---

(١) رداءه: الرداء هو الثوب يستر الجزء الأعلى من الجسم فوق الإزار.

(٢) الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن.

(٣) رويداً: أي يسيراً لطيفاً لئلا يوقظني.

(٤) أجافه: أي رد الباب.

(٥) الدرع: قميص المرأة.

(٦) اختمرت: ألقيت على رأسي الخمار.

(٧) تقنعت إزاري: أي غطت رأسها وبدنها بإزارها.

(٨) البقيع: مقبرة بالمدينة.

(٩) فأحضر: الإحضار هو العَدْوُ فوق الهرولة.

(١٠) حشياً: من الحشا وهو التهيج الذي يعرض للمسرع في مشيه.

(١١) رابية: التي أخذه الربو وهو التهيج وتواتر النفس.

(١٢) لهدني: أي دفعني. ولهده ضربه بجمع كفه في صدره.

(١٣) يحيف الله عليك ورسوله: من الحيف وهو الجور. أي ظننت أن قد ظلمتك بجعل نوبتك لغيرك؟.

(١٤) وضعت ثيابك: خلعت ثيابك.

(١٥) تستوحشي: تلحقك وحشة بانفرادك في ظلمة الليل يقظى.

فلا ينبغي أن يسأل أحد الزوجين ويلح في السؤال: هل حبنا هذا هو الحب الأول؟ أو هل سبقت علاقة ما بالجنس الآخر؟ فالحقيقة أن هذا سؤال أحمق، وإذا أجاب أحدهما بالصدق وقال: ليس هو الحب الأول، أو قال قد سبقت لي علاقة، فهو جواب أخرق.. والواجب إجابة السؤال الأحمق بالجواب الحكيم، لا بالجواب الصادق. وهذه إحدى حالات ثلاث أجاز لنا الشرع الحكيم أن نجيب فيها الجواب الحكيم، وإن لم يكن فيه الصدق كل الصدق.

ـ فعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وكانت من المهاجرات الأول اللاتي بايعن النبي ﷺ أنها سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيرا وينمي[1] خيراً**». قال ابن شهاب: ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها[2].

٧ ـ المشاركة في تحمل المسؤولية:

من دواعي الاستقرار والسعادة في الحياة الزوجية أن تقوم على أساس من المشاركة والشورى والتعاون، على أن الزوج هو المسؤول وهو صاحب الكلمة الأخيرة وله القوامة، وأي خلل في هذه الموازين لا يتحقق معه استقرار ولا سعادة... ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**﴾(البقرة: ٢٢٨) ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾ (النساء: ٣٤) فيتم تدبير أمور البيت وميزانيته في جو من المشاركة في المسؤولية والشورى وفي حدود الإسلام وتعاليمه، فلا إسراف ولا تقتير وفي جو من القناعة والرضا واليقين بأن الدنيا ليست دار نعيم وقد كانت بيوت رسول الله ﷺ يمر عليها الهلال ثم الهلال لا يوقد فيها نار.

فليستشعر كل من الزوج والزوجة أمانته ومسؤوليته، فكلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته، فليتق الله كل فيما استرعاه الله عليه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾ (التحريم: ٦) ويقول الرسول ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»، نريد الموازين الصحيحة للرعاية فإننا نرى الاهتمام الزائد إذا مرض أحد أفراد الأسرة في بدنه، ولا نرى هذا الاهتمام إذا قصر أحدهم في حق من حقوق

(١) ينمي خيراً: ينقل الحديث على وجه الإصلاح.

(٢) انظر في ذلك كله تحرير المرأة في عصر الرسالة: ٥/ ١٧٠، ١٧٥.

الله أو خالف تعاليم الإسلام، في حين أن علاج هذا الأخير أولى بالاهتمام.

لكل من الزوجين حق المشاركة في الهموم والأمور العامة والخاصة، وللبيوت المسلمة في رسول الله ﷺ وأزواجه القدوة والمثل الأعلى .

رسول الله ﷺ يشرك أزواجه فيما يهمه:

ـ عن عائشة أم المؤمنين قالت كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم. . . حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فوجده الملك فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ[1] ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ③﴾ (العلق). فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ فقال: «**زملوني زملوني**»[2]. فزملوه حتى ذهب عنه الروع[3]، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «**لقد خشيت على نفسي...**» (رواه البخاري ومسلم)

ـ عن المسور بن مخرمة ومروان. . . قالا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية. . . فلما فرغ من قضية الكتاب (أي كتاب الصلح مع قريش)، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا. قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحب[4] ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة، حتى تنحر بُدْنك[5] وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بُدْنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً. . . (رواه البخاري)

ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال النبي ﷺ: «**....لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد[6] أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون، ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون. وفي رواية مسلم: ادعي لي أبا بكر، أباك وأخاك، حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمنٍّ، ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**». (رواه البخاري ومسلم).

---

(١) علق: جمع علقة وهي القطعة اليسيرة من الدم الغليظ

(٢) زملوني: أي لفوني في ثيابي.

(٣) الروع: الفزع. (٤) أتحب: أتحب

(٥) بُدنك: البدن جمع بدَنة وهي ناقة أو بقرة تنحر بمكة قرباناً وكان يُسمنونها لذلك.

(٦) فأعهد: أي أعين القائم بالأمر بعدي.

قال الحافظ ابن حجر: وفي الحديث: إفضاء الرجل إلى أهله بما يستره عن غيرهم (٢٠٥).

ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لها: **«ألم تري أن قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا على قواعد إبراهيم؟»** فقلت: يا رسول الله، ألا تردها على قواعد إبراهيم؟ قال: **«لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت»** (رواه البخاري ومسلم).

وفي رواية لمسلم: **«ولجعلت لها بابين موضوعين في الأرض شرقياً وغربياً، وهل تدرين لم كان قومك رفعوا بابها؟»** قالت: قلت: لا. قال: **«تعززاً ألا يدخلها إلا من أرادوا، فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها يدعونه يرتقي، حتى إذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط»** (٢٠٦).

وفي رواية ثانية: **«فإن بدا لقومك من بعدي أن يبنوه، فهلمي لأريك ما تركوا منه، فأراها قريباً من سبعة أذرع..»**.

قال الحافظ ابن حجر: وفي حديث بناء الكعبة من الفوائد... حديث الرجل مع أهله في الأمور العامة.

ـ عن عائشة قالت: دخل على النبي ﷺ يوماً وقال: **«يا عائشة، ما أظن فلاناً وفلاناً يعرفان ديننا الذي نحن عليه»** (رواه البخاري)(٢٠٨).

ـ عن عائشة قالت: أرق النبي ﷺ ذات ليلة. وفي رواية عند أحمد: وعائشة إلى جانبه، فقالت: ما شأنك يا رسول الله؟ فقال: **«ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة»**؛ إذ سمعنا صوت السلاح، قال: **«من هذا؟»** قيل: سعد يا رسول الله، جئت أحرسك، فنام النبي ﷺ حتى سمعنا غطيطه[1] (رواه البخاري)(٢١٠).

أزواج النبي ﷺ يشركنه في أمورهن:

ـ عن عائشة أنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها، فشقت التمرة التي تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: **«إن الله قد أوجب لها بها الجنة»** (رواه البخاري ومسلم)

ـ عن ميمونة بنت الحارث ـ رضي الله عنها ـ أنها اعتقت وليدة ولم تستأذن النبي ﷺ ، فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت: أشعرت يا رسول الله إني أعتقت وليدتي؟ قال: «**أو فعلت؟**» قالت: نعم. قال: «**أما إنك لو أعطيتها أخوالك، كان أعظم لأجرك**» (رواه البخاري ومسلم)

وبعد.. لقد رأينا مشاركة السيدة خديجة رضي الله عنها في تثبيت الرسول ﷺ وطمأنته، والاشتراك في استجلاء الأمر الذي نزل برسول الله ﷺ ، ثم ذهابها معه إلى ورقة بن نوفل، رغم معارضة قريش لرسول الله ﷺ بعد ذلك بل رغم معارضة ذلك لدين قومها، ثم رأينا كيف سددته بمالها وأنفقت على الدعوة الوليدة، وكانت سنداً قوياً له ﷺ ولأصحابه حتى توفيت، وسمى المسلمون عام وفاتها بعام الحزن. وفي صلح الحديبية حين تأزم الأمر وكاد الناس أن يهلكوا بعصيان رسول الله ﷺ ، دخل على أم سلمة يطلب مشاورتها ومساعدتها فأشارت عليه بما فرج الأزمة وأزال الغمة، وقد رسمت له الخطة الحكيمة التي يتبعها لحمل أصحابه على ما يريده الله ورسوله ﷺ ، فكان ذلك نعم الرأي ونعم المشورة والخطة. وهكذا تكون المرأة الصالحة الفاهمة لدعوتها المفكرة في صلاح دينها ودنياها، الداعمة لرأي زوجها في المعروف، وذلك يدل على أن مشورة المرأة قد تفضل مشورة الرجل ، وعلى أنه لا يستهان برأي أحد في الأمة، وأن المرأة الصالحة وراء الرجل الصالح عون وبركة عليه وعلى المسلمين.

ثم رأينا عائشة في مواقف كثيرة تحضر الأمور العظام وتكون موطن سر رسول الله ﷺ حتى في أمور خلافته، وفي بناء الكعبة على قواعد إبراهيم، وفي أمور حراسته إلى غير ذلك مما جاء في الأحاديث الصحيحة.

٨ ـ الإسهام في بناء المجتمع المسلم:

كما أردنا من الفرد المسلم أن يكون الصورة الصادقة الحية للإسلام عقيدة وعبادة وخلقاً وسلوكاً، فإننا نريد من البيت المسلم أن يكون التطبيق السليم الدقيق لتعاليم الإسلام في حياة الأسرة.

نريد أن نرى الزوج المسلم الذي يقوم بواجباته نحو بيته كما حددها الإسلام، ونرى الأب المسلم الذي يتعهد أولاده بآداب الإسلام ويفهمهم أمور دينهم ويتعهدهم في كل مرحلة من مراحل حياتهم.

ونرى الزوجة المسلمة التي تجعل من بيتها روضة لزوجها يستروح فيها من عناء الكفاح عوناً لزوجها على طاعة الله، وما أروع ما قالت تلك الزوجة لزوجها عند خروجه من المنزل في الصباح: اتق الله فينا ولا تطعمنا إلا الحلال الطيب. . .

ونريد أن نرى في البيت المسلم الأم المسلمة التي ترعى أولادها وتنشئهم على الإسلام فهي أكثر ملازمة لهم، وهذه رسالة من أهم رسالات المرأة يحاول أعداء الإنسانية صرفها عنها بشتى الصوارف ليخربوا كيان المجتمعات.

ونريد أن نرى في البيت المسلم الابن المسلم والابنة المسلمة يعبدون ربهم ويبرون آباءهم وأمهاتهم، ويعاملون أصدقاءهم بآداب الإسلام، ولا يصدر منهم قول أو فعل فيه منافاة للإسلام.

نريد البيت المسلم الذي يرعى صلة الأرحام ويحافظ عليها ويهتم بذوي القربى ويؤدي حقوقهم، ونريد أن نرى من البيت المسلم الصورة السامية التي رسمها الإسلام لمعاملة الخادم، يطعم مما يطعمون، ويلبس مما يلبسون ولا يكلفونهم ما لا يطيقون وإن كلفوهم أعانوهم.

نريد أن نرى من البيت المسلم الصورة الفريدة التي يرسمها الإسلام في حسن معاملة الجار وأداء ما له من حقوق كما أوصانا رسول الله ﷺ.

نريد البيت المسلم الذي يقدم النموذج القدوة في كل جوانب حياته بزيه الإسلامي ومطعمه الحلال ومشربه الحلال والأخلاق الحميدة والسلوك الإسلامي والسمت الإسلامي في العادات والتقاليد كالأفراح والأتراح، مبتعداً في كل ذلك عن طابع الجاهلية والعادات والتقاليد المستوردة، فلا يقبل من الداعي إلى الله السالك طريق الدعوة أي تقصير أو تفريط في إلزام أفراد أسرته بتعاليم الإسلام في أي جانب من جوانب حياة الأسرة، فإن العاجز عن إلزام بيته يكون عن إلزام غيره أعجز.

٩ـ حمل أمانة الدعوة والتوجيه:

على البيت المسلم ـ كما على الفرد المسلم ـ أن يقوم بواجب الدعوة إلى الله فيمن حوله من الأسر والبيوت في صبر ومصابرة، وبالحكمة والموعظة الحسنة تستطيع الزوجة الأخت المسلمة أن تغزو قلوب جاراتها بدعوة الله وتتحول تلك الجلسات التي تسيطر عليها الغيبة واللغو إلى جلسات دراسة وتفقه في أمور الدين.

فحقل الدعوة الإسلامية في أمس الحاجة إلى الأخت المسلمة الداعية لتقوم بدورها وسط بنات جنسها، إن المرأة وقد جعل أعداء الإسلام منها أداة إفساد وانحلال نريد أن نجعل منها أداة إصلاح وبناء، تدعيماً للفضيلة ومحاربة الرذيلة.

هكذا نريد البيت المسلم منارة تهدي الحيارى حوله وتبدد الظلام من حولهم وينير لهم الطريق، ومع تكاثر هذه النوعية من البيوت المسلمة تتصل دوائر النور وتلتحم حتى تسود المجتمع ويمكن للشخصية الإسلامية أن تفرض نفسها على هذه المجتمعات وتنمو الفضيلة وتنحسر الرذيلة، وتتكون القاعدة المؤمنة الطاهرة المستقرة للكيان الإسلامي والحكم الإسلامي.

فعلى كل أخ مسلم وأخت مسلمة أن يحرصا ويسارعا إلى إقامة البيت المسلم القدوة، فهذه خطوة مهمة وأساسية في طريق الدعوة فاستعينوا بالله ويسروا ولا تعسروا وبالله التوفيق.

الفصل الثالث

أسـاس بنـاء الأسـرة

أساس بناء الأسرة

يسعى الماديون و اللادينيون إلى تقويض أبنية المجتمعات وخاصة المجتمع الإسلامي بمحاولة فرض نظم جديدة في تكوين الأسر على نحو ما جاء في وثيقة المؤتمر السكاني الذي انعقد في القاهرة وكان يهدف إلى إمكانية تكوين الأسرة من رجلين أو امرأتين أو رجل وامرأة ، بدون أدنى مراعاة للتقاليد الأخلاقية و القيم الدينية في بناء الأسر مما حدا بأبناء الحركة الإسلامية الغيورين إلى التنبه و التنبيه إلى خطورة ذلك، وتم تشكيل جبهة كبيرة للتصدي لهذه المحاولة الخبيثة التي خطط لها أبناء صهيون في بروتوكولاتهم.

النكاح أساس بناء الأسرة:

والنكاح معناه في اللغة: الضم والتداخل.

ومعناه في الشرع: عقد بين الزوجين يحل به الوطء.

وهو حقيقة في العقد مجاز في الوطء. وعلى الصحيح لقوله تعالى: ﴿فانكحوهن بإذن أهلهن﴾ (النساء: ٢٥) والوطء لا يجوز بالإذن.

وقال أبو حنيفة: هو حقيقة في الوطء مجاز في العقد لقوله ﷺ: «تناكحوا تكاثروا». وقيل غير ذلك.

ويدل على القول الأول ما قيل من أنه لم يرد في القرآن إلا للعقد، كما صرح به الزمخشري في كشافه في أوائل سورة النور، ولكنه منتقض بقوله تعالى: ﴿حتى تنكح زوجا غيره﴾ (البقرة: ٢٣٠) فإن المراد به الوطء بالإجماع. (هـ من نيل الأوطار حـ٦)

والأصل في مشروعيته: الكتاب، والسنة، والإجماع.

أما الكتاب: فقول الله تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾ (النساء: ٣).

وقوله تعالى: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾. (النور: ٣٢).

وأما السنة فقوله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة (القيام بأعباء الزواج) فليتزوج.. » إلخ متفق عليه. والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة.

وأجمع المسلمون على أن النكاح مشروع.

حكم النكاح:

قال في المغني جـ ٧: « الناس في النكاح على ثلاثة أضرب:

الأول: منهم من يخاف على نفسه الوقوع في المحظور إن ترك النكاح. فهذا يجب عليه النكاح في قول عامة الفقهاء؛ لأنه يلزمه إعفاف نفسه وصونها عن الحرام وطريقه النكاح.

الثاني: من يُستحب له: وهو من له شهوة يأمن معها الوقوع في محظور، فهذا الاشتغال به أولى من التخلي لنوافل العبادة، وهو قول أصحاب الرأي، وهو ظاهر قول الصحابة رضوان الله عليهم وفعلهم.

قال ابن مسعود: لو لم يبق من أجَلي إلا عشرة أيام، وأعلم أني أموت في آخرها يوماً ولي طَوْلٌ النكاح فيهن لتزوجت مخافة الفتنة.

وقال ابن عباس لسعيد بن جبير: تزوج فإن خير هذه الأمة أكثرها نساءً.

وقال إبراهيم بن ميسرة: قال لي طاوس: لتنكحن أو لأقولن لك ما قال عمر لأبي الزوائد: ما يمنعك عن النكاح إلا عجز أو فجور!.

قال أحمد في رواية المروذي: ليست العزوبة من أمر الإسلام في شيء، وقال: من دعاك إلى غير التزويج، فقد دعاك إلى غير الإسلام.

وقال الشافعي: التخلي لعبادة الله تعالى أفضل؛ لأن الله تعالى مدح يحيى عليه السلام بقوله: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾(آل عمران: ٣٩).

والحصور: الذي لا يأتي النساء، فلو كان النكاح أفضل لما مدح بتركه.

وقال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ﴾(آل عمران: ١٤).

وهذا في معرض الذم، ولأنه عقد معاوضة فكان الاشتغال بالعبادة أفضل منه كالبيع.

دليل الأول: ما تقدم من أمر الله تعالى ورسوله به وحثهما عليه، وقال ﷺ: «ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني». البخاري وغيره.

وقال سعد: «لقد رد النبي ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أحله لاختصينا». متفق عليه.

وعن أنس قال: كان النبي ﷺ يأمرنا بالباءة «التزوج»، وينهي عن التبتل نهياً شديداً ويقول: « **تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة**». (رواه أبو داود، والنسائي والحاكم، وصححه الألباني).

وهذا حث على النكاح شديد ووعيد على تركه يقربه إلى الوجوب والتخلي منه إلى التحريم، ولو كان التخلي أفضل لانعكس الأمر، ولأن النبي ﷺ تزوج وبالغ في العدد وفعل ذلك أصحابه، ولا يشتغل النبي ﷺ وأصحابه إلا بالأفضل، ولا تجتمع الصحابة على ترك الأفضل والاشتغال بالأدنى.

ومن العجب: أن من يفضل التخلي لم يفعله، فكيف اجتمعوا على النكاح في فعله وألفوه في فضله؟ فما كان فيهم من يتبع الأفضل عنده ويعمل بالأدنى، ولأن مصالح النكاح أكثر فإنه يشتمل على تحصين الدين وإحرازه، وتحصين المرأة وحفظها، والقيام بها، وإيجاد النسل، وتكثير الأمة، وتحقيق مباهاة النبي ﷺ، وغير ذلك من المصالح الراجح أحدها على نفل العبادة فتكون بمجموعها أولى.

وأما ما ذكر عن يحيى فهو شرعه، وشرعنا وارد بخلافه.

القسم الثالث: من لا شهوة له إما لأنه لم يخلق له شهوة كالعِنِّين، أو كانت له شهوة فذهبت لكبر أو مرض ونحوه ففيه وجهان:

أحدهما: يستحب له النكاح لعموم ما ذكرنا.

والثاني: التخلي له أفضل لأنه لا يحصل مصالح النكاح ويمنع زوجته من التحصين بغيره، ويُضِرُّ بِهَا بحبسها على نفسه، ويعرض نفسه لواجبات وحقوق لعله لا يتمكن من القيام بها، ويشتغل عن العلم والعبادة بما لا فائدة فيه».

الترغيب في النكاح سيما بذات الدين الولود:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة (القدرة المالية) فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء (إضعاف للشهوة)**». رواه البخاري ومسلم واللفظ لهما.

وعن أبي أيوب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أربع من سنن المرسلين: الحناء، والتعطر، والسواك، والنكاح»**.

وقال بعض الرواة: «الحياء بالياء» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»** (رواه مسلم والنسائي، وابن ماجه).

ولفظه قال: **«إنما الدنيا متاع، وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة»**.

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **«أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وبدناً على البلاء صابراً، وزوجة لاحوبا ً(ذنبا) في نفسها وماله»**.(رواه الطبراني في الكبير والأوسط وإسناد أحدهما جيد و رواه المنذري).

وعند محمد بن سعد، يعني ابن أبي وقاص عن أبيه أيضاً رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **« ثلاثة من السعادة: المرأة الصالحة تراها تُعجبك، وتغيب فتأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون وطيئة فتلحقك بأصحابك، والدار تكون واسعة كثيرة المرافق. وثلاث من الشقاء: المرأة تراها فتسوؤك، وتحمل لسانها عليك، وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون قطوفاً، فإن ضربتها أتعبتك، وإن تركتها لم تلحقك بأصحابك، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق»**.(رواه الحاكم وقال: تفرد به محمد يعني ابن بكير الحضرمي.فإن كان حفظه فهو بإسناده على شرطهما).

قال الحافظ: محمد: هذا صدوق، وثقه غير واحد.

وعند أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **« من رزقه الله امرأة صالحة، فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الباقي»** (رواه الطبراني في الأوسط والحاكم، ومن طريقه للبيهقي، وقال الحاكم: صحيح الإسناد. وقال ابن حجر: إسناده ضعيف).

وفي رواية البيهقي قال رسول الله ﷺ: **«إذا تزوج العبدُ فقد استكمل نصف الدين، فليتق الله في النصف الباقي»**، وقال الألباني: حسن لطرقه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله،والمكاتب الذي يريد الأداء،والناكح الذي يريد العفاف»**

رواه الترمذي واللفظ له، وقال: حديث حسن صحيح، وابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم. وقال الألباني: إسناده حسن).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رهط «جماعة» إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ: فلما أخبروا كأنهم تَقَالُّوها (عدوها قليلة)، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، **وقال آخر**: أنا أصوم الدهر ولا أفطر أبداً، **وقال آخر**: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ، فقال: **أنتم القوم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، (أشد خشية وأكثر تقوى منكم) لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب (أعرض) عن سنتي، فليس مني (أي فليس متبعاً لطريقتي)»** رواه البخاري، واللفظ له ومسلم وغيرهما.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **« تنكح المرأة على إحدى خصال: لجمالها، ومالها، وخلقها، ودينها، عليك بذات الدين والخلق تربت يمينك»**. (رواه أحمد بإسناد صحيح، والبزار، وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»**(رواه البخاري ومسلم وغيرهما).

«تربت يداك» كلمة معناها الحث والتحريض، وقيل هي هنا دعاء عليه بالفقر، وقيل: بكثرة المال، واللفظ مشترك بينهما قابل لكل منهما، والآخر هنا أظهر، ومعناه: اظفر بذات الدين ولا تلتفت إلى المال أكثر الله مالك.

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أصبت امرأة ذات حسب ومنصب ومال إلا أنها لا تلد، أفأتزوجها؟ فنهاه، ثم أتاه الثانية فقال له مثل ذلك، ثم أتاه الثالثة فقال له: **«تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»** (رواه أبو داود، والنسائي والحاكم، واللفظ له. وقال: صحيح الإسناد. وقال الألباني: صحيح لطرقه).

وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن**

غاب عنها نصحته في نفسها وماله» (رواه ابن ماجه وهو حديث ضعيف. ولكن ما ورد فيه صحيح في حكم الشرع ووردت أدلة بمعناه) [١].

حكمة وجود الأسرة

١ـ ضرورة التكاثر وتنفيذ الحكمة من وجود الإنسان:

كان لابد من التوالد والتكاثر لإبقاء النسل الإنساني الذي أراد له الحق سبحانه أن يعمر الأرض، ولن يكون ذلك إلا باجتماع الذكورة والأنوثة ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(الذاريات: ٤٩) وبذلك تتحقق الخلافة في الأرض لعمارتها وتسخير قواها الطبيعية، وعبادة الله سبحانه وتعالى في الأرض. ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ (النساء: ١).

٢ـ تحصين النفس البشرية:

وذلك بقضاء حاجتها الجنسية على الوجه الذي شرعه الله سبحانه وأباحه للإنسان، وفي ذلك صيانة للأخلاق والأعراض، وبعد عن انتهاك الحرمات، ووقاية من البغضاء والعدوان، ودرء لكثير من المفاسد والآثام والشرور؛ لأن الله لو ترك الناس إلى غرائزهم الحيوانية في هذا الشأن كما ترك عجم الحيوانات، لعمت الفوضى، ونشأت مضار كثيرة، ومفاسد اجتماعية تأتي على النسل والذرية وتلحق الأذى بالأفراد والجماعات البشرية.

والإسلام نظم تلك العلاقة، وحض عليها، بينما ترى الكنيسة تحريم هذه العلاقة على بعض منهم ومن رؤسائهم، فينشأ الكبت والاضطراب النفسي والانحلال، ولقد شدد الإسلام في النكير على دعاة الرهبنة فقال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾(الحديد: ٢٧).

وحض رسول الله ﷺ على الزواج فقال: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج**».

وما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت النبي ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تَقَالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ وقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال الآخر:

(١) انظر في ذلك فقه الأسرة، حسن أيوب ص ٧ إلى ١١.

أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء النبي ﷺ، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني».

٣ـ السكن النفسي:

الإسلام نظام إسلامي شرعه الله تعالى لخير المجتمع الإنساني، وسعادة أفراده في إقامة دعائم الأسرة وجعلها سكناً ومحصناً، قال تعالى ﴿ومِنْ آياته أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)﴾ (الروم).

فالناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر، وتشغل أعصابهم ومشاعرهم تلك الصلة بين الجنسين، وتدفع خطاهم وتحرك نشاطهم تلك المشاعر مختلفة الأنماط والاتجاهات بين الرجل والمرأة، ولكنهم قلما يتذكرون يد الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجاً وأودعت نفوسهم هذه العواطف والمشاعر، وجعلت في تلك الصلة سكناً للنفس والعصب، وراحة للجسم والقلب، واستقراراً للحياة والمعاش، وأنساً للأرواح والضمائر، واطمئناناً للرجل والمرأة على السواء.

والتعبير القرآني يدعو إلى التفكر في فضل تلك العلاقة وخيرها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الرعد: ٣) فيدركون حكمة الخالق في خلق كل من الجنسين على نحو يجعله موافقاً للآخر، ملبياً لحاجاته الفطرية، نفسية وعقلية وجسدية، بحيث يجد عنده الراحة والاطمئنان والاستقرار، ويجد أن في اجتماعهما السكن والاكتفاء، والمودة والرحمة، لأن تركيبها النفسي والعصبي والعضوي ملحوظ فيها تلبية رغائب كل منهما في الآخر.

والحق سبحانه وتعالى خلق لكم من جنسكم إناثاً تكون لكم أزواجاً﴿لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ (الروم: ٢١) ولو أنه تعالى جعل بني أدم كلهم ذكوراً، وجعل إناثهم من جنس آخر من غيرهم، إما من جان أو حيوان، لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج، بل كانت تحصل نفرة لا يستطيع أحد معها معاشاً هانئاً، فكان من تمام نعمة الله بني آدم أن جعل أرواجهم من جنسهم، وجعل بينهم مودة وهي المحبة، ورحمة وهي الرأفة، فالرجل يمسك المرأة، إما لمحبته لها، أو الرحمة بها، بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق أو للألفة بينهما وغير ذلك. ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا

ليسكن﴾[١] ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾(الذاريات: ٤٩) .

٤ـ تكوين رباط اجتماعي قوي:

عن طريق الزواج تتكون الأسرة وعن طريقها تتكون الروابط بين الناس بعضهم مع بعض وتقوى الصلات في المجتمع، وبين القبائل والشعوب، والمصاهرات فعلت فعلها زمن الرسول ﷺ، ولعل الحكمة من زواج الرسول من قبائل مختلفة كانت لتقوية الروابط بين القبائل وبين الرسول ﷺ، خدمة للإسلام، وضماناً لنصرة هؤلاء لدين الله، قال تعالى: ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾(الحجرات: ١٣) فالزواج إذن وسيلة من وسائل التعارف والتآلف بين الناس. قال تعالى: ﴿وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا﴾ (الفرقان: ٥٤) والإسلام دائماً يدعو إلى تقوية الروابط في المجتمع بالحب، وبالإيمان، وبالمصاهرة، وبالأخلاق الفاضلة، وبغير ذلك من الطرق المشروعة في التعاون على البر والتقوى، والتناهي عن الإثم والعدوان، وحين يفسد الزواج ويكون سبباً للقطيعة، يأتي الطلاق والتفرق بالحسنى، ولكن لا ينسى كلٌ فضلَ الآخر ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾(البقرة: ٢٣٧) ﴿وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته﴾(النساء: ١٣٠).

٥ـ الوقاية من الأمراض والانحرافات:

لا شك أن بناء أسرة كريمة تحصينٌ للنفس، وحفظ للمال، وضمان من الانحرافات وعون على المعروف، ولا ننسى أن الدافع الجنسي من أقوى الدوافع البشرية وأعمقها أثراً في حياة الإنسان وجاءت أصالته في الكيان البشري لحكمة سامية أرادها الخالق، وهدف يتعلق باستمرار الحياة وبقاء النوع.

والإسلام يقر للإنسان حقه في تلبية مطالب هذا الدافع، ولا يقره في كبته، أو يوحي إليه باستقذاره، ولكن ليس هناك غير طريق واحدة يرتضيها الإسلام في تصريف الطاقة الجنسية هو الزواج العلني الذي تتخصص فيه امرأة بعينها لرجل بعينه، ويتم به الإحصان، وهو الحفظ والصيانة. إن الارتباط بين الجنسين على قاعدة الأسرة، هو النظام الوحيد الذي يتفق مع فطرة الإنسان وحاجاته الحقيقية، الناشئة عن كونه إنساناً لحياته غاية أكبر من غاية الحياة الحيوانية، فإذا كانت غاية الميل الجنسي في الحيوان تنتهي عند تحقيق الاتصال الجنسي والتناسل والإكثار، فإنها في الإنسان لا تنتهي هنا إنما هي

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٤١٤، في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٦٣ والآية: الأعراف: ١٨٩

وسيلة إلى هدف أبعد هو الارتباط الدائم بين الرجل والمرأة لتحقيق أهداف المجتمع الإنساني[١]. إنه الزواج والاتصال الجنسي المشروع، هو الوسيلة المثلى التي تجد عن طريقها غريزة الجنس طريقها في نطاق الأسرة النظيف ما تنشده من إشباع وارتواء، في توازن لا يخل بسلام المجتمع ولا يزعزع بناءه الإنساني الأخلاقي.

إنهما نوعان للعلاقات بين الجنسين، **الأول**: يقوم على قاعدة الأسرة وهو النكاح على شريعة الإسلام، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو بنته، فيصدقها ثم ينكحها، إنه الإحصان الذي ينص القرآن على طلبه ويريده الله فهو إحصان.. هو حفظ وصيانة، هو حماية ووقاية، **والثاني**: وهو الذي ينص القرآن على نفيه، سواء منه المخادنة والبغاء، إنه اللذة العابرة، والنزوة العارضة عن طريق المسافحة يشترك فيها الرجل والمرأة يريقان ماءهما في السفح الواطئ. فلا يحصنهما من الدنس ولا يحصن الذرية من التلف، ولا يحصن البيت من الدمار والمجتمع من الخراب.

إنهما نوعان من الحياة يحددهما القرآن في كلمتين اثنتين: ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ (النساء: ٢٤). ليبلغ غايته من تحسين الإحصان، النوع الذي يرتضيه في الحياة وليصل إلى هدفه من تبشيع الزنا بكل أشكال، النوع الذي ينكره في الحياة.

إن ضبط الغريزة الجنسية وتنظيمها في نطاق الأسرة لا يعني كبتها، فالضبط تنظيم للطاقة والكبت إنكار لها. وكل قوة إن لم تُضبط ذهبت هباءً أو كانت أداة للتخريب.

وقد ميز الله أهل الإيمان بضبط الغريزة وتوجيهها وجهة الفطرة الصالحة، وأشار القرآن إلى أن مسلك الفوضى إنما هو انحلال وعدوان خطير يدمر المجتمع ويبث الوهن في أنحائه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾. (المؤمنون: ٧) فهي طهارة الزوج والبيت والجماعة ووقاية النفس والأسرة والمجتمع وتحفظ الفروج من دنس المباشرة في غير حلال، وحفظ القلوب من التطلع إلى غير حلال، وحفظ الجماعة من انطلاق الشهوات بغير حساب حتى لا تصبح جماعة معرضة للخلل والفساد؛ لأنه لا أمن فيها للبيت ولا حرمة فيها للأسرة، والبيت هو الوحدة الأولى في بناء الجماعة، إذ هو المحضن الذي تنشأ فيه الطفولة وتدرج ولابد له من الأمن والاستقرار والطهارة، ليصلح محضناً ومدرجاً، وليعيش الوالدان مطمئناً كلاهما

---

(١) يراجع بتوسع كتاب «السلام العالمي والإسلام» للأستاذ سيد قطب، فصل «سلام البيت».

للآخر، ويرعيان ذلك المحضن ومن فيه من أطفال.

والجماعة التي تنطلق فيها الشهوات بغير حساب جماعة قذرة هابطة في سلم البشرية، فالمقياس الذي لا يخطئ للارتقاء البشري هو تحكم الإرادة الإنسانية وغلبتها وتنظيم الدوافع الفطرية في صورة مثمرة نظيفة، لا يخجل الأطفال معها من الطريقة التي جاءوا بها إلى هذا العالم[1].

ولذلك يبين الرسول ﷺ أن سلامة المجتمع المسلم وقوته وتماسكه مرهونة بابتعاده عن الفاحشة ونجاته من أوبتها فيقول: «**لا تزال أمتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا، فإذا فشا فيهم ولد الزنا، فأوشك أن يعمهم الله بعذاب**»[2]، ويقول ﷺ: «**ما ظهرت الفاحشة في قوم قط، إلا أصابهم الطاعون والأوباء التي لم تكن في أسلافهم**»

إن الحياة العائلية المستقرة رمز ناطق للمجتمع السليم، ولن يتم القضاء على الأسرة دون أن يكون لذلك أسوأ الأثر، فكم من الحضارات قد اندثر حين تحلل فيها نظام الأسرة، فلقد اعتبرت الحياة الزوجية عند اليونانيين القدماء أمراً تافهاً، فكان اللقاء بين الرجل والمرأة لإشباع غريزة الجنس أمراً عابراً وكانت النتيجة أن تحطمت حضارتهم، وكذلك سقط الرومان من قمة مجدهم عندما أغفلوا العناية بحياتهم المنزلية واعتبروا الحياة فرصة للمتاع وإشباع الشهوات، وهذه نذر سقوط حضارة الغرب الحديثة.

كشفت نشرة إحصائية لهيئة الأمم عام ١٩٥٩م عن مدى عمق الهاوية التي تنحدر إليها المجتمعات الغربية نظراً لتفكك الأسرة، تقول النشرة إن العالم الغربي يواجه الآن مشكلة الحرام أكثر من الحلال، في شأن المواليد، إن نسبة الأطفال غير الشرعيين قد ارتفعت إلى ٦٠%، وأما في بعض البلاد، مثل بنما فقد، تجاوزت ٧٥% أي أنه من كل أربعة مواليد ثلاثة عن طريق حرام.

وجاء في تقرير لمنظمة الصحة العالمية أن الزيادة في الإصابة بالأمراض السرية في الولايات المتحدة والولايات الاسكندنافية وبريطانيا، قد خرجت عن نطاق السيطرة عليها وأن الإصابة بالسيلان في الولايات المتحدة قد وصلت إلى حد الوباء[3].

وقد أدى تحلل الأسرة في المجتمع الأمريكي أن أصبح لا يصلح للجندية ستة من

---

(١) ظلال القرآن، المجلد الرابع ص ٢٤٥٥ ط / دار الشروق.

(٢) أخرجه أحمد في المسند.

(٣) عن جريدة الأهرام عدد ٨/ ١/ ١٩٧١ .

كل سبعة ممن هم في سن التجنيد، وسنة الله لا تتخلف.

وعندما اكتسح الألمان فرنسا في الحرب العالمية الثانية في بضعة أيام، لم يتردد رئيس فرنسا في ذلك الحين في مصارحة أبناء وطنه، فقال: «لقد جاءت الهزيمة من الانحلال، فدمرت روح الشهوات ما شيدته روح التضحية، إنه لا سبيل لإخراج فرنسا من كبوتها وإقالة عثرتها إلا بإقامة صرح الأسرة من جديد وتقوية أواصرها وتقديس تقاليدها وأنظمتها» وهيهات.

ورغم توالي صيحات الخبراء والمصلحين في الغرب فإن النذر كلها تشير إلى أن هذه الحضارة قد دخلت في مرحلة الأفول نتيجة لاتباع الشهوات والنفور من تبعات الزواج، والتبرم بالحياة العائلية والاستهتار بروابط الزوجية الذي دمر في المرأة هناك عاطفة الأمومة الفطرية فأصبحت لا هم لها إلا اللذة تحصل عليها وقتما شاءت وكيفما شاءت بعيداً عن قاعدة الأسرة، ولا تذهب إلا ومعها تدابير منع الحمل، وإن تم حمل فعيادات الإجهاض تعمل كل الوقت.

ورغم هذه الصيحات فإن جرائم الأحداث في ازدياد مستمر بلغ حداً خطيراً، يقول تقرير للأمم المتحدة «عن الأهرام في ٢٠/٨/١٩٥٥»: «إن نسبة الانحراف بين الأحداث في الولايات المتحدة التي تتمتع بأعلى مستوى من الرفاهية أعلى منها بكثير في بريطانيا، إن نسبة الزيادة في الانحراف مخيفة جداً وإن ٧٠% من المجرمين يبدؤون عهد الإجرام ما بين الرابعة عشرة والثانية والعشرين، ويشمل انحرافهم كل النواحي بما في ذلك تناول المخدرات والشذوذ الجنسي».

يقول الفريد دينتج: «إن أكثرية المجرمين الأطفال غير البالغين تخرج من أنقاض أسر محطمة».

من هنا ندرك مدى الجريمة التي يزاولها دعاة الانحلال والأجهزة الدنسة، المسخرة لتوهين روابط الأسرة عندنا، والتصغير من شأن الرباط الزوجي، وتشويهه وتحقيره للإعلاء من شأن الارتباطات القائمة على مجرد الهوى المتقلب والعاطفة الهائمة، والنزوة الجامحة وتمجيد هذه الارتباطات بقدر الحط من الرباط الزوجي.

فالمشكلة بيننا وبين هؤلاء الدعاة وهذه الأجهزة «أننا نخاطبهم بالعقول وهم يتكلمون بالشهوات، إن عقولهم لا تنكر ما نقول، ولكن شهواتهم هي التي تكرهه، إن ما يعرفونه عن التاريخ يؤيد أقوالنا وما يعرفونه عن مجون الحضارة يوافق أهواءهم، نحن

مع العقل وهم مع الهوى، نحن مع المبادئ العلمية والأخلاقية التي يقرون بها، وهم مع الرغبات والأهواء التي يخضعون لها، والعقل يبني الدولة من حيث يخربها الهوى»[1] .

لقد كان الحسم والزجر في عقوبة الفوضى في سلوك الغريزة ضرورة اجتماعية لحماية الجماعة وحماية الفرد ذاته، وقد كان على الأمة الإسلامية أن تتمسك بشريعتها وأن تتبع نهج الإسلام في الحفاظ على كيان المجتمع، ولكن المؤسف أننا نبذنا أحكام الشريعة واستبدلنا بها قوانين وضعية جيء بها إلينا من قوانين دول الغرب الذي لا يؤمن بعفة ولا إحصان.

وليت دعاة الانحلال والفوضى الجنسية يتركون لداعي العقل أن يغلب دواعي الهوى والمصالح الشخصية ليكون له الحكم في المقارنة بين عقوبة الزنا في الشريعة الإسلامية وعقوبتها في القوانين الوضعية، ليظهر لهم أن قانون الشريعة حكيم وحاسم، لأنه من تقدير الخبير البصير، المحيط بنوازع الإنسان، العليم بما يصلحه وما يفسده، وأن القانون الوضعي في عقوبة الزنا يذلل الزنا ويغري به لأنه تعبير عن روح الإنسان الغربي الذي لا يستقذر هذه الخسة، فكانت العواقب في مجتمعات الغرب كما ألمحنا وخيمة، وهاهي ذي مجتمعاتنا الإسلامية قد أصابها شر كبير من جراء التساهل الفاحش في تكييف جريمة الزنا نتيجة الأخذ بهذا القانون.

إن الإسلام حين يشدد عقوبة جريمة الزنا، إنما يهدف بذلك إلى دفع خطر يهدد الحياة الاجتماعية بالدمار والفناء يقول القانوني الكبير الأستاذ الشهيد عبد القادر عودة[2]: «تعاقب الشريعة الإسلامية على الزنا باعتباره ماساً بكيان الجماعة، ولأن إباحة الزنا إشاعة للفاحشة وهذا يؤدي إلى هدم الأسرة ثم إلى فساد المجتمع وانحلاله، والشريعة تحرص أشد الحرص على بقاء الجماعة متماسكة قوية».

أما العقوبة في القوانين الوضعية فأسبابها: أن الزنا من الأمور الشخصية التي تمس علاقاتها الأفراد ولا تمس مصلحة الجماعة، فلا معنى للعقوبة عليه مادام عن تراض، إلا إذا كان أحد الطرفين زوجاً، ففي هذه الحالة يعاقب على الفعل صيانة لحرمة الزوجية!

ولعل ما حدث في أوروبا والبلاد الغربية عامة، يؤيد نظرية الشريعة، فقد تحللت

---

(١) عن كتاب« هكذا علمتني الحياة» للمرحوم الدكتور مصطفى السباعي ص ١٠٧ .

(٢) انظر موسوعته « التشريع الجنائي الإسلامي».

الجماعات الأوروبية وتصدعت وحدتها وذهبت ريحها، وما لذلك من سبب إلا شيوع الفاحشة والفساد الخلقي والإباحية التي لا تعرف حداً تنتهي عنده.

وما أشاع الفاحشة وأفسد الأخلاق ونشر الإباحية إلا إباحة الزنا وترك الأفراد لشهواتهم واعتبار الزنا من الأمور الشخصية التي لا تمس صالح الجماعة.

ولعل أشد ما تواجهه البلاد غير الإسلامية اليوم من أزمات اجتماعية وسياسية يرجع إلى إباحة الفاحشة، فقد قل النسل في بعض البلاد قلة ظاهرة تنذر بفناء هذه الدول أو توقف نموها، وترجع قلة النسل أولاً وأخيراً إلى امتناع الكثيرين عن الزواج، وإلى العقم الذي انتشر بين الأزواج.

ولا يمتنع الرجل عن الزواج إلا لأنه يستطيع أن ينال من المرأة ما يشاء في غير حاجة إلى الزواج، ولأنه لا يثق بأن المرأة ستكون له وحده بعد الزواج، وقد اعتاد أن يجدها مشاعاً بينه وبين غيره قبل الزواج. هذا بالإضافة إلى ما يفرضه الزواج من قيود وتبعات ومسئوليات.

والمرأة التي كانت أمنيتها الأولى الزواج، ووظيفتها التي خلقت من أجلها إدارة البيت وتربية الأولاد، هذه المرأة صارت في كثير من الأحوال تنفر من الزواج، ولا ترضى أن تستأسر لرجل تنال ما عنده، وتثقل نفسها بالقيود والأغلال.

وقد أدى شيوع الزنا إلى مقاومة الحمل من جهة، وانتشار الأمراض السرية من جهة أخرى، وإذا كانت مقاومة الحمل تؤدي في كثير من الأحوال إلى عقم النساء فإن انتشار الأمراض السرية يؤدي في الغالب إلى عقم الرجال والنساء على السواء.

وكانت المرأة تعيش في كنف الرجل في ظل الزواج، فلما أضرب الرجال عن الزواج كان لابد للمرأة من أن تعيش، فاضطرت إلى مزاحمة الرجل في ميدان العمل لتنال قوتها، فأدى هذا إلى تفشي البطالة وشيوع المبادئ الهدامة، والقى بشعوب أوروبا في بحر لجي يزخر بالفوضى والاضطراب.

ويستطيع الإنسان أن يرتب على هذه المفاسد الاجتماعية نتائجها الخطيرة، دون أن يخطئ الحساب، ولو تدبر هذه النتائج القائلون بأن الزنا علاقة شخصية لعلموا أن الزنا من أخطر الجرائم الاجتماعية، وأن مصلحة الجماعة تقتضي تحريمه في كل الصور،

والمعاقبة عليه أشد العقاب، وعلى هذا الأساس حرّمت الشريعة الإسلامية الزنا لتجنب الوصول إلى تلك النتائج المخيفة، وقررت أشد العقوبات للزناة، حتى اعتبرت من يزني بعد إحصانه غير صالح للبقاء، لأنه مثل سيئ، وليس للمثل السيئ في الشريعة حق البقاء[١].

٦ـ إنجاب الذرية الصالحة ورعايتها:

هناك غرضان للإنجاب: الأول تحقيق شهوة النفس المباحة، وهي أن يرى الإنسان له ولداً من ذريته يرغب أن يخلفه في الحياة ويحمل اسمه ويكون صلة لعمله وثوابه. قال تعالى عن زكريا عليه السلام ﴿وإني خفتُ الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا (٥) يرثني ويرثُ من آل يعقوب واجعله ربّ رضيا﴾(مريم٥، ٦).

ولا شك أن الأولاد زينة قال تعالى: ﴿المالُ والبنون زينةُ الحياة الدنيا﴾(الكهف، ٤٦) والتمتع بهذه الزينة مباح، مادام في طاعة لله سبحانه.

رعاية الذرية:

فالمسلم مأمور برعاية ولده والحفاظ عليه وتعليمه الخلق الطيب والفعل الحسن والأخذ بيده إلى كل ما ينفعه في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناسُ والحجارةُ﴾(التحريم، ٦).

قال مجاهد: اتقوا الله وأوصوا أولادكم بتقوى الله. **وقال قتادة:** تأمرونهم بتقوى الله وطاعته وتنهونهم عن معصيته ومخالفة أمره. **وقال الضحاك:** حق المسلم أن يعلم أهله وقرابته وإمائه وعبيده ما فرض الله عليهم وما نهاهم عنه.

وقال ﷺ «**مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها**» قال الترمذي هذا حديث حسن، قال الفقهاء: وهكذا الصوم ليكون ذلك تمرينا له على العبادة لكي يبلغ وهو متعود عليها فيستمر على العبادة والطاعة

ومجانبة المعاصي وترك المنكرات، وفي الحديث: «**رحم الله رجلاً قال: يا أهلاه، صلاتكم صيامكم زكاتكم، مسكينكم، يتيمكم، جيرانكم، لعل الله يجمعهم معه في الجنة**» وقيل: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة من جهل أهله، ولهذا كان المؤمنون يعملون دائماً على صلاح الأبناء حتى يكونوا قرة عين رجالاً ونساء نفعاً للأهل وذخراً للأمة.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤).

الثالث: تحديد العلاقة بين الزوجين:

تحديد العلاقة بين الزوجين، وبيان حقوق كل منهما قبل الآخر، وما عليه من واجبات، فإذا عرف كل منهما ما له وما عليه اطمأنت نفسه، وسكن إلى زوجه، وسكنت إليه فتعمهما المودة والرحمة، ويتعامل الزوجان على أساس من الثقة والاعتبارات الإنسانية الكريمة، في الكلام والعشرة، والاعتدال في الإنفاق دون حرج، فلا يكلف أحدهما الآخر عنتاً ولا رهقاً، كما يعيش الأولاد في جو من الثقة والهدوء والسعادة، بدون تعرض لنزغات الشياطين من الشقاق في البيت وسوء العشرة بين الزوجين.

فالإسلام راعى ذلك بما شرع من حقوق وواجبات تحفظ على الأمة الإسلامية توافقها واتحادها وتفرغها لجلائل الأعمال، في البيت، وفي المجتمع وفي الحياة الرحبة الواسعة التي يتسابق فيها الناس لتحصيل خيري الدنيا والآخرة.

مراجع للتعلم الذاتي والاستيفاء:

١ـ الإسلام و المرأة المعاصرة ـ البهي الخولي.

٢ـ الأسرة المسلمة ـ وهبة الزحيلي.

٣ـ السلوك الاجتماعي في الإسلام ـ حسن أيوب.

التفعيل العملي للمحتوى بالنشاط المصاحب:

١ـ يعد دليلاً للبحث عن أحكام الأسرة من كتب الفقه القديم.

٢ـ يلقي محاضرة يوضح فيها أهمية بناء الأسرة في الإسلام والحكمة من وجودها.

٣ـ يدعو أحد الفقهاء ليتكلم عن حكم النكاح في الإسلام.

٤ـ يتحدث أمام جمهور الراغبين في الزواج عن شروط الزوجة الصالحة.

التقـويم والقيـاس الـذاتي:

١ـ ما المقصود بلفظ الأسرة ؟

٢ـ أين تجد أحكام الأسرة في كتب الفقه القديم ؟

٣ـ تحدث عن أهمية بناء الأسرة في الإسلام ؟

٤ـ ما النكاح ؟ وما أهميته في بناء الأسرة ؟

٥ـ اذكر أحكام النكاح في الإسلام ؟

٦ـ ما الشروط التي وضعها الإسلام للمرأة الصالحة ؟

٧ـ تحدث عن الحكمة من وجود الأسرة في الإسلام ؟

الفصل الرابع

الأســـرة المسلمـــة قـــدوة إنسانيـــة في تحقيق السعـادة

الأسرة المسلمة قدوة إنسانية في تحقيق السعادة

الأسرة المسلمة نموذج إنساني يقتدي به كل من ينشد السعادة الزوجية، ولأن السعادة معنى ووجدان له مظاهره التي تجذب حنين من يلاحظها، فإن هذا المعنى وهذا الوجدان له مكون أساسي ينطلق منه وهو السر الكامن وراء تحقيق السعادة.

فما هذا المكون ؟ وما هذا السر ؟

إنه تقوى الله، فهي الأساس الذي يقوم عليه بناء الأسرة المسلمة القدوة، فيكون اختيار الزوج لزوجه حسب توجيه الرسول بأن تكون ذات دين وليس لجمالها أو مالها أو حسبها فحسب، وتكون موافقة الزوجة وأهلها على الزوج لأنه ذو خلق ودين وأمانة فيتأسس البيت المسلم هكذا على التقوى من أول يوم، وتصبح المقاييس الربانية والآداب الإسلامية هي التي توجه وتضبط خطوات بناء هذا البيت ، ابتداءً من الخطبة والعقد والدخول وما بعد ذلك، وتسيطر النظرة الإسلامية الصحيحة للزواج والحياة الزوجية، بخلاف النظرة المادية التي تقوم عليها بعض الزيجات وتصير المقاييس المادية هي أسلوب التعامل في حياة البيت، فسرعان ما يحدث الخلاف ويتعكر جو الحياة الزوجية لعدم الرجوع إلى الضوابط والمقاييس الإسلامية التي تحدد السلوك والرغبات التي يلتزم بها الزوجان حتى تتحقق لهما ولأولادهما السعادة.

ويخطئ من يظن أن السعادة الزوجية تتحقق من خلال الماديات كوفرة المال وتهيؤ المسكن الجميل والأثاث الفاخر و المركب المريح والملابس المتنوعة والأدوات الحديثة في البيت، والطعام اللذيذ وأسباب الترف وإشباع الشهوات إلى غير ذلك من الأمور، ولسنا مغالين أو بعيدين عن الواقع إذا قلنا: إن الكثير من الفتيات يسيطر عليهن هذا التصور الخاطئ لحقيقة السعادة الزوجية، وتكون أحلامهن الوردية لعش الزوجية من خلال هذه النظرة المادية القاصرة.

والحقيقة التي نحب أن يعلمها شبابنا المسلم وفتياتنا المسلمات أن السعادة الزوجية الحقة لا تتحقق من وراء هذه الماديات التافهة، فكم نرى من هم في القصور وسط الحشم والخدم، لا سعادة زوجية حقة يعيشونها، ونرى السعادة الزوجية محققة بين رجل

وزوجته يعيشان في كوخ صغير.

إن السعادة الزوجية في عمومها من داخل النفس وليس من خارجها، من تقوى الله إذ يفيض الله بها على عباده المتقين، وصدق الشاعر:

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد

فحينما تتوافر التقوى بين كل من الزوج والزوجة تتحقق لهما السعادة الزوجية الحقة، فتقوى الله تعني مراقبته أولاً وتحري كل ما يرضيه وتجنب ما يغضبه، والتزام كل منهما توجيهات الكتاب والسنة في حياتهما وواجباتهما وحقوقهما، ولا شك في أن السعادة والخير فيها لأنها توجيهات من لدن حكيم خبير وبعباده رؤوف رحيم، وإرشادات من الرسول الكريم الذي لا ينطق عن الهوى وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم، وعزيز عليه ما عنتوا وحريص عليهم وعلى ما فيه خيرهم.

ثم إنه بتوافر التقوى عند الزوجين تتوافر الثقة بينهما، فيطمئن أنها له وحده وتطمئن هي أنه لها وحدها، ولا سبيل حينئذ للشك والظنون والريب، وغير ذلك مما يعكر صفاء الحياة الزوجية ويكون على حساب السعادة والمودة.

وبتوافر التقوى يتحقق السكن وتوجد المودة و الرحمة بينهما؛ مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾(الروم).

والمسلم الذي يتقي الله ينظر إلى الزواج على أنه عبادة يتقرب من خلالها إلى الله بحسن أداء واجبه نحو زوجته وبيته وأولاده، كذلك المسلمة التي تتقي الله تعتبر الزواج عبادة وتسعى لنيل رضوان الله بحسن قيامها بواجبها نحو زوجها وبيتها وأولادها. وهكذا على مثل هذا البيت تتنزل السكينة والرحمة والمودة والسعادة.

تحقيق القدوة داخل البيت:

هناك أمور وثيقة الصلة بالأسرة المسلمة أو البيت المسلم، عادة ما يحدث فيها تجاوزات لا تتناسب مع القدوة على طريق بناء المجتمع المسلم، و نرى أن من الواجب أن نلفت النظر إليها، بعضها يتصل بالمبنى وبعضها بالأثاث وكذا ما يتصل منها بالطعام أو الشراب أو اللباس أو الميزانية أو العادات أو الجيران أو الأصدقاء نعرض لها في إيجاز شديد وإن كانت تحتاج إلى تفصيل ليس هنا مكانه.

١ـ بناء المنزل واختياره:

نلاحظ في عصرنا هذا تسابقاً غريباً في تشييد المنازل والحرص على فخامتها وزينتها، ويتبارى الفنيُّون في إبراز عبقرياتهم، ويصرف عليها بالملايين، وما من شك أن هذا إسراف منهي عنه، في وقت نجد فيه الملايين من المسلمين المشردين بلا مأوى ولا ملبس ولا مأكل.

وقد يقول قائل: وماذا في ذلك إذا كان صاحب المال قد أدى حق الله فيه وأخرج زكاته وأنفق زيادة عن الزكاة على بعض الفقراء والمحتاجين؟ فنقول يجب أن يكون واضحاً أصلاً أن الحياة الدنيا ليست دار نعيم ولا دار استقرار، ثم إن مثل هذه البيوت الفخمة يمكن أن تكون مثار فتنة لأصحابها، تجعلهم يركنون إلى الدنيا ولا يقدمون على الجهاد والعمل الشاق في سبيل الله، كما أنها قد تثير الحقد والحسد في نفوس المعوزين والفقراء.

ولا نريد أن نعمر بيوتنا في الدنيا على حساب المساكن الطيبة في جنات عدن، ولنتذكر جميعاً صفة بيوت النبي وهو من هو منزلةً عند الله.

وما نوصي به الأسرة المسلمة القدوة حول المبنى: الاعتدال والبساطة والتقليل من التكاليف والكماليات وألا يكون ضيقاً ولا متسعاً أكثر من اللازم، وأن يكون صحياً وتكون غرفه كافية لتحقيق التفريق في المضاجع بين الأبناء وعزل البنات عن الصبيان، ويراعى عدم كشف عوراته من خارجه، وتيسير حركة أهل البيت بمعزل عن مكان استقبال الضيوف ما أمكن، وحبذا لو خصص فيه مكان للصلاة يحافظ على نظافته وطهارته إلى غير ذلك من آداب إسلامية يلزم مراعاتها، هذا بالنسبة لمن عندهم قدرة على البناء، أما الذين لا يقدرون فيكتفون بالاستئجار مع محاولة تحقيق الصفات السابقة في البيت المستأجر ما أمكن، هذا والأصل أن الدولة الإسلامية تكفل للفقير بيتاً مناسباً يسكن فيه ويعيش حياته المستقرة.

٢ـ حول أثاث البيت:

نلاحظ أيضاً تسابقاً شديداً وتباهياً بين الناس في اقتناء الأثاث الفاخر والفراش الناعم الوثير، و ازدحام المنازل بكل أسباب الترف والرفاهية والكمالات، وللنساء دور كبير في

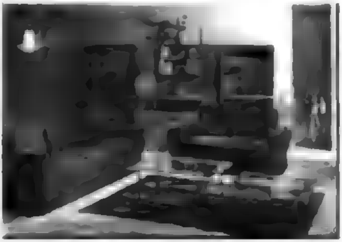

هذا التسابق وفي إلحاحهن على الرجال في هذا المضمار وهذه التجاوزات، وللأسف يخضع الكثير من الرجال لضغط النساء.

وبالإضافة إلى ما في ذلك من إسراف منهي عنه فإن هذا النوع من الأثاث يشد صاحبه ويجذبه إلى الإخلاد إلى الراحة والاسترخاء والنوم عن الطاعات والفتنة بزخرف الحياة الدنيا ومتاعها على حساب الآخرة ونعيمها، ويجعل صاحبه يثّاقل عن الجهاد وتحمل المشاق والحياة الخشنة في سبيل الدعوة إلى الله: ﴿لا تنفروا في الحر﴾ (التوبة: ٨١)، وإذا اعتقل أو سجن نام على الأسفلت أو على حصير الليف فقد يحدث له انهيار نتيجة النقلة الكبيرة.

كما أن الأثاث الفخم سيكون عبئاً على أهل البيت ويحتاج إلى جهد وأيد عاملة للمحافظة على تنظيفه وتنظيمه كل يوم.

والذي نوصي به الأسرة المسلمة القدوة ـ حول أثاث البيت البساطة والمتانة بعيداً عن الإسراف والترف وأن يكون أقرب إلى الخشونة منه إلى النعومة التي تساعد على كثرة النوم عن الطاعات، ففي ذلك توفير للمال وتوفير للجهد في تنظيمه وتنظيفه، ويمكن الاستفادة من بعض قطع الأثاث التي لها أكثر من استعمال كبعض الأرائك التي تتحول إلى فراش للنوم عند الحاجة. ـ إلى غير ذلك. كما يراعى خلو أثاث البيت من الأشياء المحرمة كالتماثيل وأواني الذهب والفضة وغير ذلك.

ومن المفيد أن نذكر في هذا المجال أثاث بيوت النبي ﷺ وكيف كان يؤثر الحصير في جنبه الشريف وهو أعز خلق الله على الله.

٣ـ حول الملبس:

نلاحظ أيضاً تسابقاً مجنوناً في شراء الملابس الكثيرة الفاخرة ومتابعة الأزياء الحديثة، وتكتظ أماكن حفظ الملابس في البيوت بها، في وقت يتعرض فيه كثير من المسلمين وأبنائهم إلى التعري والمعاناة من تقلبات الجو، وكما أن للفراش الوثير أثره غير المطلوب للمسلم القدوة كذلك الملابس الفاخرة لها أثرها النفسي في صاحبها فتجعله يميل إلى الدعة و الترف والنعومة التي تتنافى مع الرجولة المجاهدة التي تتحمل المشاق،

ولذلك حرم الله الحرير والذهب على الرجال، وربما أدى لبس الملابس الفاخرة أيضاً إلى الخيلاء والتعالي على الناس إلى غير ذلك من معان تتعارض وروح الإسلام وآدابه وقد تلهي الملابس الفاخرة صاحبها وتشغله في صلاته.

لذلك نوصي الأسرة المسلمة القدوة بالبعد عن الإسراف والترف في الملابس وأن يراعى فيها البساطة والمتانة والحرص على نظافتها وطهارتها والتحرز من المحرمات كالحرير والذهب بالنسبة إلى الرجال، أما بالنسبة إلى النساء فيراعى الزي الإسلامي بحدوده ومواصفاته المعروفة حال خروجها من المنزل أو تعرضها لغير محرم من الأقارب أو غيرهم داخل المنزل، كما نوصي بالتصدق بالزائد من الملابس على الفقراء والمساكين، ولنذكر ما كانت عليه ملابس رسول الله ﷺ وصحابته، وليكن تطلعنا إلى السندس والإستبرق في الآخرة، فهناك النعيم الخالد.

٤- حول المطعم والمشرب:

نلاحظ على كثير من الناس النهم والإسراف في الطعام والشراب وتعدد أنواعه وكثرة كمياته بما يستهلك جزءاً كبيراً من ميزانية البيوت، وكثيراً ما يلقى جانب كبير من الطعام في صناديق القمامة، في وقت يموت فيه الآلاف والملايين من المسلمين جوعاً، ويحتاج فيه المجاهدون في سبيل الله في شتى أنحاء العالم إلى ما يسد رمقهم. وقد نهينا عن الإسراف في الطعام والشراب: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ (الأعراف: ٣١) ومن حديث الرسول ﷺ: «ما ملأ ابن آدم وعاءً قط شراً من بطنه» (رواه الترمذي).

ثم إن الإسراف في الطعام والشراب يؤدي إلى السمنة وضخامة البدن وما يترتب على ذلك من علل وأمراض وسيطرة الشهوات، وبالتالي التثاقل والكسل والتراخي عن الطاعات وعن الحركة والجهاد، وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (إياكم والبطنة في الطعام والشراب فإنها مفسدة للجسد مورثة للسقم مكسلة عن الصلاة، وعليكم بالقصد منهما فإنه أصلح للجسد وأبعد من السرف، وإن الله تعالى ليبغض الحبر السمين، وإن الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه)

ومن قبيل قلب الأوضاع أن يتحول شهر رمضان ـ شهر الصوم والجوع ـ إلى شهر التخمة والتفاخر بألوان الطعام والحلوى والمكسرات والسهر والسمر وغير ذلك، مما هو متعارض تماماً مع طبيعة شهر رمضان وما يجب أن يكون عليه حال المسلمين من رياضة النفس والتخفف من الطعام والشراب والإقبال على الطاعات والبعد عن اللهو واللغو والآثام.

والذي نوصي به الأسرة المسلمة القدوة حول الطعام والشراب تحري الحلال الطيب والتحرز من الحرام ومما فيه شبهة والبعد عن الإسراف أو التقتير ومراعاة احتوائه لاحتياجات الجسم ما أمكن، لا نريد التلذذ في الدنيا بشهوات البطن على حساب نعيم الجنة وثمارها.

ولنذكر طعام رسول الله ﷺ وزوجاته أمهات المؤمنين. وكما تروي عائشة رضي الله عنها أنه: «كان يمر علينا الهلال ثم الهلال لا يوقد في بيت من بيوت رسول الله ﷺ نار...» وكان كثير من الصحابة ومنهم أبو بكر وعمر يخرجهم الجوع من بيوتهم، ولا يفوتنا أن نذكر بالأدعية عند بدء الطعام والانتهاء منه كي يبارك الله فيه ولا يشارك فيه الشيطان.

٥ـ حول ميزانية البيت و المصاريف اليومية:

نلاحظ بعضاً ممن بسط الله لهم في الرزق يتوسعون في أبواب الصرف باقتناء أكثر من سيارة وعدد غير قليل من الخدم ويعطون أولادهم مالاً غير قليل مما يؤدي في كثير من الأحيان إلى إفسادهم وانحرافهم، وتجدهم يقضون أوقاتاً في رحلات سياحية خارج البلاد ينفقون فيها الكثير وربما تعرضوا خلالها إلى فتن ومفاسد وآثام.

ونرى أيضاً أسراً من محدودي الدخل لا يضبطون معدل صرفهم ليتناسب مع مواردهم، وإذا هم يقعون في أزمات وقد يلجؤون إلى الاستدانة وقد تتراكم عليهم الديون، ونرى أسراً يدب فيها الخلاف بين الزوج والزوجة بسبب الخلل في ميزان الصرف وكما يقول بعضهم إن المرأة والطفل الصغير يظنان أن الرجل على كل شيء قدير، فيحملون الرجل ما لا تحتمله موارده وقد يتسع الخلاف ويؤدي إلى تصدع الأسرة.

وبإيجاز نوصي الأسرة المسلمة القدوة حول هذا الموضوع بالآتي:

أولاً: وقبل كل شيء تحري الكسب الحلال الطيب والتحرز من الحرام الخبيث، فكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به، وما أجمل وصية الزوجة المسلمة الصالحة لزوجها عند خروجه للعمل في الصباح إذ تقول له: اتق الله فينا ولا تطعمنا إلا من حلال.

ثانياً: التشاور بين الزوج والزوجة في ميزانية البيت وأبواب الصرف والإنفاق، على ألا تتجاوز المصروفات الواردات بل يجب أن يكون هناك جزءٌ مدخرٌ للطوارئ وبهذه الطريقة تستشعر الزوجة مسؤوليتها في عدم تجاوز الميزانية والاقتصاد في الصرف.

ثالثاً: الاكتفاء بالضرورات والبعد عن الكمالات ما أمكن، وعدم إتاحة الفرصة لانحراف الأولاد بوفرة المال في أيديهم.

رابعاً: مراعاة حق الله بأداء الزكاة في وقتها وأداء فريضة الحج إذا توافرت الاستطاعة والتعود على الإنفاق في سبيل الله وإعانة الفقراء والمساكين وتعويد أفراد الأسرة على ذلك، ويفضل أن يكون في البيت صندوق خاص بالتبرع لأبواب الخير وللجهاد يودع فيه أفراد الأسرة ما يتيسر لهم إنفاقه في سبيل الله.

تجربة ناجحة:

واعرض هنا تجربة ناجحة لمحدودي الدخل من شأنها أن تنظم معدل الصرف وتعفي رب الأسرة من الأزمات الموسمية التي تزداد فيها أبواب الصرف كبدء العام الدراسي أو الأعياد أو غير ذلك كما تعفيه من الحرج لما يحدث بين الأبناء من غيرة عندما يشتري لهم الأب ملابس أو غيرها ويتصور بعضهم أنه ميز بعضهم على بعض.

فليحدث تشاور بين الزوج والزوجة على ضوء الدخل ويحدد القدر المناسب لمصروفات المنزل من طعام وشراب وكهرباء وغير ذلك، ويمكن تقسيمه إلى ثلاثة أجزاء، لكل عشرة أيام جزء كي ينظم معدل الصرف طوال الشهر.

كما يحدد لكل فرد من أفراد الأسرة مقداراً شهرياً محدداً حسب ظروفه وسنه ومتطلباته في حدود الميزانية بحيث يغطي هذا المبلغ كل احتياجاته الخاصة من ملابس ومواصلات وغيرها فيما عدا الأمور الطارئة كالمرض أو السفر الطويل أو غير ذلك.

ويأخذ كل فرد نصيبه كل شهر، وبالنسبة للأولاد يمكن تنظيم صرفهم بإشراف الأم وتحقيق مطالبهم في حدود مبالغهم، ويمكن التيسير عليهم بالإقراض ثم التسديد مع

تشجيعهم على التوفير، وهكذا يتعودون الشعور بمسؤولية أنفسهم وترتيب أولويات احتياجاتهم ولوازمهم في المناسبات المختلفة دون أن يحملوا والدهم شيئاً من الانشغال بمطالبهم. بهذه الطريقة لا تتكدس الطلبات في وقت واحد دون توافر المال الكافي، وتزول الحساسيات أوالغيرة أو غير ذلك من المشاكل وتسير الأمور بانتظام إلى حد كبير.

وعند تنظيم الميزانية يحدد مبلغاً احتياطياً للطوارئ، وفي الإجازات الصيفية يدرب من كبر من الأولاد أو البنات بتسليمهم مصروف البيت الشهري مدة شهر لكل منهم بإشراف الأم ليتدربوا على حسن توزيع المبلغ على أيام الشهر وحسن اختيار احتياجات المنزل من أصناف الطعام وغيره، وفي ذلك تأهيل لهم قبل الزواج.

وفي ظل هذا الجو من التفاهم والتعاون والمشاركة تكيف الأسرة حياتها بأقل قدر ممكن إذا تعرضت لابتلاء أو امتحان وقلت فيه الموارد حتى يجعل الله لهم مخرجاً، فالغنى غنى النفس، والقناعة كنز لا يفنى، وما أجمل حديث رسول الله ﷺ: **«من بات آمناً في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها»**.

وعن عبد الله بن محصن قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أصبح منكم معافى في جسده آمناً في سربه،عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا»** الترمذي وابن ماجه.

تحقيق القدوة في العلاقات الاجتماعية:

١ـ صلة الأرحام وذوي القربى:

مطلوب من الأسرة المسلمة القدوة أن تكون قدوة في كل ما يدعو إليه الإسلام من فضائل، ولقد حث الإسلام على صلة الأرحام والإحسان إلى ذوي القربى، ولا شك أن لذلك أثره في دعم الصلة والوشائج في المجتمع المسلم بما يحقق جو التعاون والتكافل والتراحم بين المسلمين. فقد قال الله تعالى: ﴿واعْبُدُوا اللهَ ولا تُشْرِكُوا به شيْئًا وبالْوالديْنِ إحْسانًا وبذي القُرْبى والْيتامى والْمساكينِ والْجارِ ذي القُرْبى والْجارِ الْجُنُبِ والصاحِبِ بالْجَنْبِ وابْنِ السَّبِيلِ وما ملَكَتْ أيْمانُكُمْ إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ من كانَ مُخْتالاً فَخُورًا﴾ (النساء: ٣٦) ولو أن كل مسلم وكل أسرة مسلمة عملوا بهذه الآية الكريمة لتحقق للمجتمع الفاضل المتحاب المتعاطف بحيث لا يبقى فرد محتاج منسياً أو مهملاً.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **«من سرَّه أن يُمد له في عمره ويوسع له في رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه»** (متفق عليه).

أخرج البخاري والترمذي وأحمد عن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: **«ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها»**.

وللبخاري والترمذي وأحمد عن أبي هريرة وعائشة عن النبي ﷺ قال: **«إن الرحم شجنة من الرحمن، فقال الله: من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته»** زاد الترمذي قبلها: **«الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»**.

فعلى الزوج في الأسرة المسلمة القدوة أن يحرص على احترام أسرة الزوجة وإكرامها وخاصة والديها، بحيث يشعرون وكأنه ابنهم وذلك بجانب بره وإحسانه لأسرته هو وخاصة والديه، وعلى الزوجة المسلمة أن تحرص على احترام أسرة الزوج وإكرامها وخاصة والديه حتى يشعروا وكأنها ابنتهم، وذلك بجانب برها وإحسانها لأسرتها وخاصة والديها.

وننبه في العلاقات واللقاءات مع الأقرباء أن تراعى آداب الإسلام وتعاليمه من حيث التحجب وعدم الخلوة بغير المحارم، إذ إننا نلاحظ تجاوزات في ذلك بسبب الفهم الخاطئ بأن الأقرباء لا حرج معهم، فيجب التميز بينهم وما يحل للمحرم وما لا يحل له.

٢ـ حسن الجوار:

لقد اهتم الإسلام بالتوصية بالجار والإحسان إليه كما ورد في الآية السابقة، والأحاديث في هذا الباب كثيرة نذكر منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت»**(متفق عليه) وفي رواية **«ليصمت»** بدل ليسكت.

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: **«ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»** (متفق عليه).

وعن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: **«يا أبا ذر، إذا طبخت فأكثر المرق وتعاهد جيرانك أو قسم بين جيرانك»** (رواه مسلم والترمذي وابن ماجه).

٣ـ حسن اختيار المعارف والأصدقاء:

الأسرة المسلمة ليست في عزلة عن المجتمع ولابد أن يكون لها معارف وأصدقاء،

لذا يلزم التفاهم بين الزوج والزوجة حول تحديد دائرة المعارف والأصدقاء لكي يتم حسن الاختيار لهم وتفادي التورط في العلاقات مع أحد من أهل السوء، كما يلزم تحديد مدى العلاقة بحيث تكون بالقدر المناسب الذي يحقق الخير ويحول دون السلبيات والمتاعب. وعلى الأسرة المسلمة القدوة أن يكون القصد الأول من هذه الصلات تحقيق الخير للدعوة الإسلامية بأن يتحقق من خلالها الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون على البر والتقوى، وربما كان مناسباً تنظيم لقاءات للتفقه في أمور الدين للرجال وأخرى للنساء، ويتجنب كل ما نهى الله ورسوله عنه من غيبة أو نميمة أوغيرهما، كما يعتني أيضاً بالأطفال ويتم توجيههم.

ولا يخلو الأمر من تبادل الهدايا، فعلى الأسرة المسلمة القدوة أن تحسن اختيار الهدايا النافعة للدعوة كالمصحف الشريف والكتب الإسلامية النافعة وأشرطة الكاسيت أو الفيديو الإسلامية أو غير ذلك مما يفيد الكبار والصغار.

٤- إكرام الضيوف:

إكرام الضيف أيضاً من الفضائل التي يحث عليها الإسلام، وهي فضيلة تؤكد روح الأخوة والمودة والتعاطف بين المسلمين، وحينما تسود هذه القضية مجتمعنا يشعر كل فرد فيه أنه بين أهله أنى ذهب وحيثما حلّ، بخلاف المجتمعات المادية في أوروبا وغيرها التي تفقد مثل هذه الفضائل، بل حتى بر الوالدين والإحسان إليهما لا يكادان يوجدان وطغت المادة على ا لعلاقات، لكننا في المجتمع الإسلامي نجد الإسلام يحث المسلمين على اشتراكهم وتعاونهم في قِرى الأضياف إذا كثروا كما حدث مع أهل الصُّفة ويراعى عدم الإسراف أو الكلفة.

والأحاديث حول إكرام الضيف كثيرة، وقد أوردنا أحدها عند الحديث عن الصلة بالجار.

وعن عبد الله بن عبيد بن عمير قال دخل على جابر بن عبد الله نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقدم إليهم خبزاً وخلاً فقال: كلوا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نعم الإدام الخل». إنه هلاك بالرجل أن يدخل عليه النفر من إخوانه فيحتقر ما في بيته أن يقدمه إليهم، وهلاك بالقوم أن يحتقروا ما قدم إليهم. (رواه أحمد

والطبراني). ولعل قوله: إنه هلاك بالرجل... إلخ من كلام جابر مدرج غير مرفوع والله أعلم.

وعن أبي شريح الخزاعي قال: قال رسول الله ﷺ: «**الضيافة ثلاثة أيام وجائزته يوم وليلة ولا يحل لرجل أن يقيم عند أحد حتى يؤثمه**» قالوا يا رسول الله: فكيف يؤثمه؟ قال: «**يقيم عنده وليس له شيء يقريه**» (متفق عليه).

العناصر المكونة للأسرة المسلمة القدوة:

١ـ الزوج والأب القدوة:

بعد أن تناولنا هذه الأمور العامة المتصلة بالأسرة المسلمة القدوة، يجمل بنا أن نتناول العناصر المكونة للأسرة المسلمة كلاً على حدة، كالأب أو الزوج، والأم أو الزوجة، والابن والابنة، كي يتعرف كل منهم واجباته الإسلامية نحو نفسه ونحو غيره.

ولا يمكن أن يحقق الزوج والأب القدوة في محيط أسرته المسلمة إلا بما يلي:

١ـ أن يستشعر مسؤوليته العظيمة والثقيلة أمام الله عن رعايته للأسرة وأنه مسؤول عن كل فرد فيها وعن كل ما يتعلق به بدنيا وروحياً وعقلياً وأساسها وأهمها الجانب الروحي، أي ما يتصل بالعقيدة والتربية الإسلامية، التي يترتب عليها الحياة المصيرية في الآخرة، فالله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(التحريم: ٦) وكذا حديث رسول الله ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته..**».

٢ـ عليه أن يكون قدوة حسنة لزوجته وأبنائه من حيث تمسكه بتعاليم الإسلام وقيامه بتكاليفه والتخلق بأخلاقه، فذلك خير له ويجعله أقوى تأثيراً في توجيهه ورعايته لأفراد الأسرة، بخلاف ما إذا كان مقصراً في شيء من ذلك فإنه يفقد بذلك صلاحيته للتوجيه؛ حيث إن فاقد الشيء لا يعطيه.

٣ـ على الزوج أن يحسن معاملته لزوجته، فهذا واجب إسلامي حثنا عليه رسول الله ﷺ قولاً وعملاً وهو قدوتنا، وحديث: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**» يؤكد هذا المعنى، ولا شك أنه بقدر حسن العلاقة بين الزوج والزوجة في ظل تعاليم الإسلام تتحقق الحياة الطيبة للأسرة كلها، والعكس صحيح، فالمطلوب أن يسود جو المودة والرحمة والسكن، ولا يجد الشيطان سبيلاً للدخول بينهما.

٤ـ على رب الأسرة أن يحرص على إضفاء الجو الإسلامي على الأسرة والبيت، حتى تسير الحياة كلها في الأسرة وفق تعاليم الإسلام وتخلو مما فيه مخالفة أو إثم، بل وتتنزه عن الشبهات، فتكون العبادة وتلاوة القرآن وذكر الله الجو الغالب وينحسر الصخب والسباب والغيبة والكذب وغير ذلك من الآثام.

٥ـ على الزوج المسلم القدوة أن يتيح الفرصة لزوجته في مشاركتها وتعاونها معه في تحمل مسؤوليات الأسرة وحل مشكلاتها، فالأسرة شركة مديرها الرجل، وللزوجة دور كبير في حسن سير الحياة داخل الأسرة، فلا يجوز للزوج أن يهمل دورها أو أن يجنح إلى أسلوب الأوامر والتسلط والاستبداد بالرأي.

وسبق أن ذكرنا موضوع التفاهم حول الميزانية وحسن توزيعها والالتزام بها مثالاً لهذا التعاون.

٦ـ ومن أهم ما يتعاون فيه الزوج مع زوجته حسن تربية الأولاد وتنشئتهم تنشئة إسلامية ليكونوا حقاً قرة أعين لهما وعناصر بناءة في المجتمع الإسلامي، وإن أي إهمال في تربيتهم سيجعل منهم مصدر شقاء وإعنات لوالديهم وعناصر هدم وفساد في المجتمع، والآيات والأحاديث تحث على هذا المعنى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ (الفرقان).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(رواه مسلم وغيره).

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**قاربوا بين أبنائكم يعني سووا بينهم**» وفي لفظ: «**اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم اعدلوا بين أبنائكم**» يعني في العطية متفق عليه.

عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة دخلت عليها ومعها ابنتان لها، قالت فأعطيتها تمرة فشقتها بينهما، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**من ابتلي - أي اختُبر - بشيء من هذه البنات فأحسن إليهن كن له ستراً من النار**» (متفق عليه).

ويراعي الزوج والزوجة تعويد أولادهما على الثقة بأنفسهم وعلى الشجاعة وحب الجهاد كما يراعي كل منهما حسن اختيار لعب الأطفال بما يحقق مثل هذه المعاني في نفوسهم. كذلك يراعيان تشجيع الأولاد على الاهتمام بالدراسة والتفوق فيها وتقديم

٧ـ على رب الأسرة أن يضفي جو البهجة على الأسرة ويحقق لهم الوسائل التسرية والترويح الخالية من الإثم، حتى لا يلجأ الأولاد إلى التسرية في مجالات آثمة، كالرحلات في الأماكن البعيدة عن مظاهر الإثم وكالعمل في الحديقة إن وجدت وتعلم بعض الأمور كالإسعافات الأولية ومبادئ في السباكة أو النجارة أو الكهرباء أو غير ذلك، ويراعي الحرص على جو الحب والمودة بين الأولاد وعدم تنازعهم وسريان روح العداء والبغضاء بينهم، وتعويد المخطئ على الاعتذار لمن أخطأ في حقه وتعويد الآخر على التسامح وقبول الاعتذار.

٨ـ على الأب رب الأسرة أن يكون يقظ الضمير حذراً مما تحذر منه الآيات الكريمة ﴿يا أيها الذين آمنوا إنَّ من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإنَّ الله غفورٌ رحيمٌ (١٤) إنَّما أموالُكمْ وأولادُكم فتنةٌ واللهُ عندهُ أجرٌ عظيمٌ (١٥) فاتَّقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾(التغابن ١٤ ـ ١٦)، ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هُمُ الخاسرون﴾(المنافقون ٩)

٩ـ على الأب الزوج المسلم القدوة أن يعمل على الارتقاء بمستوى أفراد أسرته الإيماني وما يمليه هذا الإيمان من واجبات العمل والجهاد والتضحية في سبيل تحرير الوطن الإسلامي، والتمكين لدين الله في الأرض

١٠ـ على رب الأسرة المسلم القدوة أن يكون معتدلاً في أسلوب حياة الأسرة، فلا يجنح إلى القسوة والشدة ولا إلى اللين والتساهل، ومعتدلاً كذلك بين الإسراف والتقتير، وبين التضيق والتسيب.

١١ـ وعلى الزوج والزوجة إحسان المعاملة مع الخدم ومن يكفلونهم من يتامى وغيرهم إن وجدوا

هذا وسيأتي لذلك مزيد من الإيضاح بالأمثلة عند تناول المسؤوليات في الأسرة المسلمة.

[illegible]							
م	السلوكيات	مستوى السلوك					
		١	٢	٣	٤	٥	٦
		لم يحدث	نادراً	قليلاً	متوسط	غالباً	دائماً
١	أبادر بإلقاء السلام على زوجتي عند دخولي بيتي.						
٢	أحرص على أن ألقى زوجتي مبتسماً.						
٣	أصافح زوجتي عند عودتي إلى بيتي.						
٤	أحرص على رقة الخطاب مع زوجتي.						
٥	أشعر زوجتي بالاهتمام.						
٦	أدلل زوجتي.						
٧	أنادي زوجتي بما تحبه من أسماء.						
٨	أحرص على إعفاف زوجتي.						
٩	أحرص على إيناس زوجتي.						
١٠	ألعب مع زوجتي ترويحاً عنها.						
١١	أعاون زوجتي في أعمال المنزل ومسؤوليات الأولاد.						
١٢	أتشاور مع زوجتي ملتزماً بآداب التشاور.						
١٣	ألتزم بآداب السفر مع زوجتي (وداعها . وصيتها بالخير. تزويدها بالنفقة . الاتصال بها فور وصولي . سرعة العودة وعدم مفاجأتها عند العودة).						
١٤	أتزين لزوجتي.						
١٥	ألتزم بآداب العتاب مع زوجتي.						
١٦	أحفظ أسرار زوجتي الخاصة.						
١٧	أراعي مشاعر زوجتي متجنباً إحراجها.						
١٨	أغار على زوجتي وفق الشرع.						
١٩	أحرص على تعليم زوجتي وتربيتها برفق ولطف.						
٢٠	أحترم الذمة المالية لزوجتي.						
	مجموعة الأعمدة						
	المجموع الكلي						

[illegible]	[illegible]
١.	١.
٢.	٢.
٣.	٣.
٤.	٤.

٢ـ الزوجة والأم المسلمة القدوة:

المرأة زوجة أو أماً دعامة قوية في كيان الأسرة وعامل استقرار أساسي في البيت، بل إن البيت هو مملكتها كما يقولون، وعلى عاتقها يقع العبء الكبير في تربية الأبناء وصناعة الرجال، ولا تتحقق الأسرة المسلمة القدوة، إذا توافرت الصفات المطلوبة في رب الأسرة فقط دون أن تتوافر الصفات المطلوبة في الزوجة أيضاً.

ولقد فطن الأعداء إلى دور المرأة المؤثر في الأسرة والمجتمع فاتخذوا منها وسيلة لنشر الرذيلة ، لذا وجب على العاملين للإسلام أن يهتموا بالمرأة المسلمة وأن يجعلوا منها وسيلة لنشر الفضيلة ودعم كيان الأسرة والمجتمع وتنشئة الأجيال الملتزمة بالإسلام.

ولكي تنهض الزوجة والأم المسلمة برسالتها على أنها قدوة نوصيها بما يلي:

١ـ أن تؤمن في قرارة نفسها بدورها الكبير وأثرها الفعال في جو الأسرة وحياتها، وأنها بسلوكها وحكمتها ويقظتها وحسن مراقبتها لله تعالى يمكنها أن تجعل من بيت الزوجية جنة يأوي إليها ويحنّ إليها الزوج والأولاد، يستروحون فيه من لفح الحياة ومتاعبها خارج البيت.

٢ـ عليها أن تقوم بواجبها ودورها الأساسي في تربية الأولاد ورعايتهم، فهي أشد احتكاكاً بهم وهم أشد حاجة إليها في مرحلة بناء شخصيتهم ونموهم، ويلزم التنسيق بينها وبين الأب في أسلوب التربية بحيث يتكامل البناء والتكوين ولا يحدث تعارض أو تضاد بين الأسلوبين، فأحياناً نرى عاطفة الأم نحو أولادها إذا لم تكن منضبطة تكون سبباً في تدليل الأولاد وتمردهم على سياسة والدهم وأسلوبه معهم، كما نرى بعض الآباء والأمهات يعطون الاهتمام الأكبر بصحة أبنائهم ولا يحظى تدينهم بمثل هذا الاهتمام في حين أنه أولى، وعلى الأم أن تتعرف العادات والأخلاق السيئة التي قد يتعرض لها الأبناء خارج البيت لتحميهم من التأثر بها وأن تتابع أصدقاء أولادها ونوعياتهم بحيث تجنبهم ـ بمعاونة الوالد ـ صداقة قرناء السوء، وتطبق آداب الإسلام وتعاليمه عليهم من بث التوجيه الديني وتعليم الصلاة لسبع والضرب عليها لعشر ومن حيث التفريق بينهم في المضاجع، وتعويد البنات على الحياء وتقبل الزي الإسلامي عندما يبلغن سن الحيض أو قبله بقليل.

وعلى الأم ألا تعتمد على المربيات إلا لضرورة ملحة كما لا تعتمد على الرضاعة الصناعية إلا لضرورة صحية.

٣- لكي نلمس الأثر الفعال وتتضح الصورة نقارن هذه الصورة المشرقة للأسرة المسلمة القدوة بأن نتصور بجانبها أسرة مسلمة لم تتوافر في الزوجة الصفات التي ذكرناها ولم تقم بالواجبات التي تعرضنا لها بل ربما قلبتها رأساً على عقب وجعلت من البيت جحيماً، وميداناً للخلافات والنزاعات، والمخالفة لآداب الإسلام وتعاليمه، ولا يجد الزوج ولا الأبناء فيه جو الاسترواح والهدوء، وكيف يجد الزوج من المشقة والإعنات ويتعرض الأولاد إلى الضياع ؟

٤- وعلى الزوجة المسلمة القدوة أن تتعرف بدقة على واجباتها نحو زوجها وحقوقه عليها فتؤديها تعبداً لله وطمعاً في ثوابه، وأن تراعي مشاعره وتمتص همومه وتحفظ سره وغيبته، وأن تتعاون معه في الأمور التي أشرنا إليها عند حديثنا عن الزوج المسلم القدوة وخاصة تربية الأولاد وصلة الأرحام.

٥- على الزوجة المسلمة القدوة أن تشجع زوجها على القيام بواجباته نحو إسلامه من عمل وتضحية وجهاد وإلا تكون مثبطة له أو فتنة معوقة له،وأن يعيشا معاً مع ما تعنيه الآيات الكريمة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الروم: ٢١)، ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧)، ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾(النساء: ٣٤)، ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٣٥).

٦- عليها أن تحسن اختيار معارفها وصديقاتها من النساء الصالحات، وأن تقوم بدور التوجيه والتذكير بآداب الإسلام وتعاليمه وأن تكون هي نفسها قدوة لغيرها في هذا المجال، فتكون اللقاءات متسمة بالطابع الإسلامي وتخلو من المآثم ومن تناول الآخرين بالغيبة وغيرها، وتراعي آداب الإسلام كالحجاب وغيره.

٧- ما أجدر الزوجة المسلمة القدوة أن تتحرى الحلال في كل ما يتصل بالمنزل من أثاث ولباس وطعام وشراب وعادات وغير ذلك، وأن تتحرز تماماً من الحرام وكذا ما فيه شبهة، كما يجب عليها أن يكون بيتها نموذجاً للنظافة والنظام وتعود أولادها على ذلك.

٨ ـ عليها أن تحافظ على القواعد الصحية وعدم تعرض الطعام للتلوث، وكذا

أعدم جعل الأمور الخطيرة في متناول الأولاد كالأدوية والكبريت والأدوات الحادة وغير ذلك.

٩ـ يلزم اتباع سنة رسول الله ﷺ وهديه في أعمال اليوم والليلة التي تمارس في المنزل كآداب الطعام والشراب واللباس والنوم والسلام والاستئذان وقضاء الحاجة ودخول المنزل والخروج منه والنظر إلى المرآة والأدعية المصاحبة لهذه الأمور وغيرها. وتتجنب العادات والتقاليد الجاهلية أو المستقاة من الغرب وما فيها من مخالفة لتعاليم الإسلام.

١٠ـ أن تحرص هي والزوج على إحياء المناسبات الإسلامية وتحبيبها لنفوس الأبناء كشهر رمضان وما فيه من صيام وقيام في المسجد والبيت، والبعد عما اعتاده الناس من أمور مخالفة كالسمر والفوازير وكالتخمة وكثرة ألوان الطعام.

١١ـ لسنا في حاجة إلى التذكير بأن الزوجة المسلمة القدوة يجب أن تكون قدوة حسنة ملتزمة بالزي الإسلامي وتحاشى الزينة المنهي عنها كوصل الشعر والتنمص والأصباغ وغير ذلك مما سيأتي إيضاحه بالأمثلة عند الحديث عن مسئوليات الأسرة.

[illegible]

م	السلوكيات	مستوى السلوك					
		١	٢	٣	٤	٥	٦
		لم يحدث	نادراً	قليلاً	متوسط	غالباً	دائماً
١	احسن استقبال زوجي عند دخوله البيت						
٢	أتلطف مع زوجي في الكلام والتعامل مع مناداته						
٣	بأحب أسمائه						
٤	أحرص على إعفافه وطاعة أمره في ضوء الشرع						
٥	أحاول أن أسره عند نظره إلي بالتزين وغيره.						
٦	أحفظه في غيبته في ماله وعرضه وبيته.						
٧	أساعده على طاعة ربه وعبادته						
٨	أصبر إن غاب عني						
٩	أتجنب الإكثار من لومه بحدة						
١٠	أخفف عنه عند الشدة والأحزان						
١١	أمتص انفعالاته عند غضبه فلا أقابل الغضب بالمثل						
١٢	أتجنب التمرد عليه						
١٣	أبادر بمصالحته إن تعكرت الأجواء						
	ألتزم بآداب العتاب إن عاتبته						
	أرعى أولادي تربوياً ودراسياً						
١٤	أتجنب إرهاق زوجي مادياً						
١٥	أحفظ أسراره الخاصة						
١٦	أغار على زوجي باعتدال وفق الشرع						
١٧	أكرم أهل زوجي وأصدقائه باحترام وتقدير						
١٨	أنظم بيتي مع الحرص على تغيير أماكن الأثاث						
١٩	وتطويرها قدر المستطاع.						
٢٠	أحرص على نظافة بيتي وأولادي						
	مجموعة الأعمدة						
	المجموع الكلي						

[illegible]	[illegible]
.١	.١
.٢	.٢
.٣	.٣
.٤	.٤

٣ـ الأولاد في الأسرة المسلمة القدوة:

عندما ننشد الأسرة المسلمة القدوة فإننا نعني أيضاً أن يكون كل فرد فيها في ذاته قدوة إسلامية جيدة، وتعرضنا للأب أو الزوج، وللأم أو الزوجة، ثم نتعرض للابن والابنة فنتوجه إليهما بالتوصيات التالية ليحققا القدوة:

١ـ أن يستشعر كل من الابن والابنة مكانة الأب والأم وما يستحقان أو يجب نحوهما من الحب والتقدير والبر والإحسان، وأن يقدروا ما تعرضا له من تعب وسهر ورعاية وخاصة الأم وما لاقته من تعب ووهن أثناء الحمل والوضع والرضاعة والرعاية في مراحل الطفولة.

٢ـ أن يستشعروا واجب الطاعة لأوامر الله ورسوله ﷺ في بر الوالدين والإحسان إليهما، وما وراء ذلك من مثوبة وأجر، وعلى العكس من ذلك أن عقوق الوالدين من الكبائر ويترتب عليه سخط الله وعقابه، ونذكر بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية حول هذا المعنى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾(الإسراء: ٢٣، ٢٤). ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ (لقمان: ١٤، ١٥).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله ؟ قال: «**الصلاة على وقتها**»، قال قلت: ثم أي؟ قال: «**ثم بر الوالدين**»، قال قلت: ثم أي؟ قال: «**ثم الجهاد في سبيل الله**» قال فحدثني بهن ولو استزدته لزادني (رواه البخاري ومسلم والنسائي).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**رغم أنف، رغم أنف، رغم أنف رجل أدرك والديه أحدهما أو كلاهما عنده الكبرولم يدخل الجنة**». وفي رواية «**فلم يدخلاه الجنة**» (رواه مسلم وغيره).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أكبر الكبائر عقوق الوالدين قال: قيل وما عقوق الوالدين ؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه**» رواه مسلم وغيره.

٣ـ ليعلم الأبناء أن أبويهما أعرف بما ينفعهم وما يضرهم بحكم السن والتجربة، وهما في الوقت نفسه يحبان لهم الخير ويكرهان ما يضر أولادهما، فعلى الأبناء أن يطيعوا والديهما فيما يأمرانهم به ما لم يكن معصية واضحة لاشك فيها فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

٤ـ ليحرص الأبناء على روح الحب والمودة فيما بينهم وتلافي جو التنازع والتشاحن، وليكن سائداً بينهم جو التسامح والتعاطف ويرحم الكبير الصغير ويوقر الصغير الكبير.

على الأبناء أن يحافظوا على طاعة الله وخاصة الصلاة في أوقاتها وعلى الأخلاق الإسلامية عموماً ، وأن يهتموا بالقرآن وحفظ ما تيسر لهم وفهمه، وكذا التفقه في الدين، فحديث رسول الله ﷺ جعل من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: **«شاب نشأ في طاعة الله»**.

٦ـ وعليهم أن يتعلموا السنة في الطعام والشراب والنوم واللباس وغير ذلك وأدعيتها وأن يمارسوا ذلك.

٧ـ وأن يهتموا بدراستهم بحيث يكونون من المتفوقين.

٨ ـ وعليهم أن يتعودوا النظافة والنظام دائماً في ملابسهم وأجسامهم وغرفهم وفي مدارسهم ومكاتبهم وأدواتهم وفي أوقاتهم وكل شيء يتصل بشؤونهم.

٩ـ وعليهم أن يحسنوا اختيار معارفهم وأصدقائهم وأن يكونوا قدوة لهم ويستجيبوا لنصائح وتوجيهات آبائهم وأمهاتهم في ذلك ولا ينساقوا مع غلبة الطبع والأهواء.

مراجع للتعلم الذاتي والاستيفاء:

١ـ الإسلام والمرأة المعاصرة ـ البهي الخولي.

٢ـ الأسرة المسلمة ـ وهبة الزحيلي.

٣ـ السلوك الاجتماعي في الإسلام ـ حسن أيوب.

التفعيل العملي للمحتوى بالنشاط المصاحب:

١ـ عمل حلقات نقاشية حول أهمية بناء الأسرة المسلمة وأسس الاختيار الصحيح لبناء الأسرة المسلمة.

٢ـ يلقي محاضرة عن موقع الأسرة المسلمة في خريطة العمل الإسلامي (الفرد المسلم ـ الأسرة المسلمة ـ المجتمع المسلم).

٣ـ يتم عمل دورات للإخوة والأخوات في كيفية إدارة البيت المسلم (المبنى ـ المطعم ـ المشرب ـ الأثاث ـ الميزانية).

٤ـ يعد بحثاً عن العوائق التي تقف في طريق البناء الصحيح للأسرة المسلمة وكيف يتم التخلص منها.

٥ـ يتم تسجيل الحلقات التليفزيونية التي تتحدث عن تنظيم أثاث البيت ، وإدارة المطبخ لتشاهدها الأخت المسلمة والأخ المسلم.

٦ـ يدعو محاضراً اقتصادياً ليتحدث عن اقتصاد الأسرة المسلمة، وكيف يتم عمل ميزانية مناسبة للأسرة المسلمة؟.

٧ـ يتم انتقاء أفلام الكارتون والقصص والحكايات التي تتفق مع مفاهيم التربية الإسلامية من القنوات الفضائية لتعرض على الأبناء.

التقويم والقياس الذاتي:

١ـ وضح أهمية بناء الأسرة المسلمة ؟

٢ـ بين موقع الأسرة المسلمة من خريطة العمل الإسلامي.

٣ـ ما ملامح الأسرة المسلمة كما بينتها المقدمة ؟

٤ـ اذكر أسس اختيار الزوجة المسلمة.

٥ـ ما الأسس التي تقوم عليها الأسرة المسلمة ؟

٦ـ برهن على أن الزواج عبادة وأمانة ؟

٧ـ لماذا جعل الله تعالى الرجل مديراً لمؤسسة الأسرة ؟

٨ـ ما رسالة البيت المسلم ؟ وما الأساس الذي تقوم عليه الأسرة المسلمة ؟

٩ـ ما الذي ينبغي أن يكون عليه البيت المسلم في الأمور الآتية: (المبنى ـ الأثاث ـ الملبس ـ المأكل والمشرب) ؟

١٠ـ كيف تدار ميزانية الأسرة المسلمة ؟

١١ـ ما الذي ينبغي أن يكون عليه الأب القدوة ـ الأم القدوة ـ الابن والابنة القدوة؟.

الفصل الخامس

الأهداف التربوية للأسرة المسلمة

الأهداف التربوية للأسرة المسلمة

أهداف معرفية يرجى تحقيقها بدراسة هذا المبحث:

١- يحدد أهداف التربية في الأسرة المسلمة مع ذكر الأمثلة.

٢- يوضح الأسس التي تبنى بها عاطفة الطفل ليكون إنساناً سوياً.

٣- يذكر نماذج ممن طلبوا العلم في طفولتهم في تراثنا.

٤- يوضح الأسس العلمية في البناء العلمي والفكري للطفل.

٥- يدلل على أهمية إتقان الطفل لغة أجنبية ما أمكن بعد إتقان العربية.

٦- يبرهن على أهمية الأخوة في بناء الأسرة المسلمة.

٧- يبين أهمية تحقيق الأمن والسكن النفسي والبدني للأسرة مع ذكر الأمثلة.

٨- يبين أهمية أن تحمّل الأسرة أبناءها أمانة الدعوة والذود عن الإسلام والمسلمين.

٩- يذكر أمثلة ممن حملوا أمانة الدعوة وجاهدوا دفاعاً عن الإسلام والمسلمين.

١٠- يبين الأساس الذي تقوم عليه الأسرة.

١١- يوضح أهمية دور المرأة في الأسرة والمجتمع.

١٢- يدلل على أهمية تهذيب المرأة.

١٣- يدلل على ضرورة التفريق بين المرأة والرجل.

المحتوى العلمي:

للتربية الإسلامية في الأسرة المسلمة أهداف وغايات أساسية تستهدف تحقيقها والوصول بالإنسان إلى مستواها.

وهذه الأهداف هي القاعدة الأساسية في بناء الفرد المسلم والمجتمع المسلم والحضارة الإسلامية والدولة الإسلامية. لذلك كان واجباً على الأب والأسرة والمربي

والمدرسة والدولة والمصلح الاجتماعي أن يراعي تحقيقها، ويعمل على تركيزها.

وهذه الأهداف باختصار مركّز هي،

الهدف الأول: تعريف الإنسان بنفسه وعالمه، ليعرف قدره وقيمته الإنسانية، ويعرف العالم الذي يحيط به، والمجتمع الذي يعيش فيه، وليعرف حقوقه وواجباته وغاية وجوده، وعلاقته بهذا العالم وبالحياة.

ونقصد بذلك بناء الطفل اجتماعياً وأن يكون متكيفاً مع وسطه الاجتماعي سواء مع الكبار أو مع الأصدقاء ومن هم في سنه، وليكون فعالاً إيجابياً، بعيداً كل البعد عن الانطواء والخجل المقيت، يأخذ ويعطي بأدب واحترام، ويبيع ويشتري، ويخالط ويعاشر، ومن خلال التأمل في الأحاديث النبوية نجد هناك أموراً خصها الرسولﷺ في تكوين الطفل اجتماعياً وهي:

الهدف الثاني: تعريف الإنسان بربه تعريفاً يقوم على أساس الوعي والفهم السليم، لإثارة العلاقة السليمة بين الإنسان وخالقه، ولتكوين فهم إيماني أصيل يساهم في بناء شخصية الفرد وإثارة تصور سليم للحياة الدنيا والآخرة.

ولهذا كانﷺ يعلم صبيان المسلمين تقوى الله وحفظه محارم الله تعالى. أخرج الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبيﷺ يوماً فقال: «**يا غلام، إني أعلّمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**».

في رواية، **واعلم أن النصر مع الصبر.**

وأن الفرج مع الكرب.

وأن مع العسر يسرا.

فإذا ما حفظ الطفل هذا الحديث وفهمه جيداً، لم تقف أمامه عثرة، ولم يعقه شيء في مسيرة حياته، كلها فأي تربية هذه ـ قديمة وحديثة ـ تستطيع أن تبلغ من نفس الطفل كما بلغها هذا الحديث ؟

إن لهذا الحديث قوة كبيرة على حل مشاكل الطفل، بفضل تأثيره وروحانيته، وله القدرة في دفع الطفل نحو الأمام بفضل استعانته بالله ومراقبته له وإيمانه بالقضاء والقدر، وإن أطفال الصحابة تلقوا هذا التوجيه النبوي وعملوا به، فكانوا يستعينون بالله على ما أصابهم من قدره، ويسألون الله عندما تنزل بهم المصائب ويعتقدون بأن لا حول ولا قوة إلا بالله، ويؤمنون بأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً. كما يعلمون أن الله مراقب للإنسان ومطلع عليه ومحصٍ لما يفعل.

وكان ابن عمر في سفر فرأى غلاماً يرعى غنماً، فقال له: تبيع منْ هذه الغنم واحدة؟ فقال إنها ليست لي، فقال: قل لصاحبها إن الذئب أخذ منها واحدة فقال العبد: فأين الله؟ فكان لبن عمر يقول بعد ذلك إلى مدة مقالة ذلك العبد: فأين الله؟[1].

وكان لبعض المشايخ تلامذة، فكان يخص واحداً منهم بإقباله عليه أكثر مما يقبل على غيره، فقالوا له في ذلك، فقال أبين لكم، فدفع إلى كل واحد من تلامذته طائراً، وقال له: اذبحه بحيث لا يراك أحد، ودفع إلى هذا أيضاً، فمضوا ورجع كل منهم وقد ذبح طائره، وجاء هذا بالطائر حياً، فقال: هلا ذبحته؟ فقال: أمرتني أن أذبحه حيث لا يراني أحد، ولم أجد موضعاً لا يراني فيه أحد، فقال: لهذا أخصه بإقبالي عليه.

وأورد الإمام الغزالي في إحيائه[2] قصة لطيفة فقال:

قال سهل بن عبد الله التستري: كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل، فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف؟: قال قل بقلبك عند تقلبك بثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: الله معي؛ الله ناظري؛ الله شاهدي؛ فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلته، فوقع في قلبي حلاوته، فلما كان بعد سنة، قال لي خالي: احفظ ما علمتك، ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لذلك حلاوة في سري، ثم قال لي خالي يوماً: يا سهل، من كان الله معه وناظراً إليه وشاهده أيعصيه ؟ إياك والمعصية، فكنت أخلو بنفسي فبعثوا بي إلى المكتب، فقلت: إني لأخشى أن يتفرق عليَّ همي، ولكن شارطوا المعلم أني أذهب إليه ساعة

(١) الرسالة القشيرية ص ١٣٧ . (٢) ٣/ ٧٢ وانظر كتاب أنباء نجباء الأبناء، ص ١٤٤، لابن ظفر المكي.

فأتعلم ثم أرجع، فمضيت إلى الكُتاب، فتعلمت القرآن وحفظته، وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين، وكنت أصوم الدهر، وقوتي من خبز الشعير اثنتى عشرة سنة.

الهدف الثالث: تكوين النفسية الاجتماعية و الهمة العالية

كان الأطفال يحضرون مجالس النبي -ﷺ- وكان آباؤهم يأخذونهم إلى تلك المجالس الطيبة الطاهرة، فهذا عمر يصحب ابنه إلى مجلس رسول الله -ﷺ- أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله -ﷺ-: **«أخبروني بشجرة مثلُها مثل المسلم تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ولا تحتّ ورقها، فوقع في نفسي النخلة فكرهت أن أتكلم وثَم أبو بكر وعمر، فلما لم يتكلما قال النبي -ﷺ- هي النخلة فلما خرجت مع أبي قلت: يا أبتاه، وقع في نفسي النخلة قال: ما منعك أن تقولها ؟ لو كنت قلتها كان أحب إليّ من كذا وكذا قال: ما منعني إلا أني لم أرك ولا أبابكر تكلمتما فكرهت»**. وفي رواية: **فإذا أنا أصغر القوم فسكت.**

وكانﷺ يعايش ويخالط الأطفال فعن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول اللهﷺ يخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير يا أبا عمير ما فعل النغير؟ طائر كان يلعب به، ونضح بساطاً لنا قال فصلى عليه وصفنا خلفه» رواه أحمد ٣/ ١١٩.

ففي أخذ الطفل إلى مجالس الكبار تظهر نواقصه واحتياجه، فيستطيع المربي عند ذلك توجيهه نحو الكمال ويشجعه على الجواب عندما يطرح سؤالاً فيتكلم بعد استئذان وذلك بكل أدب ووقار، فيتكلم معهم وينمو عقله وتتهذب نفسه، ويتعرف إلى أحاديث الكبار شيئاً فشيئاً فيتهيأ لدخول المجتمع، وهكذا يتدرج رويداً رويدا.

ولهذا كان لطفولة مشاهير الإسلام ومخالطتهم للعلماء دخل في نبوغهم.

طفولة الإمام أبي يوسف صاحب أبي حنيفة رضي الله عنهما.

قال أبو يوسف: كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقلّ رث الحال، فجاء أبي يوماً وأنا عند أبي حنيفة فانصرفت معه، فقال: يا بني، لا تمدن رجلك مع أبي حنيفة، فإن أباحنيفة خبزه مشوي وأنت تحتاج إلى المعاش، فقصرت عن كثير من الطلب، وآثرت طاعة أبي فتفقدني أبو حنيفة وسأل عني، فجعلت أتعاهد مجلسه، فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري، قال لي: ما شغلك عنا؟ قلت: الشغل بالمعاش وطاعة والدي، فجلست فلما انصرف الناس دفع إليّ صرة، وقال: استمتع بهذه، فنظرت فإذا فيها مئة درهم فقال لي الزم الحلقة وإذا نفدت هذه فأعلمني، فلزمت الحلقة فلما مضت

مدة يسيرة دفع إليّ مئة أخرى ثم كان يتعاهدني، وما أعلمته بخلة قط، ولا أخبرته بنفاد شيء ما، وكان كأنه يخبر بنفادها حتى استغنيت وتمولت.

وهناك رواية ثانية في نشأة الإمام أبي يوسف:

قال علي بن الجعد: اخبرني أبو يوسف قال: توفي أبي إبراهيم بن حبيب وخلفني صغيراً في حجر أمي فأسلمتني إلى قصّار اخدمه، فكنت أدع القصّار وأمر إلى حلقة أبي حنيفة فأجلس أستمع فكانت أمي تجيء خلفي إلى الحلقة فتأخذ بيدي وتذهب بي إلى القصار. وكان أبو حنيفة يعني بي لما يرى من حضوري وحرصي على التعلم، فلما كثر ذلك على أمي وطال عليها هربي، قالت لأبي حنيفة: ما لهذا الصبي فساد غيرك، هذا صبي يتيم لا شيء له، وإنما أطعمه من مغزلي. . وآمل أن يكسب دانقاً يعود به على نفسه، فقال لها أبو حنيفة: مُري يا رعناء، هو ذا يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق، فانصرفت عنه وقالت له: أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك.

قال أبو يوسف: ثم لزمت أبا حنيفة وكان يتعاهدني بماله، فما ترك لي خلة، فنفعني الله بالعلم ورفعني حتى تقلدت القضاء، وكنت أجالس هارون الرشيد وآكل معه على مائدته، فلما كان في بعض الأيام قُدِّم إلى هارون الرشيد فالوذج، فقال لي هارون: يا يعقوب، كُل منه فليس يعمل لنا مثله كل يوم، فقلت: وما هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذا فالوذج بدهن الفستق، فضحكت، فقال لي: مم ضحكت؟ فقلت خيراً أبقى الله أمير المؤمنين، قال لتخبرنّي وآلي عليّ، فأخبرته بالقصة من أولها لى آخرها فعجب من ذلك وقال: لعمري ، إن العلم ليرفع وينفع ديناً ودنيا، وترحم على أبي حنيفة وقال: كان ينظر بعين عقله ما لا يراه بعين رأسه(١).

طفولة الإمام محمد بن الحسن الشيباني في طلب العلم:

روى الخطيب بسنده إلى مجاشع بن يوسف قال: كنت بالمدينة عند مالك وهو يفتي الناس فدخل عليه محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة وهو حدَث، وذلك قبل أن يرحل إليه لسماع الموطأ منه قال محمد:

ما تقول في جُنب لا يجد الماء إلا في المسجد ؟ فقال مالك: لا يدخل الجنب المسجد، قال محمد: فكيف يصنع وقد حضرت الصلاة وهو يرى الماء؟!، قال فجعل مالك يكرر

---

(١) عن كتاب ـ صفحات من صبر العلماء.

لا يدخل الجنب المسجد، فلما أكثر عليه قال له مالك: فما تقول أنت في هذا ؟ قال: يتيمم ويدخل فيأخذ الماء من المسجد ويخرج ويغتسل قال: من أين أنت؟ قال: من أهل هذه ـ وجعل يشير إلى الأرض ـ ثم نهض، قالوا: هذا محمد بن الحسن، صاحب أبي حنيفة، فقال مالك: محمد بن الحسن كيف يكذب ؟ وقد ذكر أنه من أهل المدينة ؟ قالوا: إنما قال من أهل هذه، وأشار إلى الأرض، قال: هذا أشد عليَّ من ذاك[1].

الهدف الرابع: تنمية مشاعر الحب والعطف والإحساس وتوجيهها بما يتفق مع قيم العقيدة و الشريعة.

حيث تشكل العاطفة مساحة واسعة في نفس الطفل الناشئ، وهي تكون نفسه وتبني شخصيته، فإن أخذها بشكل متوازن كان إنساناً سوياً في مستقبله وفي حياته كلها، وإن أخذها بغير ذلك سواء بالزيادة أو النقصان تشكلت لديه عقد لا تحمد عقباها، فالزيادة تجعله مدللاً لا يقوم بتكاليف الحياة بجد ونشاط، ونقصانها يجعله إنساناً قاسياً عنيفاً على كل من حوله، لذلك فإن البناء العاطفي له أهميه خاصة في بناء نفس الطفل وتكوينه، وهذا البناء يلعب فيه الدور الأكبر الوالدان، إذ هما المصدر الأساسي لأشعة العاطفة التي تبني نفسه، وهما الركن الرشيد الذي يأوي إليه الطفل لينعم بحرارة العاطفة، ونعمتي الأبوة والأمومة، لذلك نجد في نهاية هذا الفصل اهتماماً كبيراً لصنفين من الأطفال يتهاون الوالدان أو أحدهما أو من يقوم مقامهما بشأن البنت واليتيم، ونظراً لاهتمام الرسول ـ ﷺ ـ بالأطفال فإنه عني بهما عناية خاصة، فحبذا المجتمع المسلم يقوم بدور الأب لهذا اليتيم، وحبذا الوالدان يهتمان بتربية البنت ورعايتها ومساواتها مع أخيها الذكر في الاهتمام والعناية.

وبقي السؤال: كيف نبني عاطفة الطفل؟ و ما الوسائل المعينة على ذلك ؟ للجواب عن هذا السؤال كانت هذه الجولة في الأحاديث النبوية الشريفة وآثار السلف الصالح فيما يلي: ـ

١ـ تقبيل الأولاد رأفة ورحمة بهم:

إن للقُبلة دوراً فعالاً في تحريك مشاعر الطفل وعاطفته، كما أن لها دوراً كبيراً في تسكين ثورانه وغضبه، بالإضافة إلى الشعور بالارتباط الوثيق في تشييد علاقة الحب بين الكبير والصغير، وهي دليل رحمة القلب والفؤاد لهذا الطفل الناشئ. وهي برهان على تواضع الكبير للصغير، وهي النور الساطع الذي يبهر فؤاد الطفل، ويشرح نفسه، ويزيد

---

(١) بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيباني ـ للشيخ زاهد الكوثري رحمه الله ص ١٢

من تفاعله مع من حوله، ثم هي أ ولاً وأخيراً السنة الثابتة عن المصطفى ـ ﷺ ـ مع الأطفال.

أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم ناس من الأعراب على رسول الله ـ ﷺ ـ فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ فقال: «نعم» قالوا: لكنا والله ما نقبل، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ «أو أملك إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة؟».

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبل النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال الأقرع بن حابس: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً، فقال رسول الله ﷺ : «من لا يرحم لا يُرحم»، وروى ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال: «كان ﷺ أرحم الناس بالصبيان والعيال».

وإن الرحمة بالأطفال والشفقة عليهم صفة من صفات النبوة المحمدية وهي طريق لدخول الجنة والفوز برضوان الله تعالى:

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى عائشة رضي الله عنها فأعطتها ثلاث تمرات، فأعطت كل صبي لها تمرة، وأمسكت لنفسها تمرة، فأكل الصبيّان التمرتين ونظرا إلى أمهما فعمدت الأم إلى التمرة فشقتها فأعطت كل صبي نصف تمرة فجاء النبي ـ ﷺ ـ فأخبرته عائشة، فقال ـ ﷺ ـ «وما يعجبك من ذلك؟ لقد رحمها الله برحمتها صبييها»[1] .

ومن صور رحمة الرسول ـ ﷺ ـ بالأطفال ما أخرجه البخاري ـ عن أنس رضي الله عنه «إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء صبي فأتجوز في صلاتي لما أعلم من وَجد أمه من بكائه» (رواه الخمسة إلا أبا داود).

وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ـ ﷺ ـ «يصلي بالناس وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ـ ﷺ ـ فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها». (أخرجه الستة إلا الترمذي).

وإن القلب ليعجب عندما يرى أو يسمع الصغار يعلمون الآباء الرحمة بالحيوان ويذكرونهم برحمة الله بهم، فقد ذكر الفخر الرازي في تفسيره أن صياداً كان يصيد

---

(١) صحيح. انظر: صحيح الجامع رقم ٤٧٩٧ ورواه مسلم وأبو الشيخ. ورواه ابن خزيمة في صحيحه ١/ ٢٨٣ و ٢/ ٤١.

السمك فصاد سمكة وكان له ابنة فأخذتها ابته فطرحتها في الماء وقالت: إنها ما وقعت في الشبكة إلا لغفلتها. قال الفخر الرازي معلقاً:

إلهنا تلك الصبية رحمت غفلة هاتيك السمكة، وكانت تلقيها مرة أخرى في البحر، ونحن قد اصطادتنا وسوسة إبليس وأخرجتنا من بحر رحمتك فارحمنا بفضلك وخلصنا منها وألقنا في بحار رحمتك مرة أخرى.

ومن رحمة الأمهات بأطفالهن ما أخبرنا بها رسول الله ـ ﷺ ـ هذه الصورة العجيبة التي لها دلالات على تفجر الرحمة من قلب الأم على طفلها.

الا ليت كل أم تغدق بمثل هذه الرحمة على وليدها:

أخرج الإمام أحمد والبخاري ومسلم في صحيحيهما والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ **«بينما امرأتان معهما ابنان لهما إذ جاء الذئب، فأخذ أحد الابنين فتحاكمتا إلى داود فقضى به للكبرى، فخرجتا، فدعاهما سليمان، فقال: هاتوا السكين، فقالت الصغرى: يرحمك الله هو ابنها لا تشقه، فقضى به للصغرى»**.

كما تلاحظ قسوة قلب الأم الكبرى في هذه القصة، فلقد سرق الذئب ابنها ولم تظهر حزنها عليه، بل أظهرت قسوة لا يتصورها عقل رجل، فضلاً عن قلب امرأة، فلجأت إلى سر▪ ابن زميلتها؛ لأنه لا يعقل أن يكونا متشابهين تشابها تاماً، كما لا يعقل ألا تميز الأم ابنها من بين طفلين، فالحديث دل على قسوة قلب الأم الكبرى ورحمة قلب الصغرى.

٢ـ مداعبة الأولاد وممازحتهم:

سنعيش سوياً مع طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة، نأخذ منها الدروس العملية من رسول الله ـ ﷺ ـ في مداعبة الأطفال تارة بالركض.. وأخرى بالحمل وثالثة بتصغير الاسم ورابعة بالمضاحكة. . وإلى غير ذلك.

وهذه الأعمال إن لم يقم بها الوالدان لأنها واجب تربوي، فهم مطالبون بالاقتداء برسول الله ـ ﷺ ـ روى الطبراني عن جابر رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ فدُعينا إلى طعام فإذا الحسين يلعب في الطريق مع صبيان فأسرع النبي ـ ﷺ ـ أمام القوم ثم بسطه يده فجعل يفرها هنا وهناك فيضاحكه رسول الله ـ ﷺ ـ حتى أخذه، فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى بين رأسه وأذنيه ثم اعتنقه وقبله، ثم

قال: «حسن مني وأنا منه، أحب الله من أحبه، الحسن والحسين سبطان من الأسباط»(١).

وروى البخاري في الأدب المفرد والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت أذناي هاتان، وبصرت عيناي هاتان رسول الله ـ ﷺ ـ أخذ بيديه جميعاً بكفي الحسن أو الحسين وقدماه على قدم رسول الله ـ ﷺ ـ ورسول الله ـ ﷺ ـ يقول «ارقه» قال: فرقي الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله ـ ﷺ ـ ثم قال: رسول الله ـ ﷺ ـ «افتح فاك ثم قبله ثم قال: اللهم أحبه فإني أحبه».

وقد جاء في الإصابة وزاد ـ حزقة حزقة، ترق عين بقة ـ وجاء في النهاية لابن الأثير ـ وفيه أنه عليه الصلاة والسلام كان يرقص الحسن أو الحسين ويقول: حزقة حزقة ترق عين بقة ـ فترقى الغلام حتى وضع قدميه على صدره. الحزقة: الضعيف متقارب الخطو من ضعفه وقيل: القصير عظيم البطن، فذكرها على سبيل المداعبة والتأنيس له، وترقّ: بمعنى، اصعد وعين بقة؛ كناية عن صغر العين(٢).

وأخرج البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ـ ﷺ ـ أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له: أبو عمير ـ وهو فطيم ـ كان إذا جاءنا ﷺ قال: «يا أبا عمير، ما فعل النغير ؟ لنغر كان يلعب به».

وفي رواية لأحمد ٣/ ١٨٨ و ٢٠١ ـ ٢١٢ عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يدخل على أم سليم ولها ابن من أبي طلحة يكني أبا عمير وكان يمازحه فدخل عليه فرآه حزيناً فقال: «مالي أرى أبا عمير حزيناً؟!» فقالوا: مات نغره الذي كان يلعب به، قال فجعل يقول: «أبا عمير ما فعل النغير»؟!. وتقدم قول الحافظ ابن حجر في الفتح أن هذا الحديث فيه جواز الممازحة وتكرير المزاح وأنها إباحة سنة لا رخصة، وإن ممازحة الصبي الذي لم يميز جائزة، وتكرير زيارة الممزوح معه، وفيه ترك التكبر والترفع والفرق بين كون الكبير في الطريق فيتوافر أو في البيت فيمزح.

وأخرج الترمذي وأبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «ياذا الأذنين يعني يمازحه».

وروى الترمذي وقال حديث غريب عن أنس رضي الله عنه قال: كناني رسول الله ـ ﷺ ـ ببقلة كنت اجتنيها(٣).

---

(١) حسن، ورواه البخاري في الأدب والترمذي وابن ماجه والحاكم. انظر صحيح الجامع رقم ٣١٤٦.

(٢) انظر كتاب «سيدنا محمد رسول الله» للشيخ عبد الله سراج الدين ص ١٥٧.

(٣) إسناده ضعيف. انظر جامع الأصول ٩/ ٩١ ت. الأرناؤوط.

وأخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قدم رسول الله -ﷺ- مكة استقبله أغيلمة بني المطلب، فحمل واحداً بين يديه وآخر خلفه.

وأخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أسامة كان ردف النبي -ﷺ- من عرفة إلى المزدلفة، ثم أردف الفضل من المزدلفة إلى منى، فكلاهما قال: لم يزل النبي -ﷺ- يلبي حتى رمى جمرة العقبة.

وعن عبد الله بن شداد قال: بينما رسول الله -ﷺ- يصلي بالناس إذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر، فلما قضى صلاته قالوا: قد أطلت السجود يا رسول الله حتى ظننا أنه قد حدث أمر، فقال: «إن ابني قد ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته».

قال العراقي[١]: رواه النسائي ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين.

واقتدى الصحابة رضوان الله عليهم برسول الله -ﷺ- فسارعوا إلى ممازحة أطفالهم ومداعبتهم وكانوا ينزلون إلى منازلهم، ويتصابون لهم ويلاعبونهم.

روى الديلمي وابن عساكر عن أبي سفيان قال: دخلت على معاوية وهو مستلق على ظهره وعلى صدره صبي أو صبية تناغيه، فقلت، أمط عنك هذا يا أمير المؤمنين، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان له صبي فليتصاب له»[٢].

وقال عمر رضي الله عنه[٣]: ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصبي - أي في الأنس والبشر وسهولة الخلق والمداعبة مع أولاده - فإذا التمس ما عنده وجد رجلاً. حتى إن عمر رضي الله عنه ليعزل أحد عماله عن الرئاسة؛ لأنه وجد منه دليلاً واضحاً على قسوة قلبه تجاه أولاده فعن محمد بن سلام قال: استعمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً على عمل، فرأى الرجل عمر يقبل صبياً له، فقال الرجل: تقبله وأنت أمير المؤمنين: لو كنت أنا ما فعلته، قال عمر: فما ذنبي إن كان نزع من قلبك الرحمة! إن الله لا يرحم من عباده إلا الرحماء، ونزعه عن عمله فقال: أنت لا ترحم ولدك، فكيف ترحم الناس؟[٤].

بهذه المداعبة ومحاكاة الطفل، كان تعامل رسول الله -ﷺ- مع الأطفال وهو

---

(١) الإحياء. (٢) ضعيف. انظر ضعيف الجامع رقم ٥٨١٢ .

(٣) كنز العمال ٥٧٣/ ١٦ رواه ابن أبي الدنيا والدينوري وعبد الرزاق في الجامع.

(٤) كنز العمال ٥٨٣/ ١٦٥ رواه الدينوري .

يغذي نفوسهم بهذه العاطفة الصادقة الطيبة، بعيداً عن الجفاء والقسوة وعدم إعطاء الطفل حقه.

٣ـ إهداء الأولاد و تقديم الهبات لهم ، مع مراعاة العدل بينهم:

للهدايا أثر طيب في النفس البشرية عامة، وفي نفوس الأطفال أكثر تأثيراً وأكبر وقعاً، وقد سن رسول الله ـ ﷺ ـ قاعدة للحب بين الناس فنصح الأمة بقوله: «**تهادوا تحابوا**» وهذا قانون عام.

والرسول ـ ﷺ ـ بين لنا عملياً هذا الركن القوي في بناء عاطفة الطفل وتحريكها وتوجيهها وتهذيبها.

أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان يؤتي بأول الثمر فيقول: «**اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي ثمارنا وفي مدنا وفي صاعنا، بركة مع بركة**»، ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان.

وروى الطبراني عن إسحاق بن يحيي بن طلحة قال كنت مع عمي عيسى بن طلحة في المسجد فدخل السائب بن يزيد فبعثني إليه فقال: اذهب إلى ذلك الشيخ فقل له: يقول لك عمي عيسى بن طلحة: هل رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ فذهبت إليه فقلت له: هل رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ؟ فقال نعم رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ ودخلت عليه أنا وغلمة معي فوجدناه يأكل تمراً في قناع ومعه ناس من أصحابه، فقبض لنا من ذلك قبضة ومسح على رؤوسنا.

وروى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: قدمت هدايا من النجاشي فيها قص حبشي فأخذه رسول الله ـ ﷺ ـ بعود أو ببعض أصابعه معرضاً عنه ثم دعا أمامة بنت أبي العاص من بنته فقال: تحلي بهذا يا بنية.

٤ـ البشاشة لهم وحسن استقبالهم:

لاحظت في الحديث قبل الأخير كيف أن النبي ـ ﷺ ـ كان يداعب عواطف الأطفال بمسح رؤوسهم فيشعرون بلذة الرحمة والحنان والحب والعطف، الأمر الذي يشعر بوجوده وحب الكبار له واهتمامهم به وكذلك ينبغي أن يتقرب إلى الطفل وإشعاره بذاته مثل :

أ ـ حسن استقبال الطفل.

ب ـ تفقد حاله والسؤال عنه.

ج ـ الرعاية الخاصة بالضعفاء واليتامى والمحتاجين. الخ.

الهدف الخامس:

ـ تنمية قدراته العقلية ومواهبه الذهنية وتوجيهها نحو الخير العام.

الأسرة هي المحضن الأول الذي تتكون فيه وتتشكل قدرات الطفل وميوله كما تبرز فيه مواهبه، ومن ثم فعلى الوالد أو من يقوم مقامه أن يبدأ مع الطفل بتعليمه إمساك القلم ورسم حروف الهجاء وأرقام الحساب لينطلق نحو إبراز قدراته العقلية ومواهبه الذهنية، فإن أنس منه بعد طول مكابدة عزوفا عن العلم فليدفع به إلى الحرف والصنائع ليتخير منها ما يوافق قدراته و استعداده، وليكن العلم أول مطالبه ومبلغ همة مربيه وموجهه. وفي آثار السلف ما يوضح الاكتشاف المبكر لهذه القدرات والمواهب العقلية والذهنية واهتمام المربين بها وتقديرها قدرها إذ لا يوجد في التاريخ دين مثل دين الإسلام حرص على تعليم أبنائه، ولا توجد فكرة في العالم تحرص على تعليم تلامذتها مثل فكرة الإسلام وهذا معترف به من قبل أعداء الإسلام قبل غيرهم، فهذا الدكتور آرثر وآربري أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة كمبردج يقول:(١) للإسلام على الجنس البشري مآثر تدعو إلى الإعجاب وتستدعي الشكران ولدينا مؤلفات عدة تصف ما أسهم به المسلمون في ترقية الفنون والآداب والعلوم والسياسة، ومن الواضح أن المسلمين ما كانوا يصلون إلى تحقيق هذه الأهداف العلمية الرفيعة لولا حرصهم البالغ على التعلم والتعليم ذلك الحرص الذي تميزت به الشعوب الإسلامية خلال تاريخها الطويل فهب رجالها ونساؤها مستجيبين لدعوة الرسول ـ ﷺ ـ «**اطلبوا العلم ولو في الصين**»(٢).

وفي عملية البناء العلمي والفكري لابد من وضوح الأركان والأسس التي يسير عليها الوالدان لكي يضمنا لطفلهما البناء السليم والعلم الغزير والأفكار الصحيحة؛ لأن

---

(١) عن مقدمة كتاب (تاريخ التربية الإسلامية) د.أحمد شلبي.

(٢) قال السخاوي في المقاصد الحسنة: رواه البيهقي في الشعب، والخطيب في الرحلة وغيرها، وابن عبد البر في جامع العلم والديلمي. ثم قال: قال ابن حبان: إنه باطل لا أصل له، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات. والله أعلم.

هذا البناء يعد من أهم ما يُكون الطفل لأنه بناء العقل فإذا كان سليماً كان الخير والبشر للوالدين وإذا كان غير ذلك فقد أنجبا عدواً لهما يحاربهما من داخلهما ويؤدي بهما إلى هاوية جهنم والعياذ بالله تعالى.

ودونك طرفاً من هذا الاهتمام في هذا الجانب :

طفولة مالك بن أنس رضي الله عنه:

قال مطرف: قال مالك: قلت لأمي: أذهب فأكتب العلم ؟ فقالت تعال فالبس ثياب العلم، فألبستني مسمرة، ووضعت الطويلة على رأسي، وعممتني فوقها، ثم قالت: اذهب فاكتب الآن.

وكانت تقول: اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه.

طفولة الإمام ابن الجوزي رضي الله عنه في طلب العلم.

قال الإمام ابن الجوزي عن الشدائد التي نالته في بدء طلبه للعلم وعن محامد صبره على تلك الشدائد:

ولقد كنت في حلاوة طلبي العلم ألقى من الشدائد ما هو أحلى من العسل، لأجل ما أطلب وأرجو، كنت في زمن الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث وأقعد على نهر عيسى ـ في بغداد ـ فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم فأثمر ذلك عندي أني عُرفت بكثرة سماعي لحديث الرسول ـ ﷺ ـ وأحواله وآدابه وأحوال الصحابة وتابعيهم.

وقال أيضاً: لم أقنع بفن واحد بل كنت أسمع الفقه والحديث وأتبع الزهاد، ثم قرات اللغة، ولم أترك أحداً ممن يروي ويعظ، ولا غريباً يقدم إلا وأحضره وأتخير الفضائل، ولقد كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث فينقطع نفَسي من العَدْو لئلا أسبق، وكنت أصبح وليس لي مأكل وأمسي وليس لي مأكل ما أذلني الله لمخلوق قط ولو شرحت أحوالي لطال الشرح[1].

طفولة الإمام الشافعي رضي الله عنه وطلبه للعلم:

قال رضي الله عنه: لم يكن لي مال، وكنت أطلب العلم في الحداثة ـ أي في

(١) صفحات من صبر العلماء ص ٧٦ ط ٢.

مستهل عمره، وكانت سنه ثلاث عشرة سنة ـ وكنت أذهب إلى الديوان أستوهب الظهور ـ أي ظهور الأوراق المكتوب عليها ـ فأكتب فيها[1].

وحكى البويطي عن الشافعي رضي الله عنه أنه كان في مجلس مالك بن أنس رضي الله عنه، وهو غلام فجاء رجل إلى مالك فاستفتاه فقال: إني حلفت بالطلاق ثلاثاً أن هذا البلبل لا يهدأ من الصياح فقال له مالك: قد حنثت، فمضى الرجل، فالتفت الشافعي رضي الله عنه إلى بعض أصحاب مالك فقال: إن هذه الفتيا خطأ، فأُخبر ـ يرحمه الله ـ بذلك وكان مالك مهيب المجلس لا يجسر أحد أن يرده، وربما جاء صاحب الشرطة فوقف على رأسه إذا جلس في مجلسه، فقالوا لمالك: إن هذا الغلام يزعم أن هذه الفتيا إغفال وخطأ، فقال له مالك: من أين قلت هذا؟ فقال الشافعي: ألست أنت الذي رويت لنا عن النبي ـ ﷺ ـ في قصة فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أن النبي ـ ﷺ ـ قال لها: أما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، فهل كانت عصا أبي جهم دائماً على عاتقه؟! ، وإنما أراد من ذلك الأغلب، فعرف مالك محل الشافعي ومقداره، قال الشافعي: فلما أردت أن أخرج من المدينة جئت إلى مالك فودعته فقال لي مالك حين فارقته:

يا غلام، اتق الله تعالى، ولا تطفئ هذا النور الذي أعطاك الله بالمعاصي ـ يعني بالنور العلم وهو قوله تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ (النور: ٤٠) هكذا في هذه رواية البلبل، وفي رواية أخرى القُمرى ـ الحمامة[2]

طفولة الإمام محمد بن الحسن الشيباني في طلب العلم:

روى الخطيب بسنده إلى مجاشع بن يوسف قال: كنت بالمدينة عند مالك وهو يفتي الناس فدخل عليه محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة وهو حَدَث، وذلك قبل أن يرحل إليه لسماع الموطأ منه قال محمد:

ما تقول في جنب لا يجد الماء إلا في المسجد ؟ فقال مالك: لا يدخل الجنب المسجد، قال محمد: فكيف يصنع وقد حضرت الصلاة وهو يرى الماء؟ قال فجعل مالك يكرر لا يدخل الجنب المسجد، فلما أكثر عليه قال له مالك: فما تقول أنت في هذا ؟ قال: يتيمم ويدخل فيأخذ الماء من المسجد ويخرج ويغتسل قال: من أين أنت ؟

(١) عن كتاب ـ صفحات من صبر العلماء .

(٢) بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيباني ـ للشيخ زاهد الكوثري رحمه الله ص١٢

قال: من أ هل هذه ـ وجعل يشير إلى الأرض ـ ثم نهض، قالوا: هذا محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، فقال مالك: محمد بن الحسن ، كيف يكذب ؟ وقد ذكر أنه من أهل المدينة ؟ قالوا إنما قال: من أهل هذه، وأشار إلى الأرض، قال: هذا أشد علي من ذاك.

الوسائل المعينة على تحقيق هذا الهدف:

١ـ غرس حب العلم والتزام آدابه منذ الطفولة

وضع النبي -ﷺ- قاعدة أصلية بكسب مرحلة الطفولة في التعلم وطلب العلم تناقلتها الأجيال كلها جيلاً بعد جيل، فغدت تستنهض همم الآباء لحث أبنائهم على طلب العلم وحبه، لأن: طلب العلم فريضة على كل مسلم[١] سواء كان صغيراً أم كبيراً رجلاً أو امرأة صبياً أم بنتاً وهو أفضل العبادات التي يتقرب فيها العبد من ربه، لهذا كانت فترة الطفولة أخصب فترة في البناء العلمي والفكري للطفل.

فقد روى الطبراني[٢] عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله -ﷺ-: **«مثل الذي يتعلم العلم في صغره كالنقش على الحجر، ومثل الذي يتعلم العلم في كبره كالذي يكتب على الماء»**.

ذكره ابن عابدين في حاشيته ثم قال ومما أنشد نفطويه لنفسه:[٣]

أراني نسيت ما تعلمت في الكبر ... ولست بناسٍ ما تعلمت في الصغر
وما العلم إلا بالتعلم في الصبا ... وما الحلم إلا بالتحلم في الكبر
وما العلم بعد الشيب إلا تعسف ... إذا كلَّ قلب المرء والسمع والبصر
ولو فلق القلبَ المعلمُ في الصبا ... لأصبح فيه العلم كالنقش في الحجر

وقد أورد السخاوي في المقاصد الحسنة عدداً من الأحاديث التي تؤيد هذا المعنى منها:

---

(١) رواه ابن ماجه عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً. انظر المقاصد الحسنة برقم ٦٦٠ حيث قال العراقي: صحح بعض الأئمة بعض طرقه وقال المزي. إن طرقه تبلغ به رتبة الحسن.

(٢) بسند ضعيف، قاله السخاوي في المقاصد الحسنة. وانظر ضعيف الجامع بلفظ« حفظ الغلام الصغير كالنقش في الحجر» برقم ٢٧٢٦ وأشار إلى ضعفه.

(٣) حاشية ابن عابدين ط ٢ ـ ١/ ١٥٧، وانظر المقاصد الحسنة ص ٤٦١ .

ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «**من تعلم القرآن في شيبته اختلط القرآن بلحمه ودمه، ومن تعلمه في كبره فهو يفلت منه ولا يتركه، فله أجر مرتين**» رواه البيهقي والديلمي والحاكم).

وقال ابن عباس: «**من قرأ القرآن قبل أن يحتلم فهو ممن أوتي الحكم صبياً**».

ولقد وعى الصحابة والتابعون وأصحاب الحديث أن تعلم الصغار له كبير الأثر في نشوء الطفل العلمي ويجعله أقوى ثباتاً وأرسخ في الذاكرة مما يتعلمه الإنسان وهو كبير، وإذا فاته في الصغر فلن يفوته في الكبر.

٢ـ توجيه الطفل وفق ميوله العلمية:

تقدم قبل قليل تعلُّم زيد بن ثابت للغة السريانية، وقد اختاره الصحابة وقدموه للنبي ـ ﷺ ـ ورشحوه له لعلمهم بقدراته.. وميوله اللغوية، واستطاعته تنفيذ رغبة رسول الله ـ ﷺ ـ في تعلم السريانية، وهذا دليل على توجيه الطفل حسب ميوله العلمية، ورغباته النفسية، لأنه أدعى لتمكن العلم من نفسه وبراعته به، وتفوقه على أقرانه، وقد قرر هذا أيضاً علماء السلف رضوان الله عليهم، فهذا ابن سينا يرى أنه: ليست كل صناعة ـ مهنة ـ يرومها الصبي ممكنة له مواتية، ولكن ينبغي له أن يزاول ما شاكل طبعه وناسبه.

وروى أن يونس بن حبيب كان يتردد على الخليل بن أحمد الفراهيدي ليتعلم منه العروض والشعر، فصعب ذلك عليه، فقال له الخليل يوماً من أي بحر قول الشاعر:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

ولما عجز يونس بن حبيب عن الإجابة، طالبه الخليل بن أحمد بتنفيذ الشطرة الثانية من بيت الشعر محل السؤال.

وكان الإمام البخاري في أول أمره يحاول تعلم الفقه والتبحر فيه، قال له محمد بن الحسن:

اذهب واشتغل بعلم الحديث، عندما رآه مناسباً لقدراته وأليق به وأقرب إليه، وقد أطاع البخاري ومن ثم صار على رأس أهل الحديث بل وإمامهم[1].

---

(١) عن مجلة الوعي العربي سنة الأولى عدد ١ عام ١٣٥٧ هـ / ١٩٧٧ ص ٣٣ .

٣ـ إيجاد مكتبة منزلية صالحة ومتنوعة:

حتى يتعلم الطفل القرآن والحديث واللغة فلابد من احتواء البيت على مكتبة إسلامية علمية يشب عليها وينهل منها.

عن عبد الله بن سلمة عن أبيه سلمة قال: «دفع إليّ أبي بديل بن ورقاء كتاباً، فقال: يا بني هذا كتاب رسول الله ﷺ فاستوصوا به فلن تزالوا بخير مادام فيكم» فذكر الحديث وفيه أن الكتاب بخط علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وكان سمرة بن جندب رضي الله عنه قد جمع أحاديث كثيرة في نسخة ورثها ابنه سليمان ورواها عنه، وهي على ما يُظَن الرسالة التي بعثها سمرة إلى بنيه، وهي التي يقول فيها ابن سيرين: في رسالة سمرة إلى بنيه علم كثير[1]. وهذا يشير إلى أهمية احتواء المنزل مكتبة علمية نافعة لبناء الطفل بناء علمياً قوياً ، لهذا قال الجاحظ:

متى كان الأديب بارعا وكانت مواريثه كتباً بارعة وآداباً جامعة كان الولد أجدر أن يرى التعلم حظاً وأجدر أن يسرع التعليم إليه، ويرى تركه خطأ، وأجدر أن يجري من الأدب على طريق قد أنهج له ومنهاج قد وُطئ له، وأجدر أن يسري إليه عرق من نحله، وسقي من غرسه، وأجدر أن يجعل بذل الطلب للكتب النظر في الكتب والاختلاف في سماع العلم إلا وقد بلغ بالكفاية وغاية الحاجة[2].

وقد نبه لدور المكتبة المنزلية الإمام الشهيد في رسالته ـ وكونها أنجع الوسائل في تربية النشء تربية إسلامية خالصة ـ فقال:

واذكر كذلك ضرورة احتواء المنزل على مكتبة مهما كانت يسيرة إلا أن كتبها تختار من كتب التاريخ الإسلامي وتراجم السلف وكتب الأخلاق والحكم والرحلات وكل علم نافع.

٤ـ تعليم الطفل لغة أجنبية حية إن أمكن ذلك :

وبعد أن يتقن الطفل اللغة العربية بشكل جيد ويحفظ شيئاً من القرآن والحديث، فلا بأس بإتقان لغة أجنبية سائدة، وذلك لتكوين جيل مسلم يستطيع كشف خطط

(١) تهذيب التهذيب ٤ : ٢٣٦ رقم ٤٠٢ للحافظ ابن حجر

(٢) كتاب الحيوان ـ للجاحظ ـ طبع سلسلة المختار من التراث العربي رقم ١١/ ٣٦٤

الأعداء ويأمن مكرهم.. وينقل العلوم المادية البحتة إلى المسلمين، وهذا ما فعله رسول الله -ﷺ- أول ما وصل المدينة المنورة مهاجراً من مكة:

فقد روى أبو يعلى وابن عساكر عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال أتي بي للنبي -ﷺ- مقدمه المدينة فقالوا: يا رسول الله: هذا غلام من بني النجار وقد قرأ مما أنزل عليك سبع عشرة سورة، فقرأت على رسول الله ﷺ فأعجبه ذلك قال: يا زيد تعلم لي كتاب يهود، فإني والله ما آمن يهود على كتابي، فتعلمته، فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته فكنت أكتب لرسول الله -ﷺ - إذا كتب وأقرأ كتابهم إذا كتبوا إليه.

وعندهما أيضاً وابن أبي داود عن زيد قال لي رسول الله -ﷺ-: أتحسن السريانية فإنها تأتيني كتب؟ قلت: لا، قال: فتعلمها، فتعلمتها في سبعة عشر يوماً.

وعلى هذا سار السلف في تعليمهم الأطفال، بالإضافة إلى اللغة العربية لغة أجنبية أخرى:

روى الحاكم في مستدركه وأبو نعيم في الحلية عن عمر بن قيس قال: كان لابن الزبير رضي الله عنه مائة غلام يتكلم كل غلام منهم بلغة أخرى، فكان ابن الزبير يكلم كل واحد منهم بلغته، وكنت إذا نظرت إليه في أمر دنياه قلت: هذا رجل لم يرد الله طرفة عين، وإذا نظرت إليه في أمر آخرته قلت: هذا رجل لم يرد الدنيا طرفة عين!.

والإسلام كما نعلم حض على العلم النافع نأخذه من أي لغة ومن أي وعاء، والحكمة ضالة المؤمن أخذها من أي جهة، واقتصها أنى وجدها فهو أحق الناس بها. والعلم الآن، قد انتقل بكل المسلمين إلى غيرهم، والاختراعات قد تفوق فيها سواهم، فوجب عليهم أن يأخذوها وأن يتفوقوا فيها، ووجب عليهم أن يتعلموا لغتها واصطلاحاتها وطرقها، ونحن الآن في عصر العلم، وقد دخل العلم في كل شيء: في الزراعة وفي الصناعة وفي شتى نواحي الحياة وأصبح مذللاً، بالكتب والصحف والرسائل والإذاعات والفيديوهات، والتلفازات، والإنترنت، ولا ندري ما سيأتي به المستقبل، فوجب على المسلمين أن يسابقوا ويسبقوا، والعلم عندهم من الفرائض والواجبات. ولقد كان المسلمون في الذروة العلمية واستفادوا من التوجيهات الإسلامية، وانكبوا على العلوم الشرعية والعلمية والكونية واعتبروا تعلم كل علم نافع من قبيل الفرض والواجب واستفادوا من حضارات الأمم الأخرى في العالم، فجددوا فيها وهضموها، وطبعوها بطابع الإسلام المتميز؛ وظل العالم قروناً طويلة يقتبس من

علومهم، ويستفيد من حضارتهم.. وما تألقت الحضارة المادية في العصر الحديث شرقاً وغرباً إلا بفضل ما أخذوه من حضارة المسلمين وعلومهم عن طريق صقلية، والأندلس، والحروب الصليبية.. فكانت الدولة الإسلامية بحق أستاذاً وإماماً للعالم الضال، والإنسانية الحائرة.

وإليكم شهادة المنصفين من فلاسفة الغرب على عظمة المجد العلمي والحضاري الذي أحرزه المسلمون في فترات طويلة من التاريخ.

ـ يقول (شريستي) في حديثه عن الفن الإسلامي: (ظلت أوروبا نحو ألف سنة تنظر إلى الفن الإسلامي كأنه أعجوبة من الأعاجيب).

ـ ويقول (دوزي) المستشرق الهولندي: (إن في كل الأندلس لم يكن يوجد رجل أمي، بينما لم يكن يعرف القراءة والكتابة في أوروبا معرفة أولية إلا الطبقة العليا من القسس).

ـ ويقول (لين بول) في كتابه (العرب وأسبانيا): (فكانت أوروبا الأمية تزخر بالجهل والحرمان، بينما كانت الأندلس تحمل إمامة العلم وراية الثقافة).

ويقول (بريفولت) في كتابه (تكوين الإنسانية): (العلم هو أعظم ما قدمت الحضارة العربية إلى العالم الحديث، ومع أنه لا توجد ناحية واحدة من نواحي النمو الأبوي إلا ويلحظ فيها أثر الثقافة الإسلامية النافذ، إلا أن أعظم أثر وأخطره هو ذلك الذي أوجد القوة التي تؤلف العامل البارز الدائم في العالم الحديث، والمصدر الأعلى لانتصاره، أعني العلم الطبيعي والروح العلمية.. وهذه الحقائق مؤداها أن الإسلام دين بناء حضاري).

ـ ويقول (أبو شبكة) في كتابه (روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة):

(إن زوال الحضارة العربية كان شؤماً على إسبانيا وأوروبا، فالأندلس لم تعرف السعادة إلا في ظل العرب، وحالما ذهب العرب حل الدمار محل الثراء والجمال والخصب..).

ـ ويقول (هـ، ر، جب) في كتابه (الاتجاهات الحديثة في الإسلام) في معرض المذهب التجريبي الذي قام عليه كل العالم الأوروبي، والذي هو تراث إسلامي أصيل.. يقول ما نصه: (أعتقد أنه من المتفق عليه أن الملاحظة التفصيلية الدقيقة التي قام بها الباحثون المسلمون قد ساعدت على تقدم المعرفة العلمية مساعدة مادية ملموسة، وأنه عن طريق هذه الملاحظات وصل المنهج التجريبي إلى أوروبا في العصور الوسطى).

ـ ويقول (فكتور روبنصن) بعد كلام طويل في موازنته بين الحضارة الإسلامية في الأندلس، وحضارة أوروبا في القرون الوسطى: (.. وكان أشراف أوروبا لا يستطيعون توقيع أسمائهم، بينما كان أطفال المسلمين في قرطبة يذهبون إلى المدارس؛ وكان رهبان أوروبا يلحنون في تلاوة سفر الكنيسة، بينما كان معلمو قرطبة قد أسسوا مكتبة تضارع في ضخامتها مكتبة الإسكندرية العظيمة..).

إن هذه الأقوال وأقوالاً كثيرة غيرها تؤكد لنا بوضوح ما انطوى عليه الإسلام من قوة دفع حضارية، ومن إشراقة نور علمية.. بينما كان العلماء في أوروبا ـ في القرون الوسطى ـ يُقتلون في الساحات العامة جهاراً نهاراً لجرأتهم العلمية والفكرية!!!.

ولكن ما السر في هذا الدفع الحضاري، والإشراقة العلمية ؟

السر كامن في المبادئ التي انطوت عليها شريعة الإسلام الخالدة:

٥ـ مجالسة العلماء و الدعاة والاقتداء بهم:

لا شك أن القدوة في التربية لها الدور الأول، ولها في نفس الإنسان ما لها من القيمة ومن التأثير الشيء الكثير، وقدوة الشخص الأولى هي المخالطون له من أبويه ومن عائلته، ثم من مدرسه ومعلمه وبيته التي يدرج فيها ويتربى في كنفها، وهناك نوع آخر من القدوة لها تأثير بالغ، وهي القدوة الفكرية.

وبالنسبة للنوع الثاني يُستشهد بالقدوات التالية في المجال الفكري والديني.

١ـ بصاحب القدوة الأولى نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام الذي لقي في سبيل الدعوة الإسلامية ما لقي من أصناف العذاب وألوان الاضطهاد، وأنواع الألم.. وكتب السيرة النبوية فائضة بذكر هذه الأمثال والأخبار..

٢ـ بأصحاب القدوة من الرعيل الأول من أصحاب رسول الله ﷺ الذين جاهدوا في الله حق جهاده، ودخلوا محنة الدعوة في المرحلة المكية بإيمان كالجبال، فما وهنوا ولا استكانوا ولا ضعفوا، بل زادتهم المحن والشدائد إيماناً وتسليماً.. وهم الذين قال عنهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «من كان متأسياً فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً.. اختارهم الله لصحبة نبيه عليه الصلاة والسلام، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم». وأخبارهم في الثبات والتضحية والصبر.. كثيرة ومستفيضة.

٣ـ بأصحاب القدوة من رجالات الدعوات عبر التاريخ إلى عصورنا اليوم.. فهؤلاء لهم من المواقف المشرفة، والتضحيات الخالدة.. ما تفتخر به الأجيال على مر العصور والأيام، كأمثال الحسن البصري، والعز بن عبد السلام، ومنذر بن سعيد، وأحمد بن حنبل، وأبي غياث الزاهد، والإمام الشهيد حسن البنا، والشهيد سيد قطب.. ومئات غيرهم.. الذين كانوا جبالاً في التحمل، وأسوداً في الثبات، ومضرب المثل في الصبر والتضحية..

فحين تضع ـ أخي المربي ـ في الولد هذه المعاني من مواقف التضحية والصبر والثبات في سبيل تبليغ دعوة الإسلام.. فإن الولد ـ ولا شك ـ ستنطبع في تصوره هذه المواقف، وتسري معانيها إلى نفسه وقلبه..

فعندئذ يتخذ في حياته طريقاً للقدوة. فينهج نهجهم، ويمشي على طريقتهم، ويصبح ممن عناهم الله سبحانه بقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام: ٩٠).

ولهذا فنحن نبحث في التربية عن القدوة الصالحة التي تستطيع بعملها أن تؤثر وبقولها أن توجه، ويكون لها الانقياد البالغ، وإلا فقول بدون عمل جريمة في حق الجميع، وصدق الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ②﴾(الصف) ولهذا فنحن نريد للأخت المسلمة والأخ المسلم أن يكون سلوكهما العام والخاص، وتصرفهما في كل شأن صورة صادقة لمبادئ دينهما ودعوتهما، وكان من حق هذا المعنى أن يلحق بالواجب المؤكد في التربية، ولكن لا بأس أن يفرد بكلام خاص فإن التحقق بشرائط القدوة آية الإخلاص، وسبيل التأثير في نفوس الآخرين، وأفصح دلالة وأقوى أثراً في النفوس من المقال والوعظ.

ولا نعني بذلك استكمال أوصاف الملبس الوقور والمظهر العفيف فحسب، بل نعني معه أن يكون كل عمل وكل حركة وكل إشارة صادراً عن تقيد بالمثل العليا، ورغبة فيها، وحب لها، حتى يصير العمل بها والتزام نهجها عادة مألوفة يجري عليها المرء دون أن يلقي إليها باله.

تلك هي القدوة الصالحة التي تلهم وتؤثر، وتنهض عزائم الآخرين، وتخلق بيتاً مثالياً، وبيئة فاضلة ومجتمعاً كريماً، ولو لم تعمد إلى وعظ محضر أو نصح مقصود.

إن الأم هي القدوة الأولى للطفل، وهو سريع التقليد، قوي التأثير بما يكون من

حالها، وهو من أعز الأمانات التي أكرمت بها بعد دينها، ولن نقول لها اطبعيه على الخير، بل اطبعي نفسك أنت على مبادئ هذا الخير ومثله، فإنما تصنعين المثال الذي يكون عليه ولدك.

ولتعلم الأخت الكريمة أنها لن تبلغ أن تكون مؤثرة في مجتمعنا إلا إذا كانت قوية الشخصية، وإنما تقوى شخصية المرء وتعظم إذا ترك هذر القول، وفارغ الحديث وأقام صلب نفسه على الحق في جد ووقار، بقوله ولو على نفسه، ويسيغ جرعته ولو كان مراً، وينتصف من نفسه دائماً. وليس أهيَب في نفوس الناس من ذلك الذي أضنى نفسه برعاية الحق والصبر على تكاليفه حتى عظمت حرمته لديهم، وعلت منزلته في نفوسهم فأخذوا عنه وتأثروا به، واستجابوا له في غبطة ورضا، وليس لقوة الشخصية معنى أصدق من هذا، فعلى الأخت الكريمة رعاية هذا الجانب، فإن المجتمع يصح به ويعتدل ميزانه.

ولابد للبيت المسلم أن يمثل طهر الإسلام ونضجه، وغايته وهدفه، وأن يؤكد في المجتمع على الأعمال الصالحة، ويزكيها، ففي الشعوب المسلمة اليوم لاشك نماذج كريمة وأفعال عظيمة ينبغي أن يلفت المربي النظر إليها ويؤكد على مراعاتها والسير والنهج على منوالها.

وليس المجتمع تلك الأندية والمجالس والحفلات التي يختلط فيها الرجال بالنساء في غير ورع أو قيود، بل المجتمع هو البيئة التي تحيط بك، والتقاليد التي تنظم علاقة كل شيء فيه. بعضه ببعض. . فعلى الأخت المسلمة الكريمة أن تساهم في بناء المجتمع على التقاليد الصالحة والعرف الذي يحرس الفضيلة ويثمر التعاون على البر والتقوى.

إذن فعليها أن تقاطع كل ما في المجتمع من مساوئ التبرج واللقاء في حفلات الرقص والخمر والميسر والملاهي الماجنة وما يسمى بحفلات الإحسان، تلك التي ينثر فيها الرجال تبرعاتهم تحت تأثير ما يسلط عليهم من سحر المرأة وزينتها فيما يشبه الغزل والمعابثة. .

ذلك ونحوه رجس من عمل الشيطان يجب عليها مقاطعته والعمل على تطهير المجتمع من وصمته المخزية بالتنفير منه، وبذل النصح والموعظة لمن تغشينه.

وأن تعمل على بث الأفكار الناضجة، والمبادئ القويمة في أذهان بنات جنسها

مثقفات كن أو غير مثقفات.

فأولئك المثقفات اللاتي يجرين وراء الاشتغال بالسياسة ونحوها قصد المظهر والوجاهة تافهات مقلدات، وهن في مجتمعنا كالفقاعات الجائرة الفارغة لا أثر لها إلا خفة الثوب هنا وهناك في ألوان الطيف التي تزينها. ولو أن كلاً منهن فقهت رسالتها الخطيرة، وامتلأ ذهنها بالحقائق الصادقة والمعاني السديدة لوجدت في محيطها النسوي من الأعمال الجليلة ما يعلي ذكرها بين أهل الأرض والسماء.

وفي محيط غير المثقفات ملايين من نساء الطبقة الشعبية في أشد الحاجة إلى من يرشدهن ويثقف عقولهن وقلوبهن، بما يطهر النفوس ويزيل الجهل والخرافة، وتعلم قواعد النظافة والصحة ومبادئ التمريض وتفصيل الملابس وإعدادها، وتدبير ميزانية البيت، على وجه سديد، وكيفية التغلب على أزمات الغلاء والدخل الصغير وبطالة الزوج أو الكفيل.

هذا وغيره لا ينهض به إلا جماعات من الفضليات، فعلى الأخت الكريمة أن توليه أكبر قسط من عنايتها ما وجدت إليه سبيلاً. وحبذا لو فقهت المثقفات أن ذلك خير وأنفع وأكرم من تدبير المظاهرات، والتزاحم على منصات الخطاب لوعظ الرجال في الوطن والوطنية. في عصور الكبت وضياع الحريات، وإنما يلزم التربية الهادئة للرجل والمرأة، حتى يكثر سواد العاملين المكافحين، وأصحاب الحق المبين، فيكون حينئذ لكل حادث حديث.

٦ـ الأخوة الصالحة الدافعة إلى الخير:

والأخوة في الإسلام ليست كلمة تقال، ولكنها عقيدة وإيمان، وحق للمسلم على أخيه المسلم وأسلوب حياة وقد حث عليها الله تبارك وتعالى، في كتابه العزيز، وقد عززها رسوله الكريم في أحاديثه الكثيرة، بحيث ترتبط القلوب والأرواح برابطة العقيدة، والعقيدة أوثق الروابط وأغلاها، والأخوة أخوة الإيمان والتفرق أخو الكفر.

والأخوة في الأسرة تورث المحبة والإيثار، وتبعد الحسد والشحناء والغل والقطيعة وقد رأينا كيف فعل الحسد في أسرة يعقوب عليه السلام حيث قضى الحسد والبغضاء على استقرار الأسرة الكريمة. ولننظر ماذا كان بين يوسف عليه السلام وبين أخوته.

أصبح يوسف ذات يوم مشغول البال، مثقل التفكير تتجاذبه مشاعر الرفعة

والسمو من جانب، وخوف المستقبل ومخاطره من جانب آخر.

فتوجه إلى أبيه في خلوته فباح له بمكتوم سره وعميق تفكيره، وقال له: ﴿يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾(يوسف: ٤).

فهذه الكواكب العليا الرفيعة، والسرج الهادية البعيدة، قد رأيتها دون تشوُّف مني أو تطلع، بين يدي خاضعة متذللة، طائعة صاغية، وأنا فوقها آمرٌ ناه، وأنت النبي الكريم، والأب الرؤوف الرحيم، فما يعني هذا الأمر الذي هو في كبد السماء، ومعقد الجوزاء، ويحتاج الوصول إليه إلى المكابدة والعناء؟!!

فهدأ الأب الحاني من رَوع ابنه الناشئ، وزرع أمامه الأمل المشرق، ودفعه في طريق ترسُّم هدي آبائه وسلفه الصالحين، ليكون محل العناية الربّانية، وأهلاً للاصطفاء والكرامة الإلهية، ونبّهه إلى حفظ سرّه، وكتم أمره عن أقرب الناس إليه ؛ إخوته، حتى يبلغ القضاء منتهاه، ويصل القدر مداه، حتى لا يحرش الشيطان بين الأخوة ويثير زوابع الحسد بين الأحبة، والحسد أصل كل داء ورأس كل بغضاء، ولهذا سالف مثال، وقديم تجربة نقلتها النبوّات، وفصّلتها الرسالات عن ابني آدم:

﴿ واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴿٢٩﴾فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (المائدة: ٢٧ ـ ٣٠)، وهذا طبع البشر، وغريزة من غرائز بني آدم.

وهكذا توجه يعقوب عليه السلام إلى ولده بالحنو والنصح، والتعليم والإرشاد، والتوجيه والتربية فقال: ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(يوسف: ٥، ٦)، وشاء القدر الإلهي أن تقع هذه الرؤيا ـ كما فسرها يعقوب حرفاً بحرف، وقد جاء عن رسول الله ﷺ تأكيداً لهذا قوله: «الرؤيا على رجل طائر ما لم تُعبر، فإذا عُبرت وقعت، ولا تقصها إلا على وادٍّ أو ذي رأي».

وتزايدت عناية يعقوب بيوسف، وأخذ جُلَّ اهتمامه دون بقية إخوته، وأخذ طرفاً من هذا الاهتمام أخوه الشقيق لصغر سنه كذلك ـ والله أعلم ـ وغرائز الأبوة السليمة

تندفع نحو الصغير لضعفه وعجزه وحاجته، وقد سئل أحد العقلاء عن أحب أبنائه فأجاب: الصغير حتى يكبر، والمريض حتى يبرأ، والغائب حتى يعود.

وهكذا فاضت مشاعر يعقوب نحو يوسف لما لمحه فيه من ملامح الخير، وأمارات النجابة والتُّقى، وما أدركه من هذه الرؤى، حتى أصبح البون بين يوسف وإخوته في قلب يعقوب بعيداً، وكل ولد ـ ذكراً كان أو أنثى ـ يريد أن يكون له في قلب والديه مكانة، وفي تفكيرهما حيِّز وموقع.

وبدأوا يتهامسون بينهم، يجتمعون ويتفرقون، وما حديثهم إلا حب يعقوب ليوسف واستئثاره بقلبه ولبّه وناظريه ولسانه، وهو صغير قليل الجدوى، ضئيل المنفعة، ونحن الأشداء الأقوياء الذين كفيناه ما يحتاجه من وسائل العيش والحياة، فلِمَ كل هذا الإقبال عليه؟!

وتعاظم في نفوسهم أن ذلك خطأ في التفكير، وانحراف في السلوك والسيرة عند أبيهم، حيث لم يُنزل كل واحد منهم منزلته، بقدر نفعه وغَنائه !!

﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف: ٨)، ولم يخطر ببالهم أن محبة الولد الصغير فطرة فطر الله الخلق عليها، وربما لأنهم لم يعرفوها بعد، أو أن نيران الغضب والحقد قد أعمتهم عن إدراك الحقائق.

وأكد ذلك قول رسول الله ـ ﷺ ـ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا...»[(١)].

وبعد اجتماعات بينهم، وقيل وقال منهم، اتخذوا قراراً حاسماً بالتخلص من يوسف ليفرغ لهم أبوهم ويقبل عليهم بوجهه، وقلبه وعنايته ورعايته، وتصفو لهم الأيام ويهنأ لهم العيش في كنف الأبوة، ودفء الأسرة: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾(يوسف: ٩).

واتفقوا على هذا المكر، واختلفوا في طريقة التنفيذ حتى ألقى بها أحدهم على أسماعهم فتلقفوها، ووجدوها مناسبة فأمسكوها: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾(يوسف: ١٠).

(١) أخرجه الترمذي عن ابن عباس في كتاب البر من جامعه، باب رقم ١٥، وسنده حسن، وأخرجه كذلك في الباب نفسه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، ومن طريق عبد الله بن عمرو بن العاص أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الرحمة، رقم ٤٩٤٣، وأحمد والحاكم، وهو صحيح.

وانفضوا عن هذا التدبير، وتفرقوا بعد هذا الكيد والتفكير، وهي أول حلقة في رؤيا يوسف، وتأويل يعقوب ﴿فيكيدوا لك كيداً ﴾(يوسف).

قال محمد بن إسحاق بن يسار: لقد اجتمعوا على أمر عظيم من قطيعة الرحم، وعقوق الوالد وقلّة الرأفة بالصغير الذي لا ذنب له، وبالكبير الفاني ذي الحق والحرمة والفضل، وخطره عند الله مع حق الوالد على ولده ليفرقوا بينه وبين أبيه، وحبيبه على كبر سنه ورقة عظمه، مع مكانه من الله ممن أحبه طفلاً صغيراً، وبين ابنه على ضعف قوته، وصغر سنه وحاجته إلى لطف والده وسكونه إليه، يغفر الله لهم وهو أرحم الراحمين.

ومع كل كيدهم وسوء إضمارهم قرروا التوبة، وأسروا في نفوسهم الأوبة، قبل ارتكاب هذه المعصية كما بيَّنه قوله تعالى: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾﴾ إذن فالصلاح عاصم من الزلل والضلال سبب الفساد كله.

هذا وقد قصَّ الله علينا قصة ابني آدم، وقصَّ علينا قصة يوسف وإخوته لنلتفت إلى ما فيها من عبر ودروس، لنسعى إلى تعزيز الأخوة وتثبيت الإيمان حولها، ونبتعد عن كل ما يثير الشحناء والبغضاء بين الإخوة في الأسرة، حتى لا تعيش الأسرة في كوارث ونكبات، وحتى يكون هناك حب وإيثار، بأخوة الدم والنسب وبأخوة العقيدة والإسلام. أخوة في الله تزيل كل الأدران والأحقاد وتستل كل هوى وضغن. عن أنس بن مالك رضي الله عنه ـ قال: قال النبيﷺ **«لا يجد أحد حلاوة الإيمان، حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله»** (رواه البخاري).

والحب في الله درجة عظيمة يورث القبول في الدنيا، في الأسرة، في الأهل، في المجتمع وفي الآخرة، عند الله، كما أن له منزله عظيمة في الثواب ورفعة الدرجات.

روى البزار عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـﷺ ـ قال: **«ما من عبد إلا له صيت في السماء، فإن كان حسناً وضع في الأرض، وإن كان سيئاً وضع في الأرض»** فينبغي لسعادة الأسرة أن يتدرب الإنسان في أسرته على الحب في الله وعلى مصاحبة الناس بهذا الحب.

الهدف السادس: تحقيق الأمن والسكن النفسي والبدني:

وصدق الله: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً .. ﴾ (الروم: ٢١)

والإيمان يحفظ الأسرة المسلمة من الجزع والوهن في الشدة وعند البأس، وأمامنا أمثله حية على ذلك:

خديجة بنت خويلد:

كانت خديجة بنت خويلد زوج الرسول ﷺ دنيا وحدها، استطاعت أن تفرج عن الرسول ﷺ واستطاعت أن تثبته في الشدة وفي الأوقات العصيبة، أوقات الاضطراب، وقد رأيناها عندما جاء الرسول ﷺ يرتجف فؤاده بعد نزول الوحي عليه، يقول لها: لقد خشيت على نفسي، فتقول قولتها الرائعة العظيمة: كلا ، والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق.

لم تكتف بأنها قالت له: والله لا يخزيك الله أبداً، بل جاءت بحيثيات حديثها ودليل صدق كلامها، حتى يقر قلب الرسول ﷺ ، ثم أثبتت له ذلك عملياً فذهبت إلى ورقة بن نوفل فأسمعته ما كان لرسول الله ﷺ ، وسمع رسول الله من ورقة بن نوفل أنه صادق، وأن ذلك الذي نزل عليه إنما هو وحي السماء، ولذلك تغيرت الحال بعد ذلك عند رسول الله ﷺ فاشتاق إلى الوحي وإلى نزول الملك بعد أن كان خائفاً مرتعداً.

ثم وقفت وراءه بالمال والحماية، فكانت عدل المجتمع الجاهلي ولكن في الخير، وكانت الكفتان تكاد تتعادلان، ولهذا كان كل ما يلاقيه الرسول في تبليغ الدعوة نهاراً، يذهب ليلاً ليجد الزوجة الحنون تمسح عنه ذلك وتعيشه الحب والتقدير والتثبيت والفداء، ولهذا بشرها الله ببيت من قصب في الجنة رضي الله عنها وأرضاها.

زوجات بهذا القدر من التماسك والعقل والفهم والقوة النفسية جديرات بأن تجعل البيت المسلم آمناً من الهزات النفسية، والصراعات الشيطانية، وقادرات على تربية النشء وصياغة الحياة صياغة عظيمة توازي في عظمتها تعاليم الرسالة وتوجيهاتها الإيمانية، كما أنها تعيش التوجيهات الربانية والرسالية فعلاً لا قولاً وعملاً عميقاً وقدوة على الزمان والأيام وفي التاريخ.

أم حارثة عند موت ابنها:

أخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه أن حارثة بن سراقة رضي الله عنه قتل يوم بدر وكان في النظارة[١]، أصابه سهم غرب[٢] فقتله، فجاءت أمه فقالت: يا رسول الله أخبرني عن حارثة، فإن كان في الجنة صبرت، وإلا فليرين الله ما أصنع - يعني من النياح وكان لم يحرم بعد - فقال لها رسول الله: «**ويحك أهبلت[٣]؟ إنها جنان ثمان، وإنَّ ابنك أصاب الفردوس الأعلى**». كذا في البداية (٣/ ٢٧٤)؛ وأخرج البيهقي(٩/ ١٦٧) عن أنس نحوه، وفي رواية: فإن كان في الجنة، صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء، قال: «**يا أم حارثة إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى**». وأخرجه ابن أبي شيبة، كما في الكنز (٥/ ٢٧٣)، والحاكم (٣/ ٢٠٨) وابن سعد (٣/ ٦٨) عن أنس بمعناه وفي حديثه قال: «**يا أم حارثة إنها ليست بجنة واحدة ولكنها جنان كثيرة وهو في الفردوس الأعلى**».

أم خلاد عند قتل ابنها:

وأخرج ابن سعد (٣/ ٨٣) عن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنهم قال: قتل يوم قريظة رجل من الأنصار يدعي خلاداً رضي الله عنه قال؛ فأتيت أمه فقيل لها: يا أم خلاَّد، قُتل خلاَّد، قال: فجاءت متنقبة فقيل لها: قُتل خلاَّد وأنت متنقبة! قالت: إن كنت رُزئت خلاَّداً فلا أرزأ حيائي، فأُخبر النبي ﷺ بذلك فقال: «أما إنَّ له أجر شهيدين»، قال: قيل: ولم ذاك يا رسول الله؟ فقال: **لأن أهل الكتاب قتلوه**» وأخرجه أبو نعيم عن عبد الخير بن قيس بن شماس عن أبيه عن جده، كما في الكنز (٢/ ١٥٧)؛ وأخرجه أيضاً أبو يَعْلى من طريق عبد الخير بن قيس بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه عن جدّه نحوه، كما في الإصابة (١/ ٤٥٤)، وقال: قال ابن منده: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. إهـ.

---

(١) النظارة: الذين ينظرون إلى القتال ولا يشتركون فيه.

(٢) سهم غريب: طائش.

(٣) هبلت: ثكلت، وقد استعاره ههنا لفقد الميز والعقل مما أصابها من الثكل بولدها كأنه قال: أفقدت عقلك لفقد ابنك حتى جعلت الجنان جنة واحدة. ؟

أبو طلحة وأم سليم عند فقد ولدهما:

وأخرج البزار عن أنس رضي الله عنه قال: جاءت أم سُليم رضي الله عنها إلى أبي أنس فقالت: جئت اليوم بما تكره، فقال: لا تزالين تجيئين بما أكره من عند هذا الأعرابي، قالت: كان أعرابياً اصطفاه الله واختاره وجعله نبياً، قال: ما الذي جئت به؟ قالت: حُرمت الخمر، قال: هذا فراق بيني وبينك، فمات مشركاً، وجاء أبوطلحة رضي الله عنه إلى أم سليم قالت: لم أكن لأتزوجك وأنت مشرك، قال: لا والله ما هذا دهرك[1]، قالت: فما دهري ؟ قال: دهرك في الصفراء والبيضاء[2]، قالت: فإني أشهدك واشهد نبيَّ الله ﷺ أنك إن أسلمت فقد رضيت بالإسلام منك، قال: فمن لي بهذا ؟ قالت: يا أنس قم فانطلق مع عمك، فقام، فوضع يده على عاتقي فانطلقنا حتى إذا كنا قريباً من نبي الله ﷺ فسمع كلامنا، فقال: «**هذا أبوطلحة بين عينيه عزة الإسلام**» فسلم على نبي الله ـ ﷺ ـ فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فزوّجه رسول الله ﷺ على الإسلام، فولدت له غلاماً، ثم إن الغلام دَرَج[3] وأعجب به أبوه، فقبضه الله تبارك وتعالى، فجاء أبو طلحة فقال: ما فعل ابني. يا أم سُليم؟ قالت: خير ما كان، فقالت: ألا تتغدّى قد أخَّرتُ غداك اليوم؟ قال: فقدمت إليه غداءه، فقلت: يا أبا طلحة، عارية استعارها قوم وكانت العارية عندهم ما قضى الله، وإن أهل العارية أرسلوا إلى عاريتهم فقبضوها ألهم أن يجزعوا ؟ قال: لا ، قالت: فإن ابنك قد فارق الدنيا، قال: فأين هو؟ قالت: ها هو ذا في المخدع، فدخل فكشف عنه واسترجع[4]، فذهب إلى رسول الله فحدّثه بقول أم سُليم فقال: «**والذي بعثني بالحق، لقد قذف الله تبارك وتعالى في رحمها ذكراً لصبرها على ولدها**» قال: فوضعته، فقال نبي الله ﷺ : «**اذهب يا أنس إلى أمك فقل لها: إذا قطعت سَرَرَ[5] ابنك فلا تذيقيه شيئاً حتى ترسلي به إليّ**» قال: فوضعته على ذراعي حتى أتيت به رسول الله ﷺ فوضعته بين يديه، فقال: «**ائتني بثلاث تمرات عجوة**» قال: فجئت بهن فقذف نواهن ثم قذفه في فيه فلاكه، ثم فتح فا الغلام فجعله في فيه، فجعل يتلمظ فقال: «**أنصاري يحب التمر**»، فقال: «**اذهب إلى أمك فقل: بارك الله لك فيه وجعله**

---

(١) دهرك: أي همتك وإرادتك.

(٢) الصفراء والبيضاء: الذهب والفضة.

(٣) درج: مشى.

(٤) قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون».

(٥) السرة: ما تقطعه القابلة من السرة.

براً تقياً. قال الهيثمي(٩/ ٢٩١): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، غير أحمد بن منصور الرمادي وهو ثقة، وفي رواية للبزار أيضاً قالت له: أتزوجك وأنت تعبد خشبة جرها عبدي فلان؟! ـ فذكر الحديث ورجاله رجال الصحيح ـ انتهى، وأخرجه ابن سعد (٨/ ٣١٦) عن أنس بدون ذكر قصة إسلام أبي طلحة.

وعند البخاري (٢/ ٨٢٢) عن أنس رضي الله عنه قال: كان ابن لأبي طلحة رضي الله عنه يشتكي، فخرج أبو طلحة فقُبض الصبي، فلما رجع أبو طلحة قال: ما فعل ابني؟ قالت أم سُليم: هو أسكن ما كان، فقربت إليه العشاء فتعشى، ثم أصاب منها، فلما فرغ قالت: واروا الصبي، فلما أصبح (أتى) أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: «**أعرستم الليلة ؟**» قال: نعم، قال: **اللهم بارك لهما** فولدت غلاماً، قال لي أبو طلحة: احفظه حتى تأتي به النبي ﷺ، فأتى به النبي ﷺ: وأرسلت معه بتمرات فأخذه النبي ﷺ فقال: «**أمعه شيء؟**» قالوا: نعم تمرات، فأخذها النبي ﷺ فمضغها، ثم أخذها من فيه فجعلها في فيِّ الصبي وحنكه به وسمَّاه عبد الله. وفي رواية أخرى عنده (١/ ١٧٤): فقال رسول الله ﷺ: «**لعل الله أن يبارك لهما في ليلتهما**» قال سفيان: فقال رجل من الأنصار: فرأيت (لهما) تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن.

هاجر أم إسماعيل:

التقية الورعة التي كانت عوناً لزوجها على تنفيذ أمر الله سبحانه وتعالى.

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: جاء إبراهيم عليه السلام بأم إسماعيل «هاجر» وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة «شجرة» فوق زمزم من أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعها هناك، ووضع عندها جراباً «كيساً» فيه تمر، وسقاءً فيه ماء.

ثم قفى «رجع» إبراهيم عليه السلام منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟!

قالت له ذلك مراراً، فلم يلتفت إليها !!

هاجر: آلله أمرك بهذا ؟

إبراهيم: نعم.

هاجر: إذن لا يضيعنا.

فانطلق إبراهيم عليه السلام حتى كان عند الثنية «مكان بمكة» حيث لا يرونه ثم استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهذه الدعوات فرفع يديه يقول:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم: ٣٧).

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى نفد ما في السقاء فعطشت وعطش ولدها فجعلت تنظر إليه يتلوى، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً ؟فلم تر أحداً، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها «ثوبها» ثم سعت سعي الإنسان المجهد «المتعب» حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً، فلم تر أحداً،فعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس رضي الله عنهما إن رسول الله ﷺ قال: «فذلك سعي الناس بينهما».

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صه!!ـ تريد نفسها ـ ثم تسمّعت فسمعت أيضاً. فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فأغث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم،فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتعدل بيدها هكذا، وجعلت تغرف بسقائها وهو يفور بعدما تغرف فشربت وأرضعت ولدها.

فقال لها الملك: لا تخافوا ضيعة «هلاكاً» فإن ههنا بيتاً لله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله.

وربت هاجر في جانب البيت إسماعيل عليه السلام الصابر التقي البار حتى بلغ السعي، فإذا بإبراهيم عليه السلام يأتي ليذبح ولده مصداقاً لرؤيا رآها، فعلم أنها إشارة من الله بالامتحان بذبح إسماعيل فجاء لذلك:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾(الصافات: ١٠٢).

يا لروعة الإيمان والطاعة والتسليم.

هذا إبراهيم الشيخ المقطوع من الأهل والقرابة، المهاجر من الوطن والأرض يأتي ليطيع أمر الله بذبح ولده، وها هي ذي الأم الصابرة الوحيدة في هذا المكان تصبر وتطيع الله وتعين زوجها على طاعة الله سبحانه،وها هو ذا الولد الصغير يعرف مراد الأب فيأمر الأب بإطاعة الله سبحانه.

قال أبو هريرة: لما رأى إبراهيم ذبح ولده قال الشيطان: إن لم أفتن هؤلاء عند هذه لم أفتنهم أبداً، فخرج إبراهيم عليه السلام بابنه فدخل الشيطان على أمه فقال لها: أين ذهب إبراهيم بابنك؟ قالت: غدا به لبعض حاجته، قال: فإنه لم يغد به لبعض حاجته، إنما ذهب به ليذبحه، قالت: ولم يذبحه؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك، قالت: فقد أحسن أن يطيع ربه، فذهب الشيطان في أثرهما فقال للغلام: أين يذهب بك أبوك؟ قال: لبعض حاجته، قال: فإنه يذهب بك ليذبحك. قال: ولم يذبحني؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك قال: فوالله لئن كان الله أمره بذلك ليفعلن. قال: فيئس منه وتركه، ولحق بإبراهيم عليه السلام فقال له مثل ما قال لهما، فقال إبراهيم: لئن كان الله أمرني بذلك لأفعلن، فيئس الشيطان منهم(١).

صبر عجيب وطاعة وإعانة على أمر الله من زوجة مؤمنة وولد تقي تربى تربية سليمة إيمانية.

وشب إسماعيل وتعلم العربية، وماتت أمه وتزوج إسماعيل، وجاء إبراهيم يسأل عنه فوجد عنده زوجة ليست صالحة شاكرة معينة، فأمره بفراقها، ففعل. قال الرواة: جاء إبراهيم بعد زواج إسماعيل يطالع أحوال ولده فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يصيد لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بشرٍّ حال، نحن في ضيق وشدة، وشكت إليه !!

قال إبراهيم لها: فإذا جاء زوجك فأقرئيه السلام، وقولي له: يغير عتبة بابه «كناية عن الطلاق».

فلما جاء إسماعيل سألها: هل جاءكم من أحد ؟ قالت زوجته: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا «وصفته له» فسألنا عنك، فأخبرته فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنَّا في جهد وشدة، فقال لها إسماعيل: فهل أوصاك بشيء؟ قالت زوجته: نعم أمرني أن أقرئك السلام، ويقول لك: «غير عتبة بابك».

فقال إسماعيل: هذا أبي، وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك فطلقها، وتزوج امرأة أخرى.

وجاء إبراهيم عليه السلام بعد مدة فلم يجد إسماعيل، فقال لامرأته، أين إسماعيل وكيف أنتم؟ فقالت له: ذهب يصيد لنا، ونحن بخير وسعة، ألا تنزل

(١) انظر في ذلك: تفسير ابن كثير ١٧/ ٤.

فتطعم وتشرب ؟

فقال إبراهيم: وما طعامكم وما شرابكم؟ قالت: طعامنا اللحم وشرابنا الماء.

فقال إبراهيم: اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم، ثم قال لها: إذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه.

وجاء إسماعيل وسأل: هل أتاكم من أحد؟ فقالت له الزوجة: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة واثنت عليه فسألني عنك فأخبرته أنا بخير. فقال إسماعيل: فهل أوصاك بشيء؟ فقالت: نعم: يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك. قال إسماعيل: هذا أبي وأنت العتبة أمرني أن أثبتك وأمسكك.

وجد إبراهيم عليه السلام في الزوجة الأولى، أنها ليست شاكرة ولا قانعة ولا هي التي تصلح أن تكون وراء نبي أو رجل يجاهد في الحياة وتصبر معه في الضراء فأمره بطلاقها، ووجد في الزوجة الثانية الشاكرة العظيمة البارة، القدرة على ذلك فأمره بإمساكها، ولعل الأولى كانت هي سبب الضنك ولعل الثانية كانت هي سبب السعة والرخاء والعون.

الهدف السابع: تنشئته على قيم الإسلام وحسن الخلق

ولا شك أن الإنسان يأخذ من بيته ويتعلم من أسرته وأبويه، ثم من مخالطيه وزملائه، وصدق رسول الله ﷺ حين يقول: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**».

ومن العوامل الكبرى التي تؤدي إلى انحراف الولد، وإلى فساد خلقه، وانحلال شخصيته: تخلي الأبوين عن إصلاحه، وانشغالهما عن توجيهه وتربيته.

وعلينا ألا نغفل دور الأم في حمل الأمانة، والقيام بواجب المسؤولية تجاه من ترعاهم، وتقوم على تربيتهم، وتشرف على إعدادهم وتوجيههم. ورحم الله من قال:

الأم مدرســة إذا أعددتها ... أعددت شعباً طيب الأعراق

فالأم في تحمل المسؤولية كالأب سواء بسواء، بل مسؤوليتها أهم وأخطر، باعتبار أنها ملازمة لولدها منذ الولادة إلى أن يشب ويترعرع، ويبلغ السن التي تؤهله ليكون إنسان الواجب، ورجل الحياة. والرسول صلوات الله وسلامه عليه قد أفرد الأم

بتحمل المسؤولية حين قال: «والأم راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها».

وما ذاك إلا لإشعارها بالتعاون مع الأب في إعداد الجيل، وتربية الأبناء، وإذا قصرت الأم في الواجب التربوي نحو أولادها، لانشغالها مع معارفها وصديقاتها واستقبال ضيوفها، وخروجها من بيتها، وإذا أهمل الأب مسؤولية التوجيه والتربية نحو أولاده، لانصرافه وقت الفراغ إلى اللهو وارتياد المقاهي مع الأصحاب والخلان. فلاشك أن الأبناء سينشأون نشأة اليتامى، ويعيشون عيشة المشردين، بل سيكونون سبب فساد، وأداة إجرام للأمة بأسرها.

ولله درّ من قال:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من　　همِّ الحياة وخلفاه ذليلاً
إن اليتيم هو الذي تلقى له　　أماً تخلت أو أباً مشغولاً

فماذا تنتظر من أولاد، آباؤهم وأمهاتهم على هذه الحال من الإهمال والتقصير ؟!

فحتماً لا ننتظر منهم إلا الانحراف، ولا نتوقع إلا الإجرام، لانشغال الأم عن رعاية الولد وتربيته، وإهمال الأب واجب تأديبه ومراقبته.

ويزداد الأمر سوءاً عندما يقضي الأبوان جلّ وقتهما في حياة الإثم والغواية، ويتقلبان في أتون الشهوات والملذات، ويتخبطان في طريق الانحلال والإباحية.

فلاشك أن انحراف الولد يكون أبلغ وأخطر، وتدرجه في الإجرام يكون آكد وأعظم.

ورحم الله من قال:

وليس النبت ينبت في جنان　　كمثل النبت ينبت في الفلاة
وهل يرجى لأطفال كمالٌ　　إذا ارتضعوا ثُديَّ الناقصات؟

والإسلام في دعوته إلى تحمل المسؤوليات، حمل الآباء والأمهات مسؤولية كبرى في تربية الأبناء، وإعدادهم الإعداد الكامل لحمل أعباء الحياة ؛ وتهددهم بالعذاب الأكبر إذا هم فرطوا وقصروا وخانوا:

﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم: ٦).

والرسول صلوات الله وسلامه عليه قد أكد في أكثر من أمر، وأكثر من وصية ضرورة العناية بالأولاد، ووجوب القيام بأمرهم، والاهتمام بتربيتهم.

وإليكم طائفة من أوامره وتوجيهاته:

«...والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها..» (رواه البخاري ومسلم).

«أدبوا أولادكم وأحسنوا أدبهم»(رواه ابن ماجه).

«علموا أولادكم وأهليكم الخير وأدبوهم» (رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصور).

«مروا أولادكم بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي، فذلك وقاية لهم من النار» (رواه ابن جرير).

«أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحبِّ آل بيته، وتلاوة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل عرش الله، يوم لا ظل إلا ظله» (رواه الطبراني).

والوسائل المعينة على تحقيق هذا الهدف كثيرة نوجز منها ما يلي:

١ـ النصيحة.

٢ـ الموعظة الحسنة.

٣ـ الاصطحاب في أداء الواجبات الاجتماعية.

٤ـ الاصطحاب إلى الحج والعمرة والأسفار.

٥ـ التكليف بأداء الواجبات الاجتماعية وتوكيله في القيام بها.

الهدف الثامن: تأهيله لحمل أمانة الدعوة إلى الإسلام والذود عنه وعن المسلمين

فلابد أن يعلم الشباب أن لهم هوية في الحياة، وأن لهم غاية في الدنيا، وأن لهم رسالة في الأرض تسير بفكرة، وتعمل لهدف، والشباب هم ساعدها القوي، وعقلها النابه وعزمها الفتي، وغلمان الأمة لابد أن يدرَّبوا على جلائل الأعمال استعداداً للقيام بالأدوار المهمة التي تنتظرهم في الحياة، والتي لابد أن يكونوا أهلاً لها.

فإن أردت ـ أخي المربي ـ أن يكون ولدك جندياً من جنود الإسلام، وداعية من دعاة الحق.. فما عليك إلا أن تربط ولدك بدعاة صادقين، وهداة مخلصين.. منهم

يستمد عزم الإيمان، وبواسطتهم يندفع نحو الجهاد، وبإعدادهم ينطلق في ميادين الدعوة إلى الله.. حتى إذا تخرج على أيديهم، وامتطى صهوة الجهاد الدعوي، قام بالدور الكبير في الإنقاذ، والهداية، والإصلاح والتبليغ.. دونما إهمال أو تواكل أو تقصير.. فما أحوج ديننا الإسلامي إلى أولاد يرضعون لبان الدعوة الإسلامية منذ نعومة أظفارهم، ويستظلون في ظلال العمل الحركي، والجهاد التبليغي وهم لم يبلغوا الحُلُمُ بعد؛ حتى إذا بلغوا السن التي تؤهلهم لحمل الرسالة الإسلامية الخالدة.. انطلقوا في مجاهل الأرض، يمدنون الأمم، ويكرمون الإنسان، وينشرون المعرفة، وينصرون الحق، ويدعون إلى الهدى، ويملؤون الأرض عدلاً وأمناً واستقراراً..

انطلقوا في مضمار الدعوة والجهاد غير هيابين ولا وجلين.. يبلغون رسالات ربهم ولا يخشون أحداً إلا الله.. حتى يصلوا في نهاية المطاف إلى تحكيم شريعة الله، وإقامة دولة الإسلام، واستعادة ما بناه الأوائل من مجد شامخ، وعزة منيعة، ودولة كبيرة واسعة لا تغيب عن أرضها الشمس!!.. وما ذلك على الله بعزيز.

أمثلة ونماذج على مر العصور

١- غلام الأخدود قدوة للأطفال:

روى مسلم عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت، فابعث إليّ غلاماً أعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه وكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه فسمع كلامه فأعجبه وكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب: فقال إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو على ذلك إذ أتى على دابة عظيمة[١] قد حبست الناس فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس[٢] فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني، أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتُليت فلا تدل عليّ، وكان الغلام يبرئ الأكمه ـ من ولد أعمى ـ**

(١) في رواية عبد الرزاق ـ أسد.

(١) في رواية عبد الرزاق: فقال الناس: قد علم هذا الغلام علماً لم يعلمه أحد.

والأبرص ـ من بجسمه بياض، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع بذلك جليس للملك ـ وكان قد عمي ـ فأتاه بهدايا كثيرة،فقال: ماها هنا لك أجمع إن أنت شفيتني،فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله تعالى، فإن آمنت بالله تعالى دعوت الله فشفاك، فآمن بالله تعالى فشفاه الله تعالى، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي،قال:أولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله تعالى، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيئ بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه. ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه بها حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك ؟ فقال: كفانيهم الله تعالى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور (وهو السفينة الصغيرة) وتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك، فقال ما فعل أصحابك؟ فقال له: كفانيهم الله فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل: بسم الله رب هذا الغلام، ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهماً من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: بسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه ـ أي ما بين العين إلى شحمة الأذن ـ فمات فقال الناس: آمنا برب الغلام، فأتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر، قد ـ والله ـ نزل بك حذرك، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود بأفواه السكك ـ الطرق ـ فخدّت ـ شقت ـ وأضرم فيها النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها أو قيل له: اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها [illegible] فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام:

يا أماه ، اصبري، فإنك على الحق»[1] وفي رواية عبد الرزاق قال: **«فذلك قول الله ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾(البروج:٥)حتى بلغ ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾- قال فأما الغلام فإنه دفن، قال: فيذكر أنه خرج في زمن عمر بن الخطاب وأصبعه على صدغه كما كان وضعها»**.

٢ـ الأمهات يشجعن أطفالهن على الجهاد:

روى ابن أبي شيبة عن الشعبي: أن امرأة دفعت إلى ابنها يوم أحد السيف فلم يطق حمله، فشدته على ساعده بنسعة، ثم أتت به النبي -ﷺ- فقالت: يا رسول الله، هذا ابني يقاتل عنك، فقال النبي -ﷺ- **«أي بُني،احمل هاهنا، أي بني احمل هاهنا»** فأصابته جراحة فأتي به النبيﷺ فقال: **«أي بني، لعلك جزعت»** قال: لا يا رسول الله.

٣ـ الأمهات يفرحن باستشهاد أطفالهن:

أخرج أحمد والبخاري عن أنس رضي الله عنه أن حارثة بن الربيع جاء يوم بدر نظاراً وكان غلاماً، فجاء سهم غرب فوقع في ثغرة نحره فقتله، فجاءت أمه الربيع فقالت: يا رسول الله، قد علمت مكانة حارثة مني، فإن كان من أهل الجنة فأصبر وإلا فيرى الله ما أصنع، فقال يا أم حارثة ! إنها ليست بجنة واحدة، ولكنها جنان كثيرة، وإنه في الفردوس الأعلى[2].

٤ـ قصة صاحبة الشكال:

وحكاية أبي قدامة مع المرأة التي ضفرت شعرها شكالاً للفرس في سبيل الله مشهورة، حكاها جماعة، منهم أحمد بن الجوزي الدمشقي في كتابة المسمى بسوق العروس وأنس النفوس.

فحكى أنه كان بمدينة رسول اللهﷺ رجل يقال له: أبو قدامة الشامي، وكان

---

(١) علق لي على موقف الأم هذه فضيلة الشيخ عبد العزيز عيون السود شيخ القراء رحمه الله تعالى عندما قدمت إليه البحث لينظر فيه فوضع على الهامش (تقديم أمر الله على رحمة الولد). قال حبيب الرحمن الأعظمي، معلقاً على مصنف عبد الرزاق وأخرجه الترمذي وأحمد ومسلم رقم ٣٠٠٥ .

(٢) ورواه ابن سعد وابن خزيمة والطبراني، انظر: صحيح الجامع رقم ٧٨٥٣ .

قد حبب الله إليه الجهاد في سبيل الله تعالى والغزو إلى بلاد الروم، فجلس يوماً في مسجد رسول الله ﷺ يتحدث مع أصحابه فقالوا له: يا أبا قدامة، حدثنا بأعجب ما رأيته في الجهاد قال: نعم، إني دخلت في بعض السنين، الرقة[1] أطلب جملاً أشتريه ليحمل سلاحي، فبينما أنا يوماً جالس، إذ دَخَلَتْ عليَّ امرأة فقالت: يا أبا قدامة سمعتك وأنت تحدث عن الجهاد وتحث عليه وقد رزقت من الشَّعر ما لم يرزقه غيري من النساء، وقد قصصته وأصلحت منه شكالاً للفرس وعفرته بالتراب لئلا ينظر إليه أحد، وقد أحببت أن تأخذه معك فإذا صرت في بلاْد الكفار وجالت الأبطال ورميت النبال وجردت السيوف وشرعت الأسنة، فإن احتجت إليه وإلا فادفعه إلى من يحتاج إليه ليحضر شعري ويصيبه الغبار في سبيل الله فأنا امرأة أرملة[2] كان لي زوج وعصبة[3] كلهم قتلوا في سبيل الله.

ولو كان عليَّ جهادٌ لجاهدت قال: وناولتني الشكال.

وقالت: اعلم يا أبا قدامة أن زوجي لما قتل خلف لي غلاماً من أحسن الشباب وقد تعلم القرآن والفروسية والرمي عن القوس، وهو قوّام بالليل صوّام بالنهار، له من العمر خمس عشرة سنة، وهو غائب في ضيعة خلفها له أبوه، فلعله يقدم قبل مسيرك فأوجهه معك هدية إلى الله عز وجل، وأنا أسألك بحرمة الإسلام لا تحرمني ما طلبت من الثواب، قال: فأخذت الشكال منها فإذا هو مضفور من شعر رأسها، فقالت: ألقه في بعض رحلك وأنا أنظر إليه ليطمئن قلبي، قال: فطرحته في رحلي وخرجت من الرقة ومعي أصحابي، فلما صرنا عند حصن مسلمة بن عبد الملك إذا بفارس يهتف من ورائي: يا أبا قدامة، قف عليَّ قليلاً يرحمك الله فوقفت وقلت لأصحابي: تقدموا أنتم حتى أنظر من هذا، وإذا بالفارس قد دنا مني وعانقني، وقال: الحمد لله الذي لم يحرمني صحبتك ولم يردني خائباً، قلت: حبيبي، أسفر لي عن وجهك، فإن كان يلزم مثلك غزو أمرتك بالمسير، وإن لم يلزمك غزو رددتك، فأسفر عن وجهه فإذا غلام كأنه القمر ليلة البدر وعليه آثار النعمة قلت: حبيبي، لك والد؟ قال لا، بل أنا خارج معك أطلب ثأر والدي، لأنه استشهد، فلعل الله أن

(١) الرقة: بفتح أوله وثانيه، وتشديده، مدينة مشهورة على الفرات. انظر: معجم البلدان: ٣/ ٥٨-٥٩ .

(٢) يقال للمرأة التي لا زوج لها: أرملة، لافتقارها إلى من ينفق عليها، قال الأزهري: لا يقال لها: أرملة، إلا إذا كانت فقيرة فإن كانت موسرة، فليست بأرملة. انظر: المصباح: ص ٢٣٩ .

(٣) العصبة من الرجال: نحو العشرة، أو إلى الأربعين. انظر: المصباح: ص ٤١٣ .

يرزقني الشهادة كما رزق أبي، قلت: حبيبي، لك والدة ؟ قال: نعم، قلت: اذهب إليها واستأذنها فإن أذنت وإلا فأقم عندها، فإن طاعتك لها أفضل من الجهاد، لأن الجنة تحت ظلال السيوف(١) وتحت أقدام الأمهات(٢).

قال: يا أبا قدامة، أما تعرفني؟ قلت: لا، قال: أنا ابن صاحبة الوديعة، ما أسرع ما نسيت وصية أمي صاحبة الشكال، وأنا إن شاء الله الشهيد ابن الشهيد، سألتك بالله لا تحرمني الغزو معك في سبيل الله، فإني حافظ لكتاب الله، عارف بسنة رسول الله، عارف بالفروسية والرمي، وما خلفت ورائي أفرس مني، فلا تحقرني لصغر سني، وإن أمي قد أقسمت عليَّ الا ارجع، وقالت: يا بني إذا لقيت الكفار فلا تولهم الدبر، وهب نفسك لله واطلب مجاورة الله ومجاورة أبيك مع أخوالك الصالحين في الجنة، فإذا رزقك الله الشهادة فاشفع فيَّ، فإنه قد بلغني أن الشهيد يشفع في سبعين من أهله، وسبعين من جيرانه، ثم ضمتني إلى صدرها، ورفعت رأسها إلى السماء، وقالت: إلهي وسيدي ومولاي، هذا ولدي، وريحانة قلبي، وثمرة فؤادي، سلمته إليك فقربه من أبيه.

قال: فلما سمعت كلام الغلام، بكيت بكاءً شديداً أسفاً على حسنه، وجمال شبابه، ورحمة لقلب والدته، وتعجباً من صبرها عنه، فقال: يا عم مم بكاؤك؟ إن كنت تبكي لصغر سني، فإن الله يعذب من هو أصغر مني إذا عصاه، قلت: لم أبك لصغر سنك، ولكن أبكي لقلب والدتك، كيف تكون بعدك! قال: فسرنا ونزلنا تلك الليلة، فلما كان الغداة رحلنا، والغلام لا يفتر من ذكر الله تعالى، فتأملته، فإذا هو أفرس منا إذا ركب، وخادمنا إذا نزلنا منزلاً، وصار كلما سرنا يقوى عزمه، ويزداد نشاطه، ويصفو قلبه، وتظهر علامات الفرح عليه.

قال: فلم نزل سائرين حتى أشرفنا على ديار المشركين عند غروب الشمس، فنزلنا فجلس الغلام يطبخ لنا طعاماً لإفطارنا، وكنا صياماً فغلبه النعاس فنام نومة طويلة فبينا هو نائم إذ تبسم في نومه، فقلت لأصحابي: الا ترون إلى ضحك هذا الغلام في نومه؟ فلما استيقظ، قلت: حبيبي رأيتك الساعة تبتسم في منامك ضاحكاً قال: رأيت رؤيا فأعجبتني وأضحكتني، قلت: ما هي؟ قال: رأيت كأني في روضة خضراء

---

(١) اقتباس من حديث تقدم تخريجه برقم ١٧٠ .

(٢) اقتباس من حديث تقدم تخرجه برقم ١٧١ .

أنيقة[١]، فبينما أنا أجول فيها، إذ رأيت قصراً من فضة شُرَفه من الدر والجوهر، وأبوابه من الذهب، وستوره مرخية، وإذا الجواري يرفعن الستور، وجوههن كالأقمار، فلما رأينني، قلن لي: مرحباً بك، فأردت أن أمد يدي إلى إحداهن، فقالت: لا تعجل، ما آن لك، ثم سمعت بعضهن يقول لبعض: هذا زوج المرضية، فقلن لي: تقدم يرحمك الله، فتقدمت أمامي، فإذا في أعلى القصر غرفة من الذهب الأحمر عليها سرير من الزبرجد الأخضر، قوائمه من الفضة البيضاء عليه جارية وجهها كأنه الشمس، لولا أن الله ثبت عليَّ بصري لذهب، وذهب عقلي، من حسن الغرفة وبهاء الجارية، قال: فلما رأتني الجارية، قالت مرحباً وأهلاً وسهلاً يا ولي الله وحبيبه، أنت لي وأنا لك، فأردت أن أضمها إلى صدري، فقالت: مهلا لا تعجل، فإنك بعيد من الخنا[٢]، وإن الميعاد بيني وبينك غداً عند صلاة الظهر، فأبشر، قال أبو قدامة: فقلت له: حبيبي رأيت خيراً وخيراً يكون.

ثم بتنا متعجبين من منام الغلام، فلما أصبحنا تبادرنا فركبنا خيولنا، فإذا المنادي ينادي يا خيل الله اركبي[٣]، وبالجنة أبشري: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً﴾(التوبة: ٤١)، فما كان إلا ساعة وإذا جيش الكُفْر ـ خذله الله ـ قد أقبل كالجراد المنتشر فكان أول من حمل منا فيهم الغلام، فبدد شملهم وفرق جمعهم وغاص في وسطهم، فقتل منهم رجالاً وجندل أبطالاً، فلما رأيته كذلك، لحقته فأخذت بعنان فرسه، وقلت: يا حبيبي ارجع فأنت صبي ولاتعرف خدع الحرب، فقال ياعم: ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾(الأنفال: ١٥)، أتريد أن أدخل النار؟.

فبينا هو يكلمني إذ حمل علينا المشركون حملة رجل واحد، فحالوا بيني وبين الغلام ومنعوني منه، واشتغل كل واحد بنفسه، وقتل خلق كثير من المسلمين، فلما افترق الجمعان، إذا القتلى لا يحصون عدداً، فجعلت أجول بفرسي بين القتلى، ودماؤهم تسيل على الأرض، ووجوههم لا تعرف من كثرة الغبار والدماء.

فبينا أنا أجول بين القتلى، إذا أنا بالغلام بين سنابك الخيل، قد علاه التراب وهو يتقلب في دمه ويقول: يا معشر المسلمين، بالله ابعثوا لي عمي أبا قدامة، فأقبلت إليه عندما سمعت صياحه، فلم أعرف وجهه لكثرة الدماء والغبار ودوس[٤] الدواب،

(١) أي عجيبة. المصباح: ص ٢٦.

(٢) وخنا خنواً: أفحش. القاموس المحيط: ٤/ ٣٢٦، الطبعة الثالثة، المطبعة المصرية.

(٣) هذا على حذف المضاف، أراد: يا فرسان خيل الله اركبي. النهاية: ٢/ ٩٤.

(٤) الدوس: الوطء بالرجل، القاموس المحيط: ٢/ ٢١٧ ط٣.

فقلت: ها أنا أبو قدامة، قال: ياعم صدقت الرؤيا ورب الكعبة، أنا ابن صاحبة الشكال، فعندها رميت بنفسي عليه فقبلت بين عينيه، ومسحت التراب والدم عن محاسنه، وقلت: يا حبيبي، لا تنس عمك أبا قدامة، اجعله في شفاعتك يوم القيامة، فقال: مثلك لا يُنسى، تمسح وجهي بثوبك؟ ثوبي أحق به من ثوبك، دعه يا عم حتى ألقى الله تعالى به، يا عم هذه الحور التي وصفتها لك قائمة على رأسي، تنتظر خروج روحي، وتقول لي: عجل فأنا مشتاقة إليك.

بالله يا عم إن ردك الله سالماً، فتحمل ثيابي هذه المضمخة بالدم لوالدتي المسكينة الثكلى الحزينة، وتسلمها إليها، لتعلم أني لم أضيع وصيتها، ولم أجبن عند لقاء المشركين، واقرأ مني السلام عليها، وقل لها: إن الله قد قبل الهدية التي أهديتها، ولي يا عم أخت صغيرة، لها من العمر عشر سنين، كنت كلما دخلت استقبلتني تسلم علي، وإذا خرجت تكون آخر من يودعني، وإنها ودعتني عند مخرجي هذا، وقالت لي: بالله يا أخي لا تبطئ عنا، فإذا لقيتها فاقرأ غليها مني السلام، وقل لها: يقول لك أخوك: الله خليفتي عليك إلى يوم القيامة، ثم تبسم وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، ثم خرجت روحه، فكفنّاه في ثيابه، وواريناه رضي الله عنه وعنا به.

قال أبو قدامة: فلما رجعنا من غزوتنا تلك ودخلنا الرقة، لم تكن لي همة إلا دار أم الغلام، فإذا جارية تشبه الغلام في حسنه وجماله، وهي قائمة بالباب، وكل من مر بها تقول: يا عم، من أين جئت ؟فيقول: من الغزاة، فتقول: أما رجع معكم أخي؟ فيقولون: لا نعرفه، فلما سمعتها تقدمت إليها،فقالت لي: يا عم من أين جئت؟ قلت: من الغزو قالت: أما رجع معكم أخي، ثم بكت وقالت: ما بالي أرى الناس يرجعون، وأخي لم يرجع؟! فغلبتني العَبرة، ثم تجلدت خشية على الجارية.

ثم قلت لها: يا جارية، قولي لصاحبة المنزل: كلمي أبا قدامة فإنه على الباب، فسمعت المرأة كلامي، فخرجت إليَّ وقد تغير لونها، فسلمت عليها، فردت السلام وقالت: أمبشراً أنت يا أبا قدامة أم معزياً؟، قلت: بيني لي البشارة من التعزية رحمك الله، قالت: إن كان ولدي رجع سالماً فأنت معزٍّ، وإن كان قتل في سبيل الله فأنت مبشر، فقلت: أبشري فقد قبل الله هديتك، فبكت وقالت: قبلها؟ قلت: نعم، فقالت: الحمد لله الذي جعله ذخيرة لي يوم القيامة.

قلت: فما فعلت الجارية أخت الغلام؟ قالت: هي التي كانت تكلمك الساعة، فتقدمت إلي، فقلت لها: إن أخاك يسلم عليك ويقول لك: الله خليفتي عليك إلى يوم القيامة، فصرخت وخرت على وجهها مغشياً عليها، فحركتها بعد ساعة، فإذا هي ميتة، فتعجبت من ذلك ثم سلمت ثياب الغلام التي كانت معي لأمه، وودعتها، وانصرفت حزيناً على الغلام والجارية، ومتعجبا من صبر أمهما.

٥ـ الأطفال يقتلون الطغاة أعداء رسول الله ﷺ

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: إني لواقف يوم بدر في الصف نظرتُ عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين حديثة أسنانهما من الأنصار فتمنيت أن أكون بين أضلع منهما فغمزني أحدهما فقال: يا عم، هل تعرف أبا جهل؟ قال: قلت نعم،وما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: إني خُبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لو رأيته لا يُفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجلُ، قال: فتعجبت من ذلك فغمزني الآخر فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يزول في الناس، فقلت لهما: الا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه، فابتدراه فضرباه بسيفيهما حتى قتلاه ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: «أيكما قتله؟» قال كل واحد منهما: أنا قتلته، قال: «مسحتما سيفيكما؟» قالا: لا، فنظر في السيفين، قال: «كلاكما قتله» فقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، واسم الآخر معاذ بن عفراء (رواه البخاري) ومسلم وأبو يعلى في مسنده ٢/ ١٧٠ بسند صحيح.

٦ـ الأطفال يبكون ويتوارون حتى يخرجوا للجهاد:

روى ابن عساكر عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: رد رسول الله ﷺ عمير بن أبي وقاص عن مخرجه إلى بدر واستصغره، فبكى عمير رضي الله عنه فأجازه، قال سعد: فعقدت عليه حمالة سيفه ولقد شهدت بدراً، وما في

وجهي إلا شعرة واحدة أمسحها بيدي(١).

وروى ابن سعد عن سعد رضي الله عنه قال: رأيت أخي عمير بن أبي وقاص رضي الله عنه قبل أن يعرضنا رسول الله ـ ﷺ ـ يوم بدر يتوارى فقلت: مالك يا أخي؟ قال: إني أخاف أن يراني رسول الله ـ ﷺ ـ فيستصغرني فيردني، وأنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقني الشهادة. فكان سعد رضي الله عنه يقول: فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة(٢).

وروى الحاكم في مستدركه ٢/٥٩ ـ وقال صحيح الإسناد وأقره الذهبي ـ عن زيد ابن حارثة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ **«استصغر ناساً يوم أحد منهم: زيد بن حارثة ـ يعني نفسه ـ والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم وسعد وأبو سعيد الخدري وعبد الله بن عمر، وذكر جابر بن عبد الله»**.

٧ـ الأطفال يطلبون تجهيزهم للجهاد:

أخرج مسلم وأبو داود عن أنس رضي الله عنه أن فتى من أسلم قال: يا رسول الله ـ ﷺ ـ إني أريد الغزو وليس معي ما أتجهز به؟ قال: ائت فلاناً قد كان تجهز فمرض فأتاه، فقال: إن رسول الله ـ ﷺ ـ يقرئك السلام ويقول: أعطني الذي تجهزت به، فقال: يا فلانة: أعطه الذي تجهزت به ولا تحبسي منه شيئاً، فوالله لا تحبسين شيئاً فيبارك لنا فيه.

عن سمرة بن جندب قال: «كان رسول الله ـ ﷺ ـ يعرض علينا من الأنصار فيلحق من أدرك منهم، فعرضت عاماً فألحق غلاماً وردني فقلت يا رسول الله: لقد ألحقته ورددتني ولو صارعته لصرعته، قال: **«فصارعته فصرعته فألحقني»**. قال الحاكم صحيح الإسناد(٣).

٨ـ الآباء يصحبون أطفالهم في المعارك:

أخرج البخاري عن عروة بن الزبير رحمه الله قال: كان في الزبير ثلاث ضربات إحداهن في عاتقه، إن كنت لأدخل أصابعي فيها، ألعب بها وأنا صغير، قال له أصحاب رسول الله ﷺ يوم اليرموك: ألا تشد فنشد معك؟

---

(١) كنز العمال ٥/ ٢٧٠ والحاكم ٣/ ٨٨. (٢) الإصابة ١٣٥.

(٣) انظر: عقود الجواهر المنيفة ٢/ ٩٧.

قال:إن شددت كذبتم،قالوا: لا تفعل،فحمل عليهم حتى شق صفوفهم فجاوزهم وما معه أحد ثم رجع مقبلاً، فأخذ بلجامه، فضربوه ضربتين على عاتقه، بينهما ضربة ضربها يوم بدر، قال عروة:ـ وكان معه عبد الله بن الزبير يوم اليرموك وهو ابن عشر سنين ـ فحمله على فرس ووكل به رجلاً.

وروى ابن جرير في تهذيب الآثار ١/ ٩٤ بسنده عن عبد الله بن الزبير قال: «كنت أنا وعمر بن أبي سلمة في الأطم يوم الخندق فكان يطأطئ فأنظر إلى القتال وأطأطئ له فينظر إلى القتال. فرأيت أبي يجول في السبخة يكر على هؤلاء مرة وعلى هؤلاء مرة فقلت له يا أبه: قد رأيتك تكر في السبخة على هؤلاء مرة وعلى هؤلاء مرة فقال: قد جمع لي رسول الله ـ ﷺ ـ اليوم أبويه(١)».

وفي رواية له: قال هل رأيتني؟ أي بني، قال: نعم،قال: كان رسول الله ـ ﷺ ـ يجمع حينئذ لأبيك أبويه يقول: «احمل فداك أبي وأمي».

بمثل هذا الجهاد ربى الصحابة أطفالهم، لا يعرفون تكاسلاً ولا تثاقلاً إلى الأرض، وإنما يستخدمون شتى الأساليب لكي لا يستصغرهم النبي ـ ﷺ ـ فيردهم،فتارة يبكون، وأخرى يتوارون وثالثة يقفون على رؤوس أصابعهم، كل ذلك ليخرجوا إلى الجهاد في سبيل الله، وينالوا شهادة أخروية لا يعدلها أي شهادة في الدنيا على الإطلاق، وبنوا مستقبلاً زاهراً مشرقاً خالداً أبدياً في جنات عرضها السموات والأرض.

ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

ولهذا خاطب الإمام الشهيد البنا الشباب فقال:

أيها الشباب:

«إنما تنجح الفكرة إذا قوي الإيمان بها، وتوفر الإخلاص في سبيلها، وازدادت الحماسة لها، ووجد الاستعداد الذي يحمل على التضحية والعمل لتحقيقها. وتكاد تكون هذه الأركان الأربعة: الإيمان، والإخلاص، والحماسة، والعمل من خصائص الشباب. لأن أساس الإيمان القلب الذكي، وأساس الإخلاص الفؤاد النقي، وأساس الحماسة الشعور القوي، وأساس العمل العزم الفتي، وهذه كلها لا تكون إلا للشباب.

(١) البخاري، فضائل باب ١٣ ومسلم ٤/ ١٨٨٠ ومسند أحمد ١/ ١٦٤ مع اختلاف في اللفظ وانظر طبقات ابن سعد ٣/ ١٠٦ والبداية ٤/ ١٠٧ ورواه أبو يعلى في مسنده ٢/ ٣٥ بسند صحيح.

ومن هنا كان الشباب قديماً وحديثاً في كل أمة عماد نهضتها، وفي كل نهضة سر قوتها، وفي كل فكرة حامل رايتها ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾(الكهف: ١٣).

ومن هنا كثرت واجباتكم، ومن هنا عظمت تبعاتكم، ومن هنا تضاعفت حقوق أمتكم عليكم، ومن هنا ثقلت الأمانة في أعناقكم، ومنم هنا وجب عليكم أن تفكروا طويلاً، وأن تعملوا كثيراً، وأن تحددوا موقفكم، وأن تتقدموا للإنقاذ، وأن تعطوا الأمة حقها كاملاً من هذا الشباب.

قد ينشأ الشاب في أمة وادعة هادئة، قوي سلطانها واستبحر عمرانها، فينصرف إلى نفسه أكثر مما ينصرف إلى أمته، ويلهو ويعبث وهو هادئ النفس مرتاح الضمير.

وقد ينشأ في أمة مجاهدة عاملة قد استولى عليها غيرها، واستبد بشؤونها خصمها، فهي تجاهد مااستطاعت في سبيل استرداد الحق المسلوب، والتراث المغصوب، والحرية الضائعة والأمجاد الرفيعة، والمثل العالية. وحينئذ يكون من أوجب الواجبات على هذا الشاب أن ينصرف إلى أمته أكثر مما ينصرف إلى نفسه. وهو إذ يفعل ذلك يفوز بالخير العاجل في ميدان النصر، والخير الآجل من مثوبة الله، ولعل من حسن حظنا أن كنا من الفريق الثاني فتفتحت أعيننا على أمة دائبة الجهاد مستمرة الكفاح في سبيل الحق والحرية. واستعدوا يا رجال فما أقرب النصر للمؤمنين وما أعظم النجاح للعاملين الدائبين.

أيها الشباب:

إن الله قد أعزكم بالنسبة إليه والإيمان به والتنشئة على دينه، وكتب لكم بذلك مرتبة الصدارة من الدنيا ومنزلة الزعامة من العالمين وكرامة الأستاذ بين تلامذته: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾(البقرة: ١٤٣).

فأول ما يدعوكم إليه أن تؤمنوا بأنفسكم، أن تعلموا منزلتكم وأن تعتقدوا أنكم سادة الدنيا وإن أراد لكم خصومكم الذل، وأساتذة العالمين وإن ظهر عليكم غيركم بظاهر من الحياة الدنيا والعاقبة للمتقين.

فجددوا أيها الشباب إيمانكم، وحددوا غاياتكم وأهدافكم، وأول القوة الإيمان، ونتيجة هذا الإيمان الوحدة، وعاقبة الوحدة النصر المؤزر المبين، فآمنوا وتآخوا واعلموا وترقبوا بعد ذلك النصر وبشر المؤمنين.

إن العالم كله حائر يضطرب، وكل ما فيه من النظم قد عجز عن علاجه ولا دواء له إلا الإسلام، فتقدموا باسم الله لإنقاذه، فالجميع في انتظار المنقذ، ولن يكون المنقذ إلا رسالة الإسلام التي تحملون مشعلها وتبشرون بها.

أيها الشباب:

إن منهاج الإسلام بالنسبة لنا محدود المراحل واضح الخطوات، فنحن نعلم تماماً ماذا نريد ونعرف الوسيلة إلى تحقيق هذه الإرادة.

١ـ نريد أولاً الرجل المسلم في تفكيره وعقيدته، وفي خلقه وعاطفته، وفي عمله وتصرفه. فهذا هو تكويننا الفردي.

٢ـ ونريد بعد ذلك البيت المسلم في تفكيره وعقيدته وفي خلقه وعاطفته وفي عمله وتصرفه، ونحن لهذا نعني بالمرأة عنايتنا بالرجل، ونعنى بالطفولة عنايتنا بالشباب وهذا هو تكويننا الأسري.

٣ـ ونريد بعد ذلك الشعب المسلم في ذلك كله أيضاً، ونحن لهذا نعمل على أن تصل دعوتنا إلى كل بيت، وأن يسمع صوتنا في كل مكان، وأن تتيسر فكرتنا وتتغلغل في القرى والنجوع والمدن والمراكز والحواضر والأمصار، لا نألو في ذلك جهداً ولا نترك وسيلة.

٤ـ ونريد بعد ذلك الحكومة المسلمة التي تقود هذا الشعب إلى المسجد، وتحمل به الناس على هدي الإسلام من بعد كما حملتهم على ذلك بأصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ أبي بكر وعمر من قبل. ونحن لهذا لا نعترف بأي نظام حكومي لا يرتكز على أساس الإسلام ولا يستمد منه، ولا نعترف به، ولا بهذه الأشكال التقليدية التي أرغمنا أهل الكفر وأعداء الإسلام على الحكم بها والعمل عليها، وسنعمل على إحياء نظام الحكم الإسلامي بكل مظاهره، وتكوين الحكومة الإسلامية على أساس هذا النظام.

٦ـ ثم نريد بعد ذلك أن نضم إلينا كل جزء من وطننا الإسلامي الذي فرقته السياسات الغربية وأضاعت وحدته المطامع الأوروبية.

٧ـ ونريد بعد ذلك أن تعود راية الله خفاقة عالية على تلك البقاع التي سعدت بالإسلام حيناً من الدهر ودوى فيها صوت المؤذن بالتكبير والتهليل، ثم أراد لها نكد الطالع أن ينحسر عنها ضياؤه فتعود إلى الكفر بعد الإسلام.

٨ ـ ونريد بعد ذلك ومعه أن نعلّم دعوة الإسلام للعالم ونبلغها الناس أجمعين.

فهل ترى معي يا أخي أن هذه الرسالة وهذا الهدف لا يتحقق إلا إذا كانت هناك تنشئة إيمانية دعوية جهادية أسرية تزرع بذوراً قوية لتحصد جنىً شهياً؟!.

المرجعية الإسلامية للنظام الأسري

لا شك أن الأساس الذي تقوم عليه الأسرة هو الرجل والمرأة، فمنهما يتكون أساس البناء الذي يتوقف عليه نهضة الأمة وتربية الأجيال الصاعدة، فالزوجان يتعاونان على بناء الأسرة وتحمل المسؤولية، فكل منهما يكمل عمل الآخر، فالمرأة تعمل ضمن اختصاصها، وما يتفق مع طبيعتها وأنوثتها، وذلك بالإشراف على إدارة البيت، والقيام بتربية الأولاد، وصدق من قال:

الأم مدرسة إذا أعددتها   أعددت شعباً طيب الأعراق

والرجل كذلك يعمل ضمن اختصاصه، وما يتفق مع طبيعته ورجولته، وذلك بالسعي والكسب والقيام بأشق الأعمال، وحماية الأسرة، وتقديم ما تحتاج إليه من مسكن ومطعم وملبس، وفي هذا يتم التعاون على تنشئة الذرية تنشئة صالحة عقلاً وفكراً وجسداً.

أولاً: رسالة المرأة في الأسرة

إعداد المرأة لتحمل مسؤوليتها في الأسرة

يوضح فضيلة الشيخ حسن البنا رحمه الله أهمية دور المرأة في الأسرة والمجتمع، فيكتب قائلاً:

لست أجهل أهمية الكتابة في موضوع كهذا، ونحن نعلم شأن المرأة في الأمة، فالمرأة نصف المجتمع، بل هي النصف الذي يؤثر في حياته أبلغ التأثير، لأنها المدرسة الأولى التي تكون الأجيال وتصوغ الناشئة، وعلى الصورة التي يتلقاها الطفل من أمه يتوقف مصير الشعب واتجاه الأمة، وهي بعد ذلك المؤثر الأول في حياة الشباب والرجال على السواء.

لست أجهل كل هذا، ولم يهمله الإسلام الحنيف وهو الذي جاء نوراً وهدى للناس ينظم شؤون الحياة على أدق النظم وأفضل القواعد والنواميس. أجل لم يهمل الإسلام كل هذا، ولم يدع الناس يهيمون فيه في كل واد، بل بين لهم الأمر بياناً لا يدع زيادة لمستزيد.

وليس المهم في الحقيقة أن نعرف رأي الإسلام في المرأة والرجل، وعلاقتهما وواجب كل منهما نحو الآخر ـ فذاك أمر يكاد يكون معروفاً لكل الناس ـ ولكن المهم أن نسأل أنفسنا : هل نحن مستعدون للنزول على حكم الإسلام ؟

الواقع أن هذه البلاد وغيرها من البلاد الإسلامية تتغشاها موجة ثائرة قاسية من حب التقليد الأوربي والانغماس فيه إلى الأذقان.

ولا يكفي بعض الناس أن ينغمسوا هذا الانغماس في التقليد، بل هم يحاولون أن يخدعوا أنفسهم بأن يديروا أحكام الإسلام وفق هذه الأهواء الغربية والنظم الأوربية ويستغلوا سماحة هذا الدين ومرونة أحكامه استغلالاً سيئاً يخرجها عن صورتها الإسلامية إخراجاً كاملاً، ويجعلها نظماً أخرى لا تتصل به بحال من الأحوال ويهملون كل الإهمال روح التشريع الإسلامي، وكثيراً من النصوص التي لا تتفق مع أهوائهم.

هذا خطر مضاعف في الحقيقة، فهم لم يكفهم أن يخالفوا، حتى جاءوا يتلمسون المخارج القانونية لهذه المخالفة، ويصبغونها بصبغة الحل والجواز حتى لا يتوبوا منها

ولا يقلعوا عنها يوماً من الأيام

فالمهم الآن أن ننظر إلى الأحكام الإسلامية نظراً خالياً من الهوى، وأن نعد أنفسنا ونهيئها لقبول أوامر الله تعالى ونواهيه وبخاصة في هذا الأمر الذي يعتبر أساسياً وحيوياً في نهضتنا الحاضرة.

وعلى هذا الأساس لا بأس بأن نذكر الناس بما عرفوا، وبما يجب أن يعرفوا من أحكام الإسلام في هذه الناحية.

١ـ الإسلام يرفع قيمة المرأة ويجعلها شريكة الرجل في الحقوق والواجبات:

وهذه قضية مفروغ منها تقريباً، فالإسلام قد أعلى منزلة المرأة ورفع قيمتها واعتبرها أختاً للرجل وشريكة له في حياته، هي منه وهو منها ﴿بعضكم من بعض﴾ (آل عمران ١٩٥) وقد اعترف الإسلام للمرأة بحقوقها الشخصية كاملة وبحقوقها المدنية كاملة كذلك وبحقوقها السياسية كاملة أيضاً، وعاملها على أنها إنسان كامل الإنسانية له حق وعليه واجب يشكر إذا أدى واجباته ويجب أن تصل إليه حقوقه والقرآن والأحاديث فياضة بالنصوص التي تؤكد هذا المعنى وتوضحه

٢ـ التفريق بين الرجل والمرأة في الحقوق إنما جاء تبعاً للفوارق الطبيعية التي لا مناص منها بين الرجل والمرأة، وتبعاً لاختلاف المهمة التي يقوم بها كل منهما، وصيانة للحقوق الممنوحة لكليهما

وقد يقال إن الإسلام فرق بين الرجل والمرأة في كثير من الظروف والأحوال ولم يسوِّ بينهما تسوية كاملة، وذلك صحيح، ولكنه من جانب آخر يجب أن يلاحظ أنه إن انتقص من حق المرأة شيئاً في ناحية فإنه قد عوضها خيراً منه في ناحية أخرى(١)، أو يكون هذا الانتقاص لفائدتها وخيرها قبل أن يكون لشيء آخر وهل يستطيع أحد كائناً من كان أن يدعي أن تكوين المرأة الجسماني والروحي كتكوين الرجل سواء بسواء ؟ وهل يستطيع أحد كائناً من كان أن يدعي أن الدور الذي يجب أن تقوم به المرأة في الحياة هو الدور الذي يجب أن يقوم به الرجل ما دمنا نؤمن بأن هناك أمومة وأبوة ؟

أعتقد أن التكوينين مختلفان وأن المهمتين مختلفتان كذلك، وأن هذا الاختلاف

(١) في الإرث مثلاً جعل الإسلام نصيب المرأة نصف نصيب الرجل، ولكنه كلف الرجل بالنفقة.

لابد أن يستتبع اختلافاً في نظم الحياة المتصلة بكل منهما، وهذا سر ما جاء في الإسلام من فوارق بين المرأة والرجل في الحقوق والواجبات.

٣ـ بين المرأة والرجل تجاذب فطري قوي هو الأساس الأول للعلاقة بينهما، وإن الغاية منه قبل أن تكون المتعة وما إليها، هي التعاون على حفظ النوع واحتمال متاعب الحياة:

وقد أشار الإسلام إلى هذا الميل النفساني وزكاه وصرفه عن المعنى الحيواني أجمل الصرف إلى معنى روحي يعظم غايته ويوضح المقصود منه ويسمو به عن صورة الاستمتاع، البحث إلى صورة التعاون التام، ولنسمع قول الله تبارك وتعالى:

﴿ ومن آياته أنْ خلق لكُم مِنْ أنفُسكُمْ أزْواجًا لتسْكُنُوا إليْها وجعل بيْنكُم مودةً ورحْمةً إنَّ في ذلك لآيات لقوْمٍ يتفكَّرُون ﴾(الروم: ٢١).

هذه هي الأصول التي راعاها الإسلام وقررها في نظرته إلى المرأة، وعلى أساسها جاء تشريعه الحكيم كافلاً للتعاون التام بين الجنسين بحيث يستفيد كل منهما من الآخر ويعينه على شؤون الحياة.

والكلام عن المرأة في المجتمع في نظر الإسلام يتلخص في هذه النقط:

ب. وجوب تهذيب المرأة:

يرى الإسلام وجوب تهذيب خلق المرأة وتربيتها على الفضائل والكمالات النفسانية منذ النشأة، ويحث الآباء وأولياء أمور الفتيات على هذا، ويعدهم عليه الثواب الجزيل من الله ويتوعدهم بالعقوبة إن قصروا. وفي الآية الكريمة:

﴿ يا أيُّها الَّذين آمنُوا قُوا أنفُسكُمْ وأهْليكُمْ نارًا وقُودُها النَّاسُ والْحجارةُ عليْها ملائكةٌ غلاظٌ شدادٌ لاَّ يعْصُون اللَّه ما أمرهُمْ ويفْعلُون ما يُؤْمرُون ﴾(التحريم: ٦).

وفي الحديث الصحيح: «**كلكم راع ومسؤول عن رعيته: الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع مسؤول عن رعيته**»(أخرجه الشيخان من حديث عبد الله بن عمر). وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة**» (رواه ابن ماجه بإسناد صحيح وابن حبان في صحيحه).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة»**(رواه الترمذي واللفظ له وأبو داود)إلا أنه قال: **«فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة»**.

ومن حسن التأديب أن يعلمهن ما لا غنى لهن عنه من لوازم مهمتهن كالقراءة والكتابة والحساب والدين والتاريخ ـ تاريخ السلف الصالح رجالاً ونساءً ـ وتدبير المنزل والشؤون الصحية ومبادئ التربية وسياسة الأطفال وكل ما تحتاج إليه الأم في تنظيم بيتها ورعاية أطفالها، وفي حديث البخاري رضي الله عنه: «نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين» وكان كثير من نساء السلف على جانب عظيم من العلم والفضل والفقه في دين الله تبارك وتعالى.

أما غير ذلك من العلوم التي لا حاجة للمرأة إليها فعبث لا طائل تحته، فليست المرأة في حاجة إليه وخير لها أن تصرف وقتها في النافع المفيد.

ليست المرأة في حاجة إلى التبحر في اللغات المختلفة إذا كانت لا تحتاجها وعندها ما هو أهم.

وليست في حاجة إلى الدراسات الفنية الخاصة، فتعلم عن قريب أن المرأة للمنزل أولاً وأخيراً، وأن دراستها للعلوم الفنية تكون بقدر حاجة الأمة.

وليست في حاجة إلى التبحر في دراسة الحقوق والقوانين، وحسبها أن تعلم من ذلك ما يحتاج إليه عامة الناس إذا لم يكن ذلك مطلوباً منها أو ضمن تخصصها المناط بها.

كان أبو العلاء المعري يوصي النساء فيقول:

علموهن الغزل والنسج والردن(١) وخلوا كتابة وقراءة

فصلاة الفتاة بالحمد والإخلاص(٢) تجزئ عن يونس وبراءة

ونحن لا نريد أن نقف عند هذا الحد، ولا نريد ما يريد أولئك المغالون المفرطون في تحميل المرأة ما لا حاجة لها به من أنواع الدراسات، ولكنا نقول: علموا المرأة ما هي في حاجة إليه بحكم مهمتها ووظيفتها التي خلقها الله لها: تدبير المنزل ورعاية الطفل أولاً: ثم بعد ذلك سبب الحاجة.

---

(١) حياكة الملابس. (٢) الفاتحة وقل هو الله أحد.

ج- حرمة الاختلاط بين الرجل والمرأة الأجنبية:

يرى الإسلام في الاختلاط بين المرأة والرجل خطراً محققاً، فهو يباعد بينهما إلا بالزواج، ولهذا فإن المجتمع الإسلامي مجتمع لا اختلاط فيه سداً للذرائع.

يقول دعاة الاختلاط إن في ذلك حرماناً للجنسين من لذة الاجتماع وحلاوة الأنس التي يجدها كل منهما في سكونه للآخر، والتي توجد شعوراً يستتبع كثيراً من الآداب الاجتماعية من الرقة وحسن المعاشرة ولطف الحديث ودماثة الطبع..إلخ وسيقولون إن هذه المباعدة بين الجنسين ستجعل كلا منهما مشوقاً أبداً إلى الآخر، ولكن الاتصال بينهما يقلل من التفكير في هذا الشأن ويجعله أمراً عادياً في النفوس (وأحب شيء إلى الإنسان ما منعا) (وما ملكته اليد زهدته النفس).

كذا يقولون ويفتتن بقولهم كثير من الشبان، ولا سيما وهي فكرة توافق أهواء النفوس، وتساير شهواتها، ونحن نقول لهؤلاء: مع أننا لا نسلم بما ذكرتم في الأمر الأول، نقول لكم إن ما يعقب لذة الاجتماع وحلاوة الأنس من ضياع الأعراض وخبث الطوايا وفساد النفوس، وتهدم البيوت، وشقاء الأسر، وبلاء الجريمة، وما يستلزم هذا الاختلاط من طراوة في الأخلاق ولين في الرجولة لا يقف عند حد الرقة، بل هو يتجاوز ذلك إلى حد الخنوثة والرخاوة، وكل ذلك ملموس لا يماري فيه إلا مكابر.

نقول لهم: كل هذه الآثار السيئة التي تترتب على الاختلاط تربو ألف مرة على ما ينتظر منه من فوائد، وإذا تعارضت المصلحة والمفسدة، فدرء المفسدة أولى، لا سيما إذا كانت المصلحة لا تعد شيئاً بجانب هذا الفساد.

أما الأمر الثاني فغير صحيح، وإنما يزيد الاختلاط قوة الميل، وقديماً قيل: إن الطعام يقوي شهوة النهم، والرجل يعيش مع امرأته دهراً، ويجد الميل إليها يتجدد في نفسه، فما باله لا تكون صلته بها مذهبة لميله إليها، والمرأة التي تخالط الرجال تتفنن في إبداء ضروب زينتها، ولا يرضيها إلا أن تثير في نفوسهم الإعجاب بها، وهذا أيضاً أثر اقتصادي من أسوأ الآثار التي يعقبها الاختلاط، وهو الإسراف في الزينة والتبرج المؤدي إلى الإفلاس والخراب والفقر.

لهذا نحن نصرح بأن المجتمع الإسلامي مجتمع فردي لا زوجي، وأن للرجال مجتمعاتهم وللنساء مجتمعاتهن، ولقد أباح الإسلام للمرأة شهود العيد وحضور الجماعة والخروج في القتال عند الضرورة الماسة، ولكنه وقف عند هذا الحد، واشترط له شروطاً شديدة: من البعد عن كل مظاهر الزينة، ومن ستر الجسم، ومن إحاطة الثياب به، فلا تصف ولا تشف ومن عدم الخلوة بأجنبي مهما تكن الظروف وهكذا.

إن من أكبر الكبائر في الإسلام أن يخلو الرجل بامرأة ليست بذات محرم له. ولقد أخذ الإسلام السبيل على الجنسين في هذا الاختلاط أخذاً قوياً محكماً.

فالستر في الملابس من آدابه.

وتحريم الخلوة بالأجنبي حكم من أحكامه.

وغض الطرف واجب من واجباته.

والعكوف في المنازل للمرأة حتى في الصلاة شعيرة من شعائره.

والبعد عن الإغراء بالقول والإشارة وكل مظاهر الزينة وبخاصة عند الخروج حد من حدوده.

كل ذلك إنما يراد به أن يسلم الرجل من فتنة المرأة وهي أحب الفتن إلى نفسه، وأن تسلم المرأة من فتنة الرجل وهو أقرب الفتن إلى قلبها، والآيات الكريمة والأحاديث المطهرة تنطق بذلك.

يقول الله تبارك وتعالى في سورة النور: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)﴾.

وفي سورة الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٩)﴾.

إلى آيات كثيرة:

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يروي عن ربه عز وجل: **«النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه»** (رواه الطبراني والحاكم من حديث حذيفة).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ قال: **«لتغضن أبصاركم ولتحفظن فروجكم، أو ليكفن الله وجوهكم»** (رواه الطبراني).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من صباح إلا وملكان يناديان: ويل للرجال من النساء، وويل للنساء من الرجال»** (رواه ابن ماجه والحاكم):

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إياكم والدخول على النساء. فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو[١] الموت»** (رواه البخاري ومسلم والترمذي.

والمراد بدخول الأحماء على المرأة الخلوة بها، كما قال رسول الله ﷺ: **«لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان»**.

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم»** (رواه البخاري ومسلم).

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»** (رواه الطبراني والبيهقي ورجال الطبراني ثقات من رجال الصحيح كذا قال الحافظ المنذري).

وروى عن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«إياك والخلوة بالنساء والذي نفسي بيده ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما، ولأن يزحم رجل خنزيراً متلطخاً بطين أو حماة خير له من أن يزحم منكبيه منكب امرأة لا تحل له»** (رواه الطبراني).

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني: زانية»**. (رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح ورواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما)، ولفظهم:

---

(١) كالأخ وابن العم وقريب الزوج عموماً

قال النبي ﷺ: «**أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية وكل عين زانية**»: أي كل عين نظرت إليها نظرة إعجاب واستحسان.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال**». (رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والطبراني). وعنه: أن امرأة مرت على رسول الله ﷺ متقلدة قوساً، فقال: «**لعن المتشبهات من النساء بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل**» (رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم).

وعن أبي مسعود رضي الله عنه أنه قال: «**لعن الله الواشمات والمستوشمات**[1] **والنامصات والمتنمصات**[2] **والمتفلجات**[3] **للحسن المغيرات خلق الله**» فقالت له امرأة في ذلك أي راجعته وأنكرت عليه فقال: وما لي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ، وهو في كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾ (الحشر: ٧) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة والنسائي.

وعن عائشة رضي الله عنها أن جارية من الأنصار تزوجت، وأنها مرضت فتمعط[4] شعرها، فأرادوا أن يصلوها[5]، فسألوا النبي ﷺ فقال: «**لعن الله الواصلة والمستوصلة**» وفي رواية «**أن امرأة من الأنصار زوجت ابنتها فتمعط شعر رأسها، فجاءت إلى النبي ﷺ، فذكرت ذلك له وقالت: أن زوجها أمرني أن أصل شعرها، فقال لا، إنه قد لعن الموصلات**» (رواه البخاري ومسلم).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفراً يكون ثلاثة أيام فصاعدا إلا ومعها أبوها أو أخوها أو زوجها أو ابنها أو ذو محرم منها**» رواه البخاري، ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة. وفي رواية للبخاري ومسلم: «**لا تسافر المرأة يومين من الدهر، إلا ومعها ذو محرم منها أو زوجها**».

---

(١) الوشم: هو الغرز بالإبرة ثم الذر عليها بالنؤور. انظر مختار الصحاح.

(٢) النامصات: الناتفات حواجبهن للزينة.

(٣) المتفلجات: هي الباردات أسنانهن للتجميل.

(٤) تمعط شعرها: سقط.

(٥) أي يصلوا شعرها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا»** (رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهم).

وليس بعد هذا البيان بيان، ومنه يعلم أن ما نحن عليه ليس من الإسلام في شيء، فهذا الاختلاط بيننا في المدارس والمعاهد والمجامع والمحافل العامة، وهذا الخروج إلى الملاهي والمطاعم والحدائق، وهذا التبذل والتبرج الذي وصل إلى حد التهتك والخلاعة، كل هذه بضاعة أجنبية لا تمت إلى الإسلام بأدنى صلة، ولقد كان لها في حياتنا الاجتماعية أسوأ الآثار.

يقول كثير من الناس إن الإسلام لم يحرم على المرأة مزاولة الأعمال العامة وليس هناك من النصوص ما يفيد هذا، فأتوني بنص يحرم ذلك، ومثل هؤلاء من يقول: إن ضرب الوالدين جائز، لأن النهي عنه في الآية أن يقال لهما (أف) ولا نص على الضرب!!.

إن الإسلام يحرم على المرأة أن تكشف عن بدنها وأن تخلو بغيرها وأن تخالط سواها، ويحبب إليها الصلاة في بيتها، ويعتبر النظرة سهماً من سهام إبليس، وينكر عليها أن تحمل قوساً متشبهة في ذلك بالرجل، أفيقال بعد هذا إن الإسلام لا ينص على حرمة مزاولة المرأة للأعمال العامة ؟.

إن الإسلام يرى للمرأة مهمة طبيعية أساسية هي المنزل والطفل، فهي بوصفها فتاة يجب أن تُهيأ لمستقبلها الأسري، وهي بوصفها زوجة يجب أن تخلص لبيتها وزوجها، وهي بوصفها أماً يجب أن تكون لهذا الزوج ولهؤلاء الأبناء، وأن تتفرغ لهذا البيت، فهي ربته ومدبرته وملكته، ومتى فرغت المرأة من شؤون بيتها لتقوم على سواه..؟.

وإذا كان من الضرورات الاجتماعية ما يلجئ المرأة إلى مزاولة عمل آخر غير هذه المهمة الطبيعية لها، فإن من واجبها حينئذ أن تراعي هذه الشرائط التي وضعها الإسلام لإبعاد فتنة المرأة عن الرجل وفتنة الرجل عن المرأة، ومن واجبها أن يكون عملها هذا بقدر ضرورتها، لا أن يكون هذا نظاماً عاماً، من حق كل امرأة أن تعمل على أساسه.

والكلام في هذه الناحية أكثر من أن يحاط به، ولا سيما في هذا العصر

(الميكانيكي) الذي أصبحت فيه مشكلة البطالة وتعطل الرجال من أعقد مشاكل المجتمعات البشرية في كل شعب وفي كل دولة.

وإذا كان الإسلام يولي المرأة كل هذا الاهتمام قبل الزواج فإنما يؤهلها لتحمل مسؤوليتها زوجةً قدوة وهذه مسؤوليتها باعتبارها زوجة في البيت المسلم.

مسؤولية المرأة في الأسرة

المرأة مسؤولة في بيت زوجها وراعية لمصالح هذا البيت وشؤونه. وقول رسول الله «كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته... والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها» يحملها مسؤولية رعاية هذا البيت والقيام بإصلاح شؤونه والنهوض بمهامه التي ناطها الإسلام بها.

مسؤوليتها نحو أولادها

المسؤولية الأولى للمرأة: حضانة الأطفال وتربيتهم.

القرآن يقرر مسؤولية المرأة عن الحضانة وعظم مشقة الحمل والولادة.

الحقيقة أن المرأة تبدأ مسؤوليتها عن حضانة طفلها، ساعة تحمل جنينها في رحمها، وليس ساعة ولادة طفلها.

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا ﴾ (الاحقاف: ١٥)

وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ (لقمان: ١٤)

وقال تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ (البقرة: من الآية٢٣٣)

شواهد تطبيقية من القرآن على مسؤولية المرأة عن الحضانة وعمق مشاعر الأمومة لدى المرأة:

فهذه أم موسى تفتقد وليدها حتى ليصبح فؤادها فارغاً ثم ينعم الله عليها بحضانته:

قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا

تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ (القصص: ٧).

وقال تعالى: ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين﴾ (القصص: ١٠).

وقال تعالى: ﴿فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون (١٣)﴾ (القصص: ١٣) وهذه امرأة فرعون تتوق لحضانة طفل ليشبع مشاعر الأمومة عندها:

قال تعالى: ﴿ وقالت امرأت فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون﴾ (القصص: ٩).

وهذه امرأة عمران تنذر جنينها لخدمة بيت الله وتدعو له بالخير:

قال تعالى: ﴿إذ قالت امرأت عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم (٣٥) فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (٣٦) فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ (آل عمران: ٣٥ - ٣٧).

وأخيراً. مشاعر الأمومة لا يكاد يغلبها إلا هول يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم (١) يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ (الحج: ١، ٢).

الرسول ﷺ يقرر مسؤولية المرأة عن الحضانة:

- عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «كلكم راع ومسؤول عن رعيته... والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم» (رواه البخاري ومسلم)

الرسول ﷺ يثني على نساء يحسن حضانة أطفالهن:

- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره». (رواه البخاري ومسلم)

الرسول ﷺ يوجه أمًّا لتحسن حضانة ولدها:

ـ عن عبد الله بن عامر قال: «دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها، تعال أعطك. فقال لها رسول الله ﷺ: وما أردت أن تعطيه؟ قالت: أعطيه تمراً، فقال لها رسول الله ﷺ: **«أما إنك لو لم تعطيه شيئاً كتب عليك كذبة»**. (رواه أبو داود).

شواهد تطبيقية من السنة، (على مسؤولية المرأة عن الحضانة)،

(أ) من عهود الأنبياء عليهم السلام:

هاجر ترعى وليدها إسماعيل وتخشى عليه الضيعة:

ـ عن ابن عباس: ثم جاء بها إبراهيم (أي بهاجر) وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعها عند البيت عند دوحة(١) فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً(٢) فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفي إبراهيم منطلقاً(٣) فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيسٌ ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها فقالت له: آلله الذي أمركَ بهذا ؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يُضيعنا(٤)، ثم رجعت. فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثَّنِيَّة(٥) حيث لا يرَونه، استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ ـ حتى بلغ ـ ﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾(إبراهيم: ٣٧). وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفدَ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه. فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها(٦)، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس: قال

(١) دوحة: شجرة كبيرة.
(٢) جرابا: وعاء من جلد.
(٣) قفي منطلقا: ولي راجعاً.
(٤) لا يضيعنا: لا يهلكنا.
(٥) الثنية: الطريق في الجبل أو منعطف.
(٦) درعها: قميصها.

النبي ﷺ : «فذلك سعى الناس بينهما. فلما أشرفت[١] على المروة سمعت صوتاً فقالت: صه، تريد نفسها، ثم تسمعت فسمعت أيضاً، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غَوَاث[٢]، فإذا هي بالمَلَك عند موضع زمزم فبحث بعقبه[٣]ـ أو قال: بجناحه ـ حتى ظهر الماء، فجعلت تُحَوِّضُه[٤] وتقول بيدها[٥] هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف، فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة[٦]، فإن هذا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله». (رواه البخاري).

امرأة من بني إسرائيل ترعى ابنها وتدعو له بما تحسبه خيراً له:

ـ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى ابن مريم وصاحب جريج... وبينا صبي يرضع من أمه فمر رجل راكب على دابة فارهة[٧] وشارة حسنة[٨]، فقالت أمه: اللهم اجعل ابني مثل هذا، فترك الثدي وأقبل إليه فنظر إليه فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع». قال: فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بإصبعه السبابة في فمه فجعل يمصها، قال: «ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون: زَنَيْتِ سَرَقْتِ. وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل، فقالت أمه: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فترك الرضاع ونظر إليها فقال: اللهم اجعلني مثلها». فهناك تراجعا الحديث فقالت: «حَلْقَي[٩]! مر رجل حسن الهيئة فقلتُ: اللهم اجعل ابني مثله، فقلت: اللهم لا تجعلني مثله، ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون: زنيت سرقت فقلتُ: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فقلت: اللهم اجعلني مثلها. قال: إن ذاك الرجل كان جباراً فقلت: اللهم لا تجعلني مثله، وإن هذه يقولون لها زَنَيت ولم تزن، وسَرَقت ولم تسرق، فقلت: اللهم اجعلني مثلها»(رواه البخاري ومسلم) وهذه رواية مسلم.

---

(١) أشرفت: أشرف على الشيء اطلع من فوق.
(٢) غواث: إغاثة.
(٣) بحث بعقبه: حفر بمؤخر قدمه.
(٤) جعلت تحوضه: تجعله مثل الحوض.
(٥) تقول بيدها هكذا: هو حكاية فعلها، وهذا من إطلاق القول على الفعل.
(٦) لا تخافوا الضيعة: أي لا تخافوا الهلاك.
(٧) دابة فارهة: الفارهة النشطة القوية.
(٨) شارة حسنة: الشارة الهيئة واللباس.
(٩) حلقي: معنى حلقي حلق شعرها وهو زينة المرأة، أو أصابها وجع في حلقها. وهي كلمة تقولها العرب بغير إرادة حقيقتها مثل كلمة تربت يداه. وقد قالتها المرأة هنا تعجباً من كلام الرضيع.

امرأة تتقاعس عن الصمود على الحق خوفاً على وليدها:

ـ عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال: «**كان ملك فيمن كان قبلكم... فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر! قد والله نزل بك حَذَرُك[١]، قد آمن الناس (بالله)، فأمر بالأخدود[٢] في أفواه السكك[٣] فخُدَّت[٤] وأَضْرَم النيران[٥] وقال: من لم يرجع عن دينه فأَحْمُوه[٦] فيها ـ أو قيل له: اقتحم[٧] ـ ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست[٨] أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أُمه اصبري فإنك على الحق**». (رواه مسلم).

من عهد نبينا:

صحابيات كريمات يحرصن على طلب الدعاء والبركة لأولادهن:

ـ عن أسماء ـ رضي الله عنها ـ أنها حملت بعبد الله بن الزبير قالت: فخرجت وأنا مُتم[٩] فأتيت المدينة فنزلت بقُباء[١٠]، فولدته بقباء ثم أتيت به النبي ﷺ فوضعته في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل في جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنكه[١١] بتمرة ثم دعا له وبرّك عليه[١٢]، وكان أول مولود ولد في الإسلام[١٣]. (رواه البخاري ومسلم).

عن أنس قال: . . . فولدت (أم سليم) غلاماً فقالت له: . . . يا أنس لا يرضعه أحد حتى تغدو به[١٤] على رسول الله ﷺ، فلما أصبح احتمله فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ . . . فوضعته في حجره ودعا رسول الله ﷺ بعجوة من عجوة

---

(١) نزل بك حذرك: أي ما كنت تخشاه.
(٢) الأخدود: هو الشق العظيم في الأرض.
(٣) أفواه السكك: أبواب الطرق.
(٤) خُدت: شقت وحفرت.
(٥) أضرم النيران: أشعل النيران.
(٦) أحموه فيها: أدخلوه النار.
(٧) اقتحم: ادخل.
(٨) تقاعست: أي توقفت ولزمت موضعها وكرهت الدخول في النار. وقولنا إنها تقاعست خوفاً على وليدها هو من باب الترجيح، إذ الأم تخاف عادة على وليدها أكثر من خوفها على نفسها.
(٩) مُتم: أي قد أتمت مدة الحمل.
(١٠) قُباء: مكان معروف بالمدينة.
(١١) حنّكه: وضع في فيه التمرة ودلك حنكه بها.
(١٢) برك عليه: أي قال اللهم بارك فيه.
(١٣) أول مولود ولد في الإسلام: أي بالمدينة من المهاجرين.
(١٤) تغدو به: تذهب به في الغداة أي في الصباح.

المدينة، فَلاَكَهَا في فيه(١) حتى ذابت، ثم قذفها في فيِّ الصبي(٢)، فجعل الصبي يتلمظها(٣). قال: فقال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى حب الأنصار التمر» قال: فمسح وجهه وسماه عبد الله. (رواه مسلم).

ـ عن أم قيس بنت محصن أنها أتت بابن لها صغير لم يأكل الطعام إلى رسول الله ﷺ، فأجلسه رسول الله ﷺ في حجره فبال على ثوبه، فدعا بماء فنضحه(٤) ولم يغسله. (رواه البخاري ومسلم).

ـ عن أبي هريرة قال: أتت امرأة النبي ﷺ بصبي لها فقالت: يا نبي الله، ادع الله له. وفي رواية: إنه يشتكي وإني أخاف عليه، فلقد دفنت ثلاثة. قال: «دفنت ثلاثة؟» قالت: نعم. قال: «لقد احتَظَرْت بحظار شديد(٥) من النار» (رواه مسلم).

ـ عن عبد الله بن هشام ـ وكان قد أدرك النبي ﷺ ـ وذهبت به أمه زينب بنت حميد إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله بايعه فقال: «هو صغير» فمسح رأسه ودعا له. (رواه البخاري).

صحابية تحرص على حضانة ابنتها:

ـ عن أم سلمة أنها قالت: . . . أرسل إليَّ رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له فقلت: إن لي بنتاً وأنا غيور فقال: «أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها وأدعو الله أن يذهب بالغيرة» (رواه مسلم)

صحابية ترعى ابنها بعد موت أبيه: وتقدمه لخدمة النبي ﷺ وتسأله الدعاء له:

ـ عن أنس قال: جاءت بي أمي (أم أنس) إلى رسول الله ﷺ، وقد أزَّرتني بنصف خمارها(٦) وَردَّتني بنصفه(٧) فقالت: يا رسول الله، أُنيس ابني، أتيتك به يخدمك فادع الله له فقال: «اللهم أكثر ماله وولده» قال أنس: فو الله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المائة اليوم. (رواه مسلم).

---

(١) لاكها في فيه: أي مضغها في فمه مضغاً رفيقاً.

(٢) في فيِّ الصبي: في فم الصبي.

(٣) يتلمظها: أي يتتبع بلسانه ويمسح به شفتيه.

(٤) فنضحه: فرشّه.

(٥) احتظرت بحظار شديد: أي امتنعت بمانع وثيق وحُميت بِحمىً عظيم.

(٦) أزَّرتني بنصف خمارها: جعلته لي إزاراً، والإزار ما يغطي النصف الأسفل من البدن، والخمار غطاء الرأس.

(٧) رَدَّتني بنصفه: جعلته لي رداءً، وهو ما يغطي النصف الأعلى من البدن.

وتوجيه لحفظ سر رسول الله ﷺ :

ـ عن ثابت عن أنس قال: أتى عليَّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان، قال: فسلَّم علينا فبعثني إلى حاجة، فأبطأت على أمي فلما جئت قالت: ما حبسك[1]؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة، قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر. قالت: لا تحدثن بسر رسول الله ﷺ أحداً. قال أنس: والله لو حدثت به أحداً لحدثتك يا ثابت (رواه مسلم).

صحابيات كريمات يعوِّدن صبيانهن الصيام ويصبرنهم:

ـ عن الربيع بنت مُعَوِّذ قالت: أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: من أصبح مفطراً فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائماً فليصم. قالت: فكنا نصومه بعد (أي يوم عاشوراء) ونصوِّم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن[2]، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذلك حتى يكون عند الإفطار (وفي رواية مسلم: أعطيناهم اللعبة تلهيهم حتى يتموا صومهم) (رواه البخاري مسلم).

صحابية تؤثر أولادها بالطعام القليل:

ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً أتى النبي فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ : **«من يضم أو يضيِّف هذا؟»** فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني. . . (رواه البخاري ومسلم).

صحابية تؤثر ابنتيها على نفسها:

ـ عن عائشة أنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها[3] ابنتاها، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: **«إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار»**. (رواه البخاري ومسلم) وهذه رواية مسلم.

---

(١) ما حبسك: ما أخرك.   (٢) العهن: الصوف المصبوغ أو الملون.

(٣) استطعمتا ابنتاها: طلبتا منها أن تطعمهما التمرة الثالثة.

صحابية يشغلها أمر حج ولدها الصغير:

ـ عن ابن عباس أن النبي ﷺ لقي ركباً بالروحاء فقال: «**من القوم؟**» قالوا المسلمون. فقالوا: من أنت؟ قال: «**رسول الله**» فرفعت امرأة صبياً فقالت: ألهذا حج؟ قال: «**نعم، ولك أجر**» (رواه مسلم).

صحابية يشغلها أمر مصير ولدها بعد استشهاده:

ـ عن أنس قال: أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب[١] وإن تك الأخرى ترى ما أصنع؟ (وفي رواية: وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء) فقال: «**وَيْحَكِ[٢] أو هُبِلْتِ[٣]! أو جنة واحدة هي ؟ إنها جنان كثيرة وإنه في جنة الفردوس**» (رواه البخاري).

التعاون بين الزوجين في حضانة الأطفال وتربيتهم:

تقرير الرسول ﷺ لمسؤولية الرجل:

ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: . . . قال رسول الله ﷺ: «**إن لولدك عليك حقاً**». (رواه مسلم).

الرسول ﷺ يقبل أولاده وأحفاده ويداعبهم:

ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف، القَيْن[٤]، وكان ظئراً[٥] لإبراهيم رضي الله عنه ابن النبي ﷺ فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبله وشمَّه. (رواه البخاري ومسلم).

ـ عن أبي قتادة الأنصاري أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة، بنت زينب بنت رسول الله ﷺ لأبي العاص بن ربيعة بن عبد شمس، فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها. (رواه البخاري ومسلم).

---

(١) أحتسب: من الاحتساب وهو طلب الأجر من الله. (٢) ويحك: هي كلمة رحمة.

(٣) أو هبلت: من هَبِلَ فلان هَبَلاً: فقد عقله وتميزه. (٤) القين: الحداد.

(٥) ظئراً: أي أباً من الرضاعة وأطلق عليه ذلك لأنه كان زوج المرضعة. وأصل الظئر من ظأرت. الناقة إذا عطفت على غير ولدها، فقيل ذلك للمرأة التي ترضع غير ولدها، ثم أطلق على زوجها لأنه يشاركها في تربية الولد غالباً.

ـ عن أبي هريرة الدوسي ـ رضي الله عنه ـ قال. خرج النبي ﷺ في طائفة النهار[١]، لا يكلمني ولا أكلمه حتى أتى سوق بني قينقاع، فجلس بفناء بيت فاطمة فقال: **«أثَمّ لُكَع[٢]؟ أثم لكع؟** (يقصد الحَسَن بن علي) فحبسته[٣] شيئاً، **فظننت أنها تلبسه سخَابا[٤] أو تُغسِّله، فجاء يَشتد[٥] حتى عانقه وقبله وقال: اللهم أحبه وأحب من يحبه»** (رواه البخاري ومسلم)

الرسول ﷺ يداعب بنت زوجه أم سلمة:

ـ عن أنس قال. كان النبي ﷺ يلاعب زينب بنت أم سلمة ويقول. يا زوينب، يا زوينب، مراراً. (رواه الضياء المقدسي).

حنظلة الصحابي الكريم يضاحك أولاده ويلاعبهم.

ـ عن حنظلة قال كنا عند رسول الله ﷺ فوعظنا فذكر النار قال ثم جئت إلى البيت فضاحكت الصبيان (رواه مسلم).

إذا كانت هذه النصوص قد ذكرت التقبيل والمعانقة والملاعبة، فما هي إلا مظاهر للرعاية الحانية في سن الطفولة المبكرة ونحسب أنه من البدهي أن تمتد الرعاية ـ وخاصة في المراحل التالية ـ إلى كثير من صور التربية والتوجيه ومشاركة الأم في هذا المجال الخطير

الرسول ﷺ يشارك في تربية ولد زوجه أم سلمة:

عن عمر بن أبي سلمة قال كنت غلاماً في حَجر رسول الله ﷺ[٦]، وكانت يدي تطيش في الصحفة[٧]، فقال لي رسول الله ﷺ **«يا غلام سَمِّ الله وكل بيمينك وكل مما يليك»** فمازالت تلك طعمتي[٨] بعد. (رواه البخاري).

---

(١) في طائفة النهار. أي في قطعة منه.

(٢) أثَمّ لُكَع. أثم: أهناك لكع. الصبي الصغير.

(٣) حبسته أخَّرته.

(٤) سخاباً: قلادة تتخذ من طيب أو قرنفل ليس فيها ذهب ولا فضة، وقيل خيط ينظم فيه خرز

(٥) يشتد. يسرع في المشي

(٦) في حجْر رسول الله أي في تربيته وتحت نظره وأنه يربيه في حضنه تربية الولد.

(٧) الصحفة ما تشبع خمسة، وهي أكبر من القصعة.

(٨) طعمتي أي من صفة أكلي.

مسئوليتها نحو بيت الزوجية

المسئولية الثانية للمرأة: تدبير شؤون البيت: شواهد من القرآن:

قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ۝ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ۝ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ(١) فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ (الذريات: ٢٤ ـ ٢٦).

وقال تعالى: ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ (٢) فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ (هود: ٧١).

الآية الأولى فيها إشارة إلى أن أهل إبراهيم عليه السلام كان لهم دور في إعداد العجل السمين، أما الآية الثانية فقد ورد في تفسير الطبري وكذلك القرطبي أن امرأة إبراهيم عليه السلام كانت قائمة تخدم الضيوف.

شواهد من السنة: تقرير الرسول ﷺ لمسؤولية المرأة عن تدبير شؤون البيت:

ـ عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «..**ألا كلكم راع ومسئول عن رعيته... والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم**» (رواه البخاري ومسلم).

فاطمة تعمل في بيت زوجها وتسأل رسول الله ﷺ خادماً: (فيعتذر ﷺ لحاجة أهل الصفة):

ـ عن علي... أن فاطمة عليها السلام أتت النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى من الرحى. (وفي رواية عند أحمد قالت: لقد مَجَلَت يداي(٣) من الرحى أطحن مرة وأعجن مرة)، وبلغها أنه جاءه رقيق، فلم تصادفه، فذكرت ذلك لعائشة، فلما جاء أخبرته عائشة، قال علي: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم فقال: «**على مكانكما، فجاء فقعد بيني وبينها حتى وجدت برد قدميه على بطني فقال: ألا أدلكما على خير مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما أو أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثة وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبر أربعاً وثلاثين فهو خير لكما من خادم**» (رواه البخاري ومسلم).

---

(١) راغ إلى أهله: مال إلى أهله يسراً.

(٢) امرأته قائمة: أي تخدمهم.

(٣) مجلت يداي: تقرحت من العمل.

وقد أورد البخاري هذا الحديث مرة أخرى في كتاب الخمس، باب: «الدليل على أن الخُمس لنوائب رسول الله ﷺ والمساكين، وإيثار النبي ﷺ أهل الصُّفة[1] والأرامل، حين سألته فاطمة ـ وشكت إليه الطحن والرحى ـ أن يخدمها من السبي فوكلها إلى الله».

وقال الحافظ ابن حجر: (وليس في حديث البخاري ذكر أهل الصفة ولا الأرامل، وكأنه أشار بذلك إلى ما ورد في بعض طرق الحديث كعادته، وهو ما أخرجه أحمد من وجه آخر عن علي في هذه القصة مطولا وفيه: «**والله لا أعطيكم وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع، لا أجد ما أنفق عليهم، ولكن أبيعهم (أي الرقيق) وأنفق عليهم أثمانهم لله**».

ثم أورد البخاري الحديث نفسه مرة ثانية في بابين متتاليين هما: باب «عمل المرأة في بيت زوجها»، وباب «خادم المرأة».

وقال الحافظ بن حجر في شرحه للحديث: (قوله باب: خادم المرأة) أي هل يشرع ويلزم الزوج إخدامها[2]؟... قال الطبري: يؤخذ منه أن كل من كانت له طاقة من النساء على خدمة بيتها في خبز أو طحن أو غير ذلك، أن ذلك (أي إخدامها) لا يلزم الزوج إن كان معروفاً أن مثلها يلي ذلك بنفسه... وعن مالك أن خدمة البيت تلزم المرأة ولو كانت الزوجة ذات قدر وشرف، إذا كان الزوج معسراً... وحكى ابن بطال: أن بعض الشيوخ قال: لا نعلم في شيء من الآثار أن النبي ﷺ قضى على فاطمة بالخدمة الباطنة، وإنما جرى الأمر بينهم على ما تعارفوه من حسن العشرة وجميل الأخلاق. وأما أن تجبر المرأة على شيء من الخدمة فلا أصل له، بل الإجماع منعقد على أن على الزوج مؤنة الزوجة كلها.

ونقل الطحاوي الإجماع على أن الزوج ليس له إخراج خادم المرأة من بيته، فدل على أنه يلزم نفقة الخادم على حسب الحاجة إليه. وقال الشافعي والكوفيون: يفرض لها ولخادمها النفقة إذا كانت ممن تُخدم. وقال مالك والليث ومحمد بن الحسن: يفرض لها ولخادمها إذا كانت خطيرة. وشذ أهل الظاهر فقالوا: ليس على الزوج أن يُخدمها ولو كانت بنت الخليفة. وحجة الجماعة قوله تعالى ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ (النساء الآيه: ١٩) وإذا احتاجت إلى من يخدمها فامتنع لم يعاشرها بالمعروف.

(١) أهل الصفة: الصفة هي سقيفة مظللة كان يأوى إليها المساكين في المسجد النبوي.

(٢) إخدامها: من أخدم يُخدم أن يوفر لها خادماً.

وهناك شاهد آخر في موضوع عمل المرأة في بيت زوجها: أسماء بنت أبي بكر تعمل في بيت زوجها:

عن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ قالت: تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك، ولا شيء غير ناضح(١) وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء وأخرز(٢) غربه(٣) وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز، وكان يخبز جارات لي من الأنصار وكن نسوة صدق. وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي، وهي مني على ثلثي فرسخ(٤). فجئت يوماً والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من الأنصار، فدعاني ثم قال: «إخ إخ» ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس ـ فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت فمضى. فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه. قالت: حتى أرسل إليّ أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفيني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني. رواه البخاري ومسلم)

قال الحافظ ابن حجر في شرحه لقول الزبير: «والله لحملك النوى على رأسك كان أشد عليّ من ركوبك معه»: وهذا كله (أي ركوبها وما ينتج عنه من مزاحمة بغير قصد) أخف مما تتحقق من تبذلها بحمل النوى على رأسها من مكان بعيد؛ لأنه قد يتوهم منه خسة النفس ودناءة الهمة وقلة الغيرة، ولكن كان السبب الحامل على الصبر على ذلك، شغل زوجها وأبيها بالجهاد وغيره مما يأمرهم به النبي ﷺ ويقيمهم فيه. وكانوا لا يتفرغون للقيام بأمور البيت بأن يتعاطوا ذلك بأنفسهم، ولضيق ما بأيديهم عن استخدام من يقوم بذلك عنهم، فانحصر الأمر في نسائهم فكن يكفينهم مؤنة المنزل ومن فيه، ليتوفروا هم على ما هم فيه من نصر الإسلام، مع ما ينضم إلى ذلك من العادة المانعة من تسمية ذلك عاراً محضاً. . . واستدل بهذه القصة على أن على المرأة القيام بجميع ما يحتاج إليه زوجها من الخدمة، وإليه ذهب أبو ثور، وحمله الباقون على أنها تطوعت بذلك ولم يكن لازماً، أشار إليه المهلب وغيره. والذي يظهر أن هذه الواقعة وأمثالها كانت في حال ضرورة كما تقدم، فلا يطرد الحكم في غيرها ممن لم يكن في مثل حالهم. وقد تقدم أن فاطمة سيدة نساء العالمين شكت ما

(١) ناضح: جمل يسقي عليه الماء. (٢) أخرز: أخيط.
(٣) غربه: دلوه المصنوع من الجلد. (٤) فرسخ: الفرسخ مقياس قديم من مقاييس الأطوال يقدر بثلاثة أميال.

تلقى يداها من الرحى، وسألت أباها خادماً فدلها على خير من ذلك، وهو ذكر الله تعالى. والذي يترجح حمل الأمر في ذلك على عوائد البلاد فإنها مختلفة في هذا الباب.

وقال الإمام النووي: هذا كله من المعروف والمروءات التي أطبق الناس عليها، وهو أن المرأة تخدم زوجها بهذه الأمور المذكورة ونحوها. .الخبز والطبخ وغسل الثياب وغير ذلك، وكله تبرع من المرأة وإحسان منها إلى زوجها، وحسن معاشرة وفعل معروف، ولا يجب عليها شيء من ذلك، بل لو امتنعت من جميع هذا لم تأثم.

صحابية كريمة تعمل في بيت زوجها وترعى أخواته الصغار:

ـ عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: هلك أبي وترك سبع بنات أو تسع بنات، فتزوجت امرأة ثيباً(١)، فقال لي رسول الله ﷺ: **«تزوجت يا جابر»**؟ فقلت: نعم، فقال: **«أبكراً أم ثيباً؟»** قلت: بل ثيباً، قال: **«فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك»**؟ قال: فقلت له: إن عبد الله هلك وترك بنات، وإني كرهت أن أجيئهن بمثلهن، فتزوجت امرأة تقوم عليهن وتصلحهن. فقال: **«بارك الله لك...»** (رواه البخاري ومسلم).

أورد البخاري هذا الحديث في باب «عون المرأة زوجها في ولده».

وورد في فتح الباري: قال ابن بطال: وعون المرأة زوجها في ولده ليس بواجب عليها وإنما هو من جميل العشرة ومن شيمة صالحات النساء.

التعاون بين الزوجين من أجل كمال أداء مسؤولية تدبير شؤن البيت.

الرسول ﷺ في خدمة أهله:

ـ عن الأسود قال: سألت عائشة: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله ـ تعني خدمة أهله ـ فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة. (رواه البخاري).

وفي رواية عند أحمد: أن عائشة سئلت ما كان رسول ﷺ يعمل في بيته؟ قالت: كان بشراً من البشر، يفلي ثوبه، ويحلب شاته ويخدم نفسه. (وفي رواية أخرى: كان يخيط ثوبه ويخصف نعله(٢) ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم).

أورد البخاري هذا الحديث في عدة مواضع: في كتاب الصلاة «باب من كان في

---

(١) ثيباً: الثيب من سبق لها الزواج.

(٢) يخصف نعله: يخيط نعله.

حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج» وفي كتاب النفقات «باب خدمة الرجل في أهله» وفي كتاب الأدب «باب كيف يكون الرجل في أهله».

وقال الحافظ ابن حجر: (قوله: في مهنة أهله) بفتح الميم وكسرها وسكون الهاء، وقد فسرها في الحديث بالخدمة وهي من تفسير آدم بن أبي إياس شيخ المصنف... وفي الصحاح: المهنة بالفتح الخدمة، وهذا موافق لما قاله، لكن فسرها صاحب المحكم بأخص من ذلك فقال: المهنة الحذق بالخدمة والعمل... وفي الحديث الترغيب في التواضع وترك التكبر، وخدمة الرجل أهله..

علي بن أبي طالب يعاون أهله:

ورضي الله عن علي بن أبي طالب إذ كان يقتدي بسنة النبي ﷺ، فيعاون أهله في تدبير شؤون البيت، وقد ورد في فتح الباري من رواية عند أحمد: (قال علي لفاطمة ذات يوم: والله لقد سَنَوْت[1] حتى اشتكيت صدري، فقالت: وأنا والله لقد طحنت حتى مَجَلَت[2] يداي).

جابر بن عبد الله يعاون أهله:

عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خَمَصاً[3] شديداً، فانكفيت[4] إلى امرأتي، فقلت: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً. فأخرجت إليّ جراباً[5] فيه صاع[6] من شعير، ولنا بُهَيمَة[7] داجن[8]، فذبحتُها.. وقطعتها في بُرْمَتِها[9].

رحم الله الإمام البخاري فقد أورد في مسؤولية تدبير شؤون البيت ثلاثة أبواب متتالية أولها: «باب عمل المرأة في بيت زوجها» وثانيها: «باب خادم المرأة» وثالثها: «باب خدمة الرجل في أهله». وهذه الأبواب الثلاثة تقدم تلخيصاً جيداً شاملاً

---

(١) سَنَوْت: أي استقيت من البئر، فكنت مكان السانية وهي الناقة التي يستقى عليها الماء من الآبار.

(٢) مجلت يداي: تقرحت من العمل.

(٣) خمصاً: أي ضمورا في بطنه من الجوع.

(٤) انكفيت: رجعت.

(٥) جراب: وعاء من جلد.

(٦) صاع: الصاع أربعة أمداد، والمد ملء كفي الإنسان.

(٧) بهيمة: تصغير بَهْمَة وهي الصغير من الضأن وجمعها بَهْم.

(٨) الداجن: التي تترك في البيت ولا تفلت للمرعى ومن شأنها أن تسمن.

(٩) البرمة: القدر.

لجوانب هذه المسؤولية. فمسؤولية المرأة عن تدبير شؤون المنزل، أو بتعبير الحديث الشريف: «**المرأة راعية على بيت بعلها**».

حقوق وواجبات ينبغي مراعاتها

للزوج على زوجته حقوق كما أن لها عليه حقوقاً، وحقوق الزوج على زوجته كبيرة وعظيمة، لأنها ينبغي أن تكون السكن والراحة، والأمن والأمان، وصدق الله ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ (الروم الآيه:٢١) وهذا السكن والأمان مطلوب للرجل حتى يستطيع أن يؤدي ماعليه من واجبات هي ضريبة المجتمع عليه فيشارك في كل ما يرفع شأن الأمة من تعمير وبناء ودفاع عن الديار وجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى، كما أنه مكلف بالبحث والاكتشاف والسعي في الأرض.

وكذلك فإن عليه أعباء الحكم وإدارة الأعمال والمنشآت والمؤسسات والشركات، والعمل على استتباب الأمن، ومطاردة السفاكين واللصوص، وجميع المجرمين.

وهو المكلف أصلاً بالبحث والاكتشاف والاختراع وعمل التجارب للوصول بأمته إلى مكانة تجعل كلمتها مسموعة، وهيبتها تملأ قلوب الآخرين، وحياتها مرفهة ما أمكن.

وهو الذي يحمل عبء التقدم العلمي والنفسي في جميع ميادين الحياة ابتداءً من المدرسة إلى الجامعة إلى المختبرات والمعامل والمصانع.

وهو الذي يقوم بأنواع الاتصال بين الدول والبلاد والعائلات والأفراد من أجل العمل لصالح الدولة أو البلد أو العائلة أو الأسرة.

إن أحمال الرجل ثقيلة وتكاليفه شاقة في الجملة، ومهما حملت المرأة معه وشاركت في العمل والعلم والبناء، فإن دورها كما ينطق به الواقع محدود باستثناء بعض النساء النابهات اللائي لهن أدوار مشهودة في المجتمعات، ومع هذا الدور المحدود فإنها تعتمد أصلاً على الرجل في أكثر الأعمال، ولو أنها أسند إليها ما يسند إلى الرجال في كل شيء لكان ذلك معناه ضياع كامل لأعز من في الأمة، وهو جيل الطفولة الناشئ الذي لا غنى له بحال عن عطف الأم وحنانها وصبرها وحسن تأديتها لعملها.

هذه كله وأكثر منه مطلوب من الرجل شرعاً وعقلاً وعرفاً اجتماعياً.

والمرأة لم يطالبها الشرع بشيء من ذلك كله، وكذلك المجتمع في الأصل، والغالب والواقع إلا إذا كان أمراً ضرورياً تحتاجه الأمة، ووجهتها إليها تعليماً وخبرة، أو تطوعت هي به مع أعبائها الأسرية وبشروطه المعروفة، إنما المطلوب منها أمران لا ثالث لهما إن كانت زوجة:

١ـ أن تعيش لزوجها سكناً ورحمة ووداً حتى يجد بجانبها السعادة والاستقرار وتعويض ما يلقى.

٢ـ أن تقوم بدور الأم كاملاً مع أولادها حتى تسلمهم للأسرة والوطن صالحين لتحمل دور الآباء والأمهات والسير بالحياة إلى التقدم والازدهار.

وليس معنى ذلك أن المرأة ممنوعة من العمل أو العلم أو تحمل الأعباء والمشقات، إنما الغرض الصحيح أن ذلك كله ليس مطلوباً منها على سبيل الوجوب والحتم إلا العلم في أمور معينة، وإلا بعض الأعمال المتصلة بالنساء ـ فإنه لا غنى للأمة عن تجنيد المرأة فيها ـ أما غير ذلك فإن تجنيد المرأة فيها، هو تضييع لأكبر طاقة تساعد الرجل على القيام بما هو مستعد له بالفطرة، كما أنه تضييع لأعظم أمل للأمة وهو ناشئة البنين والبنات.

وإذا كانت كل المسؤوليات على الرجل، وكانت مسؤولية المرأة الزوجة محصورة في الأمرين السابقين فإن العقل والشرع والعرف يجعل للرجل حق الرياسة في الأسرة، وحق الطاعة بالمعروف على كل أفراد الأسرة من زوجة وأبناء.

وليس معنى ذلك أن الإسلام يجعل من الزوج دكتاتوراً ومستبداً يفرض رأيه وعسفه وغشمه على الجميع... ليس هذا مراداً أبداً لا في العقل ولا في الشرع، بل المراد أن جو الأسرة الذي تسوده الحياة الجميلة والعشرة الحسنة يجب أن يقوم على المشاورة في الأمور المشتركة وأن يكون التفاهم الحسن، وتبادل الآراء تحت مظلة الرحمة والحب والمودة هو الأصل، وإلا كان تناقضاً، فإن اختلف الزوجان في أمر وتمسك كل من الزوج والزوجة برأيه وجب أن يطاع الرجل بالمعروف وبالحق من غير تعسف، وهذا هو معنى قوامة الرجل على المرأة. فالرجل له درجة أعلى من درجة المرأة تجعله قواماً عليها؛ لأن الرجل هو الغارم الأصلي والمنفق والمجاهد والحامي والمدافع عن المرأة «و الغنم بالغرم» وتبادل المصالح أصل معترف به ومفروض اجتماعيا وشرعياً وعقلياً. ومن هنا ندرك معاني الآيات والأحاديث

التي تفضل الزوج على الزوجة مثل قوله تعالى:

﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن﴾. (سورة البقرة: ٢٢٨).

أولاً: معرفة أهميته بالنسبة لها وتقديره:

ومعرفة هذا الحق مهمة جداً، وقد بينت الآيتان السابقتان أن الرجال لهم درجة وقوامة وفضل على النساء، وتأتي الأحاديث شارحة للقرآن ومبينة مكانة الزوج، وهي مكانة تفوق كل تصور، وواجب على المرأة العلم بها لتتصرف مع زوجها على أساسها، ولتكون كالدافع لها في ألا تتبرم بزوجها ولاتمله ولاتنكر فضله عليها.

فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة»**(رواه ابن ماجه، والترمذي. وحسنه الحاكم وقال: صحيح الإسناد).

وعن حُصين بن محصن ـ رضي الله عنه ـ **أن عمة له أتت النبي ﷺ**، فقال لها: **«أذاتُ زوج أنت»؟** قالت: نعم قال: **«فأين أنت منه»؟**[١] قالت: ما آلوه إلا ما عجزتُ عنه[٢] قال: **«فكيف أنت له،**[٣] **فإنه جنتُك ونارُك»** (رواه أحمد والنسائي بإسنادين جيدين والحاكم وقال: صحيح الإسناد).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ: أيُّ الناس أعظم حقاً على المرأة؟ قال: **«زوجها»**. قلت فأي الناس أعظم حقاً على الرجل؟ **«قال أمه»** (رواه البزار بإسناد حسن).

وهنا تقابل جميل رائع يعطي المرأة جزاء ما تقدم: فبينما زوجها أعظم الناس حقاً عليها إذا بها أعظم الناس حقاً على ابنها، وهكذا العدل الإلهي المطلق.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»** رواه الترمذي وقال: (حديث حسن صحيح).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: **«لا ينظر الله تبارك وتعالى إلى امرأة لا تشكُر لزوجها وهي لا تستغنى عنه»** (رواه النسائي والبزار بإسنادين رواة أحدهما رواة الصحيح).

---

(١) يعني أين تضعين نفسك منه ؟ هل تتكبرين عليه أم تخضعين له ؟

(٢) لا أقصر في حقه إلا عند عجزي وعدم قدرتي.

(٣) أي على أي حال تكونين معه فإنك تأخذين جزاءك على ذلك.

ومكانة الزوج هذه لا تأتي من فراغ ولا تكون مجرد تكليف ثقيل بغير حق، بل تكون تلك المكانة بحقها لأن الزوج يمثل للأسرة العمود الفقري، ولأنه يتحمل أعباء الأسرة ويعفها ويرعى مصالحها، ولأن الزوج حسن العشرة طيب المعاملة كريم النفس عظيم الخلق، طاهر الذيل مستقيم السيرة.

من أجل هذا استحق الزوج كريم المعاملة اعترافاً بالجميل، ورداً للطيبات بمثلها، وللتحية بأفضل منها لأنه كان خير الناس لأسرته،وصدق رسول الله ﷺ : «**خيركم؟ خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**» وقد أوصى الرسول ﷺ بالنساء خيراً في كثير من أحاديثه ﷺ .

أما إذا كان الزوج سيئ الخلق غريب الطباع فظاً غليظاً يضيع أسرته ويهمل في حق زوجه ولا يرعى أسرته ولا يعاملها بالمعروف، ويقصر في النفقة فإنه لا كرامة له إذا كان في مكنته ذلك ولم يفعل، ولا حقوق له إن كان لا يرعى حقوق الآخرين في أسرته وأهله، ولهذا جاء في الحديث الشريف: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت». وقد قرر الفقهاء أن الرجل يُحبس في النفقة إذا لم يؤدها، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾(التحريم: ٦) وقال ﷺ : «**ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن**».

وذكر القشيري أن عمر رضي الله عنه قال:«لما نزلت هذه الآية قلت: يا رسول الله، نقي أنفسنا، فكيف بأهلينا؟ فقال: «**تنهونهم عما نهاكم الله، وتأمرونهم بما أمر الله**». وقال مقاتل: هذا حق عليه في نفسه وولده وأهله عبيده وإمائه، وقيل: علينا تعليم أولادنا وأهلينا الدين والخير وما لا يُستغنى عنه من الأدب، وهو قوله تعالى: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا**﴾(طه: ١٣٢) انظر في ذلك تفسير القرطبي ١٨/ ١٩ .

والرجل الذي يظن أن امرأته أمة عنده، مع قوله تعالى﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ ومع كل الأحاديث التي تصرح بأن المرأة مسؤولة في بيت زوجها كما هو مسؤول، ومع الأحاديث التي توصي بالمرأة خيراً وتحض على أن تشارك في كل شيء ومع نسيانه لحقوقها التي قررها الإسلام رجل يحرض زوجه على عصيانه ويحض أولاده على عصيانه وعليه إثم ذلك كله، والذي يتصور أن له حقوقاً وليس عليه واجبات رجل لا يعرف الإسلام، وأولى به أن يتعلم حتى لا يعيش عاصياً لله ولرسوله مضيعاً لدينه ودنياه.

وقال ﷺ : «إن أراد الله تعالى بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق، وإن الرفق لو كان خَلقاً لما رأى الناس خلقاً أحسن منه، وإن العنف لو كان خلقاً لما رأى الناس خلقاً أقبح منه». (رواه أحمد والبيهقي).

وروى أبو داود والترمذي عنه عليه الصلاة والسلام: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء».

تلكم أهم التوجيهات الإسلامية في لين الجانب، وحسن القول، وفضيلة المعاملة. فما على الآباء والأمهات إلا أن يأخذوا بها، وينفذوا ما جاء فيها، ويعملوا بمقتضى هديها وإرشادها، إن أرادوا لأولادهم الحياة الفاضلة، والاستقامة الدائمة، والخلق الاجتماعي النبيل.

أما أن يسلكوا معه الطريق الملتوية، والمعاملة الفظة القاسية، والعقوبة الظالمة الشديدة، فيكونوا قد جنوا على أبنائهم حين يقذفون بهم إلى الحياة في جو هذه التربية الخاطئة، والتوجيه الملتوي الذميم، بل سيرون حتماً انحرافهم أو عقوقهم أو تمردهم، لأنهم هم الذين غرسوا في نفوسهم ـ وهم صغار ـ بذور هذا الانحراف أو العقوق أو التمرد.

جاء رجلٌ إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو إليه عقوق ابنه، فأحضر عمر الولد وأنَّبه على عقوقه لأبيه، ونسيانه لحقوقه، فقال الولد: يا أمير المؤمنين، أليس للولد حقوق على أبيه؟ قال: بلى، قال: فما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال عمر: أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه الكتاب (أي القرآن)، قال الولد: يا أمير المؤمنين، إن أبي لم يفعل شيئاً من ذلك، أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي، وقد سماني جُعلاً (أي خنفساء)، ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً.

فالتفت عمر إلى الرجل وقال له: جئت إلي تشكو عقوق ابنك، وقد عَقَقتهُ قبل أن يعقك، وأسأت إليه قبلَ أن يُسيء إليك؟ !.

وهكذا حمَّل عمر الرجل حين أهمل تربية ابنه مسؤولية عقوق ولده له.

ومما يذكر في كتب السير: أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، غضب على ابنه يزيد مرة، فأرسل إلى الأحنف بن قيس ليسأله عن رأيه في البنين فقال: (هم ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، فإنهم يمنحونك ودّهم، ويَحْبونك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقيلاً فيملوا حياتك، ويتمنوا وفاتك).

الا فليأخذ الآباء من هذين الخبرين العظة والعبرة في الملاطفة لأولادهم، وحسن المعاملة لهم، والرفق بهم، واتباع الطريق الأقوم في تربيتهم وتوجيههم.[١] وكذا معاملة الزوجة والأهل. وروى في الأثر: «رحم الله والداً أعان ولده على بره».

رئاسة الأسرة:

جعل الإسلام للأسرة رئاسة، والرئاسة بحقها حيث يلزم تلك الرئاسة العمل والإنتاج والإنفاق على الأسرة وإعفاف زوجته ولهذا جعل الإسلام الزوج رئيساً للأسرة بالمعروف لتدبير أمرها، وإحسان عشرتها، وسمى ذلك قوامه.

وحيث إن المرأة شقيقة الرجل في الخلقة والمقومات الإنسانية فقد ساوى الإسلام بينها وبين الرجل في هذا المجال، الأمر الذي قال عنه النبي ﷺ: **«إنما النساء شقائق الرجال»**.

إلا أن هناك فارقاً بين الحقوق الفردية والحقوق الاجتماعية، فالرجل والمرأة يفقدان بعض الحقوق الفردية، حال اندماجهما في المجتمع.

وتختلف درجة الاندماج بنوع الحياة الاجتماعية التي يعيشها كل منهما.

فالعامل في المصنع أو المتجر يخضع لسلطة رب العمل ويلتزم بطاعة أوامره وتعليماته في حدود نظم العمل ولوائحه.

وخارج المصنع لا سلطة لرب العمل على العامل ولا طاعة له عليه، والابن في حياته الاجتماعية خارج نطاق الأسرة يمارس حقوقه كاملة، ولكن داخل نطاق الأسرة، لابد أن يكون للأب نوع من السلطة المثلة في الرئاسة والإشراف.

والمرأة بوصفها زوجة تصبح عضواً في أسرة ومن ثم تخضع لنوع من السلطة الممثلة في الإشراف من رب الأسرة أو الطاعة له.

فالحقوق في الحياة الاجتماعية تختلف عنها في الحياة الفردية، كما أنها داخل الإطار الاجتماعي تتفاوت.

فالمواطن يرتبط بالولاء لدولته، الأمر الذي يخضعه لقوانينها ولطاعة رئيسها ونظمها، ويختلف نوع الطاعة المطلوبة بنوع نظام الحكم.

---

(١) انظر: تربية الأولاد ١/ ١٣٧ .

وللمواطن الصغير وهو الأسرة حقوق وولاء لا مجال لإنكارها أو تجاهلها، ويختلف مداها باختلاف المجتمعات.

ولقد وردت الأحاديث الموضحة والمؤكدة لذلك فيما قاله رسول الله ﷺ: «... **وإن غاب عنها حفظته في نفسها وبيته وماله**» أو كما قال، فعليها ألا تدخل أحداً كائناً من كان في بيته إلا بإذنه ورضاه حتى إنها لاتصوم نفلاً إلا بإذنه ورضاه كذلك ولا تتصرف في شيء من ماله ـ حتى ولو كان صدقة ـ إلا بإذنه ورضاه.

وتحفظ نفسها وتصون عرضها ولا تدخل على القوم ما ليس منهم، قال تعالى: ﴿**وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ**﴾ (الممتحنه١٢) فكل هذه أمانات للزوج عندها، وقد قال الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ (المؤمنون:٨ ـ ١١).

مراجع للتعلم الذاتي والاستيفاء:

١ـ تربية الأولاد في الإسلام ـ عبد الله ناصح علوان.

٢ـ بناء الأسرة في الإسلام ـ خالد عبد الرحمن.

٣ـ الأسرة والمرأة المعاصرة ـ البهي الخولي.

التفعيل العملي للمحتوى بالنشاط المصاحب:

١ـ يلخص أهداف الأسرة المسلمة في مطوية، و توزع على الجمهور.

٢ـ يدعو متخصصاً في مجال التربية وعلم النفس ليتحدث عن الأسس العاطفية العلمية لبناء الطفل السوي.

٣ـ ينتقي قصصاً تتحدث عن الشخصيات العلمية والعسكرية الفذة في تاريخ الإسلام ليقرأها الطفل.

٤ـ يقرأ الكتب العلمية التي تتحدث عن كيف يُربى الطفل المسلم ليستفيد منها في تربية أبنائه.

٥ـ يعرض على أبنائه شرائط الفيديو التي تعلمهم اللغة العربية بأسلوب مبسط.

٦ـ يتجنب الاختلاط بالنساء.

التقويم والقياس الذاتي:

١ـ حدد الأهداف التربوية للأسرة المسلمة.

٢ـ ما الأسس العاطفية التي ينبغي أن يتربى عليها الطفل المسلم ؟

٣ـ اذكر الأسس العلمية لبناء الطفل المسلم علمياً وفكرياً.

٤ـ اذكر بعض الأمثلة التي توضح بعض النماذج الفذة في تاريخ المسلمين وهم يطلبون العلم صغاراً.

٥ـ ما الأساس الذي تقوم عليه الأسرة المسلمة ؟

٦ـ تحدث عن أهمية دور المرأة في الأسرة والمجتمع.

٧ـ ما المقصود بتهذيب المرأة ؟ ولماذا يجب تهذيب المرأة ؟

٨ـ لماذا أصر الإسلام على التفريق بين المرأة والرجل ؟

الفصل السادس

ما ينبغي عمله نحو الأولاد

ما ينبغي عمله نحو الأولاد

أهداف معرفية يرجى تحقيقها بدراسة هذا المبحث:

١- يوضح مسؤوليات الرجل في أسرته.

٢- يعرض لحياة الرسول في أسرته بإيجاز.

٣- يعدد جوانب العظمة في رسول الله ﷺ مع أسرته زوجاً وأباً.

٤- يبين مكونات أسرة الرسول ﷺ في نشأتها الأولى حتى وفاته ﷺ.

٥- يعدد صوراً من تلطف الرسول ﷺ ومداعبته للأطفال وحبه لهم.

٦- يعدد حقوق الزوجة والأبناء التي أوجبها الإسلام على رب الأسرة.

٧- يوضح أثر اختيار الاسم في شخصية المسمى.

٨- يعدد فوائد العقيقة للمولود.

ثانياً: المحتوى العلمي:

الرجل في أسرته راع ومسؤول عن رعيته، يأخذ بالأيدي ويقوّم المعوج ويرشد الضال ويهدي الحائر، قدوة للصغير ومثل أعلى للكبير وسيرة حسنة في الناس تتفتح أعين أسرته عليه قبل أن تتفتح على أي شيء ويلقنون منه قبل أن يسمعون أي حديث، وصدق رسول الله ﷺ: **«كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»** فالصلاح في الآباء والتوجيه الحسن من رب الأسرة يعمل العمل الطيب ويترك الأثر الصالح ويكون له البصمة العظيمة في حياة الأبناء، وكذلك فإن التوجيه السيئ يكون له الأثر السيئ في نفوس الذرية، يزرع فيهم الداء الخبيث وينقل المرض العضال إليهم، والإسلام خص رب الأسرة بالتوجيهات والتعليمات التي لو سار عليها لتكونت عنده الأسرة الطيبة والذرية الحسنة.

أولاً: البشارة و حسن التسمية:

وشرع لنا القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة البشارة بالمولود ذكراً أو أنثى، ففي القرآن العظيم في مواضع منها قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيم

الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾ (الذاريات: ٢٤ ـ ٢٨) .

وقوله تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ ﴾ (الصافات: ١٠١).

وقوله تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ (مريم:٧).

وجاء عن التابعي الجليل الحسن البصري، كيفية التهنئة بالمولود،قال ابن المنذر في الأوسط: روينا عن الحسن البصري أن رجلاً جاء إليه وعنده رجل قد ولد له غلام، فقال له: يهنك الفارس، فقال له الحسن البصري: وما يدريك أفارس هو أم حمار؟ قال: فكيف نقول؟ قال: قل: بورك في الموهوب، وشكرت الواهب، وبلغ أشده، ورزقت بره[(١)].

ومن فرحه ﷺ بالمولود أنه كان يختار له من الأسماء أحسنها، وأمرنا بذلك، فتسمية ولده بإبراهيم لمطابقة اسم أبيه إبراهيم خليل الرحمن،وجاء عن أنس بن مالك قال: لما ولد إبراهيم جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم[(٢)].

وهذا لا يتعارض مع ما تقدم من خروجه على الصحابة وقوله لهم: وُلد الليلة مولود فسميته إبراهيم، وذلك بأن يكون سلام جبريل عليه بذلك دعاه إلى اختيار هذه التسمية، ونبّهه وأشار عليه بذلك ففعل.

وقد ألهمه الله عز وجل أن يسمي ولده الأول القاسم، وجاء عنه صلوات الله عليه قوله: «تسموا باسمي، ولا تكتنوا بكنيتي، فإني أنا أبو القاسم أقسم بينكم»[(٣)].

وفي رواية: «أنا أبو القاسم ـ الله يعطي، وأنا أقسم»[(٤)].

وقد جاء عن علي كرم الله وجهه أنه كان رجلاً يحب الحرب، فلما ولد له الحسن

(١) انظر: تحفة الودود في أحكام المولود، لابن قيم الجوزية، ص ٢٤

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١/ ١٥٣، من طريق الواقدي.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: الأدب، باب من سمّى بأسماء الأنبياء ١٠/ ٥٧٧ ؛ ومسلم: الأدب، رقم ٢١٣٣، من حديث جابر بن عبد الله، وقال البخاري عقبة: ورواه أنس عن النبي ﷺ.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة ١٣/ ١٣٤ ,

جاء رسول الله ﷺ فقال: «أروني ابني، ما سميتموه»؟ فقلت: سميته حرباً، فقال رسول الله ﷺ: «بل هو حسن».

فلما ولد الحسين قال: «أروني ابني»، ما سميتموه؟ قالوا: حرباً، قال: «بل هو حسين».

فلما ولد لي الثالث، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أروني ابني، ما سميتموه»؟ قالوا: سميناه حرباً، قال: «بل هو محسّن»(١)..

وفي رواية أنه كنى الحسن أبا محمد، وكنى الحسين أبا عبد الله.

وقد حثّ ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ على اختيار الاسم الحسن للمولود فقال: «إنكم تُدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم»(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «أحب الأسماء إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن»(٣)، وقال عليه الصلاة والسلام: «تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومرةٌ»(٤).

والحارث: الكاسب، وهمّام: فعّال من همَّ يهمّ فهو همّام.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ٩٨، ١١٨؛ وابن حبان في صحيحه ١٥/ ٤١٠؛ والحاكم ٣/ ١٨٠، وصححه ووافقه الذهبي، وا لبزار، رقم ١٩٩٧، ١٩٩٨ مختصراً، وعند البزار:(جبر، وجبير، ومجبر)، ومثله الطيالسي. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجال أحمد والبزار رجال الصحيح، غير هانئ بن هانئ، وهو ثقة. قلت: تفرّد عنه أبو اسحاق السبيعي بالرواية، كما تفرّد هو عن علي رضي الله عنه، قال النسائي: لا بأس به، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن سعد: كان يتشيع، كما أخرج الحديث الطبراني في الكبر، رقم ٢٧٧٤.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٩٤؛ وأبو داود رقم ٤٩٤٨،الأدب: باب في تغيير الأسماء وابن حبان ١٣/ ١٣٥؛ والبيهقي ٩/ ٣٠٦، وغيرهم من حديث أبي الدرداء، ورجاله ثقات، لكن أبا داود قال: ابن أبي زكريا لم يدرك أبا الدرداء، وحسّنه ابن قيم الجوزية في تحفة المودود، ص ٨٩.

(٣) أخرجه مسلم: الأدب، رقم ٢١٣٢؛ وأبو داود، رقم ٤٩٤٩؛ والترمذي وغيرهم من حديث ابن عمر.

(٤) أخرجه أبو داود: الأدب، باب تغيير الاسم، رقم ٤٩٥٠؛ والنسائي دون قوله: وأقبحها.. من حديث أبي وهب الجشمي وكانت له صحبة، وفي سنده عقيل بن شبيب، أخرج له البخاري في الأدب المفرد وأبو داود والنسائي، وذكره ابن حبان في الثقات ٥/ ٢٧٢، ٧/ ٢٩٤، وذكره البخاري في التاريخ الكبير، ٧/ ٥٣، ولم يذكره بجرح أو تعديل، ومثله ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٦/ ٢١٩، وجهّله ابن القطان، وسبقه إليه أبو حاتم الرازي، كما في العلل ٢/ ٣١٢، وتبعهما على ذلك الحافظ ابن حجر في التقريب وغيره، لكنه يتقوى بالشواهد.

وإن كان حارث وهمّام أصدق الأسماء، لأن الإنسان كاسب همّام بطبعه، ولا يكاد يخلو من كسب وهمّ.

وإنما كان مرَّة وحرب أقبح الأسماء، لأن الحرب مما لا يتفاءل بها وتكره، لأن فيها من القتل والمكاره والأذى. ومرَّة: لما فيه من المرارة، والمرُّ كريه بغيض إلى الطباع، ونهى رسول الله ﷺ عن التسمّي بالأسماء القبيحة، بل ما وجده منها غيَّره، وقال: «**إن أخنع الأسماء عن الله عز وجل، رجل تسمّى بملك الأملاك، لا مالك إلا الله**»(١).

قال سفيان بن عيينة: تفسيره: شاهنشاه.

ومعنى **أخنع**: أي أوضع وأذل، وشاهنشاه: ملك الملوك، وكذلك كل من كان في مثله كأحكم الحاكمين، وسلطان السلاطين، إلخ.

وأما تغييره صلوات الله وسلامه عليه الأسماء القبيحة، فقد غيَّر عاصية إلى جميلة، وشهاباً إلى هشام، وبرَّة إلى زينب، وإلى جويرية، وأبا الحكيم إلى أبي شريح، وأصرم إلى زرعة.

وفي البخاري عن سعيد بن المسيَّب عن أبيه أن أباه جاء إلى النبي ﷺ فقال: «**ما اسمك**»؟ قال: حزن، قال: «**أنت سهل**»، قال: لا أغيّر اسماً سمانيه أبي، قال سعيد: فما زالت الحزونة فينا بعد(٢).

وفي رواية: لا، السهل يوطأ ويمتهن(٣).

والحزونة: هي ما خشُن وغلظ من الأرض.

وغير اسم العاص وعزيز، وعتلة وشيطان، والحكم، وغراب، وحُباب، وحرب فسماه سلماً، والمضطجع فسماه المنبعث، وأرضاً تسمى عفرة فسماها خضرة، وشعب الضلالة سماه شعب الهدى، وبني الزينة سماهم بني الرشدة، وسمى بن مغوية بني رشدة(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب، من الصحيح، باب أبغض الأسماء إلى الله ١٠/ ٥٨٨؛ ومسلم الأدب، باب تحريم التسمي بملك الأملاك وملك الملوك رقم ٢١٤٣؛ وأبو داود، رقم ٤٩٦١؛ والترمذي وغيرهم.

(٢) البخاري في الأدب، باب الحزن، وباب تحويل الاسم إلى أحسن منه.

(٣) سنن أبي داود، رقم ٤٩٥٦.

(٤) أبو داود، رقم ٤٩٥٦.

قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يتفاءل ولا يتطير، ويعجبه الاسم الحسن(١).

ومن طريف ما يروى ويذكر في هذا المقام أن طلحة بن عبيد الله قال للزبير بن العوام رضي الله عنهما: أسماء بنيّ أسماء الأنبياء، وأسماء بنيك أسماء الشهداء، فقال له الزبير: أنا أرجو أن يكون بنيّ شهداء، وأنت لا ترجو أن يكون بنوك أنبياء(٢).

وكذلك كان، وكان لطلحة عشرة من الولد، وللزبير مثله.

لقد أعطى رسول الله ﷺ اختيار الاسم اهتماماً كبيراً لما له من أثر في الفرد والأسرة والمجتمع.

يقول ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله(٣): لما كانت الأسماء قوالب المعاني، ودالَّة عليها، اقتضت الحكمة أن يكون بينها وبينها ارتباط وتناسب، وألا يكون المعنى معها بمنزلة الأجنبي المحض الذي لا تعلّق له بها، فإن حكمة الحكيم تأبى ذلك، والواقع يشهد بخلافه، بل للأسماء تأثير في المسمَّيات، وللمسمَّيات تأثرٌ من أسمائها في الحسن والقبح، والخفة والثقل، واللطافة والكثافة، كما قيل:

وقلَّما أبصرت عيناك ذا لقب ... إلا ومعناه إن فكرت في لقبه

وكان رسول الله ﷺ يأخذ المعاني من أسمائها في المنام واليقظة، كما رأى أنه وأصحابه في دار عقبة بن رافع، فأتوا برطب من رطب ابن طاب، فأوّله بأن لهم الرفعة في الدنيا والعاقبة في الآخرة، وأن الدين الذي اختاره الله لهم قد أرطب وطاب(٤).

وتأوّل سهولة أمرهم يوم الحديبية بمجيء سهيل بن عمرو(٥).

وندب جماعة إلى حلب شاة، فقام رجل يحلبها فقال: ما اسمك؟ قال: مرَّة،

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢٥٧، ٣٠٣، ٣٠٤؛ وابن حبان ١٣/ ١٤٠؛ والطيالسي، رقم ٢٦٩٠، وغيرهم، وفيه بحث لا يحتمله هذا الموضع.

(٢) انظر: ابن حجر في الفتح ١٠/ ٥٨٠.

(٣) أخرجه أحمد ٣/ ٢٨٦؛ ومسلم في الرؤيا من الصحيح، رقم ٢٢٧٠؛ وأبو داود رقم ٥٢٠٥.

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح: الشروط، باب الشروط في الجهاد ٥/ ٣٣١؛ وأحمد في المسند ٤/ ٣٣٠

(٥) أخرجه مالك في الموطأ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري معضلاً ٢/ ٩٧٣، ووصله ابن عبد البر في الاستذكار ٢٧/ ٢٣٣؛ والتمهيد ٢٤/ ٧٢، من طريق عبد الله بن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن عبد الرحمن بن جبير، عن يعيش الغفاري، وعزاه الحافظ ابن حجر في الإجابة لابن سعد، والحارث ثقة وعبد الرحمن ثقة، وابن لهيعة فيه كلام معروف، وإننا لنجد الناس إذا رأوا شخصاً لا يتفق اسمه مع فعله فإنهم يضعون له اسماً يتفق وأفعاله، وأحياناً نجد اللقب الذي يطلقونه عليه يكون داعية لتغير سلوكه، وهذا ما نجده في جميع المجتمعات والشعوب.

فقال: اجلس فقام آخر فقال: ما اسمك؟قال: حرب، فقال اجلس، فقام ثالث فقال: ما اسمك قال: يعيش، فقال: احلبها(١).

وكان يكره الأمكنة منكرة الأسماء، ويكره العبور فيها، كما مرَّ في بعض غزواته بين جبلين فسأل عن اسميهما، فقالوا: فاضح ومخز، فعدل عنهما فلم يجز بينهما.

ولما كان بين الأسماء والمسمَّيات من الارتباط والتناسب والقرابة ما بين قوالب الأشياء وحقائقها، وما بين الأرواح والأجسام، عبر العقل من كل منهما إلى الآخر، كما كان إياس بن معاوية وغيره يرى الشخص فيقول: ينبغي أن يكون اسمه كيت وكيت، فلا يكاد يخطئ.

وضدّ هذا العبور من الاسم إلى مسمَّاه، كما سأل رجل عمر بن الخطاب عن اسمه فقال: جمرة: فقال: واسم أبيك؟ قال: شهاب، قا: ممّن؟ قال: من الحُرقة، قال: فمنزلك؟ قال: بحرَّة النار، قال: فأين مسكنك؟ قال بذات لظى، قال عمر: أدرك أهلك فقد احترقوا، فكان كما قال عمر رضي الله عنه(٢).

إن التسمية الحسنة أول ما يحسن بالأب أن يختاره لابنه وابنته، وكانت أسماء أولاد رسول الله ﷺ متميزة بما فيها من المعاني السامية، وشرَّع ذلك للأمة إلى يوم الدين.

ثانياً: العقيقة والختان

ومن تمام فرح رسول الله ﷺ بأولاده وذريته ما صنعه لهم من العقيقة والختان، أما أولاده القاسم وبناته اللواتي ولدن إما قبل الإسلام أو في بداية الإسلام، فلم يصلنا شيء يدل على أنه ختن القاسم، أو عقَّ عن البنات، إلا ما كان من حديث إبراهيم ابنه عليه السلام، وقد تقدم أن مارية القبطية ولدت لرسول الله ﷺ غلاماً فسمّاه إبراهيم، وعق عنه رسول الله ﷺ بشاة يوم سابعه، وحلق رأسه فتصدق بزنة شعره فضة على المساكين، وأمر بشعره فدفن في الأرض(٣).

---

(١) الموطأ ٢/ ٩٧٣.

(٢) انظر: طبقات ابن سعد ١/ ١٣٥؛ وابن عبد البر في الاستيعاب ١/ ٤١؛ والنووي في تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٠٢.

(٣) أخرجه أبو داود: العقيقة، رقم ٢٨٤١؛ والنسائي: العقيقة ٧/ ١٦٦، وعنده:(بكبشين كبشين) من حديث ابن عباس؛ وابن الجارود، رقم ٩١١؛ والطحاوي في مشكل الآثار، وغيرهم ومن حديث عائشة عند ابن حبان في صحيحه ١٣/ ١٢٧؛ والحاكم ٤/ ٢٣٧ وصححه، ووافقه الذهبي والبيهقي ٩/ ٢٩٩، ٣٠٣ ومن حديث بريدة عند النسائي ٧/ ١٦٦؛ وأحمد ٥/ ٣٥٥، ٣٦١؛ والبيهقي ٩/ ٢٩٩؛ والبزار رقم ١٢٣٥؛ وأبو يعلى. وقال الهيثمي: البزار وأبو يعلى رجالهما ثقات. مجمع الزوائد ٤/ ٥٧.

وهذه كلها آداب تراعي في المولود، وقد ولد إبراهيم سنة ثمان من الهجرة النبوية، وعاش نحو ثمانية عشر شهراً.

وقد صح عنه أنه عقّ عن الحسن والحسين رضي الله عنهما كبشاً كبشاً يوم السابع، وسماهما وأمر أن يماط عنهما الأذى[١].

وفي موطأ مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه أنه قال: وَزَنَتْ فاطمة بنت رسول الله ﷺ شعر حسن وحسين، وزينب وأم كلثوم فتصدقت بزنة ذلك فضة[٢].

قال ابن عبد البر: وأهل العلم يستحبُّون ما جاء عن فاطمة في ذلك مع العقيقة أو دونها، ويرون ذلك على من لم يعقّ ـ لقلة ذات يده ـ أوكد[٣].

وأمر كل أب وولي أن يقوم تجاه المولود ذكراً كان أو أنثى بالعقيقة، فقال عليه الصلاة والسلام: «مع الغلام عقيقة فأهريقوا عنه دماً، وأميطوا عنه الأذى»[٤].

وعنه عليه الصلاة والسلام: «إذا كان اليوم السابع للمولود، فأهريقوا عنه يوم السابع، ويسمى ويحلق رأسه»[٥].

قال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم، يستحبون أن يذبح عن الغلام العقيقة يوم السابع، فإن لم يتهيأ يوم السابع، فيوم الرابع عشر، فإن لم يتهيأ عق عنه يوم حادٍ وعشرين.

وقالوا: لا يجزئ في العقيقة من الشاة إلا ما يجزئ في الأضحية.

وعن أم كرز الكعبية قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عن الغلام شاتان مكافئتان، وعن الجارية شاة لا يضرُكم أذكراناً كنَّ أم إناثاً»[٦].

---

(١) الموطأ ٢/ ٥٠١ والبيهقي في الكبرى ٩/ ٢٩٩، ٣٠٤.

(٢) الاستذكار ١٥/ ٣٧٠.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٧، ١٨؛ والبخاري مختصراً، وعلّقه كاملاً ٩/ ٥٩٠: العقيقة، باب إماطة الأذى عن الصبي والعقيقة، وأبو داود، رقم ٢٨٣٩؛ والترمذي ٦/ ٣١٦، وقال: حسن صحيح؛ والنسائي ٧/ ١٦٨ من حديث سلمان بن عامر الضبي وغيرهم.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر، وسنده حسن كما في فتح الباري ٩/ ٥٨٩.

(٥) أخرجه أحمد ٥/ ٧، ١٧، ٢٧؛ وأبو داود، رقم ٢٨٣٨؛ والترمذي ٦/ ٣١٩؛ والنسائي ٧/ ١٦٦ وغيرهم، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه غير واحد.

(٦) أخرجه أحمد ٦/ ٣٨١، ٤٢٢؛ وأبو داود، رقم ٢٨٣٥، ٢٨٣٦؛ والترمذي ٦/ ٣١٦ وقال: حسن صحيح؛ والنسائي ٧/ ١٦٤، ١٦٥ وغيرهم، وجاء مثله، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عند الترمذي وابن ماجه، وابن حبان، وهو صحيح، ومن حديث عائشة، وأسماء وأبي هريرة.

ومعنى قول النبي ﷺ «مرتهن بعقيقته» أجود ما جاء في تفسيره: أنه من مات طفلاً ولم يعقّ عنه، لم يشفع في والديه، أي أنه محبوس عن الشفاعة في والديه، وهذا معنى الرهن، قال ابن قيم الجوزية: وظاهر الحديث أنه رهينة في نفسه ممنوع محبوس عن خير يراد به، ولا يلزم من ذلك أن يعاقب عن ذلك في الآخرة، وإن حبس بترك العقيقة عما يناله من عقّ عنه أبواه، وقد يفوت الولد خير بسبب تفريط الأبوين، وإن لم يكن من كسبه(١).

إنه احتفاء وتكريم للمولود وللإنسانية فيه، وقد كانت يهود تعقُّ عن الغلام ولا تعقّ عن البنت، فألغى الإسلام ذلك وجعل التكريم لهما معاً، ويقال عند ذبح العقيقة: بسم الله والله أكبر، اللهم لك وإليك، هذه عقيقة فلان(٢)، وإن نوى ولم يتكلم به أجزأه إن شاء الله، وجاء أن النبي ﷺ أمرهم أن يرسلوا إلى القابلة برِجل العقيقة.

ومن حق الابن على أبيه الختان، وهو من خصال الفطرة التي أمر الله تعالى بها حين قال عز وجل: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾(الروم).

ومن تمام عنايته ورعايته لأولاده ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أنه كان يسترضع لهم، والرضاعة كانت شأن العرب ليشبّ غلمانهم على الفتوة، أصحاء الأجسام ممشوقي القوام، وكان يزورهم عند أظآرهم ـ أي مراضعهم ـ فعن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قال: لما ولد إبراهيم تنافست فيه نساء الأنصار أيتهن ترضعه، فدفعه رسول الله ﷺ إلى أم بردة بنت المنذر بن زيد وزوجها البراء بن خالد، وهما من بني النجار، فكانت ترضعه، وكان يكون عند أبويه في بني النجار، فيأتي رسول الله أم بردة فيقيل عندها، ويؤتى بإبراهيم(٣).

وعن أنس بن مالك، قال رسول الله ﷺ: «ولد الليلة لي غلام فسميته بأبي إبراهيم» ثم دفعه إلى أم سيف، امرأة قين بالمدينة يقال له: أبو سيف، فانطلق رسول الله ﷺ وتبعته حتى انتهينا إلى أبي سيف، وهو ينفخ بكيره، وقد امتلأ البيت دخاناً، فأسرعت في المشي بين يدي رسول الله ﷺ حتى انتهيت إلى أبي سيف،

---

(١) زاد المعاد ٢/ ٣٢٦.

(٢) أخرجه من حديث عائشة ابن أبي شيبة، وأبو يعلى وابن حبان والبيهقي والحاكم ـ المطالب العالية ٢/ ٢٨٩ وتحفة المولود صـ٧٤.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١/ ١٣٦، والزبير بن بكار وغيرهما.

فقلت: يا أبا سيف أمسك، جاء رسول الله ﷺ ، فأمسك، ودعا رسول الله ﷺ بالصبي فضمّه إليه، وقال ما شاء الله أن يقول[١].

وفي رواية عن أنس كذلك قال: ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ ، قال: كان إبراهيم مسترضعاً له في عوالي المدينة، فكان ينطلق ونحن معه، فيدّخل النبي وإنه ليُدخنُ ـ وكان ظئره قيناً ـ فيأخذه ويقبّله، ثم يرجع[٢].

والقين: الحداد.

وعوالي المدينة: القرى التي حولها وكانت القبائل تسكنها.

قال القاضي عياض: أبو سيف هو البراء بن أوس المتقدّم في الرواية الأولى، وأم سيف هي أم بردة خولة بنت المنذر، كما في الرواية الأولى.

وذلك محتمل، أو تكونان امرأتين، وقد أرضعتاه معاً، والله أعلم.

ثالثاً: تفقد أحوالهم

وأما زيارته لفاطمة عليها السلام فكثيرة متعددة، قالت عائشة رضي الله عنها: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ولا دلاً برسول الله ﷺ ؛ في قيامه وقعوده من فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته، وأجلسته في مجلسها[٣].

وفي رواية: أنها كانت تقبّل يده[٤].

وفي رواية عن عائشة قالت: كنا أزواج النبي ﷺ اجتمعنا عنده، فلم يغادر منهن واحدة، فجاءت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها مشية رسول الله ﷺ ، فلما

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: الفضائل، باب رحمته(الصبيان والعيال وتواضعه ٤/١٨٠٧ ؛ وابن سعد في الطبقات ١/ ١٣٦ ؛ والبخاري مختصراً: الجنائز، باب قول النبي (: إنا بك لمحزونون ٣/ ١٧٢

(٢) مسلم في الموضع السابق ؛ وابن سعد كذلك ؛ وأحمد في المسند ٣/ ١١٢ ؛ وابن حبان في صحيحه ١٥/ ٤٠٠.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح: الأنبياء، باب علامات النبوة في الإسلام، والاستئذان، باب من ناجي بين يدي الناس ؛ ومسلم في فضائل الصحابة، رقم ٢٤٥٠، وغيرهم.

(٤) أخرجه أبو داود في الأدب من سننه، رقم ٥٢١٧، باب ما جاء في القيام ؛ والترمذي في الفضائل ١٣/ ٢٤٩؛ والحاكم في المستدرك ٣/ ١٥٤ وقال: على شرط الشيخين، وقال الذهبي: بل صحيح؛ وابن حبان في صحيحه ١٥/ ٤٠٣ ؛ والنسائي في فضائل الصحابة، رقم ٢٦٤.

رآها رحّب بها قال: مرحباً بابنتي، ثم أقعدها عن يمينه أو عن يساره ثم سارّها.. الحديث(١).

وعن علي رضي الله عنه قال: شكت فاطمة إلى النبي ﷺ ما تلقى في يدها من الرحي، فأتي بسبيٍ فأتته تسأله فلم تره، فاخبرت بذلك عائشة، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته، فأتانا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا لنقوم فقال: «على مكانكما» فجاء فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، فقال: «الا أدلكما على خير مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما فسبّحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين فهو خير لكم من خادم».

وفي رواية: فغدا علينا ونحن في لفاعنا، فجلس عند رأسها، فأدخلت رأسها في اللفاع حياءً من أبيها.. الحديث(٢).

وفي هذا الحديث من العلم حرصه على تعليم ذريته وأهله سبل الخير، واختيار ما هو أفضل وأحسن، وفيه كذلك تقصيٍّ أحوال أهله وما يحتاجون إليه، ومساءلتهم عما يشغلهم ويهمّهم.

وفي سره صلوات الله وسلامه عليه كان آخر عهده بالمدينة إتيان فاطمة، وأول من يدخل عليه إذا قدم من سفره فاطمة(٣).

وفي رواية: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من غزو أو سفر، بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين، ثم يأتي فاطمة، ثم يأتي أزواجه(٤).

وأما زواج فاطمة الزهراء رضي الله عنها، فقد شاء الله تعالى أن يكون من علي ابن أبي طالب كرّم الله وجهه، وكان ذلك في السنة الثانية بعد بدر الكبرى.

فعن بريدة بن الحصيب قال: قال نفر من الأنصار لعلي: عندك فاطمة، فدخل على النبي ﷺ فقال: «ما حاجة ابن أبي طالب»؟ قال: ذكرت فاطمة بنت

---

(١) انظر: الحاكم في المستدرك ٣/ ١٦٠.

(٢) أخرجه أبو داود، رقم ٥٠٦٢، ٥٠٦٣، والحديث في الصحيحين والسنن وغيرها، في فضل التسبيح عند النوم.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٧٥؛ والبيهقي في شعب الإيمان.

(٤) ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/ ٣٧٦. من طريق ابن السراج بسنده إلى أبي ثعلبة الخشني. وفي سنده أبو فروة الرهاوي، وهو ضعيف.

رسول الله ﷺ، قال: «مرحباً وأهلاً» لم يزده عليها، فخرج إلى الرهط من الأنصار ينتظرونه فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما أدري، غير أنه قال لي: مرحباً وأهلاً، قالوا: يكفيك من رسول الله ﷺ إحداهما، فقد أعطاك الأهل وأعطاك الرحب، فلما كان بعد ذلك بعدما زوجه قال: «يا علي، إنه لا بد للعرس من وليمة» قال سعد: عندي كبش، وجمع له رهط من الأنصار آصعاً من ذرة، فلما كان ليلة البناء قال: «يا علي لا تحدث شيئاً حتى تلقاني» فدعا النبي ﷺ بماء فتوضأ منه، ثم أفرغه على عليّ فقال: «اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك في شبلهما»(1).

وجاء في بعض النصوص أن أبا بكر خطب فاطمة، وأن عمر خطب فاطمة، فقال النبي ﷺ: «هي لك يا علي، لست بدجال» ـ يعني لست بكذاب ـ وذلك أنه كان قد وعد علياً بها قبل أن يخطب إليه أبو بكر وعمر (2).

وعن بريدة بن الحصيب قال: خطب أبو بكر وعمر فاطمة، فقال رسول الله ﷺ: «هي صغيرة»، فخطبها علي فزوجها منه(3).

قلت: ولعل هذا في فترة مبكرة قد طلبها، وبعد مدة خطبها علي فوافق رسول الله ﷺ فلما طلبها أبو بكر وعمر، اعتذر بالوعد الذي أعطاه لعلي.

وجاء في الآثار أن رسول الله ﷺ قد شاورها في زواجها، فعن عطاء بن أبي رباح قال: خطب علي فاطمة، فقال لها رسول الله ﷺ: «إن علياً يذكرك» فسكتت فزوجها، وطلب المهر من عليّ، فعن ابن عباس قال: لما تزوج علي فاطمة قال النبي ﷺ: «أعطها شيئاً» قال: ما عندي شيء، قال: «فأين درعك الحطمية؟»(4).

وقال ابن عباس: ما استحل علي فاطمة إلا ببدن من حديد(5).

---

(1) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة، رقم 258 ؛ والدولابي في الذرية الطاهرة، رقم 94 ؛ وأحمد مختصراً 5/ 359 ؛ والطبراني في الكبير، رقم 1153 وابن سعد في الطبقات 8/ 21 والطحاوي في مشكل الآثار 4/ 144، 145 ؛ والبزار، رقم 407 .

(2) انظر: ابن سعد 8/ 19، 20 والدولابي في الذرية الطاهرة، رقم 92.

(3) أخرجه النسائي في سننه 6/ 62 ؛ وخصائص علي، رقم 123 ؛ والحاكم 2/ 167، 168 ؛ وابن حبان 15/ 399 .

(4) أخرجه أبو داود رقم 2125 ؛ وابن حبان 15/ 396 ؛ وابن سعد 8/ 20، وغيرهم.

(5) ابن حبان 15/ 397 ؛ والبيهقي في السنن 7/ 234 ؛ وابن سعد في الطبقات 8/ 20، 21.

والبدن: هي الدرع.

وقد جهزها رسول الله ﷺ بخميلة، ووسادة أدم حشوها ليف(١).

والخميلة: هي القطيفة، وهي كل ثوب له خمل من أي شيء كان.

وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما زوجه فاطمة، بعث معها بخميلة ووسادة من أدم حشوها ليف، وتور، وسقاء، وجرّتين(٢).

وقد كانت فاطمة عليها السلام نعم الزوج لعلي رضي الله عنه، وكان هو نعم الزوج لها، وكان رسول الله ﷺ يتفقد أحوالهما على الدوام، ويرعى شؤونها ويصلح بينهما.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخل رسول الله ﷺ على عليّ وفاطمة، وهماجالسان يضحكان، فلما رأيا رسول الله ﷺ سكتا، فقال لهما: «مالكما كنتما تضحكان، فلما رأيتماني سكتما؟» فبادرت فاطمة رضي الله عنها فقالت: بل أنا أحب إلى رسول الله ﷺ منك، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «يا بنية، لك رقة الولد، وعليٌّ أعزّ عليّ منك»(٣).

وعن عمرو بن سعيد قال: كان في عليّ على فاطمة شدة، فقالت: والله لأشكونك إلى رسول الله ﷺ فانطلقت، وانطلق علي بإثرها، فقام حيث يسمع كلامهما، فشكت إلى رسول الله ﷺ غلظ عليّ وشدّته عليها، فقال: «يا بنية اسمعي واستمعي واعقلي، إنه لا إمرة لامرأة لاتأتي هوى زوجها، وهو ساكت» قال علي: فكففت عما كنت أصنع، وقلت: والله لا آتي شيئاً تكرهينه أبداً.

والإمرة: بمعنى الإمارة بالكسر.

وعن حبيب بن أبي ثابت قال: كان بين علي وفاطمة كلام فدخل رسول الله ﷺ فألقي له مثال فاضطجع عليه، فجاءت فاطمة فاضطجعت من جانب، وجاء عليّ فاضطجع من جانب، فأخذ رسول الله ﷺ بيد علي فوضعها على سرّته، وأخذ بيد فاطمة فوضعها على سرته ولم يزل حتى أصلح بينهما، ثم خرج، فقيل له:

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٨٤، ١٠٤، ١٠٦؛ والنسائي ٦/ ١٣٥، والحاكم ٢/ ١٨٥ وغيرهم.

(٢) أخرجه أحمد بإسناد جيد.

(٣) أخرجه الطبراني برجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد ٩/ ٢٠٢.

دخلت وأنت على حال، وخرجت ونحن نرى البشر في وجهك، فقال: «**وما يمنعني وقد أصلحت بين أحب اثنين إليّ؟**»(١).

لقد كانت التربية النبوية دائمة مستمرة، وفي جميع الأحوال قبل الزواج وبعده، يعرّفها بحق زوجها عليها، ويصلح بينهما، ويسترضي زوجها إن كان غاضباً عليها.

هذا وكان رسول الله ﷺ رحيماً في بيته وبين أزواجه، وكان إذا دخل البيت يكون في مهنة أهله، وكان يوصي بأولاده ويوصي أولاده بحسن العشرة، وقد دخل رسول الله ﷺ على ابنته رقية وهي تغسل برأس عثمان رضي الله عنه فقال: «**يا بنية أحسني إلى ابن عبد الله، فإنه أشبه أصحابي بي خلقاً**».

وكان رحيماً بأولاد أولاده، عن أبي بكرة قال: كان رسول الله يصلي بنا، وكان الحسن يجيء وهو صغير، فكان كلما كبر رسول الله ﷺ وثبَ على رقبته وظهره فيرفع النبي ﷺ رقبته رفعاً رفيقاً حتى يضعه، فقالوا: يا رسول الله، إنا رأيناك تصنع بهذا الغلام شيئاً ما رأيناك تصنعه بأحد، فقال: «**إنه ريحانتي من الدنيا، إن ابني هذا سيد، وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**» أخرجه أحمد ٥/ ٤٤، وابن حبان ١٥/ ٤١٨ والبزار رقم ٢٦٣٩ والطبراني وغيره.

وكان رحيماً بأولاده صلوات الله وسلامه عليه أحياءً وامواتاً.

فقد عاش ولده إبراهيم نحواً من سبعة عشر شهراً وثمانية عشر شهراً، ومات في السنة العاشرة من الهجرة، قال ابن حزم: مات قبل النبي ﷺ بثلاثة أشهر، وكان مسترضعاً في عوالي المدينة كما تقدَّم، ولما تناهى إلى علم رسول الله ﷺ مرضه، جاءه، قال أنس بن مالك: فدعا بالصبي فضمّه إليه، فلقد رأيته بين يدي رسول الله ﷺ وهو يجود بنفسه، وقال: فدمعت عينا رسول الله ﷺ وقال: «**تدمع العين، ويحزنَ القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا عز وجل وإنا بك يا إبراهيم لمحزنون**»(٢).

وفي رواية: فقال له عبد الرحمن بن عوف، وعيونه تذرف: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «**يا ابن عوف، إنها رحمة**» ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ: «**إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»(٣).

---

(١) ابن سعد في الطبقات ٨/ ٢٦.

(١) أخرجه أحمد ٣/ ١٩٤؛ والبخاري في الجنائز، باب قول النبي |: إنا بك لمحزونون٣/ ١٧٣؛ ومسلم الفضائل ٤/ ١٨٠٨؛ وأبو داود: الجنائز، باب البكاء على الميت، رقم ٣١٢٦؛ وابن سعد ١/ ١٤٠.

(٣) هذه رواية البخاري.

وعن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: لما توفي ابن رسول اللهﷺ إبراهيم بكى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، فقال له المعزّي؛ إما أبو بكر، وإما عمر: أنت أحقُّ من عظَّم الله حقه، فقال رسول اللهﷺ : **«تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب، لولا أنه وعد صادق، وموعود جامع، وأن الآخر تابع للأول لوجدنا عليك يا إبراهيم أفضل مما وجدنا، وإنا بك لمحزونون»**(١).

وعن محمود بن لبيد: . . ودمعت عينا رسول اللهﷺ فقالوا: يا رسول الله، تبكي وأنت رسول الله؟ فقال ﷺ : **«إنما أنا بشر، تدمع العين ويخشع القلب، ولا نقول ما يسخط الرب، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون»**(٢).

وعن عبد الرحمن بن عوف قال: أخذ رسول اللهﷺ بيدي، فانطلق بي إلى النخل الذي فيه إبراهيم، فوضعه في حجره وهو يجود بنفسه فذرفت عيناه، فقلت له: أتبكي يا رسول الله؟ أو لم تنه عن البكاء؟ قالﷺ : **«إنما نهيت عن النوح، عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نعمة؛ لهو ولعب ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة ؛ خمش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان»**.

«إنما هذه رحمة، ومن لا يَرحم لا يُرحم، يا إبراهيم لولا أنه أمر حق ووعد صادق، وأنها سبيل مأتية، وأن أخرانا ستلحق بأولانا لحزنا عليك حزناً هو أشد من هذا، وإنا بك لمحزونون، تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب عز وجل»(٣).

وعن أنس بن مالك قال: لما قُبض إبراهيم قال لهم النبيﷺ : **«لا تدرجوه في أكفانه حتى أنظر إليه»**، فأتاه فانكبّ عليه وبكى(٤).

والحديث عن رسول الله ﷺ وصحبه ذو شجون فهل نكون متبعين له ونجعله قدوة لنا؟! ومن أراد المزيد في ذلك فعليه بكتب السيرة.

---

(١) أخرجه ابن ماجه، رقم ١٥٨٩ ؛ وابن سعد ١/ ١٤٣، وإسناده لا بأس به، حسَّنه البوصيري في الزوائد.

(٢) ابن سعد في طبقاته ١/ ١٤٢ .

(٣) ابن سعد في طبقاته ١/ ١٣٨، وفيه نصوص أخرى عن مكحول، وعطاء، وبكير بن الأشج، وقتادة والحكم ابن عتيبة.

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه، رقم ١٤٧٥ ؛ والحكيم والترمذي في نوادره، ص ١٤٦، وفي سنده: أبو شيبة يوسف بن إبراهيم التميمي، ضعيف.

المثل الأعلى لكل والد مع أولاده:

شاءت إرادة الله تعالى أن يكون الرسول ﷺ بشراً يأكل ويشرب ويتزوج وينجب ليضرب المثل الأعلى لكل مسلم في جميع شؤون حياته.

فجميع أولاد رسول الله ﷺ من خديجة إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية التي أهداها إليه المقوقس من مصر، وأكبر أولاده (القاسم) وبه كان يكنى، ثم زينب؛ وهي كبرى بناته، كما ذهب إلى ذلك جمهور علماء السِّير، وقد قيل في كل واحدة منهنّ إنها أسنّ من أختيها.

وقد تزوج أبو العاص - بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف -، زينب، وهو ابن خالتها، وأمه هالة بنت خويلد، تزوجها أبو العاص في حياة أمها خديجة بنت خويلد، وولدت له أُمامة وعلياً، وسنأتي إلى حديثها.

وتزوج علي بن أبي طالب فاطمة، وتزوج عثمان بن عفان رقية، ثم أم كلثوم.

وقد مات القاسم بمكة طفلاً صغيراً، وقيل: بل عاش إلى أن ركب الدابة وسار على النجية، وقيل: إنه لما مات القاسم قالوا: إن محمداً أبتر. وزعيم هذا القول هو العاص ابن وائل السهمي، إذ كان يقول عن النبي ﷺ: دعوه فإنه أبتر لا عقب له، فإن هلك انقطع ذكره.

وقيل: زعيم هذا القول عقبة بن أبي معيط، وقيل: أبو لهب، وذلك حين مات ابن رسول الله ذهب إلى المشركين فقال: بتر محمد الليلة، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾. (الكوثر)، وقيل: إن قائل هذا القول هو أبو جهل.

وشانئك: أي مبغضك وعدوك[1].

ومات كذلك إبراهيم في حياة رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة، وله ثمانية عشر شهراً، وكانت ولادته في السنة الثامنة للهجرة النبوية.

ولم يبلغ التكليف من أولاده عليه الصلاة والسلام إلا بناته عليهن السلام، وكلهن قد أسلمن حين أسلمت أمهن خديجة، هاجرن معه، وتحمّلن في سبيل الله ما تحمّلن، ومتنَ في حياته ﷺ، فكن في صحيفته إلا فاطمة الزهراء فقد عاشت بعده ستة أشهر.

وقد ربّاهن - عليه الصلاة والسلام - التربية المُثلى، وأعطاهن مع القاسم وإبراهيم

(١) انظر: تفسير ابن كثير سورة الكوثر.

كل الرعاية والعناية، وسأقتبس من معالم هذه التربية أقباساً هادية إن شاء الله.

لقد جاء في سيرته العطرة ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أنه كان يفرح ويُسَرُّ بمن يولد من أولاده ذكوراً كانوا أو إناثاً، بل إنه كان قد عهد إلى سلمى مولاة صفية بنت عبد المطلب أن تقبل خديجة ـ أي تولدها ـ وتعد العدة لذلك قبل الولادة (١).

وقد نعى القرآن الكريم على العرب الذين كانوا يسُرُّون بالذكر دون الإناث، بل ويعتريهم الهمّ والحزن لولادة الأنثى، فقد قال عز وجل:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾(النحل: ٥٨، ٥٩).

ومسوداً: أي متغيراً، كناية عن غمه وهمه، **والكظيم**: أي المتلئ من الغمّ والكرب، وبيَّن ـ عليه الصلاة والسلام ـ فضل تربية البنات والإحسان إليهن، فقد جاء عنه ﷺ قوله: **«من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين، وضمّ أصابعه ﷺ»** (٢).

وجاريتين: أي بنتين.

حب الرسول ﷺ لأطفاله وتوصيته بهم ومداعبته لهم:

وقالت عائشة رضي الله عنها: دخلت عليَّ امرأة ومعها ابنتان لها، تسأل فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها، فخرجت، فدخل النبي ﷺ علينا، فأخبرته فقال: **«من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار»**(٣).

وابتلى: أي امتُحن، واختبر.

وفي رواية لهذا الحديث عند مسلم عن عائشة قالت: فأعجبني شأنها، فذكرتُ الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: **«إن الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار»**.

---

(١) انظر: سبل الهدى والرشاد ١١/ ١٦ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٢٨، البر والصلة، باب فضل الإحسان إلى البنات من حديث أنس بن مالك.

(٣) أخرجه البخاري: الزكاة، باب: اتقوا النار ولو بشق تمرة ٣/ ٢٨٣ ؛ باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ١٠/ ٤٢٦ ؛ ومسلم: البر والصلة، باب فضل الإحسان إلى البنات ٤/ ٢٠٢٧ .

بل إن رسول الله ﷺ من فرحه بالبنات والأطفال عامة كان يداعبهم ويلاطفهم، ويأمر الصحابة والناس جميعاً بالصبر عليهم، فعن أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص، قالت: أتيت رسول الله ﷺ مع أبي وعليّ قميص أصفر، فقال رسول الله ﷺ: سَنَه سَنَه، قال عبد الله: وهي بالحبشية حسنة.

قالت: فذهبت ألعب بخاتم النبوة فزجرني أبي، فقال رسول الله ﷺ: «دعها» ثم قال رسول الله ﷺ: **«أبلي وأخلقي»**.

قال عبد الله - أي ابن المبارك الراوي للحديث -: فبقيت حتى ذكر دهراً من بقائها[(١)].

وكان من تشريع رسول الله ﷺ للأمة أن جعل العقيقة للذكر والأنثى.

وجاء عند ابن سعد عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة، قال: كان رسول الله ﷺ معجباً بمارية القبطية، وكانت بيضاء، جميلة، فأنزلها على أم سليم بنت ملحان وعرض عليها الإسلام فأسلمت، وحوّلها إلى مال بالعالية كان من أموال بني النضير، فكانت فيه في الصيف وفي خرافة النخل، فكان يأتيها هناك، وكانت حسنة الدين، وولدت لرسول الله ﷺ غلاماً فسماه إبراهيم، وعقّ عنه بشاة يوم سابعه، وحلق رأسه فتصدق بزنة شعره على المساكين، وأمر بشعره فدفن في الأرض، وكانت قابلتها سلمى، فخرجت إلى زوجها أبي رافع فأخبرته بأن مارية قد ولدت غلاماً، فجاء أبو رافع إلى رسول الله ﷺ فبشره، فوهب له عبداً [(٢)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ حين أصبح فقال: وُلد لي الليلة غلاماً، وإني سميته باسم أبي: إبراهيم [(٣)].

مراجع للاستيفاء للتعلم الذاتي:

١- سيرة ابن كثير.

٢- سيرة ابن هشام.

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه: الأدب، باب من ترك صبية غيره حتى تلعب به أو قبّلها أو مازحها ١٠/ ٤٢٥، واللباس، والمناقب، والجهاد؛ وأبو داود في اللباس من سننه، صدر الكتاب.

(٢) انظر: طبقات ابن سعد ١/ ١٣٤، وهو من طريق محمد بن عمر الواقدي.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: الفضائل، باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، رقم ٢٣١٥؛ وأحمد في المسند؛ وابن سعد في الطبقات ١/ ١٣٥ .

٣ـ الرسول ﷺ، للدكتور محمد الصادق عرجون.

رابعاً: التفعيل العملي للمحتوى العلمي بالنشاط المصاحب:

١ـ يحاضر في الموضوع.

٢ـ يدرس الموضوع لشباب المسجد.

٣ـ يلقي خطبة يحقق بها أهداف الموضوع.

٤ـ يكتب مقالاً حول رسالة الرجل ومسؤوليته في أسرته كما حددها الإسلام.

٥ـ يتخذ الرسول ﷺ مثله الأعلى في بناء الأسرة المسلمة.

٦ـ يجمع ما قاله الشعراء عن رسالة الرجل في الأسرة.

٧ـ يكتب قصة قصيرة يدور حوارها عن رسالة الرجل في الأسرة.

٨ـ يشارك بما يمكنه في إخراج فيلم هادف عن رسالة الرجل في الأسرة المسلمة.

التقويم والقياس الذاتي:

١ـ ما مسؤوليات الرجل المسلم في أسرته ؟

٢ـ اعرض بإيجاز لحياة الرسول ﷺ مع أولاده.

٣ـ ما جوانب العظمة عند رسول الله ﷺ في أسرته ؟

٤ـ مم كانت تتكون أسرة الرسول ﷺ ؟

٥ـ اذكر صوراً من تلطف الرسول ﷺ ومداعبته وحبه للأطفال.

٦ـ ما حقوق الزوجة والأبناء التي أوجبها الإسلام على الرجل المسلم في أسرته؟

٧ـ ما أثر كل من الاسم والعقيقة في حياة الطفل وشخصيته ؟

٨ـ ما المراجع التي يمكنك الرجوع إليها للتوسع في الموضوع ؟

٩ـ ما المناشط العملية التي تراها مناسبة لتفعيل هذا الموضوع ؟

١٠ـ ماذا يمكن أن تقدم من هذه المناشط؟ وماذا قدمت منها ؟

١١ـ هل بإمكانك إعداد برنامج تدريبي عن رسالة الرجل المسلم في أسرته؟

الفصل السابع

ما ينبغي عمله نحو الزوجة

ما ينبغي عمله نحو الزوجة

الأهداف المعرفية التي يرجى تحقيقها بدراسة هذا الموضوع:

١ـ أن يذكر دور الزوج في الأسرة نحو زوجته.

٢ـ أن يذكر بعض الأحاديث التي تبين حقوق النساء وحسن معاملتهن.

٣ـ أن يوضح علاقة الرجل بأهل زوجته وصديقاتها.

٤ـ أن يعدد أمثلة تبين تلطف الرسول ﷺ بأهله.

٥ـ أن يذكر أمثله توضح تلطف الصحابيات مع أرواجهن.

٦ـ أن يبين أهمية صبر الزوجة على نقاط الضعف في زوجها.

٧ـ أن يذكر شواهد من الرحمة بين الزوجين في القرآن والسنة.

٨ـ أن يوضح أقوال الفقهاء في تبادل الرحمة بين الزوجين.

٩ـ أن يؤكد وجوب حسن الظن بين الزوجين.

١٠ـ أن يستنتج أهمية حق مشاركة الزوجين في الهموم والأمور العامة والخاصة.

١١ـ أن يدلل على حق التجمل من كل من الزوجين للآخر.

١٢ـ أن يذكر نماذج تبين تجمل رجال المؤمنين ونسائهم.

١٣ـ أن يوضح حكم استخدام المسلمة وسائل التجميل الحديث.

١٤ـ أن يبين حق الزوجين في المباشرة والاستمتاع الجنسي.

١٥ـ أن يعدد آداب المباشرة.

١٦ـ أن يبين حق الزوجين في الترويح عن الآخر ويضرب لذلك أمثلة.

١٧ـ أن يقارن بين الغيرة المحمودة والغيرة المذمومة.

١٨ـ أن يبين اهتمام الإسلام بالعلم والتعلم للرجل والمرأة على السواء.

١٩ـ أن يعدد حقوق الزوج على زوجته.

٢٠ـ أن يبين مقومات القوامة.

٢١ـ أن يوضح الحقوق التي أعطاها الإسلام للمرأة مقارنة بالقوانين الأخرى.

٢٢ـ أن يذكر شواهد من القرآن والسنة تقرر مسؤولية المرأة في تدبير شؤون البيت.

٢٣ـ أن يبين هدي الرسول ﷺ في خدمة أهله وكذلك بعض الصحابة.

٢٤ـ أن يقارن بين وضع المرأة قبل وبعد ظهور الإسلام.

٢٥ـ أن يعلل سبب حصول المرأة على النصف من الرجل في الإرث.

٢٦ـ أن يوضح تأثير الحضارة الحديثة في الأسرة المسلمة.

المحتوى العلمي:

المسلم له دور في الحياة ما جاء إلى الدنيا إلا ليقوم به، وله دور في الأسرة التي ولد فيها وترعرع في جنباتها وما تحمل بعد ذلك أعباءها إلا ليؤدي ذلك الدور المناط به، سواء كان رجلاً أو امرأة، أباً، أو أماً، أو ابناً، وكذلك كل من ارتبط بالأسرة برباط. هذا وقد أشار إلى ذلك بقوله ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته: الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته**» رواه البخاري، فتح الباري ٢/ ٤٨٢

إذن هناك أدوار في الأسرة، ولكل فرد مسؤولية فيها، ينبغي أن يعلمها ويؤديها.

١ـ مسؤلية الإنفاق

أول أدوار الأب في الأسرة هو سعيه على معاش أسرته، وإعفافها والنفقة عليها حتى تعيش في أيسر حال وهناءة بال، كما سبق ذلك الإحسان إلى الزوجة وإكرامها بما أوجبه الله تعالى على الزوج من المهر للزوجة.

والصداق: وهو المهر: حق للمرأة خالص لا يحل لزوج ولا لأب ولا لأخ أن يتحكم فيه أو يأخذ منه شيئاً إلا بإذن المرأة إذناً صادراً عن طيب نفس وحرية إرادة، فإن صدر الإذن عن إكراه أو مخادعة، أو عن حياء المرأة أو ضعفها، فالمهر حرام على من أكله، قال تعالى: ﴿**وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا**﴾ (سورة النساء: ٤).

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (النساء: ٢٠).

فالآية الأولى بينت أن المهر فرض للزوجة، ولا يحل أخذ شيء منه إلا برضاها. والآية الثانية منعت الزوج أن ينقص شيئاً من مهر امرأته خصوصاً مؤخر الصداق.

وعن ميمون عن أبيه رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«أيما رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر أو كثر ليس في نفسه أن يؤدي إليها حقها خدعها فإن مات ولم يؤد إليها حقها لقي الله يوم القيامة وهو زان»** (رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورواته ثقات كما قال المنذري).

وقال تعالى في شأن النفقة: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (النساء: ٣٤).

وجاء في الحديث الصحيح: **«كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول»** (وزوجته ممن يعول). وقال ﷺ: **«خير الصدقة ما كان منها عن ظهر غنى، واليدُ العليا خيرٌ من اليد السُّفلى، وابدأ بمَن تعُول»** قيل: من أعول يا رسول الله؟ قال: **«امرأتك ممن تعول، تقول أطعمني وإلا فارقني، وجاريتُك تقول: أطعمني واستعملني، وولدُك يقول: إلى من تتركني؟»** (رواه أحمد والشيخان).

والمطلوب في النفقة هو الوسط مع رعاية حال الزوج والزوجة معاً، وما من شيء ينفقه الرجل على امرأته أو أولاده إلا كان له به عند الله أجر وثواب، فقد قال ﷺ: **«دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكينَ، ودينار أنفقته على أهلك. أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك»** (رواه مسلم).

وعلى الرجل أن يتحرى الحلال في إنفاقه على أهله وأولاده ومن يعولهم، وإلا مُحقت البركة وكان عليه إثم من أطعمهم حراماً.

والرجل الكريم هو الذي تسخو يده على أهله فلا يتركهم ينظرون إلى ما عند الناس من جيران وأقارب ما دام يستطيع ـ بدون مشقة ـ أن يكفيهم مطالبهم في غير إسراف أو تبذير.

إذن فنفقة الصغار ذكوراً كانوا أو إناثاً واجبة على الوالد كذلك حتى يشتد عود الذكر ويستطيع أن يعول نفسه، وحتى تتزوج الأنثى، فإن اهتم الوالد بالذكر وأهمل الأنثى فقد ارتكب إثماً بسبب إهمالها، وبسبب إشعارها بأنه يهملها أو يبغضها.

ويكون متشبها بالكفار أيام الجاهلية، ولو درس الإسلام لعلم أن الإنفاق على البنات ثوابه أعظم من الإنفاق على الذكور من الأولاد. وإليك بعض الأحاديث في وجوب النفقة، وإثم من يضيع من يعولهم، وفضل الإنفاق على البنات:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«اليد العُليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول»** (رواه الطبراني وهو في الصحيحين بنحوه).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«كفى بالمرء إثماً أن يُضيع من يقوتُ»** (رواه أبو داود والنسائي والحاكم وقال: صحيح الإسناد).

وعن الحسن رضي الله عنه عن نبي الله ﷺ قال: **«إن الله سائل كل راع عما استرعاه، حفظ أم ضيّع، حتى يُسأل الرجل عن أهل بيته»** (رواه ابن حبان في صحيحه) ويجمع الأمر كله حديث: **«كلكم راع ومسئول عن رعيته...»** إلخ (رواه البخاري ومسلم وغيرهما). (وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«من عال جاريتين حتى تبلُغا جاء يوم القيامة أنا وهو، وضم أصابعه»**. (رواه مسلم واللفظ له والترمذي) ولفظه: **«من عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنّة كهاتين وأشار بأصبعيه: السبابة والتي تليها»**.

والمراد من الحديث أن من قام برعاية بنتين أو أختين أو غيرهما فأنفق عليهما وأحسن أدبهما جعله الله يوم القيامة في منزلة الجار الملاصق للنبي ﷺ في الجنة. وهذا دليل رفع درجاته عند الله بسبب ذلك.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت عليَّ امرأة ومعها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها شيئاً، ثم قامت فخرجت فدخل النبي ﷺ علينا، فأخبرته فقال: **«من ابتُلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار»** رواه البخاري ومسلم والترمذي

٢ـ إحسان العشرة بالمعروف

على الرجال أن يحسنوا عشرة النساء، ويلينوا معهن، ويرفقوا بهن، ويحتملوا الأذى منهن... فأما حسن العشرة معهن فواجب، وأما احتمال الأذى منهن فمستحب قال تعالى: **﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾**(النساء: ١٩).

قال القرطبي في تفسيره: أي «عاشروهن»على ما أمر الله به من حسن المعاشرة، والخطاب للجميع «أي لجميع الرجال سواء كانوا أزواجاً أو أولياء»ولكن المراد بها الأمر في الأغلب الأزواج وهو مثل قوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ (البقرة: ٢٢٩).

وذلك مثل: «توفية حقها من المهر والنفقة، وألا يعبس في وجهها بغير ذنب، وأن يكون متلطفاً في القول لا فظاً ولا غليظاً ولا مظهراً ميلاً إلى غيرها. والعشرة معناها: المخالطة والممازجة.. إلى أن قال: فأمر الله سبحانه بحسن صحبة النساء إذا عقدوا عليهن لتكون أدمة ما بينهما وصحبتهم على الكمال، فإنه أهدأ للنفس وأهنأ للعيش، وهذا واجب على الزوج... وقال بعضهم هو أن يتصنع لها كما تتصنع له» أي يتجمل لها كما تتجمل له. قال يحيى بن عبد الرحمن الحنظلي: أتيت محمد بن الحنفية فخرج إليَّ في ملحفة حمراء، ولحيته تقطر من الغالية[1] فقلت: ما هذا؟ قال: إن هذه الملحفة ألقتها علي امرأتي ودهنتني بالطيب وإنهن يشتهين منا ما نشتهي منهن، وقال ابن عباس رضي الله عنه: إني أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين المرأة لي[2].

وقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة البقرة الآية: ٢٢٨).

قال ابن عباس في تفسيرها: أي لهن من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف على أزواجهن مثل الذي عليهن من الطاعة فيما أوجبه الله عليهن لأزواجهن.

ومن هنا قال العلماء: يستحب للرجل أن يهتم بزينة نفسه مع زوجته كما عليها أن تكون كذلك معه، فينظف نفسه، ويزيل عرقه، ويغير الرائحة الكريهة من جسمه وفمه وتحت إبطيه، ويتطيب، ويقلم أظفاره ويلبس خير الملابس المناسبة، ويدهن شعره ويرجله بالمشط ويشذب شعر رأسه ولحيته حتى لا يكون على هيئة منفرة. يفعل ذلك وأمثاله ليكون عند امرأته في زينة تسرها، وليعفها عن الرجال[3]. كل هذا بما يتفق مع رجولته، وليحذر التشبه بالنساء.

---

(١) الغالية: نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وعود ودهن.

(٢) تفسير القرطبي ج٥ ص٩٧.

(٣) راجع القرطبي ج٣ ص ١٢٤.

٣ـ مسؤلية القوامة :

معنى القوامة: يقول الإمام محمد عبده في تفسيره المراد بالقيام في قوله تعالى﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ (النساء : ٣٤) هو الرياسة التي يتصرف فيها المرؤوس بإرادته واختياره وليس معناها أن يكون المرؤس مقهوراً مسلوب الإرادة لا يعمل عملاً إلا ما يوجهه إليه رئيسه، فإن كون الشخص قيماً على آخر هو عبارة عن إرشاده والمراقبة عليه في تنفيذ ما يرشده إليه أي ملاحظته في أعماله وتربيته ومنها حفظ المنزل وعدم مفارقته ولو لنحو زيارة أولي القربي إلا في الأوقات والأحوال التي يأذن بها الرجل ويرضى.

مقومات القوامة:

الرجولة هي العنصر الرئيسي والأساسي في القوامة، ومن ثم كان الزوج هو رئيس العائلة في جميع نظم العالم بما فيها المجتمعات الشيوعية التي تنكر قول الله تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾(النساء : ٣٤).

كما ينتسب الأولاد إلى الرجل، على الرغم من أن الأم هي التي تكد وتشقى في الحمل وما بعده،وهذا ما يضطر إليه النظام الشيوعي لأنها الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

ولكن الإسلام انفرد عن النظم الأخرى بأن جعل للقوامة سببين، الرجولة ثم التزام الزوج بالنفقة على الزوجة والأولاد فقال الله تعالى:﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (النساء: ٣٤).

والقوامة ضرورة اجتماعية، فكما أن الحياة لا تستقيم مع نظام تعدد الآلهة. فأي مجتمع صغر أو كبر، لا يصلحه ازدواج القوامة.

وكما أن الله واحد، فقد أمرنا أن نكون أمة و احدة، حدد النبي ﷺ صفات أفرادها في حديث رواه البخاري ومسلم ونصه: **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**.

لما كان ذلك فإن مثل هذه الأسرة لا توجد إلا إذا كان لها قيادة واحدة، فهل تكون قيادة الأسرة للرجل أم للمرأة؟ لم يترك الله المسألة للأخذ والرد والإرخاء والشد بين الرجال والنساء، بل حكم بنفسه في الأمر فقال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ (النساء).

ثم أوضح الله سبب هذه القوامة بقوله: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾(النساء).. وفي هذا قال النبي ﷺ: «أطعموهن مما تأكلون واكسوهن مما تلبسون ولا تضربوهن ولا تقبحوهن»[1].

حدود القوامة:

غير أن الإسلام انفرد بتحديد نطاق القوامة، فجعلها في دائرة تبادل الحقوق والواجبات، ذلك التبادل الذي يوزع وفقاً لأعباء ومقومات كل منهما، ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(البقرة الآية: ٢٢٨)[2].

الإسلام لا يجعل القوامة سبباً في المساس بشخصية المرأة والانتقاص من أهليتها في التصرفات المالية أو غيرها.

كما أن القوامة الشرعية لاتحول بين الزوجة وبين التملك، ولا تنقص حقها في التصرف في أموالها بالبيع أو الشراء أو الهبة أو غير ذلك.

والقوامة لا تحول بين الزوجة وبين التملك، ولا تنقص حقها في التصرف في أموالها بالبيع أو الشراء أو الهبة أو غير ذلك.

والقوامة لا تحول دون تقرير حق الطلاق للمرأة إن كرهت الزوج وذلك خلافاً للمستقر عند الغربيين من عدم جواز الطلاق إلا للخيانة الزوجية، الأمر الذي يفضل معه الزوجان البقاء بدون عقد زواج مدة قد تصل إلى ربع قرن، فعلى سبيل المثال نشرت الصحف[3] قصة المهندس الإنجليزي إيفي هبكز البالغ من العمر سبعة وأربعين عاماً والذي ظل يعاشر جاكلين هاريس مدة ثلاثة وعشرين عاماً كزوجين بغير عقد منذ أن أعلنا خطوبتهما سنة١٩٥٧ وفي مايو سنة ١٩٨٠ بدأت مراسيم الزواج الرسمي وذلك على الرغم من أن الخطبة كانت وليدة قصة حب، وعلى الرغم من أنها في نفس عمره ولكن قيود الطلاق وعدم يسره تجعل هؤلاء يفضلون هذه الحياة بدعوى فهم شخصية كل منهما وتجربته.

---

(١) سنن أبي داود، نقلاً عن زاد المعاد لابن القيم جـ٤ ص ١٤٤.

(٢) انظر قوانين الأسرة للمستشار سالم البهنساوي صـ٣٨، ٣٩.

(١) جريدة الوطن الكويتية في غرة رجب ١٤٠٠هـ (١٦/ ٥/ ١٩٨٠)، نقلا عن الصحف العالمية.

إشكاليتان حول القوامة:

الإشكالية الأولى:

قد يقال إذا كان اختصاص الرجل بالإنفاق على الأسرة هو سبب هذه القوامة، فإذا تولت بعض النساء الإنفاق في بعض الحالات، فلماذا لا تنتقل القوامة إليهن؟.

الجواب: إن الإنفاق وحده ليس هو السبب في جعل القوامة بيد الرجال، بل السبب الرئيسي هو وجود مقومات تجعل الرجل أفضل من المرأة في قيادة الأسرة، هذه المقومات هي التي خصها الله تعالى بقوله: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (النساء).

وهذه المقومات ليست مكتسبة حتى يمكن أن تكتسبها المرأة بل هي أسباب خلقية، فالمرأة تختص وحدها بوظائف الأمومة، وما يتعلق بذلك من حيض وحمل وولادة ورضاع، الأمر الذي يجعل حظها من العاطفة يختلف عن حظ الرجل، وهذا ما أشار إليه العلامة «فروسيه»في دائرة معارفه إذ قال : (نتيجة لضعف دم المرأة، ونمو مجموعها العصبي ترى تركيبها أقل مقاومة لأن تأديتها لوظائف الحمل والأمومة والرضاعة يسبب لها أحوالاً مرضية قليلة أو كثيرة الخطر).

الإشكالية الثانية:

يقول الأستاذ العلامة عبد الحليم أبو شقة في موسوعته «تحرير المرأة في عصر الرسالة»: الإشكالية الثانية: هناك مشكلة ولكنها ليست في مبدأ إسناد الرئاسة للرجل، بل هي في ضعف أو سوء شخصية الرئيس، أو شخصية المرؤوس أو في كليهما. وإذا كان لكل مؤسسة نظام يحكم العلاقة بين الرئيس ومرؤوسيه، وصلاحيات كل فرد، فكذلك الحال في الأسرة. ولكن رغم وجود النظام الذي يحدد العلاقات والصلاحيات، إلا أن التطبيق الفعلي قد يجيء على خلاف النظام المشروع. والخروج على النظام إما صارخ واضح فهذا يُلجأ فيه للقضاء، وإما مجرد سوء استعمال للسلطة أحياناً، فهذا ينبغي أن يعالج ودياً وبالتفاهم، وذلك لأن المودة والتفاهم هما الأساس المتين لحفظ كيان الأسرة.

والأسرة مؤسسة لها خصوصياتها، فهي تقوم على المودة أولاً أي على الحب. ثم إن العلاقات فيها متشابكة على وجه لا نظير له في أي مؤسسة أخرى،وهي تشمل جوانب حياة الفرد كلها، بدءاً من الجانب الذي هو من أخص خصائصها، أي جانب

الإمتاع الجنسي، بالإضافة إلى توفير المسكن والمطعم والمشرب، وأهم من ذلك كله رعاية الأسرة للذرية بنين وبنات. وهكذا تكون الأسرة بمثابة «السكن» وما أصدق التعبير القرآني: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا﴾ (الروم الآية: ٢١).

فالعلاقة إذن بين الرجل وزوجه أخص وأعمق من أية علاقة أخرى. ونتيجة لعمق هذه العلاقة وخصوصيتها، كان لابد أن يقل تدخل سلطة القضاء فيها إلى أدنى حد ممكن، فلا يكون هذا التدخل إلا في الأحوال الحرجة جداً، سواء لعلاج سوء استعمال الرجل لسلطته، أو لعلاج خروج المرأة عن طاعة زوجها. وحتى وساطة الوسطاء في الإصلاح، ينبغي أن تكون في أضيق الحدود. وليكن الزوجان على ذكر دائماً أن الأسرة ـ كما أنها تعيش في حاضرها وقضايا يومها ـ ترنو باستمرار إلى مستقبل أفضل لا بشأن الزوجين فحسب، بل بشأن الذرية أيضاً، والذرية كما قلنا لها أهمية قصوى في مؤسسة الأسرة.

نماذج من لطف الصحابيات مع أزواجهن:

أسماء بنت أبي بكر تراعي غيرة زوجها:

ـ عن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ قالت: تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك. فجئت يوماً والنوى على رأسي فلقيت رسول الله ومعه نفر من الأنصار فدعاني. . . ليحملني خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس. (رواه البخاري ومسلم) (١٨٢).

هنا نرى أسماء تتحمل مشقة رعاية غيرة زوجها، إذ ضرر الغيرة يقع عليها، أما حين ترى أن ضرر الغيرة سوف يقع على رجل فقير، فإنها تحتال الحيلة الراشدة لرعاية الغيرة من ناحية ولإبعاد الضرر من ناحية:

ـ فعن أسماء قالت: جاء رجل فقال: يا أم عبد الله، إني رجل فقير، أردت أن أبيع في ظل دارك. قالت: إن رخصت لك، أبَى ذاك الزبير، فتعال فاطلب إليَّ والزبير شاهد. فجاء فقال: يا أم عبد الله، إني رجل فقير أردت أن أبيع في ظل دارك. فقالت: مالك بالمدينة إلا داري؟ فقال لها الزبير: مالك أن تمنعي رجلاً فقيراً يبيع؟ فكان يبيع إلى أن كسب. (رواه مسلم) (١٨٣).

أم سليم تبلغ الغاية في تلطفها مع زوجها لتخبره بموت ولده:

ـ عن أنس قال: مات ابن لأبي طلحة من أم سليم فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه. قال: فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب. قال: ثم تصنعت[1] له أحسن ما كانت تَصَنَّع قبل ذلك فوقع بها، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها[2] قالت: يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم ؟ قال: لا. قالت: فاحتسب ابنك. (رواه البخاري ومسلم) (١٨٤) (وهذه رواية مسلم).

أسماء بنت عميس تذب عن زوجها المريض في حضرة عواده:

ـ عن قيس بن أبي حازم قال: دخلنا على أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ في مرضه، فرأيت عنده امرأة بيضاء موشومة اليدين[3] تذب عنه[4]، وهي أسماء بنت عميس. (رواه الطبراني)(١٨٥).

لكل من الزوجين حق الرحمة على الآخر:

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم الآية: ٢١).

الأصل أن تقوم الأسرة على المودة أي الحب، ومع الحب يكون إيثار، ومع الإيثار يعطي كل من الزوجين صاحبه أكثر من حقه عليه، وينقطع البحث في الحقوق. أما إذا فتر الحب، فلا بد من الأصل الثاني الذي تقوم عليه الأسرة وهو الرحمة، وهنا يتأكد البحث في الحقوق حتى لا تضيع. على أنه إذا كان يقع أحياناً أن يفتر الحب أو يزول تماماً، وتبقى الرحمة وحدها تدفع كلاً من الزوجين إلى الرفق بصاحبه، فإنه كثيراً ما تجتمع المودة مع الرحمة فتدفع المودة إلى مزيد من الرحمة والعطف حتى يبلغ التعاطف والبذل أقصى المدى. ومن نماذج التعاطف المفعم بالحب اختيار أمهات المؤمنين صحبة رسول الله ﷺ رغم شظف العيش.

ومن نماذج البذل السخي المفعم بالحب أيضاً تضحية زوجة أيوب عليه السلام بشعرها، هذا مع صبرها على صحبته في مرضه الخطير.

---

(١) تصنّعت: تزينت.

(٢) أصاب منها: أي جامعها.

(٣) موشومة اليدين: منقوشة اليدين بالوشم.

(٤) تذب عنه: تدفع عنه الذباب.

وإذا كان مع الحب لطف وتلطف، فمن الرحمة رفق وترفق، ومن الرفق بشريك العمر بعض التقدير لجهده المبذول في رعاية الأسرة، وغض الطرف عن نقاط الضعف عنده، والصفح عن زلاته، ثم جميل رعايته ساعة شدة يمر بها، والصبر عليه عند فقره، وعند عجزه.

الشريعة تحض الزوجين على الصبر على نقاط الضعف:

قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. (النساء الآية: ١٩)

ورد في تفسير المنار: قوله تعالى: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾، لعيب في الخلق أو الخُلُق مما لا يعد ذنباً لهن لأن أمره ليس في أيديهن، أو التقصير في العمل الواجب عليهن في خدمة البيت والقيام بشؤنه ـ مما لايخلو عن مثله النساء وكذا الرجال في أعمالهم ـ أو الميل منكم إلى غيرهن، فاصبروا ولا تعجلوا بمضارتهن، ولا بمفارقتهن لأجل ذلك ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾.

ومن الخير الكثير بل أهمه وأعلاه الأولاد النجباء، فرب امرأة يملها زوجها ويكرهها، ثم يجيئه منها من تقر به عينه من الأولاد النجباء، فيعلو قدرها عنده بذلك... ومنه (أي من الخير) أن يصلح حالها بصبره وحسن معاشرته، فتكون أعظم أسباب هنائه في انتظام معيشته وحسن خدمته، ولا سيما إذا أصيب بالأمراض أو بالفقر والعوز، فكثيراً ما يكره الرجل امرأته لبطره بصحته وغناه، واعتقاده أنه قادر على أن يتمتع بخير منها وأجمل، فلا يلبث أن يسلب ما أبطره من النعمة، ويكون له منها إذا صبر عليها في أيام البطر خير سلوى وعون في أيام المرض أو العوز. فيجب على الرجل الذي يكره زوجه أن يتذكر مثل هذا، ويتذكر أيضا أنه لا يخلو من عيب تصبر امرأته عليه في الحال، غير ما وطنت نفسها عليه في الاستقبال) (١٨٦).

ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**لا يَفْرَكْ**[١] **مؤمن مؤمنة؛ إن كره منها خلقاً رضي منها آخر**». (رواه مسلم) (١٨٦ أ).

الخطاب في الآية والحديث موجه للرجل، ويمكن توجيهه للمرأة. فلتعاشر المرأة زوجها بالمعروف؛ فإن كرهته فعسى أن تكره شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً،

(١) لا يفرك: لا يبغض.

ولاتفرَك مؤمنة مؤمناً إن كرهت منه خلقاً رضيت منه آخر.

- وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء»**. (وفي رواية عند مسلم (١٨٧) : **«إن المرأة خلقت من ضلع، لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها، استمتعت وبها عوج»**. (رواه البخاري ومسلم(١٨٨)).

إن التوصية بالنساء في هذا الحديث معللة بأمر يتصل بخلقة المرأة، فهي أولاً متميزة عن خلقة الرجل، ثم إن بها بعض عوج. والرسول ﷺ لم يبين مجال هذا العوج ولا مداه، وإنما أشار إلى أثر العوج الخُلُقي في بعض سلوك المرأة مما يضيق به الرجل. فهل يمكن - بناء على الواقع المشاهد - أن تفسر العوج بسرعة الانفعال وشدته؟ أوبفرط الحساسية أو بتقلب المزاج؟ والعوج أصلاً يقابل الاستقامة، فإذا كان اتزان الانفعال وضبطه استقامة، فإن سرعة الانفعال وشدته عوج، وإذا كان ضبط الإنسان لعواطفه استقامة، فغلبه العاطفة عليه عوج. والمرأة - بخاصة - قد تغلبها العاطفة فتفوتها الحكمة في اتخاذ قرار، أو يكون منها ما لا يجمُل من قول أو فعل. وقد ينتج من سرعة انفعالها تقلب في المزاج، وصدق رسول الله ﷺ: **«لن تستقيم لك على طريقة»**، وهذا التقلب مما يكدر خاطر الرجل ويثير غضبه. ويرجع هذا التفسير ما قاله الرسول ﷺ في عظته للنساء: **«تكثرن اللعن وتكفرن العشير»**، فهذا سلوك عادة ما يكون ساعة غضب أي نتيجة سرعة الانفعال وشدته.

وفي الحديث توجيه الرجل إلى الصبر على ما يصدر من المرأة من سلوك مبعثه هذا (العوج)، وليتذكر أنها لا تتعمد هذا السلوك لمضايقته وإحراجه، إنما هو نتيجة ما قدره الله على المرأة من طبيعة خاصة، تتميز بسرعة الانفعال وشدته، فليصبر، وليكن سمحاً كريماً، وليعلم أن هذه الخاصية من خصائص المرأة يمكن أن يكون لها أثر طيب، في إقدارها على أداء مهمتها الأساسية من حمل وإرضاع وحضانة، إذ تحتاج إلى عاطفة بالغة وحساسية مرهفة. ثم ليذكر الرجل قوله ﷺ: **«إن كره منها خلقاً رضي منها آخر»** أي أن لزوجته من الفضائل والمحاسن ما يعوض هذا العيب. وأخيراً ليعلم الرجل أنه إذا حاول الوقوف عند كل خطأ من زوجه - نتيجة انفعالها البالغ - مؤاخذاً ومعاتباً، فإن هذا لن يسفر عن شيء سوى مزيد من التباعد والشقاق ؛ ثم يقع الفراق و الطلاق.

مراجع للتعلم الذاتي:

١ـ المرأة للبهي الخولي.

٢ـ النظام الاجتماعي في الإسلام لحسن أيوب.

التفعيل العملي للمحتوى بالنشاط المصاحب:

١ـ أن يكتب بحثاً حول حق الزوجة على زوجها.

٢ـ أن يلقي كلمة توضح حسن معاملة الرسول ﷺ لزوجاته وتلطفه بهن.

٣ـ عمل دورة حول بعض المشكلات بين الزوجين وكيفية حلها.

٤ـ عمل محاضرة للرد على من زعم أن الإسلام لم يعط المرأة حقها.

٥ـ مشاهدة بعض الحلقات التلفزيونية الهادفة التي تتفق مع مفاهيم التربية الإسلامية.

٦ـ أن يساعد زوجته في أعمال المنزل اقتداءً بالرسول ﷺ.

٧ـ أن يحذر من سلبيات الحضارة الحديثة على الأسرة المسلمة.

٨ـ أن يعقد لقاءً أسبوعياً مع أسرته لمناقشة كل ما يتعلق بالارتقاء بأحوال الأسرة في جميع النواحي.

التقويم والقياس الذاتي.

١ـ للمرأة على زوجها حقوق كثيرة. اذكر بعضاً منها.

٢ـ اذكر أمثلة توضح تلطف الرسول ﷺ مع أهله.

٣ـ هل يحق للزوجة المشاركة في الهموم والأمور العامة والخاصة؟ وما الدليل ؟

٤ـ اذكر شواهد من السنة تبين أهمية التجمل للرجال والنساء.

٥ـ ما موقف المسلمة من وسائل التجميل الحديثة؟

٦ـ ما المحرم من الزينة للنساء؟

٧ـ عدّد آداب المباشرة؟

٨ـ اذكر نماذج من الترويح عن الزوجة وعن الزوج؟

٩ـ ما أنواع الغيرة؟

١٠ـ اذكر بعضاً من حقوق الزوج على زوجته؟

١١ـ قارن بين الحقوق التي أعطاها الإسلام للمرأة مقارنة بالقوانين الأخرى؟

١٢ـ ما سبب حصول المرأة على النصف من الرجل في الإرث؟

١٣ـ ما أثر الحضارة الحديثة في الأسرة المسلمة؟

الفصل الثامن

مسؤوليات أخرى للرجل حثت عليها السنة

مسؤوليات أخرى للرجل حثت عليها السنة

١. تفهم حقيقة أنوثتها والصبر عليها :

عن عمرو بن الأحوص الجُشمي رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ في حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ: **«ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوان[١] عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك»**. (رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أكمل المؤمنين إيماناً أحسنُهم خُلُقاً، وخيارُكم خيارُكم لنسائهم»**(رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن المرأة خُلقت من ضلع أعوج، لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عِوجٌ، وإن ذهبت تُقيمها كسرتها، وكسرُها طلاقُها»**.

والمعنى: أن المرأة خلقها الله من عضو معوج فهي بطبيعتها وفطرتها مستعدة؛ لأن تقع في الخطأ أكثر من استعداد الزوج لذلك كمبدأ عام، فإذا أراد الرجل أن يحيا مع زوجته حياة طيبة سعيدة فليدرك أن خطأ زوجته أمر طبيعي فلا يكثر من اللوم والتأنيب والمؤاخذة، ولا يحول الحياة إلى جحيم، بل عليه أن يتساهل ويتسامح حتى يعيش في متعة وراحة واستقرار مع زوجته، أما إن أراد محاسبتها على كل صغيرة وكبيرة محاولاً أن يجدها يوماً بلا أخطاء فإنه لن يجدها كذلك أبداً وتكون نتيجة تصلبه وتشدده كسراً للحياة الزوجية يترتب عليه الطلاق، فإذا أدرك الرجل ذلك وفر على نفسه كثيراً من المتاعب.

والأخطاء التي من طبع المرأة أن تقع فيها لا يقصد منها الأخطاء الاجتماعية المعلومة للناس جميعاً، ولا الخروج على الآداب واللياقة حسب عرف الناس، فإنا نجد المرأة في الغالب أكثر حرصاً على هذه الآداب من كثير من الرجال، فهذا ليس هو المراد بدليل عرفي كما ذكر، وبدليل شرعي هو أن المرأة تؤاخذ اجتماعياً كما يؤاخذ الرجل، وتحاسب كما يحاسب، والقرآن أخبر أن المرأة إن أتت بفاحشة

---

(١) عوان: أسيرات والمراد أنهن سلمن أنفسهن ليكن في طاعتكم مثل الأسير.

واضحة فإن لزوجها أن يعاقبها أو يطلقها حسب نوع الفاحشة. وقال العلماء: إن المراد بالفاحشة الوقوع في الزنا أو مقدماته، أو تكون بذيئة سليطة اللسان، أو تكون ناشزاً من زوجها أو متعالية عليه، إنما المراد من الحديث ـ والله أعلم ـ أن المرأة جنس غير جنس الرجل، وأن طبعها وخلقها وفكرها وعقلها تدور في مجالات غير مجالاتها عند الرجال، ونظرة المرأة للرجل ليست مثل نظرة الرجل للمرأة إنما هي نمط آخر. فمن أراد أن تكون امرأته على شاكلته كلية ويشترط ذلك لتستمر الحياة الزوجية فإنه مخطئ غاية الخطأ.

وما يدريك أن هذا الاعوجاج الذي في المرأة هو سر جاذبيتها وسر جمالها، وسر التصاقها بالرجل وحرصها عليه؟!

إن المرأة بلا أخطاء تريد رجلاً بلا أخطاء أو تتعالى على الرجل وتحتقره، وذلك شأنه قطع صلة الزوجية قطعاً سريعاً. وأخطاؤها من النوع الذي فسرته لك تثبت أنوثتها وتزيد من غرور الزوج بنفسه، وشعوره بأنه السيد، ولذلك لعن الله ورسوله النساء المسترجلات، والرجال المتشبهين بالنساء. والغرض هو أن يحتفظ كل نوع بخصائصه فهي سبب جماله وكماله، فارجو أن يكون الأمر واضحاً بالنسبة لهذا الموضوع الذي كثر الكلام فيه. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**» (رواه ابن حبان في صحيحه).

وقد كان ﷺ خير الناس معاملة لأزواجه وأحسن الناس رفقاً بهن، وتسامحاً معهن، وقد كانت تبدر من بعضهن ما يبدر من أية امرأة أخرى أحياناً فما يغضب ولا يؤاخذ، ولكن يعفو ويصفح.

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه راجعته امرأته في الكلام فقال لها: أتراجعينني يا لكعاء ؟ فقالت: إن أزواج رسول الله ﷺ يراجعنه وهو خير منك.

وورد في حديث صحيح أيضاً أن إحداهن كانت تهجره ﷺ إلى الليل.

ومن **حسن العشرة**: أن يكون طلق الوجه مع زوجته، يحسن اختيار الكلمة الحلوة، ويشكرها على ما تؤديه من خدمة له ولأولادها، فإنها غير مكلفة بشيء من ذلك، ويحاول أن يسري عنها إذا غضبت، ويخفف عنها إذا تعبت، ويقوم بواجبه نحوها إذا مرضت، ويساعدها أحياناً في عمل البيت، كما كان يفعل رسول الله ﷺ مع نسائه، وإذا خلا بها تبسط معها ومازحها وداعبها خصوصاً إذا كان في

مستقبل حياتهما، وليذكر أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك مع نسائه وهو رسول الله وقد تجاوزت سنه الستين، وذلك لأنه يعلم أن تطييب قلوبهن من حسن الخلق وحق العشرة، وليكون أسوة لأمته.

وإذا كنا مطالبين أن نحسن معاملة الأجانب فإن أقرب الناس إلينا أحق بذلك وأولى مثل الوالد والولد والزوجة.

ولو أنك مازحت زوجتك تبتغي إدخال السرور عليها لوجه الله لكان ذلك حسنة توضع في ميزانك؛ لأن رسول الله ﷺ قال لسعد بن أبي وقاص: **«وإنك لن تُنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى اللقمة تضعها في فم امرأتك»** (متفق عليه).

ووضع اللقمة من الزوج في فم امرأته لا يليق إلا أن يكون في مداعبة أو مرض، والمراد هنا المداعبة.

وهكذا يستطيع المسلم الفاهم غير المعقد وغير المكبل بأغلال المفاهيم الخاطئة أن يجعل من مخدعه هو وزوجته محراب تعبد باستمتاع بعضهما ببعض ومؤانسة بعضهما لبعض. إلخ.

وعلى الرجل إذا كان مع زوجته أن يطرح التكلف والتزمت والتجمد؛ فإن ذلك ينفرها منه وكأنه لم يفهم من معنى الزوجية إلا الجماع والأولاد. كما أن عليه مهما تبسط أن يحتفظ بأصول الرجولة والمروءة والحياء، ولذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع خشونته: ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فإذا التمسوا ما عنده وُجد رجلاً.

وقد كان ﷺ يحض أصحابه على هذا النمط من المعاشرة الزوجية، فقال لجابر رضي الله عنه: **«هلا بِكراً تُلاعبُها وتُلاعبك ؟»**(متفق عليه).

ذلك أن البكر حديثة العهد باللعب فتكون مع الرجل في ذلك أطوع، وإليه أميل، وأنت تذكر أن رسول الله ﷺ أبقى الحبشة في المسجد يلعبون بالحراب من أجل أن(تتفرج) عليهم السيدة عائشة. وهي واقفة خلف النبي ﷺ جاء ذلك في البخاري ومسلم وغيرهما[1]

(١) انظر في ذلك: السلوك الاجتماعي في الإسلام للشيخ حسن أيوب صـ ٢٠٣.

٢. بر أهلها وصلتهم:

الزواج علاقة اجتماعية بين الأسرة، وعلاقة اجتماعية بين الرجل وأهل زوجته، فينبغي مراعاة هذه العلاقة، بحسن الصلة، وصدق المودة. حتى تتوثق العلاقات وتزداد تلاحماً.

كما أن بر أهل الزوجة من برها، لأن لأمها عليها حقاً، ولأن للعواطف دخلاً كبيراً في تقريب القلوب واستدامة العشرة، ولأن فطرة الإنسان معلقة بأهله، وجنسه وموطنه.

وقد حض الإسلام المسلم على بر والديه وأهله وإن كانوا مشركين، فقال تعالى: ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (لقمان الآية: ١٥) والآية دليل على صلة الأبوين الكافرين بما أمكن من المال إن كانا فقيرين، وإلانة القول لهما، وقد قالت أسماء بنت أبي بكر الصديق للنبي ﷺ وقد قدمت عليها أمها من الرضاع: فقلت: يا رسول الله، إن أمي قدمت علي وهي راغبة، أفأصلها؟ قال: «نعم، صلي أمك» ـ ووالدة أسماء، هي قتيلة بنت عبد العزى بن عبد أسد ـ [١] مراعاة لعواطفها، وقطعاً لأحابيل الشيطان، وسداً لمنافذ الشقاق والخلاف.

٣. إكرام صديقاتها:

لا شك أن إكرام صديقات الزوجة يدخل السرور عليها ويكون هذا من الوفاء للزوجة ومن حسن عشرتها، وهذا من مكارم الأخلاق، ولقد كان الرسول ﷺ يكرم أصدقاء خديجة ومعارفها حتى بعد مماتها:

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «ما غرت على امرأة، ما غرت على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني ـ رسول الله ﷺ ـ بثلاث سنين، لما كنت أسمعه يذكرها، ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب، وإن كان رسول الله ﷺ ليذبح الشاة ثم يهدي في خلتها منها» (رواه البخاري).

وهذا كما قال العلماء من حسن العهد، وحسن العهد من الإيمان، ولقد كان يذكر زوجته الحبيبة خديجة ويذكر صديقاتها ومعارفها ويهدي إليهن بعد وفاتها رعاية

(١) انظر تفسير القرطبي: ١٤/ ٦٥ .

وحفظاً لعهدها، وفي رواية للحاكم والبيهقي في شعب الإيمان، عن عائشة رضي الله عنها ـ قالت: جاءت عجوز إلى النبي ﷺ ـ فقال: «**كيف أنتم،كيف حالكم، كيف كنتم بعدنا؟**» قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله،فلما خرجت، قلت: يا رسول الله، تُقْبِل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: «**يا عائشة إنها كانت تأتينا زمن خديجة وإن حسن العهد من الإيمان**»[١] .

٤ـ رعايتها وقت مرضها أو ضعفها:

من حق الزوجة على زوجها الرعاية، ولئن كانت رعايتها حال صحتها وقوتها واجبة، فرعايتها حال ضعفها أوجب.

والأسرة مؤسسة لها خصوصياتها، فهي تقوم على المودة أولاً أي على الحب. ثم إن العلاقات فيها متشابكة على وجه لا نظير له في أي مؤسسة أخرى، وهي تشمل جوانب حياة الفرد كلها، بدءاً من الجانب الذي هو من أخص خصائصها، أي جانب الإمتاع الجنسي، بالإضافة إلى توفير المسكن والمطعم والمشرب، وأهم من ذلك كله رعاية الأسرة للذرية بنين وبنات. وهكذا تكون الأسرة بمثابة «السكن» وما أصدق التعبير القرآني: ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾(الروم آية: ٢١). فالعلاقة إذن بين الرجل وزوجه أخص وأعمق من أية علاقة أخرى.

ونتيجة لعمق هذه العلاقة وخصوصيتها، كان لابد أن يقل تدخل سلطة القضاء فيها إلى أدنى حد ممكن، فلا يكون هذا التدخل إلا في الأحوال الحرجة جداً، سواء لعلاج سوء استعمال الرجل لسلطته، أو لعلاج خروج المرأة عن طاعة زوجها. وحتى وساطة الوسطاء في الإصلاح، ينبغي أن تكون في أضيق الحدود. وليكن الزوجان على ذكر دائماً أن الأسرة ـ كما أنها تعيش في حاضرها وقضايا يومها ـ ترنو باستمرار إلى مستقبل أفضل لا بشأن الزوجين فحسب، بل بشأن الذرية أيضاً، والذرية كما قلنا لها أهمية قصوى في مؤسسة الأسرة.

وكما أن الرجل ركن من أركان الأسرة، فالمرأة هي الأخرى تمثل الركن الثاني؛ فلابد أن تكون رعاية المرأة كاملة لتكون أركان الأسرة قوية فاعلهُ، فقد تنوب المرأة عند زوجها في أثناء غيابه، وتتحمل أعباء الأسرة في حال عجزه كما أنها تؤمر بالإحسان إليه، فهي إذن لها ما له ويحق لها ما يحق له، وصدق الله: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ

---

(١) انظر: المنتخب من السنة: ١١٥/ ٥٨ .

الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾(البقرة آية: ٢٢٨).

٥ـ تعليمها ما به أمر دينها ودنياها:

اهتم الإسلام بالعلم للإنسان رجلاً كان أو امرأة، وحثّ على طلبه. ومن ضمن ما تفضّل الله به على عباده من وسائل العلم نعمتي القراءة والكتابة، وهما أهم أدوات العلم، دراسة وتوثيقاً.

وقد وردت آياتٌ في القرآن الكريم تشير إلى أهمية القراءة وتأمر بها المسلمين والمسلمات مثل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾(النحل آية: ٩٨).

ولا شك أن من أهم أهداف القراءة، العلم بالله سبحانه، والقرآن الكريم أعظم كتاب في الوجود، لما يحمل بين طيّاته من أخبار عن الله سبحانه والملائكة عليهم السلام والكتب المنزلة من عند الله والرسل، وعن الجنة والنار، كما يشمل الإخبار عن الإنسان على اختلاف جنسه وأطواره وانتماءاته المختلفة، كما بينت المطلوب منه في هذه الحياة.

أما ما يتعلق بنعمة الكتابة، فالله سبحانه يُقرر بأنه تفضل على الإنسان بتعليمه بهذه الوسيلة ما لم يكن يعلمه من قبلُ، فقال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(العلق الآيات: ٣ ـ٥) فدل ذلك على كمال كرم الله بعباده بأن علمهم ما لم يعلموا، ونقلهُم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبَّه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة، وما دُونت العلومُ ولا قُيدت الحكمُ ولا ضُبطت أخبارُ الأولين ولا كُتب الله المنزلة إلا بالكتابة ولولاها لما استقامت أمور الدين والدُّنيا. ولو لم يكن على دقيق حكمة الله دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به !!.

وقد ساوى الله عز وجل بين الجنسين في خشيته المترتبة على العلم، بل إن القرآن الكريم قد خصَّ العلماء فقط بخشيته، وحصرها فيهم، سواء كانوا رجالاً أو نساء.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾(فاطر آية: ٢٨).

يقول الإمام النسفي في تفسيرها: أي العلماء الذي علموه بصفاته فعظموه، ومن ازداد علماً به ازداد خوفاً، ومن كان علمه به أقل كان آمن. وقد ساوت السنة والشريعة بين الرجال و النساء في الحصول على فضيلة العلم فقال ﷺ: «من سلك

طريقاً يطلبُ فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة»(١).

وإن مما يؤكد هذه المساواة العلمية بين الرجل والمرأة في الإسلام، حث الرجل على تعليمها حتى لو كانت أمة، ومطالبتها بتخصيص وقت تتعلم فيه ومشاركتها الفعلية في التعلم، بل ومُنافستها فيه.

فعن أبي بردة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران»**.

ولقد تقدمت النساء بطلب إلى الرسول ﷺ لتخصيص وقت يتعلمن فيه على يد سيد الرسل المعلم المعصوم رسول الله ﷺ فوافق على ذلك فأتاهن فعلمهن ووعظهن.

فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قالت النساء للنبي ﷺ: يا رسول الله غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً لقيَهُنَّ فيه، فوَعظهُنَّ وأمرهُنَّ، فكان فيما قال لهُن: **«ما منكن من امرأة تُقدِّمُ ثلاثة من ولدها إلا كان ذلك حجاباً من النار»** فقالت امرأة: واثنين؟ فقال: **«واثنين»**(٢).

ولقد احتلت المرأة المسلمة مكانة علمية عالية في العقيدة والفقه والفرائض والحديث وقراءة القرآن والفتوى، وقامت برسالتها العلمية خير قيام.

وقد برزت عدة نساء في هذه العلوم وغيرها، ومن أشهر أولئك:

١ـ **أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها** تلميذة زوجها، وروت عن أبيها، وعن عمر وفاطمة وسعد بن أبي وقاص وأسيد بن حضير وجذَامة بنت وهب وحمزة بنت عمرو.

أمَّا الرواة عنها فمنهم: من الصحابة عمرُ، وابنه عبد الله، وأبو هريرة وابنُ عباس، والسائب بنُ يزيد.

ومن الصحابيات: صفية بنت شيبة، ومن آل بيتها أختها أم كلثوم، وأسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، وبنت أخته عائشة بنت طلحة من أم كلثوم بنت أبي بكر.

وروى عنها من كبار التابعين سعيد بن المسيب، وعمرو بن ميمون، وعلقمة بن قيس، ومسروق، وعبد الله بن حكيم، والأسود بن يزيد.

---

(١) أخرجه أحمد ج ٢/ ٢٥٢، وهو حديث صحيح.

(٢) صحيح البخاري كتاب العلم، باب هل يُجعَلُ للنساء يوم على حِدَة في العلم؟ أيكتب الحديث؟/ ١٠١.

٢ـ **أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها**، وروت عن أبيها.

وروى عنها من الرجال أخوها عبد الله وابنه حمزةُ، وحارثةُ بن وهب، والمطلبُ ابن أبي وداعة.

ومن النساء: صفية بنت أبي عبيدة زوجة حمزة ابن أخيها عبد الله، وأمُّ مبشر الأنصارية.

ولقد نالت حفصة رضي الله عنها شرف حفظ النسخة الأولى للقرآن الكريم، وعندما أراد الخليفة الثالث عثمان بن عفان جمع القرآن الكريم ونسخهُ في المرة الثالثة في عدة مصاحف، استعان على ذلك بتلك النسخة ثم أعادها إليها.

٣ـ **زينب بنت معاوية وقيل بنت أبي معاوية**، وبهذا الأخير جزم أبو عمر، ثم نسبها فقال: بنتُ معاوية بن عتاب بن الأسعد الثقفية.

روت هذه المرأة عن النبي ﷺ وعن زوجها ابن مسعود وعن عمر، وروى عنها ابنها أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود وابن أخيها وعمر بن الحارث بن أبي ضرار[1].

٦. أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر:

وذلك أيضاً مأخوذ من مسؤوليته عنها أمام الله تعالى كما سبق. وقال الله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾(طه: ١٣٢).

وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (التحريم: ٦).

فالله تعالى أمرنا أن نحفظ أنفسنا وأهلينا من النار، وذلك يكون باتباعنا أوامر الله واجتنابنا نواهيه وأخذ أهلينا بذلك ولو عن طريق الشدة إذا لم تفد الوسائل الأخرى اللينة، وما من ذنب تقع فيه المرأة وزوجها راضٍ أو يقدر على منعها ولم يفعل إلا كان شريكاً لها في ذنبها، ويعاقب بسببها، وهذا في المعاصي التي ليست كفراً، فإن كانت المعصية كفراً فإن المرأة تصبح على غير ذمة زوجها، ومن المؤسف أن ذلك كثير في زمننا، فكثير من النساء يكفرن بسبب سب الدين، أو سب القرآن أو سبِّ النبي ﷺ، أو سب الله سبحانه وشتمه، أو إنكار فرضية الصلاة أو الصيام أو الزكاة أو

---

(١) الإصابة: لابن حجر ج ٧/ ٥٨٢، والمستدرك ج ٢ / ٢٢٩.

الحج مما هو معلوم فرضيته لكل الناس، أو تحتقر شيئاً من ذلك، أو تسخر وتهزأ بمن يصلي أو يصوم... إلخ.

ولو أن الرجل فعل ذلك فإنه يكفر وتصبح زوجته على غير ذمته أيضاً والخلاصة: أن الزوج عليه أن يمنع زوجته من فعل المنكرات كلها مثل كشف أي جزء من جسمها غير الوجه والكفين أمام الأجانب، ومثل مضاحكة الرجال وملاينة الحديث معهم، ومثل ترك الصلاة، أو الصيام، أو عدم التحرز من النجاسات إلى آخر المعاصي.

فإن عصته وعظها، فإن لم يفد الوعظ هجرها في المضجع فإن لم يفد الهجر ضربها ضرباً خفيفاً لا يسيل دماً ولا يكسر عظماً ولا يسبب ألماً مبرحاً ولا يزيد على عشر عصى خفيفة. فإذا لم يفد ذلك كله وكان يستطيع الاستغناء عنها ينبغي عليه أن يطلقها، وله أن يطلب التنازل عن مؤخرها ونفقتها في العدة، أو تعطيه جزءاً من مالها مقابل الضرر الذي ألحقت به. والمال الذي ضيعته عليه، أما إن كان لا يستطيع مفارقتها بسبب الأولاد فإنه حينئذ يعذر عند الله تعالى، والله أعلم.

ومن الحقوق الواجبة على الزوج: أن يُعلمها أمور دينها، وقد كان المطلوب أن يكون التعلم من أيام طفولتها عند أبيها، ومع ذلك فقد أوجب الإسلام على الزوج أن يستكمل هذه المهمة أو يقوم بها.

قال الإمام الغزالي في الإحياء: على الرجل أن يُعلم زوجته أحكام الصلاة وما يُقضى منها في الحيض وما لا يُقضى. فإنه أُمرَ بأن يقيها النار بقوله تعالى: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾(التحريم: ٦) فعليه أن يلقنها اعتقاد أهل السُّنَّة، ويزيل عن قلبها كل بدعة إن استمعت إليها، ويُخوفها في الله إن تساهلت في أمر الدين، ويُعلمها من أحكام الحيض والاستحاضة ما تحتاج إليه.

وإذا كان الزوج جاهلاً وجب عليه أن يسأل أهل الذكر ثم يعود بالإجابة الشافية إلى أهله معلماً ومرشداً.

ولذا يقول الحق سبحانه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾(طه: ١٣١).

قال ابن كثير في تفسير الآية: أي استنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة واصبر أنت على فعلها.

فعن ثابت رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أصابه خصاصة نادى أهله: «يا أهلاه: صلُّوا، صلُّوا»(١) وكان عمر إذا استيقظ من الليل يعني يصلي أقام أهله. وقال القرطبي: روى مسلم أن النبي ﷺ إذا أوتر يقول: «قومي يا عائشة». وفسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (التحريم: ٦) بقوله: اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، وأمُرُوا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار.

وقال قتادة: تأمرهم بطاعة الله، وتنهاهم عن معصية الله، وأن تقوم عليهم بأمر الله وتساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية زجرتهم عنها، فالرجل إذاً مُطالب بتعليم زوجته أُمور دينها ليقيها ونفسه من عذاب النار.

٧ـ العدل بين الزوجات:

فإذا كان الرجل متزوجاً أكثر من امرأة، فالواجب أن يعدل بينهن في حقوقهن، وذلك بالتسوية بينهن في القسم إذا قسم في المبيت، والنفقة والكسوة، والسُكنَى.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا﴾ (النساء: ٣).

وقدوة الزوج المسلم في ذلك رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ويقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملكُ ولا أملكُ»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن ـ وكلتا يديه يمينٌ ـ الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولُّوا»(٣).

فالزوج مأمور بالعدالة في الأمور التي يمتلكها، كالمبيت وغيره، ولكنه لا يجب عليه أن يسوي بين زوجاته فيما لا يملكه من ميل قلبي لقوله جل شأنه: ﴿وَلَن

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٥ / ٣٩.

(٢) سنن الترمذي برقم ١١٤٠. وابن ماجه برقم ١٩٧١، وفيه مقال.

(٣) صحيح الجامع الصغير / ١٩٥٣.

تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾(النساء: ١٢٩). والمقصود بالعدل في الآية الميل القلبي من محبة واقتراب.

يقول الغزالي موضحاً لهذه الآية: «وإنما عليه العدل في العطاء والمبيت، وأما في الحب والوقاع فذلك لا يدخل تحت الاختيار».

والسيدة عائشة زوج المصطفى ﷺ تحكي لنا عدالة النبي ﷺ بين أهله فتقول رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ لا يُفضلُ بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا، وكان كل يوم يطوف علينا جميعاً فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ التي هو يومُها، فيبيتُ عندها».

فحذاراً أيها الزوج المسلم من الظلم، والبغي على حقوق المرأة، فقد شدد الرسول الكريم، ونهى عن المبيت عند واحدة دون أخرى.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت عنده امرأتان فلم يعدل بينهما، جاء يوم القيامة وشقُّه ساقطٌ»(١). بل إن الإسلام شدد النكير على كل زوج تزوج بأكثر من واحدة ثم ظلم إحداهما بإعطاء صاحبتها ليلتها، ولكنّه بيّن بياناً شافياً أن الاستئذان منها، وموافقتها على ترك ليلتها لصاحبتها، لا شيء فيه، ما دام ذلك برضاها دون جبر أو إرغام.

فقد جاء في الطبقات: «أن النبي ﷺ كان يُطاف به محمولاً في مرضه في كل يوم وكل ليلة فيبيتُ عند كل واحدة منهن، ويقول: «أين أنا غداً؟» ففطنت لذلك امرأة منهن. فقالت: إنما يسأل عن يوم عائشة. فقلنا: يا رسول الله: قد أذنّا لكَ أن تكون في بيت عائشة، فإنه يشقُّ عليك أن تُحمل كلَّ ليلة، فقال ﷺ: «وقد رضين بذلك؟!» فقُلنَ: نعم، قال: «فحولُوني إلى بيت عائشة»(٢).

ما ينبغي أن يكون مشتركاً بين الزوجين:

إن القاعدة الرئيسة في الشريعة الإسلامية هي: المساواة بين جميع البشر في التكاليف والحقوق والواجبات، فالجميع من معدن واحد ومن أصل واحد قال الله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ (الحجرات: ١٣). وقال: ﴿بعضكم من بعض﴾. ويقول ﷺ: «كلكم لآدم وآدم من تراب»

(١) الترغيب والترهيب ج ٣ / ٦٠.

(٢) الطبقات لابن سعد ج ٢ / ٢٣١.

ويقول: «إنما النساء شقائق الرجال» ويأتي الاستثناء لاختصاص معين، ولسبب وعلة ليست مكتسبة أو مصطنعة. وذلك مثل ولاية الزوج، كما قدمنا سابقاً.

الشريعة تحض الرجال على اللطف مع الزوجات

قال تعالى: وقد ورد في تفسير المنار عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ١٩): (أي يجب عليكم أيها المؤمنون أن تحسنوا عشرة نسائكم بأن تكون مصاحبتكم ومخالطتكم لهن بالمعروف الذي تعرفه وتألفه طباعهن، ولا يستنكر شرعاً ولا عرفاً ولا مروءة، فالتضييق في النفقة والإيذاء بالقول أو الفعل، وكثرة عبوس الوجه وتقطيبه عند اللقاء، كل ذلك ينافي العشرة بالمعروف. وفي المعاشرة معنى المشاركة والمساواة، أي عاشروهن بالمعروف. وفي المعاشرة معنى المشاركة والمساواة، أي عاشروهن بالمعروف وليعاشرنكم كذلك. وروي عن بعض السلف أنه يدخل في ذلك أن يتزين الرجل للمرأة بما يليق به من الزينة لأنها تتزين له.

والغرض أن يكون كل منهما مدعاة سرور الآخر وسبب هنائه في معيشته).

وقال رسول الله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» (رواه ابن ماجه).

الرسول ﷺ «المثل الأعلى لكل رجل في أسرته»

١ـ نماذج من تلطف الرسول ﷺ بأهله:

لا شك أن رسول الله ﷺ هو قدوة للمسلمين جميعاً، وهو المشرع للبشرية وهادي الإنسانية، ويأمل كل مسلم ومسلمة أن يراجعا أنفسهما ويتأملا في كلام الله وسنة رسوله، حتى يعرفا الطريق المستقيم، والصراط القويم الذي ينبغي أن يسيرا عليه في الحياة، فينالا السعادة في الدنيا والفوز في الآخرة.

وكان الرسول ﷺ يتلطف مع أهله ويتلطفون معه، إدامةً للعشرة وجلباً للمسرة والحب بين الزوجين.

شواهد من حب رسول الله ﷺ لزوجه عائشة وتقديره لها ومعرفته لطباعها.

ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «أريتُك في المنام، يجيء بك الملك في سَرَقة من حرير»[١]. فقال لي: «هذه امرأتك، فكشفتَ عن وجهك الثوب فإذا أنت هي، فقلت: إن يك هذا من عند الله يُمْضِه» (رواه البخاري ومسلم).

(١) سرقة من حرير: قطعة من أجود الحرير.

عن أنس أن جاراً لرسول الله ﷺ فارسياً كان طيب المرق، فصنع لرسول الله ﷺ ثم جاء يدعوه، فقال: «وهذه؟» (يقصد عائشة) فقال: لا. فقال رسول الله ﷺ: «لا» فعاد يدعوه، فقال رسول الله ﷺ: «وهذه؟» فقال: لا. قال رسول الله ﷺ: «لا» فعاد يدعوه، فقال رسول الله ﷺ: «وهذه؟» فقال: لا. قال رسول الله ﷺ: «لا» ثم عاد يدعوه ،فقال رسول الله ﷺ «وهذه؟» قال: «نعم» في الثالثة. فقاما يتدافعان(١) حتى أتيا منزله(٢). (رواه مسلم) (١٢١، ١٢٢).

ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عليّ غضبى». قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: «أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد،وإذا كنت غضبي قلت: لا ورب إبراهيم» فتقول عائشة: أجل يا رسول الله، والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك (رواه البخاري ومسلم).

وهناك موقف أخرى من رسول الله ﷺ ومن عائشة يدل على عمق الحب والمودة وتعلق كل منهما بالآخر، وذلك عندما نزل قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٢٨، ٢٩)

أمر ﷺ أن يخير نساءه: فبدأ بعائشة. (رواه البخاري ومسلم).

ـ عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: «إني ذاكرٌ لك أمراً، فلا عليك أن تعجلي حتى تستأمري أبويك...» قالت: فقلت: ففي أي هذا أستأمر أبوي! فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. (رواه البخاري ومسلم).

ـ عن عروة: أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أخبرته أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث(٣) على نفسه بالمعوذات، ومسح عنه بيده. لما اشتكى وجعه الذي توفي فيه، طفقتُ أنفث على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث، وأمسح بيد النبي ﷺ عنه.

(١) يتدافعان: يمشي كل واحد منهما في إثر صاحبه.

(٢) كان هذا قبل فرض الحجاب على أمهات المؤمنين (انظر مبحث خصوصية الحجاب بنساء النبي ﷺ).

(٣) نفث على نفسه بالمعوذات: نفخ ورقى نفسه بالمعوذات.

عن ذكوان. . . أن عائشة كانت تقول: إن من نعم الله عليّ أن رسول الله ﷺ توفى في بيتي، وفي يومي وبين سَحْرِي ونحري[١] وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته. ودخل عليّ عبد الرحمن(ابن أبي بكر) وبيده السواك، وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم ـ فتناولته فاشتد عليه، فقلت: ألينه لك؟ فأشار برأسه أن نعم. فليّنته فأمرّه ﷺ ـ وفي رواية ثانية: فقضمته ونفضته وطيبته ـ ثم دفعته إلى النبي ﷺ فاستن به، فما رأيت رسول الله ﷺ استن استناناً قط أحسن منه .(وفي رواية ثالثة: فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة) . وبين يدي رسول الله ﷺ ركوة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: «**لا إله لا الله، إن للموت سكرات**»[٢]. ثم نصب يده فجعل يقول: «**في الرفيق الأعلى، حتى قُبض ومالت يده**» (رواه البخاري) .

وهذا من حب عائشة لرسول الله ﷺ ومن ذكرياته معها التي ظلت تذكرها حتى توفيت ولحقت به.

هذا ونرى لطف العشرة وعظيم المساندة من السيدة خديجة لرسول الله ﷺ، وما ذاك إلا تقديراً لرسول الله ﷺ وحباً فيه ومعرفة لرسالته وهديه، فكان من حسن استقباله ومواساته ساعة الشدة ثم السعي لطمأنته:

ـ عن عائشة أم المؤمنين قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم. . . كان ﷺ يخلو بغار حراء فيتحنث[٣] فيه. . . حتى جاء الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك. فقال: «**اقرأ، قال: ما أنا بقارئ**. . .». فدخل على خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ فقال: «**زملوني[٤] زملوني**»، فزملوه حتى ذهب عنه الروع[٥]. فقال ﷺ لخديجة وأخبرها الخبر: «**لقد خشيت على نفسي**» فقالت خديجة: كلا، والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلّ[٦]، وتكسب المعدوم، وتَقرِي الضيف[٧] وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزى ابن عم خديجة، وكان امرؤٌ تنصر في الجاهلية، وكان

(١) سحري ونحري: السحر الرئة والنحر أعلى الصدر، تريد أنه ﷺ (مات وهو مستند لصدرها).
(٢) سكرات الموت: شدته وغشيته.
(٣) يتعبد.
(٤) زملوني: لفوني.
(٥) الروع: الفزع.
(٦) الكل: من لا يستقل بأمره.
(٧) تقري الضيف: تحسن إليه بتقديم طعامه ونزله.

يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزله الله على موسى، يا ليتني فيها جذعٌ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «**أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مُؤزراً**» (رواه البخاري ومسلم).

وإن مما يؤكد حب خديجة لرسول الله قوله ﷺ عنها: «**آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها**» (رواه أحمد).

ومن شأن المحب أن يريد الخير لمن أحب، ويعينه عليه، وأعظم الخير خير الآخرة. وهذا ما يعلمنا إياه رسول الله.

ـ عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وزوجة مؤمنة تعينه على أمر الآخرة**» (رواه أحمد).

ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء. ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء**» (رواه أحمد).

ـ عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ أهله وصليا ركعتين كُتبا من الذاكرين والذاكرات**». (رواه أبو داود).

ثم إن رسول الله ﷺ يعطينا الأسوة في تعاون الزوجين على الخير:

ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله». (رواه البخاري ومسلم)

ـ عن أم سلمة زوج النبي قالت: استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعاً يقول: «**سبحان الله. ماذا أنزل الله من الخزائن؟ وماذا أنزل من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجرات؟ ـ يريد أزواجه لكي يصلين ـ رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**». (رواه البخاري).

الرسول ﷺ يحض الزوج على رفع اللقمة إلى فم الزوجة:

ـ عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**...وإنك مهما أنفقت**

من نفقة فإنها صدقة، حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك» (رواه البخاري ومسلم).

قال الحافظ ابن حجر: وفي الحديث «...**أن المباح إذا قُصد به وجه الله صار طاعة، وقد نبه على ذلك بأقل الحظوظ الدنيوية العادية وهو رفع اللقمة في فم الزوجة، إذ لا يكون ذلك غالباً إلا عند الملاعبة والممازحة، ومع ذلك فيؤجر فاعله إذا قصد به قصدا صحيحاً، فكيف بما هو فوق ذلك؟**»(١٥٤).

وكان الرسول ﷺ يأمر الأزواج بالتمهل في دخول المدينة حتى تتهيأ الزوجات لاستقبالهم:

ـ عن جابر بن عبد الله قال: قفلنا مع النبي ﷺ من غزوة.. فلما ذهبنا لندخل، قال: «**أمهلوا حتى تدخلوا ليلاً ـ أي عشاء ـ لكي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة**». (رواه البخاري ومسلم).

الرسول ﷺ يأمر الحجاج بتعجيل الرجوع إلى أهليهم... فإنه أعظم لأجرهم:

ـ عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قضى أحدكم حجه فليعجل الرجوع إلى أهله، فإنه أعظم لأجره**» (رواه الحاكم).

الرسول ﷺ يأمر رجلاً أن يدع الخروج للجهاد ليصحب زوجه في رحلة الحج:

ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: .. قال رجل: يا رسول الله، إني أريد أن أخرج في جيش كذا وكذا وامرأتي تريد الحج، فقال: «**اخرج معها**»(رواه البخاري ومسلم).

الرسول ﷺ يشجع عثمان على التخلف عن غزوة بدر ليرعى زوجه المريضة:

ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: أمَّا تَغيُّب عثمان عن بدر، فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له النبي ﷺ: «**إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه**» (رواه البخاري).

وكان من لطف شعور رسول الله ﷺ أ لا يفجأ أهله ليلاً:

ـ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: كان النبي ﷺ لا يطرُق(١) أهله، كان لا يدخل إلا غدوة(٢) أو عشية(٣). (رواه البخاري ومسلم).

---

(١) لا يطرق أهله ليلاً: الطروق... المجيء بالليل من سفر أوغيره على غفلة.

(٢) غدوة: من أول النهار إلى الزوال.

(٣) عشية: من صلاة المغرب إلى العتمة. العتمة ظلمة الليل وتنتهي إلى ثلث الليل.

يستقبلهن في معتكفه ثم يقوم بتوديع إحداهن إلى باب المسجد:

ـ عن صفية زوج النبي ﷺ . . . أنها جاءت رسول الله ﷺ تزوره في اعتكافه في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة ثم قامت تنقلب[1]، فقام النبي ﷺ معها يقلبها. (وفي رواية (١٦٦) : كان النبي ﷺ في المسجد وعنده أزواجه فرُحن، فقال لصفية بنت حيي: «**لا تعجلي حتى انصرف معك**»، وكان بيتها في دار أسامة، فخرج النبي ﷺ معها. (رواه البخاري ومسلم) (١٦٧).

وكان يحتمل رفع أصواتهن على صوته:

ـ عن سعد بن أبي وقاص قال: استأذن عمر على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش(يعني من زوجاته) يكلمنه ويستكثرنه[2]، عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر قمن فبادرن[3] الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ، فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «**عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب**»، فقال عمر: فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله. ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن، أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ! فقلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ (رواه البخاري ومسلم ١٦٨).

يصبر على مغاضبتهن له:

ـ عن عمر قال: والله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل، وقسم لهن ما قسم، قال: فبينا أنا في أمر أتأمره[4] إذ قالت امرأتي: لو صنعت كذا وكذا، قال: فقلت لها: مالك ولما ههنا؟! فيمَ تكلفك[5] في أمر أريده؟! فقالت: عجباً لك يا ابن الخطاب، ما تريد أن تُراجَع أنت، وإن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان. (وفي رواية ١٦٩ قالت: ولم تنكر أن أراجعك؟ فوالله، إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل) فقام عمر فأخذ رداءه مكانه حتى دخل على حفصة فقال لها: يا بنية، إنك لتراجعين رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان؟ فقالت حفصة: والله إنا لنراجعه، فقلت:

---

(١) قامت تنقلب، فقام النبي(معها يقلبها: قامت ترجع، فقام النبي ﷺ معها يردها إلى بيتها.

(٢) يستكثرنه: يطلبن منه أكثر مما يعطين.

(٣) بادرن بالحجاب: تسارعن للاختفاء خلف الستر.

(٤) في أمر أتأمره: أشاور فيه نفسي وأفكر.

(٥) فيم تكلفك: فيم تعرضك لما لا يعنيك؟.

تعلمين أني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله ﷺ . . . ثم خرجت حتى دخلت على أم سلمة لقرابتي منها فكلمتها، فقالت أم سلمة: عجباً لك يا ابن الخطاب دخلت في كل شيء حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه. (وفي رواية ١٧٠ شيء حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله وأزواجه. (وفي رواية ١٧٠ لابن سعد: فقالت أم سلمة: إي والله إنا لنكلمه فإن تحمّل ذلك فهو أولى به، وإن نهانا عنه كان أطوع عندنا منك). (رواه البخاري ومسلم)١٧١.

يوافق زوجه إذا هويت الشيء:

ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: فحِضتُ فلم أطف بالبيت (في حجة الوداع)، فلما كانت ليلة الحصبة[1] قالت: يا رسول الله، يرجع الناس بعمرة وحجة وأرجع أنا بحجة؟ قال: وما طفت ليالي قدمنا مكة؟ قلت: لا، قال: «**فاذهبي مع أخيك إلى التنعيم[2] فأهلّي بعمرة**» وزاد مسلم في روايته: قال جابر: وكان رسول الله ﷺ رجلاً سهلاً إذا هويت الشيء تابعها عليه ﷺ. (رواه البخاري ومسلم ١٧٢) .

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن ـ أي يتوارين ـ منه فيسر بهن إليّ فيلعبن معي» وعنها رضي الله عنها حين سُئلت عن خلق رسول الله ﷺ قالت: «لم يكن فاحشاً ،ولا صخاباً بالأسواق ولا يجزي بالسيئة ولكن يعفوا ويصفح». (رواهما البخاري).

نماذج من تلطف الصحابيات مع أزواجهن:

أسماء بنت عميس تذب عن زوجها المريض في حضرة عواده:

ـ عن قيس بن أبي حازم أنه قال: دخلنا على أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ في مرضه، فرأيت عنده امرأة بيضاء موشومة اليدين[3] تذب عنه[4]، وهي أسماء بنت عميس. (رواه الطبراني) (١٨٥).

---

(١) ليلة الحصبة: الليلة التي بعد أيام التشريق(أي أيام منى).

(٢) التنعيم: مكان معروف خارج مكة.

(٣) موشومتين اليدين: منقوشة اليدين بالوشم.

(٤) تذب عنه: تدفع عنه الذباب.

لكل من الزوجين حق الرحمة على الآخر:

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. (الروم: ٢١).

الأصل أن تقوم الأسرة على المودة أي الحب، ومع الحب يكون إيثار، ومع الإيثار يعطي كل من الزوجين صاحبه أكثر من حقه عليه، وينقطع البحث في الحقوق. أما إذا فتر الحب، فلا بد من الأصل الثاني الذي تقوم عليه الأسرة وهو الرحمة، وهنا يتأكد البحث في الحقوق حتى لا تضيع، على أنه إذا كان يقع أحياناً أن يفتر الحب أو يزول تماماً، وتبقى الرحمة وحدها تدفع كلاً من الزوجين إلى الرفق بصاحبه، فإنه كثيراً ما تجتمع المودة مع الرحمة فتدفع المودة إلى مزيد من الرحمة والعطف حتى يبلغ التعاطف والبذل أقصى المدى. ومن نماذج التعاطف المفعم بالحب، اختيار أمهات المؤمنين صحبة رسول الله ﷺ رغم شظف العيش.

ومن نماذج البذل السخي المفعم بالحب أيضاً تضحية زوجة أيوب عليه السلام بشعرها، مع صبرها على صحبته في مرضه الخطير.

وإذا كان مع الحب لطف وتلطف، فمن الرحمة رفق وترفق، ومن الرفق بشريك العمر بعض التقدير لجهده المبذول في رعاية الأسرة، وغض الطرف عن نقاط الضعف عنده، والصفح عن زلاته، ثم جميل رعايته ساعة شدة يمر بها، والصبر عليه عند فقره، وعند عجزه.

الشريعة تحض الزوجين على الصبر على نقاط الضعف:

قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ١٩).

ورد في تفسير المنار: قوله تعالى: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ لعيب في الخلق أو الخُلُق مما لا يعد ذنباً لهن لأن أمره ليس في أيديهن، أو التقصير في العمل الواجب عليهن في خدمة البيت والقيام بشؤونه ـ مما لا يخلو عن مثله النساء وكذا الرجال في أعمالهم ـ أو الميل منكم إلى غيرهن، فاصبروا ولا تعجلوا بمضارتهن، ولا بمفارقتهن لأجل ذلك ﴿فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾...

ومن الخير الكثير بل أهمه وأعلاه الأولاد النجباء، فرب امرأة يملها زوجها ويكرهها ثم يجيئه منها من تقر به عينه من الأولاد النجباء، فيعلو قدرها عنده

بذلك. . . ومنه (أي من الخير) أن يصلح حالها بصبره وحسن معاشرته، فتكون أعظم أسباب هنائه في انتظام معيشته وحسن خدمته، لا سيما إذا أصيب بالأمراض أو بالفقر والعوز، فكثيراً ما يكره الرجل امرأته لبطره بصحته وغناه، واعتقاده أنه قادر على أن يتمتع بخير منها وأجمل، فلا يلبث أن يسلب ما أبطره من النعمة، ويكون له منها إذا صبر عليها في أيام البطر خير سلوى وعون في أيام المرض أو العوز. فيجب على الرجل الذي يكره زوجه أن يتذكر مثل هذا، ويتذكر أيضا أنه لا يخلو من عيب تصبر امرأته عليه في الحال، غير ما وطنت نفسها عليه في الاستقبال) (١٨٦)، هذا وقد رأينا كثيراً من المجاهدين الذين ظلموا من السلطات الجائرة لدعوتهم إلى دينهم، فأدخلوا السجون والمعتقلات، ومكثوا السنين الطوال، وتركوا زوجاتهم وأولادهم حوالي ٢٠ عاماً فصبرت الزوجة وكافحت في تربية الأولاد رغم ملاحقة الأنظمة الفاسدة لها وحضهم لها على التمرد وطلب الطلاق، وتكسر كل ذلك واندحر أمام صبر الزوجه وكفاحها حتى خرج الزوج وسعدت الأسرة برضاء الله.

- وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يَفْرَك[1] مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر**» (رواه مسلم) (١٨٦ أ).

الخطاب في الآية والحديث موجه للرجل، ويمكن توجيهه للمرأة. فلتعاشر المرأة زوجها بالمعروف فإن كرهته فعسى أن تكره شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً، ولاتفرَك مؤمنة مؤمناً إن كرهت منه خلقاً رضيت منه آخر.

- وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء**» (وفي رواية عند مسلم (١٨٧): «**إن المرأة خلقت من ضلع، لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها، استمتعت وبها عوج**». (رواه البخاري ومسلم) (١٨٨).

إن التوصية بالنساء في هذا الحديث معللة بأمر يتصل بخلقة المرأة، فهي أولاً متميزة عن خلقة الرجل، ثم إن بها بعض عوج. والرسول ﷺ لم يبين مجال هذا العوج ولا مداه، وإنما أشار إلى أثر العوج الخُلُقي في بعض سلوك المرأة مما يضيق به الرجل؟. فهل يمكن بناء على الواقع المشاهد أن تفسر العوج بسرعة

---

(١) لا يفرك: لا يُبغض.

الانفعال وشدته؟ أوبفرط الحساسية أو بتقلب المزاج؟ والعوج أصلاً يقابل الاستقامة، فإذا كان اتزان الانفعال وضبطه استقامة، فإن سرعة الانفعال وشدته عوج، وإذا كان ضبط الإنسان لعواطفه استقامة، فغلبه العاطفة عليه عوج. والمرأة ـ بخاصة ـ قد تغلبها العاطفة فتفوتها الحكمة في اتخاذ قرار، أو يكون منها ما لا يجمُل من قول أو فعل. وقد يتج من سرعة إنفعالها تقلب في المزاج، وصدق رسول الله ﷺ: «لن تستقيم لك على طريقة»، وهذا التقلب مما يكدر خاطر الرجل ويثير غضبه. ويرجع هذا التفسير ما قاله الرسول ﷺ في عظته للنساء: «تكثرن اللعن وتكفرن العشير»، فهذا سلوك عادة ما يكون ساعة غضب أي نتيجة سرعة الانفعال وشدته.

وفي هذا توجيه الرجل إلى الصبر على ما يصدر من المرأة من سلوك مبعثه هذا (العوج)، وليتذكر أنها لا تتعمد هذا السلوك لمضايقته وإحراجه، إنما هو نتيجة ما قدره الله على المرأة من طبيعة خاصة، تتميز بسرعة الانفعال وشدته، فليصبر، وليكن سمحاً كريماً، وليعلم أن هذه الخاصية من خصائص المرأة يمكن أن يكون لها أثر طيب، في إقدارها على أداء مهمتها الأساسية من حمل وإرضاع وحضانة، إذ تحتاج إلى عاطفة بالغة وحساسية مرهفة. ثم ليذكر الرجل قوله ﷺ: «**إن كره منها خلقاً رضي منها آخر**» أي أن لزوجته من الفضائل والمحاسن ما يعوض هذا العيب. وأخيراً ليعلم الرجل أنه إذا حاول الوقوف عند كل خطأ من زوجه ـ نتيجة انفعالها البالغ ـ مؤاخذاً ومعاتباً، فإن هذا لن يسفر عن شيء، سوى مزيد من التباعد والشقاق؛ ثم يقع الفراق والطلاق.

مسؤلية تجمل كلا الزوجين للآخر:

التجمل أمر فطري لدى الإنسان، وقد كثرت النصوص التي توضح مدى حض الشارع على تجمل الإنسان رجلا كان أو امرأة، صغيراً كان أو كبيراً، غنياً كان أو فقيراً. وإن من فضل الله أن خلق الرجل يحب أن تتجمل له المرأة، كما خلق المرأة تحب أن تتجمل للرجل وهذا من التوافق الفطري الذي يحقق سعادة للزوجين. وهذا لا ينفي رغبة المرأة ي أن ترى زوجها متجملاً، وإن كانت رغبتها هذه أقل من رغبة الرجل في رؤية زوجه متجملة، لذا على الزوجين مراعاة هذا الحق كل لصاحبه، وبالدرجة التي تتناسب مع رغبته. وإذا حدث زهد في التجمل، وخاصة من جانب المرأة لزوجها، فهذا يشعر بوجود خلل ما إما عند المرأة وإما عند الرجل، وفي هذه

الحال يجب الاهتمام بعلاج الخلل، حتى لا تفقد الأسرة استقرارها.

وإن المرأة المؤمنة الحكيمة، والتي تتقرب إلى الله بالتجمل لزوجها ـ بل وتتفنن في التجمل ـ لتعرف كيف تحسن ذلك دون بعثرة للمال، ودون إهدار للوقت.

شواهد عامة من القرآن على التجمل:

الأمر بستر العورات واتخاذ الزينة من اللباس: (وخاصة عند الصلاة والطواف).

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف: ٣١).

إنكار تحريم زينة اللباس:

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(الأعراف: ٣٢).

الزينة المسرفة مهلكة ومضيعة:

قال تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ (الزخرف: ١٨).

لا ينبغي أن تحجب زينة المسلم عن جلائل الأمور.

إباحة إبداء الزينة الظاهرة للأجانب، بشروط (وإبداء الزينة الباطنة للمحارم) بقدرها:

وهذا يدل على أن للزينة عند المسلمين قانوناً، وهي ليست مطلقة، أو فاجرة وإنما تستعمل في موضعها. قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ (١) وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ (٢) أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ (٣) مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ

---

(١) وليضربن بخمرهن على جيوبهن: يلقين خمرهن وهي ما تغطي به المرأة رأسها. على جيوبهن: أي على فتحة الصدر من الثوب.

(٢) أو نسائهن: الأرجح عند ابن العربي وابن قدامة أن «أو نسائهن» في الآية تعني جميع النساء (انظر: جـ ٤، ص ٦٥ من تحرير المرأة).

(٣) غير أولي الإربة: غير أصحاب الحاجة إلى النساء.

يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ (١) وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (النور).

شواهد من السنة:

الحض على التجمل عامة:(للرجال والنساء)

- عن عبد الله بن مسعود: . . . قال رجل للنبي ﷺ : «**إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة قال: إن الله جميل يحب الجمال**». (رواه مسلم).

- عن عبد الله بن سرجس قال: قال رسول الله ﷺ : «**التؤدة، والاقتصاد، والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة**». (رواه الطبراني).

- عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الله إذا أنعم على عبد نعمة يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**». في رواية (٢١٥) عن زهير بن علقمة عن رسول الله ﷺ : «**إذا آتاك الله مالاً فَلْيُرَ عليك، فإن الله يحب أن يرى أثره على عبده حسناً**». (رواه الطبراني).

نذكر هنا - القارئ الكريم - بما قاله ابن رشد: (إن الأصل أن حكم الرجال والنساء واحد إلا أن يثبت في ذلك فارق شرعي). ومما قاله ابن القيم: (قد استقر في عرف الشارع أن الأحكام المذكورة بصيغة المذكر إذا أطلقت ولم تقترن بالمؤنث فإنها تتناول الرجال والنساء)(٢١٨). وهكذا الحال في أمر التجمل، فمبدأ التجمل هو للرجال والنساء، وكذلك السمت الحسن، وكذلك ظهور أثر النعمة، وإنما يفترق النساء عن الرجال في الطريقة لا في المبدأ.

ونشير هنا لبعض نقاط سبق ذكرها عند بحثنا في الشرط الثاني من شروط لباس المرأة وزينتها، وهو التزام الاعتدال في الزينة الظاهرة في الوجه والكفين والقدمين والثياب(٢). وذلك لنبين أن من حق الزوج أن يرى امرأته وهي متزينة بقدر من الزينة في جميع الأحوال، زينة لا تتخلف أبداً، اللهم إلا في حال الإحداد على قريب، ثلاثة أيام لا تزيد، أي أن الزوجة يمكن إن تحتفظ بحد أدنى من الزينة حتى في حضور رجال أجانب:

---

(١) الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء: أي الأطفال الذين لم يدركوا.

(٢) انظر الفصل الثامن من الجزء الرابع كتاب «تحرير المرأة في عصر الرسالة».

الاعتدال سمة من سمات الإسلام، وهو في الزينة وغيرها ضد الغلو والإسراف. وينبغي أيضاً عند التزين مراعاة عرف المؤمنات في كل مجتمع.

قال صاحب كتاب «تحرير المرأة في عصر الرسالة»:

كانت المرأة المسلمة في عصر الرسالة تكاد تلتزم بقدر من الزينة الظاهرة طول حياتها، سواء جلست في بيتها أو خرجت للمشاركة في الحياة الاجتماعية، أي أنها لا تتعمد التزين عند لقائها الرجال. ومن الزينة الظاهرة: الخضاب في اليدين، والكحل في العينين، وشيء من الطيب في الخدين، علماً بأن طيب المرأة ما ظهر لونه وخفي ريحه.

إن تزين المرأة المسلمة بقدر من الزينة الظاهرة ـ في عامة أحوالها ـ أصل فطري تقتضيه فطرة المرأة التي خلقها الله محبة للزينة منذ نشأتها المبكرة. قال تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾. ويتأكد الأصل الفطري، حين ينكر صحابي جليل على زوجة صاحبه اجتنابها للزينة. بل إن هذا التزين مرغوب شرعاً بدليل إنكار النبي ﷺ على إحدى المؤمنات اجتنابها الخضاب.

حض المرأة على التجمل لزوجها:

ـ عن عبد الله بن سلام عن النبي ﷺ: **«خير النساء من تسرك إذا أبصرت»**. (رواه الطبراني).

الإنكار على المرأة المتزوجة ـ بخاصة ـ تركها للزينة الظاهرة:

ـ عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء. فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء مُتبذلة[1]، فقال لها: **«ما شأنك؟!»** قالت: أخوك ليس له حاجة في الدنيا. (رواه البخاري).

ـ عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: دخلت عليَّ خويلة بنت حكيم وكانت عند عثمان ابن مظعون، فرأى رسول الله ﷺ بذاذة[2] هيئتها فقال لي: **«ياعائشة، ما أبذ هيئة خويلة!»** فقلت: يا رسول الله امرأة لا زوج لها، يصوم النهار ويقوم الليل، فهي بلا زوج، فتركت نفسها وأضاعتها. وفي رواية ثانية: كانت امرأة عثمان بن مظعون تختضب وتطيب فتركته، فدخلت عليّ فقلت لها: أمُشهِد[3] أم مغيب[4] فقالت: مشهد كمغيب.

---

(١) متبذلة: أي لابسة ثياب البذلة وهي المهنة. والمراد أنها تاركة ثياب الزينة.

(٢) بذاذة هيئتها: سوء حالها ورثاثة هيئاتها.

(٣) أمشهد: أي حاضر زوجها.

(٤) أم مُغيب: أي غاب عنها زوجها.

فقلت لها: مالك ؟ فقالت: عثمان لا يريد الدنيا ولا يريد النساء. (رواه أحمد).

ـ عن أبي موسى الأشعري قال: دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبي ﷺ فرأينها سيئة الهيئة. فقلن لها: مالك، ما في قريش رجل أغنى من بعلك! قالت: ما لنا منه من شيء، أما نهاره فصائم وأما ليلة فقائم. فدخل النبي ﷺ فذكرن ذلك له، فلقيه النبي ﷺ فقال: «يا عثمان، أما لك في أسوة؟» قال: وما ذاك يا رسول الله فداك أبي وأمي؟ فقال: «أما أنت فتقوم الليل وتصوم النهار، وإن لأهلك عليك حقاً، وإن لجسدك عليك حقاً، فصلِّ ونم، وصم وأفطر. فأتتهم المرأة بعد ذلك عطرة كأنها عروس فقلن: مَهْ[1] قالت: أصابنا ما أصاب الناس» (رواه الطبراني) (٢٢٢).

ونتبين من هذه الأحاديث وغيرها أن تزين المرأة الزينة المعتدلة في الوجه والكفين ـ في عامة أحوالها ـ، أمر مشروع[2].

نماذج من تجمل النساء:

نساء المؤمنين يتحلين بالقرط والقلادة والخاتم والسوار:

ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ صلى يوم العيد ركعتين لم يصل قبلهما ولا بعدهما، ثم أتى النساء ومعه بلال فأمرهن بالصدقة، فجعلت المرأة تلقي قرطها. (وفي رواية): جعلت المرأة تصدق بخُرْصها[3] وسِخابها[4]. (وفي رواية أخرى: جعلن يلقين الفَتَخَ[5] والخواتيم في ثوب بلال). (رواه البخاري ومسلم).

ـ عن عائشة أنها استعارت من أسماء قلادة. . . (رواه البخاري ومسلم) (٢٢٦).

ـ عن أسماء بنت يزيد قالت: دخلت أنا وخالتي على رسول الله ﷺ وعليها

---

(١) مَهْ: كلمة زجر أو تعجب.

(٢) سبق القول في الفصل الثامن من الجزء الرابع من هذا الكتاب. بوجوب أو ندب الزينة المعتدلة في الوجه والكفين في عامة أحوال المرأة. ولكن تبين لنا بعد حوار مع بعض أهل العلم والفضل. أن هذا ما زال بحاجة إلى مزيد من البحث والتحقيق. لذا نكتفي الآن بتقرير مشروعية هذه الزينة.

(٣) خرصها: الخُرص الحلقة من الذهب أو الفضة.

(٤) سخابها: السخاب قلادة من عنبر أو قرنفل.

(٥) الفَتَخ: جمع فتخة وهي حلقة من ذهب أو فضة لا فص لها تلبس في البنصر كالخاتم.

أسورة من ذهب فقال لنا: «أتعطيان زكاته؟» قالت: لا. قال: أما تخافان أن يسوركما الله أسورة من نار؟ أدِّيا زكاته. (رواه أحمد)

نساء المؤمنين يتحلين بالكحل والخضاب والثياب الملونة:

- عن جابر بن عبد الله: . . . وقدم عليٌّ من اليمن ببُدن[1] فوجد فاطمة رضي الله عنها ممن حَلَّ[2] ولبس ثياباً صبيغاً[3] واكتحلت فأنكر ذلك عليها فقالت: إن أبي أمرني بهذا. (رواه مسلم)

- عن أنس بن مالك أنه «رأى على أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ برد حرير سيراء»[4]. (رواه البخاري)

- عن سبيعة رضي الله عنها: . . . فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطَّاب. (رواه البخاري ومسلم)

وفي رواية عند أحمد. . . اكتحلت واختضبت وتهيأت. (رواه أحمد).

وإذا كانت سبيعة رضي الله عنها قد تجملت بالكحل والخضاب للخطاب، فنحسب أن التجمل للزوج ينبغي أن يكون بأفضل من ذلك وأكثر.

نساء المؤمنين يتجملن عند قدوم الأزواج من غزو أو سفر:

- عن جابر بن عبد الله قال: قفلنا[5] مع النبي ﷺ من غزوة. . . فلما ذهبنا لندخل قال: «أمهلوا حتى تدخلوا ليلاً (أي عشاء) لكي تمتشط الشعثة[6] وتستحد المُغيبة»[7]. (رواه البخاري ومسلم).

نساء المؤمنين يتطيبن ويختضبن قبل أن يحرمن بالحج:

- عن عائشة قالت: كنا نخرج مع النبي ﷺ إلى مكة، فنضمد جباهنا بالسُّك[8] المطيب عند الإحرام، فإذا عرقت إحدانا سال على وجهها، فيراه النبي ﷺ فلا ينهاها. (رواه أبو داود).

---

(١) بُدُن: جمع بَدَنة وهي ناقة أو بقرة تنحر بمكة قرباناً وكانوا يسمنونها لذلك.

(٢) حل: أي من إحرام.

(٣) ثياباً صبغاً: صبغاً أي مصبوغة يعني ملونة.

(٤) برد حرير سيراء: كساء مضلع بالحرير.

(٥) قفلنا: رجعنا.

(٦) تمتشط الشعثة: يقال امرأة شعثاء، أي ملبدة الشعر، وأطلق عليها ذلك لأن التي يغيب عنها زوجها في مظنة عدم التزين.

(٧) تستحد المغيبة: الاستحداد هو إزالة شعر العانة.

(٨) تضمد جباهنا بالسُّك: أي نشد العصائب على جباهنا، والسك ضرب من الطيب.

ـ عن أميمة بنت رقيقة أن أزواج النبي ﷺ كن يجعلن عصائب فيها الورس[١] والزعفران[٢]، فيعصبن أسافل شعورهن عن جباههن قبل أن يحرمن، ثم يحرمن كذلك. (رواه الطبراني).

ورحم الله الإمام الشافعي، فهو يستحب للمرأة أن تختضب للإحرام ويقول (واحب إلى أن تختضب المرأة للإحرام قبل أن تحرم، وروى عن عبدالله بن عبيد وعبدالله بن دينار قالا: من السنة أن تمسح المرأة يديها بشيء من الحناء ولا تحرم وهي غفل[٣] وإذا كان الطيب والخضاب مستحبين للمرأة قبل الإحرام، فهما أشد استحباباً في غير الإحرام حتى يهنأ زوجها بزينتها.

نساء المؤمنين يزين وجوههن:

ـ عن زينب بنت أبي سلمة قالت: لما جاء نعي أبي سفيان من الشام دعت أم حبيبة رضي الله عنها بصفرة[٤] في اليوم الثالث، فمسحت عارضيها[٥] وذراعيها وقالت: إني كنت عن هذا لغنية، لولا أني سمعت النبي ﷺ يقول: «**لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج فإنها تحد عليه أربعة أشهر وعشراً**».

ـ عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال: «**...ألا وطيب الرجال ريح لا لون له، ألا وطيب النساء لون لا ريح له**». قال سعيد(أحد الرواة): أراه قال: «**إنما حملوا قوله في طيب النساء على أنها إذا خرجت، فأما إذا كانت عند زوجها فلتطيب بما شاءت**» (رواه أبو داود).

وورد في فتح الباري: ... طيب الرجال لا يجعل في الوجه بخلاف طيب النساء، لأنهن يطيبن وجوههن ويتزين بذلك.

وورد في التفسير الكبير للفخر الرازي في شرحه لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾(النور: ٣١): وأما الذين قالوا الزينة عبارة عما سوى الخلقة، فقد

---

(١) الورس: نبات أصفر طيب الرائحة يصبغ به.

(٢) الزعفران: نبات أصفر اللون يصبغ به ويطيب.

(٣) غفل: من أغفل الشيء، تركه على ذكر(أي عن قصد) والمراد هنا تركها مسح يديها بالحناء.

(٤) الصفرة: طيب مخلوط بزعفران، أصفر اللون.

(٥) عارضيها: العارض هو جانب الوجه وصفحة الخد.

حصروه في أمور ثلاثة، أحدها: الأصباغ كالكحل والخضاب بالوَسْمَة[١] في حاجبيها، والغُمْرَة[٢] في خديها. . .

وأخيراً... أم سليم تتجمل لزوجها في يوم عصيب:

ـ عن أنس قال: مات ابن لأبي طلحة من أم سليم. فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه. قال: فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب، ثم تصنعت[٣] له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك، فوقع بها[٤]، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت، فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟قال: لا. قالت: فاحتسب ابنك. . . فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان فقال رسول الله ﷺ: **«بارك الله لكما في غابر ليلتكما»** قال: فحملت. . . (رواه البخاري ومسلم وهذه رواية مسلم).

نماذج من تجمل الرجال:

عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان النبي ﷺ مربوعاً[٥]، بعيد ما بين النكبين، له شعر يبلغ شحمه أذنيه، رأيته في حلة حمراء لم أر شيئاً قط أحسن منه. (رواه البخاري ومسلم).

عن قتادة قال: قلت لأنس: أي الثياب أحب الى النبي ﷺ؟ قال: الحبرة. (رواه البخاري ومسلم).

وورد في فتح الباري: قال الجوهري: الحبرة برد يمان. وقال الهروي: موشية مخططة. وقال الداودي: لونها أخضر. وقال ابن بطال: هي من برود اليمن تصنع من قطن وكانت أشرف الثياب عندهم. وقال القرطبي: سميت حبرة؛ لأنها تحبر أي تزين، والتحبير والتزين والتحسين.

عن سهل بن سعد قال: جاءت امرأة ببردة ـ قال سهل: أتدرون ما البردة؟ قالوا: نعم هي الشملة[٦] منسوج في حاشيتها ـ قالت: يا رسول الله، إني نسجت هذه بيدي أكسوكها، فأخذها رسول الله ﷺ محتاجاً إليها، فخرج إلينا رسول الله

(١) الوَسْمَة: نبات عشبي أسود للصباغ، يخضب بورقه الشعر.
(٢) الغُمْرَة: الزعفران، واغتمرت المرأة طلت وجهها بالغمرة ليصفو لونه.
(٣) تصنعت: تزينت. (٤) فوقع بها: جامعها.
(٥) مربوعاً: وسيط القامة. (٦) الشملة: كساء يتغطى به ويتلفف.

ﷺ وإنها لإزاره[1]. (رواه البخاري).

عن عائشة أن النبيﷺ كان يعجبه التيمن ما استطاع، في تَرَجُّله ووضوئه. (وفي رواية: كنت أرَجِّل رأس رسول اللهﷺ وأنا حائض). (رواه البخاري ومسلم)

وورد في فتح الباري: قال ابن بطال: الترجيل تسريح شعر الرأس واللحية ودهنه، وهو من النظافة، وقد ندب الشرع إليها. قال الله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (الأعراف: ٣١).

عن أبي هريرة قال: قال رسول اللهﷺ: «**من كان له شعر فليكرمه**»(رواه أبو داود)

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان النبيﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه، وكان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، فسدل النبيﷺ ناصيته ثم فرق بعد. (رواه البخاري ومسلم).

قال الحافظ ابن حجر: (وكأن السر في ذلك أن أهل الأوثان أبعد من الإيمان من أهل الكتاب، ولأن أهل الكتاب يتمسكون بشريعة في الجملة، فكان يحب موافقتهم ليتألفهم... فلما أسلم أهل الأوثان الذين معه والذين حوله، واستمر أهل الكتاب على كفرهم تمحضت المخالفة لأهل الكتاب).

عن أنس قال: قال رسول اللهﷺ: «**حُبِّب إليَّ من الدنيا النساء والطيب، وجُعلت قرة عيني في الصلاة**» (رواه النسائي).

عن عائشة قالت: كنت أطيب النبيﷺ عند إحرامه بأطيب ما أجد. (وفي رواية: وطيبه بمنى قبل أن يفيض. وعند مسلم: بطيب فيه مسك). (رواه البخاري ومسلم).

وأورد البخاري هذا الحديث في باب «ما يستحب من الطيب». وقد علل الحافظ ابن حجر هذه الترجمة بقوله: «كأن البخاري يشير إلى أنه يندب استعمال أطيب ما يوجد من الطيب ولا يعدل إلى الأدنى مع وجود الأعلى».

عن نافع قال: كان ابن عمر إذا استجمر[2] استجمر بالألُوَّة[3] غير مُطَرَّاة،

(١) الإزار: هو ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن. (٢) استجمر: تبخر.

(٣) الألوة: شجر له عود إذا أحرق سطعت له رائحة جميلة، وكثيراً ما يخلطون عود هذا النبات بعود نبات آخر ويسمى العود الهندي.

وبكافور يطرحه مع الألوة، ثم قال: هكذا كان يستجمر رسول الله ﷺ)(رواه مسلم).

عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحسن ما غُيِّر به هذا الشيب، الحناء والكَتَم**[١]». (رواه أبو داود).

ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: . . . ثم اتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من فضة، فاتخذ الناس خواتيم الفضة. (رواه البخاري).

ـ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ كان خاتمه من فضة وكان فصه منه. (وفي رواية: كأني أنظر إلى وبيص[٢] خاتمه). (رواه البخاري).

وهناك شاهد له صفة الشمول لكثير من جوانب النظافة ـ فضلاً عن بعض جوانب الهيئة الحسنة ـ والنظافة بحق أساس الجمال وجوهره.

ـ عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**عشرة من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظافر، وغسل البراجم[٣]، ونتف الإبط، وحلق العانة[٤]، وانتقاص الماء[٥]**». . . . قال مصعب: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة. (رواه مسلم).

ورحم الله الحافظ ابن حجر حيث يقول: (ويتعلق بهذه الخصال مصالح دينية ودنيوية تدرك بالتتبع، منها تحسين الهيئة وتنظيف البدن جملة وتفصيلاً، والاحتياط للطهارتين، والإحسان إلى المخالط والمقارن، بكف ما يتأذى به من رائحة كريهة ؛ ومخالفة شعار الكفار. . . والمحافظة على ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ (غافر: ٦٤). لما في المحافظة على هذه الخصال من مناسبة ذلك، وكأنه قيل قد حسنت صوركم فلا تشوهوها بما يقبحها، أو حافظوا على ما يستمر به حسنها، وفي المحافظة عليها محافظة على المروءة وعلى التآلف المطلوب؛ لأن الإنسان إذا بدا في الهيئة الجميلة كان أدعى لانبساط النفس إليه، فيقبل قوله ويحمد رأيه والعكس بالعكس).

ما موقف المسلمة من وسائل التجميل الحديث ؟

إن لكل عصر طريقته وأدواته في التجمل، وما ورد من طرق وأدوات كانت على

(١) الكتم: نبات بري له حبوب، يستخرج منه صباغ بين السواد والحمرة.

(٢) وبيص خاتمه: بريق خاتمه.

(٣) البراجم: هي العقد التي على المفاصل.

(٤) حلق العانة: العانة.. الشعر النابت في أسفل البطن حول الفرج.

(٥) انتقاص الماء: يعني الاستنجاء.

عهد رسول الله ﷺ، لم ينزل بها وحي من السماء، إنما كانت مما تعارف عليه الناس وأقرها الشرع. والشرع يقر كل طريقة تحقق التجمل ما دامت تبعد عما نهى الله عنه. وعلى ذلك فكثير من صور وأدوات التجميل الحديث وأدواته لا حرج على المرأة المسلمة إذا مارستها، وبخاصة ما كان منها من الأصباغ والمساحيق، سواء لتجميل العينين أو الوجنتين أو الشفتين أو اليدين والقدمين، ما لم تكن من مادة تحول دون إسباغ الوضوء ووصول الماء إلى البشرة. ولما كانت القاعدة الشرعية أن «الأصل في الأمور الإباحة» فيكفي أن نعرف ما حرمه الله ليكون كل ما عداه حلالاً (هذا إذا لم يؤد إلى الغش أو الفتنة من كثرته والتفنن فيه بشكل لا تظهر معه الحقيقة أو يقصد به إشاعة الخلاعة).

والمُحرَّم من الزينة يتضح من الأحاديث الآتية:

- عن عبد الله بن مسعود قال: لعن الله الواشمات(٣) والمستوشمات(٤) والمتنمصات(١) والمتفلجاتة(٢) للحسن المغيرات خلق الله تعالى. مالي لا ألعن من لعن النبي ﷺ؟ (رواه البخاري).

- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: **«لعن الله الواصلة(٥) والمستوصلة (٦) والواشمة والمستوشمة»**. (رواه البخاري).

- عن سعيد بن المسيب قال: قدم معاوية المدينة فخطبنا، وأخرج كُبَّة من شَعْر(٧) فقال: ما كنت أرى أن أحداً يفعله إلا اليهود، وإن رسول الله ﷺ بلغه فسماه الزور. (رواه البخاري ومسلم).

وقد اتجه بعض الفقهاء إلى استثناء بعض طرق التزين هذه من دائرة النهي، إذا كانت برضا الزوج ولإدخال السرور عليه، أو كانت لعلاج عيوب بدنية تسبب أذى

---

(١) الواشمات: جمع واشمة وهي فاعلة الوشم، وهو أن تغرز إبرة ونحوها في الشفة أو ظهر الكف أو الجبهة، أو غير ذلك من البدن حتى يسيل الدم، ثم تحشو هذا الموضع بالكحل وغيره فيخضر لونه، وقد يفعل ذلك على هيئة دوائر ونقوش وكتابة.

(٢) المستوشمات: جمع مستوشمة وهي التي تطلب فعل الوشم بها.

(٣) المتنمصات: جمع متنمصة وهي التي تطلب إزالة أو نتف شعر الوجه والجبين. ويقال إن النماص يختص بإزالة شعر الحاجبين لترفيعهما أو تسويتهما، والنامصة هي التي تفعل ذلك.

(٤) المتفلجات للحسن: هن اللاتي يبردن أو يفرقن بين أسنانهن الأمامية للزينة وإظهار صغر السن.

(٥) الواصلة: التي تطيل الشعر بوصلة بشعر آخر زوراً وكذباً.

(٦) المستوصلة: التي تطلب فعل ذلك ويُفعل بها.

(٧) كبة من شعر: خصلة من الشعر.

مادياً أو معنوياً.

قال الحافظ ابن حجر في شرحه لحديث وصل الشعر: (. . .وذهب الليث ونقله أبو عبيدة عن كثير من الفقهاء، أن الممتنع من ذلك وصل الشعر بالشعر، وأما إذا وصلت شعرها بغير الشعر من خرقة وغيرها فلا يدخل في النهي. وأخرج أبو داود بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال: لا بأس بالقرامل وبه قال أحمد. والقرامل جمع قَرْمل بفتح القاف وسكون الراء، نبات طويل الفروع لين، والمراد به هنا خيوط من حرير أو صوف يعمل ضفائر تصل به المرأة شعرها. وفصل بعضهم بين ما إذا كان ما وصل به الشعر من غير الشعر، مستوراً بعد عقده مع الشعر بحيث يظن أنه من الشعر، وبين إذا ما كان ظاهراً، فمنع الأول قوم، فقط لما فيه من التدليس، وهو قوي. ومنهم من أجاز الوصل مطلقاً، سواء كان بشعر آخر أو بغير شعر، إذا كان بعلم الزوج وبإذنه. وأحاديث الباب حجة عليه).

وقال في شرحه لحديث: «لعن المتنمصات والمتفلجات» (قال الطبري: . . . ويستثنى من ذلك ما يحصل به الضرر والأذية، كمن يكون لها سن زائدة أو طويلة تعيقها في الأكل، أو أصبع زائدة تؤذيها أو تؤلمها، فيجوز ذلك. والرجل في هذه الأخيرة كالمرأة. وقال النووي: يستثنى من النماص ما إذا نبت للمرأة لحية أو شارب أو عَنْفَقَة[1] فلا يحرم عليها إزالتها بل يستحب. قلت: وإطلاقه مقيد بإذن الزوج وعلمه. وإلا فمتى خلا عن ذلك منع للتدليس. وقال بعض الحنابلة: إن كان النمص شعاراً للفواجر امتنع وإلا فيكون تنزيهاً. وفي رواية: يجوز بإذن الزوج إلا إن وقع به تدليس فيحرم. قالوا: ويجوز الحَف[2] والتحمير[3] والنقش[4] والتطريف[5] إذا كان بإذن الزوج لأنه من الزينة. وقد أخرج الطبري من طريق أبي إسحق عن امرأته، أنها دخلت على عائشة وكانت شابة يعجبها الجمال فقالت: المرأة تحف جبينها لزوجها. فقالت: أميطي عنك الأذى ما استطعت. وقال النووي: يجوز التزين بما ذكر إلا الحف فإنه من جملة النماص).

ونحسّن أن الفقهاء الذين استثنوا ما كان بعلم الزوج وبإذنه راعوا أمرين أولهما: أن الزور والتدليس ينتفي بعلم الزوج. ثانيهما: أن إدخال السرور على الزوج أمر مندوب

(١) العنفقة: شعيرات بين الشفة السفلى والذقن.
(٢) الحف: إزالة ما على الوجه من شعر.
(٣) التحمير: الصبغ بالحمرة.
(٤) النقش: التزين بالألوان.
(٥) التطريف: تزيين اليد. وطرفت المرأة أناملها وأظافرها خضبتها أو زينتها.

وأحياناً يكون واجباً. والأمران يقتضيان أن تكون نية المرأة إدخال السرور على الزوج لا خداع الآخرين.

- عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: كانت امرأة من بني إسرائيل قصيرة تمشي مع امرأتين طويلتين، فاتخذت رجلين من خشب، وخاتماً من ذهب مغلق مُطبق[١] ثم حشته مسكا وهو أطيب الطيب، فمرت بين المرأتين فلم يعرفوها، فقالت بيدها هكذا[٢] ونفض شُعْبة[٣] يده. (رواه مسلم).

وقال النووي في شرحه لهذا الحديث: «... حكمه في شرعنا أنها إن قصدت به مقصوداً صحيحاً شرعياً، بأن قصدت ستر نفسها لئلا تعرف فتقصد بالأذى أو نحو ذلك، فلا بأس به، وإن قصدت به التعاظم أو التشبه بالكاملات تزويراً على الرجال وغيرهم فهو حرام».

مسؤولية ترويح كل من الزوجين عن الآخر

الشريعة تحض على الترويح:

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: هلك أبي وترك سبع بنات أو تسع بنات، فتزوجت امرأة ثيباً، فقال لي رسول الله ﷺ: **«تزوجت يا جابر؟»** فقلت: نعم، فقال: **«أبكراً أم ثيباً؟»** قلت: بل ثيباً، قال: **«فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك؟»** قال: فقلت له: إن عبد الله هلك وترك بنات، وإني كرهت أن أجيئهن بمثلهن، فتزوجت امرأة تقوم عليهن وتصلحهن. فقال: **«بارك الله لك»** (رواه البخاري) (٩ · ٣).

نماذج من الترويح عن الزوجة:

- عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كنت ألعب بالبنات[٤] عند النبي ﷺ (وذلك أيام زواجها الأولى) قالت: وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن[٥] منه فيُسَرِّبهن[٦] إليَّ يلعبن معي. (رواه البخاري ومسلم) (٩ · ٣).

---

(١) مطبق: المُطبق: الشيء يلصق به قشر اللؤلؤ حتى يصير كأنه لؤلؤ.

(٢) قالت بيدها هكذا: أي نفضت يدها ليصيبهم شيء من المسك الذي في خاتمها.

(٣) ونفض شعبة يده: شعبة هو أحد رواة الحديث.

(٤) البنات: لُعَب على صورة البنات.

(٥) يتقمعن: يتغيبن في البيت حياءً وهيبة منه ﷺ.

(٦) يسربهن: أي يرسلهن.

ـ عن عائشة قالت. . .وكان يوم عيد يلعب في السودان بالدَّرَق[1] والحراب، فإما سألت النبي ﷺ وإما قال: تشتهين تنظرين؟ قلت: نعم. فأقامني وراءه خدي على خده وهو يقول: «دُونكم[2] يا بني أرفدة»[3].حتى إذا مللت قال: «حسبك؟» قلت: نعم. قال: فاذهبي. (رواه البخاري ومسلم٣١٠).

ـ عن عائشة: أن النبي ﷺ كان إذا أراد سفراً،أقرع بين نسائه، فطارت القرعة لعائشة وحفصة. وكان النبي ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث. فقالت حفصة: ألا تركبين الليلة بعيرى وأركب بعيرك تنظرين وأنظر؟ فقالت: بلى. . (رواه البخاري ومسلم)(٣١١).

قال الحافظ ابن حجر: . . .كأن عائشة أجابت إلى ذلك لما شوقتها إليه من النظر إلى ما لم تكن هي تنظر،وهذا مشعر بأنهما لم يكونا حال السير متقاربتين،بل كانت كل واحدة منهما من جهة كما جرت العادة من السير قطارين (٣١٢).

ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر وهي جارية قالت:لم أحمل اللحم ولم أبدن[4] فقال لأصحابه: «تقدموا» ثم قال: «تعالي أسابقك»، فسابقته فسبقته على رجلي. فلما كان بعد،خرجت معه في سفر فقال لأصحابه: «تقدموا» ثم قال: «تعالي أسابقك» ونسيت الذي كان،وقد حملت اللحم فقلت: كيف أسابقك يا رسول الله وأنا على هذه الحال؟! فقال: «تفعلين» فسابقته فسبقني فجعل يضحك.وقال: «هذه بتلك السبقة» (رواه أحمد) (٣١٣).

ـ عن عائشة قالت: دخل عَليَّ رسول الله ﷺ ،وعندي جاريتان تغنيان بغناء بُعَاث[5]. (وفي رواية: وليستا بمغنيتين(٣١٤).وفيَ أخرى: تدففان[6]وتضربان) (٣١٥). فاضطجع على الفراش وحوَّل وجهه. وجاء أبو بكر فانتهرني وقال: مزمارة الشيطان عند النبي ﷺ ! فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: «دعهما» فلما غفل غمزتهما فخرجتا. (رواه البخاري ومسلم) (٣١٦).

---

(١) الدرق: جمع درقة وهي ترس مصنوع من الجلد

(٢) دونكم: بالنصب على الظرفية بمعنى الإغراء. والمُغرَى به محذوف وهو لعبهم بالحراب، فهو إذن تنهيض لهم وتنشيط.

(٣) بني أرفدة: أرفدة لقب الحبشة. (٤) أبدن: أسمن.

(٥) غناء بعاث: أي غناء أشعار قيلت في تلك الحروب. ويوم بعاث يوم مشهور من أيام العرب كانت فيه مقتلة عظيمة انتصر فيها الأوس على الخزرج وكان قبل الهجرة بثلاث سنين.

(٦) تدففان: أي تضربان بالدف.

قال الحافظ ابن حجر: «وفي هذا الحديث من الفوائد مشروعية التوسعة على العيال في أيام الأعياد، بأنواع ما يحصل لهم بسط النفس وترويح البدن من كلف العبادة.. وفيه أن إظهار السرور في الأعياد من شعار الدين... واستدل به على جواز سماع صوت الجارية بالغناء ولو لم تكن مملوكة؛ لأنه ﷺ لم ينكر على أبي بكر سماعه بل أنكر إنكاره، واستمرتا إلى أن أشارت إليهما عائشة بالخروج. ولا يخفى أن محل الجواز ما إذا أمنت الفتنة بذلك والله أعلم... (قولها: وليستا بمغنيتين) نفت عنهما من طريق المعنى ما أثبته لهما الحديث باللفظ، لأن الغناء يطلق على رفع الصوت وعلى التَرَنُّم وعلى الحُداء[1]، بمغنيتين «أي ليستا ممن يعرف الغناء كما يعرفه المغنيات المعروفات بذلك». وهذا منها تحرزٌ عن الغناء المعتاد عند المشتهرين به، وهو الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن، وهذا النوع إذا كان في شعر فيه وصف محاسن النساء والخمر، وغيرهما من الأمور المحرمة، لا يختلف في تحريمه (٣١٧).

نموذج من الترويح عن الزوج:

- عن عائشة أنها قالت لرسول الله ﷺ: جلس إحدى عشرة امرأة، فتعاهدن وتعاقدن ألا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً. قالت الأولى: زوجي لحم جمل غَثّ[2] على رأس جبل، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فيُنتقَل[3]. قالت الثانية: زوجي لا أبُثُّ[4] خبره، إني أخاف أن لا أذَرَه[5]، إن أذكره أذكر عُجَرَه وبُجَرَه[6].....

قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع، فما أبو زرع؟ أناسَ من حُلِيٍّ أذنَيّ[7]، وملأ من شحم عَضُدَيّ[8]؟ قالت: خرج أبو زرع والأوطاب تُمخَضُ[9]، فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين، يلعبان من تحت خصرها برمانتين[10]، فطلقني ونكحها.

---

(١) الحداء: هو ضرب من الغناء تساق به الإبل. (٢) جمل غث: جمل هزيل.

(٣) لا سمين فينتقل: سمين وصف اللحم، وهو لهزاله لا يرغب أحد فيه فينتقل إليه.

(٤) لا أبث: لا أنشر.

(٥) أخاف أن لا أذره: أخاف ألا اترك من خبره شيئاً، أي أنه لطوله وكثرته إن بدأته لم أقدر على تكميله، خشية أن يطول الخطب بإيراد جميع معايبه. (٦) عجره وبجره: عيوبه الظاهرة والباطنة.

(٧) أناس من حلي أذني: أناس من النوس وهو حركة كل شيء متدل، والمعنى ملأ أذني بالحلي.

(٨) ملأ من شحم عضدي: لم ترد العضد وحده وإنما أرادت الجسد كله لأن العضد إذا سمنت سمن سائر الجسد.

(٩) الأوطاب تمخض: الأوطاب جمع وطب، وهو وعاء اللبن الذي يمخض فيه حتى يستخرج زبده، ومرادها أنه يبكر بخروجه من منزلها وقت قيام الخدم والعبيد بأشغالهم.

(١٠) يلعبان تحت خصرها برمانتين: أي أنهما كانا يلعبان في حضنها أو جنبها. وفي تشبيه النهدين بالرمانتين إشارة إلى صغر سنها.

فنكحت بعده رجلاً سرياً(١)،ركب شرياً(٢). . وأعطاني من كل رائحة زوجاً(٣) وقال: كلي أم زرع وميري أهلك(٤). قالت: فلو جمعت كل شيء أعطانيه،ما بلغ أصغر آنية أبي زرع. قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ: «**كنت لك كأبي زرع لأم زرع**». (رواه البخاري ومسلم) (٣١٨).

قال الحافظ ابن حجر: (قوله: **كأبي زرع لأم زرع**) زاد في رواية الهيثم بن عدي: في الألفة والوفاء، لا في الفرقة الجلاء. وزاد الزبير في آخره: «**إلا أنه طلقها وإني لا أطلقك**» ومثله في رواية للطبراني، وزاد النسائي في رواية له والطبراني: «قالت عائشة: يا رسول الله،بل أنت خير من أبي زرع» وفي أول رواية الزبير: «بأبي وأمي، لأنت خير لي من أبي زرع لأم زرع». . .

وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم: حسن عشرة المرء أهله بالتأنيس، والمحادثة بالأمور المباحة ما لم يفض ذلك إلى ما يمنع. وفيه المزح أحياناً وبسط النفس به، ومداعبة الرجل أهله،وإعلامها بمحبته لها ما لم يؤد ذلك إلى مفسدة. . . وفيه (من الفوائد أيضاً) الحديث عن الأمم الخالية وضرب الأمثال بهم اعتباراً، وجواز الانبساط بذكر طُرَف الأخبار ومستطابات النوادر تنشيطاً للنفوس» (٣١٩).

مسؤولية إمتاع كل من الزوجين للآخر:

قال تعالى: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(سورة البقرة: ٢٢٣) .

عن جابر رضي الله عنه قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها (في قُبُلها)جاء الولد أحول، فنزلت الآية: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ(٥) فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾(رواه البخاري ومسلم).

ـ عن ابن عباس قال: كان هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم أهل كتاب، وكانوا يرون لهم فضلاً عليهم في العلم، فكانوا يقتدون بكثير

(١) رجلاً سريا: أي من سراة الناس، وهم كبراؤهم في حسن الصورة والهيئة.

(٢) ركب شريا: الشرى الذي يستشري في سيره، أي يمضي فيه بلا فتور وهي تعني أنه يركب فرساً رضياً.

(٣) وأعطاني من كل رائحة زوجاً: الرائحة الآتية من المرعى وقت الرواح آخر النهار. والمعنى أعطاني اثنين من كل صنف من الحيوان الذي يرعى.

(٤) وميري أهلك: أي صليهم وأوسعي عليهم بالميرة وهي الطعام. (٥) حرث لكم: أي محل زرعكم الولد.

من فعلهم. وكان من أمر أهل الكتاب ألا يأتوا النساء إلا على حَرْف، وذلك أستَر ما تكون المرأة، فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم. وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحاً منكراً، ويتلذذون منهن مُقبلات ومُدْبرات ومُستلقيات، فلما قدم المهاجرون المدينة، تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار، فذهب يصنع بها ذلك فأنكرته عليه وقالت: إنما كنا نُؤتَى على حرف فاصنع ذلك وإلا فاجتنبني، حتى شَرِيَ أمرُهما[1] فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ أي مقبلات، ومدبرات ومستلقيات، يعني بذلك موضع الولد. (رواه أبو داود).

الحديثان يشيران إلى بعض صور الاستمتاع، ولا حرج في أية صورة يستحسنها الزوجان في الاستمتاع ـ سواء بالجماع أو بغيره ـ إذا اجتنبا ما حرم الله، وهما الدُّبر والحيضة. ذلك الأصل في الأمور الإباحة إلا ما حرم الشارع... ومجال الاستحسان واسع، ويختلف الناس فيه اختلافاً بيناً حسب أعرافهم وأمزجتهم، والحديثان يشيران كيف استحسن الأنصار أمراً، واستحسن المهاجرون آخر، وكلا الأمرين من الحلال الطيب.

وقال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾. (البقرة: ١٨٧).

ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يُقبِّل ويباشر وهو صائم وكان أملككم لإربه. (رواه البخاري ومسلم)

قال الحافظ ابن حجر: (قوله: باب المباشرة للصائم) أي بيان حكمها وأصل المباشرة التقاء البشرتين، ويستعمل في الجماع سواء أولج أو لم يولج، وليس الجماع مراداً بهذه الترجمة... روى عبد الرزاق بإسناد صحيح عن مسروق: سألت عائشة ما يحل للرجل من امرأته صائماً؟ قالت: كل شيء إلا الجماع.

وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا

(١) شرى أمرهما: أي ظهر خبرهما وعرف، وأصله بشرى البرق بلمع.

تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾. (البقرة: ٢٢٢).

- عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوهن ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي النبي فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ إلى آخر الآية. فقال رسول الله ﷺ: «**اصنعوا كل شيء إلا النكاح**»[١]، فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه! فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا: يا رسول الله، إن اليهود تقول كذا وكذا أفلا نجامعهن؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد عليهما. فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي ﷺ، فأرسل في آثارهما فسقاهما، فعرفا أن لم يجد عليهما. (رواه مسلم).

- عن عائشة قالت: كان إحدانا إذا كانت حائضاً فأراد رسول الله ﷺ أن يباشرها، أمرها أن تتزر فور حيضتها[٢] ثم يباشرها. (رواه البخاري ومسلم).

الشريعة تحض المرأة على أداء حق زوجها:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه - عن النبي ﷺ - قال: «**لا تصوم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه**». (رواه البخاري ومسلم)(٢٧٦).

- وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح**». (رواه البخاري ومسلم) (٢٧٧).

- وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها، حتى يرضى عنها**». (رواه مسلم).

- عن طلق بن علي أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور**[٣]». (رواه الترمذي).

- عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه**

---

(١) إلا النكاح: أي إلا الجماع. وأصل النكاح في كلام العرب الوطء، وقيل للتزويج نكاح لأنه سبب الوطء المباح.

(٢) فور حيضتها: فور الحيضة معظم صبها، من فوران القدر وغليانها.

(٣) التنور: الذي يخبز فيه.

فلتجب وإن كانت على ظهر قَتَب(١)». (رواه البزار).

- عن أبي سعيد قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ونحن عنده فقالت: يا رسول الله، إن زوجي صفوان بن المعطل يضربني إذا صليت، ويفطرني إذا صمت... فسأله عما قالت. فقال: يا رسول الله... أما قولها: يفطرني فإنها تنطلق فتصوم وأنا رجل شاب فلا أصبر. فقال رسول الله ﷺ يومئذ: «**لا تصوم امرأة إلا بإذن زوجها**». (رواه أبو داود).

الشريعة تحض الرجل على أداء حق زوجته:

- عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء. فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء مُتَبذِّلة(٢)، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء... فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً. فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «**صدق سلمان**»(رواه البخاري).

- عن عبد الله بن عمرو قال: أنكحني أبي امرأة ذات حسب فكان يتعهد كَنَّته(٣) فيسألها عن بعلها فتقول: نِعْمَ الرجل من رجل، لم يطأ لنا فراشاً(٤) ولم يفتش لنا كنفاً(٥) مذ أتيناه. فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ فقال: «**القني به**»، فلقيته بعد فقال: «**كيف تصوم؟**» قال: كل يوم. قال: «**وكيف تختم؟**» قال: كل ليلة... وفي رواية (٢٨٣): قال لي رسول الله ﷺ: «**يا عبد الله، ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟**» فقلت: بلى يا رسول الله، قال: «**فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً... وإن لزوجك عليك حقاً**». (رواه البخاري).

- عن جابر رضي الله عنه قال: كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ فبلغ ذلك نبي الله ﷺ فلم ينهنا. (رواه البخاري ومسلم) (وهذه رواية مسلم).

قال الحافظ ابن حجر: ... وفي العزل إدخال ضرر على المرأة كما فيه من تفويت لذتها. وقد اختلف السلف في حكم العزل. قال ابن عبد البر: لا خلاف بين العلماء

---

(١) ظهر قتب: القتب هو للجمل كالسرج للفرس وجمع أقتاب.

(٢) متبذلة: أي لابسة ثياب البذلة وهي المهنة والمراد أنها تاركة ثياب الزينة.

(٣) كنَّة: الكنة هي زوج الولد.

(٤) لم يطأ لنا فراشاً: أي لم يضاجعنا.

(٥) لم يفتش لنا كنفاً: لم يرفع لنا ستراً.

أنه لا يعزل عن الزوجة الحرة إلا بإذنها؛ لأن الجماع من حقها ولها المطالبة به، وليس الجماع المعروف إلا ما لا يلحقه عزل. ووافقه في نقل هذا الإجماع ابن هبيرة، وتُعقّب بأن في هذه المسألة عند الشافعية خلافاً مشهوراً... واحتج الجمهور لذلك بحديث عن عمر أخرجه أحمد وابن ماجه بلفظ: **«نُهي عن العزل عن الحرة إلا بإذنها»** وفي إسناده ابن لهيعة... هذا واتفقت المذاهب الثلاثة على أن الحرة لا يُعزل عنها إلا بإذنها... وعند عبد الرزاق بسند صحيح، عن ابن عباس قال: تُستأمر الحرة في العزل... ونقل عن مالك أنها لها حق المطالبة بالوطء إذا قصد بتركه إضرارها... وجزم ابن حزم بوجوب الوطء (٢٩٦).

وإذا كانت النصوص تتكرر لتأكيد حق الرجل، وتستحث المرأة على سرعة الاستجابة، فإن مرد ذلك إلى أن الرجل بمقتضى الفطرة، هو الطالب والمرأة هي المطلوبة، وأنه أشد شوقاً إليها وأقل صبراً عنها، وأنه كثيراً ما تعرض له المثيرات بحكم نوع حياته ونشاطه. وصدق رسول الله ﷺ: **«إذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله»** (٢٨٨). وفي رواية: **«إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت في قلبه فليعمد إلى امرأته»** (٢٨٨). فعلى الرجل ـ أعانه الله ـ أن يتلطف في طلبه، وعلى المرأة ـ وفقها الله ـ أن ترفق به وتستجيب لطلبه، وإن كان عندها ما يشغل عن مثل هذا الطلب.

وقد ورد في فتح الباري خلال شرح حديث **«إذا دعا الرجل المرأة إلى فراشه»**: (وفي الحديث أن صبر الرجل على ترك الجماع أضعف من صبر المرأة... وفيه أن أقوى التشويشات على الرجل داعية النكاح، ولذلك حض الشارع النساء على مساعدة الرجال في ذلك) (٢٨٩).

من آداب المباشرة

(أ) النية الصالحة:

حبذا أن يستحضر الزوجان نية الإحصان والاستغناء بالحلال الطيب عن الوقوع في الحرام الخبيث. وقد قال رسول الله ﷺ: **«وفي بضع أحدكم صدقة»** قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: **«أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟»** قالوا: بلى. قال: **«فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له فيها أجر»**. (رواه مسلم) (٢٩٠).

صحيح أن الحديث يشير إلى أن الزوجين مأجوران على كل حال، ولو لم ينويا شيئاً؛ لأنهما يفعلان الحلال الطيب. ولكن إذا كان لفعل الحلال الطيب ـ ولو بدون نية ـ ثوابه، فلاستحضار النية الطيبة ثوابها أيضاً. وحبذا لو استحضر الزوجان كذلك شكر النعمة التي أنعم الله عليهما بتيسير هذا الحلال الطيب لهما.

(ب) الدعاء قبل المباشرة:

ينبغي للزوجين قبل الجماع أن يتوجها إلى الله بالدعاء كما علمنا رسول الله ﷺ :

ـ عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ : **«أما لو أن أحدهم يقول حين يأتي أهله: باسم الله، اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا. ثم قُدّر بينهما في ذلك، أو قُضِي ولد، لم يضره الشيطان أبداً»** (رواه البخاري ومسلم) (٢٩١).

(ج) الغسل أو الوضوء أو التيمم قبل النوم:

ـ عن عبد الله بن أبي قيس قال: سألت عائشة. . . قلت: كيف كان يصنع رسول الله ﷺ في الجنابة؟ أكان يغتسل قبل أن ينام أم ينام قبل أن يغتسل؟ قالت: كل ذلك قد كان يفعل، ربما اغتسل فنام وربما توضأ فنام. قلت: الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة. (رواه مسلم).

ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: **«كان النبي ﷺ إذا أراد أن ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضأ وضوءه للصلاة»**. (رواه البخاري ومسلم).

ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر قال: يا رسول الله، أينام أحدنا وهو جنب؟ قال: **«نعم إذا توضأ»**. (وفي رواية (٢٩٤): **«توضأ واغسل ذكرك ثم نم»** (رواه البخاري ومسلم) (٢٩٤).

(وفي رواية عند ابن خزيمة وابن حبان: **«نعم ويتوضأ إن شاء»** (٢٩٦).

ـ عن عائشة قالت: **«كان رسول الله ﷺ إذا أجنب فأراد أن ينام توضأ، أو تيمم»**. (رواه البيهقي) (٢٩٧)

(د) كتمان أسرار المباشرة:

إن المباشرة من خصوصيات الإنسان، ولذا ينبغي على كل مسلم ومسلمة، ألا يتكلم للناس بما جرى خلال المباشرة من قول أو فعل، كذلك لا يفشي عيباً ظهر له، ولا يذكر من المحاسن الخفية ما يجب شرعاً وعرفاً ستره.

وصدق رسول الله ﷺ :

- عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة، الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها**»(رواه مسلم (٢٩٨).

- وعن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله ﷺ ،والرجال والنساء قعود، فقال: «**لعل رجلاً يقول ما يفعله بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها؟!**» فأرَمّ(١) القوم، فقلت: إي والله يا رسول الله إنهن يفعلن، وإنهم يفعلون. قال: «**فلا تفعلوا؛ فإنما ذلك مثل الشيطان لقي شيطانة في طريق، فغشيها والناس ينظرون**»(رواه أحمد) (٢٩٩).

تحقيق مسألة تتعلق بالمباشرة:

المسألة هي: هل يحل أن يرى كل من الزوجين عورة صاحبه ؟

والصحيح أنه لا حرج في هذا إطلاقاً، وهو من الحلال الطيب، ويعين على تحقيق أكبر قدر من المتعة الطيبة التي شرعها الله لعباده المؤمنين. والدليل على ذلك ما يأتي:

- عن ميمونة قالت: وضعت للنبي ﷺ ماءً للغسل، فغسل يده مرتين أو ثلاثاً، ثم أفرغ على شماله فغسل مذاكيره. (وفي رواية (٣٠٠): وغسل فرجه وما أصابه من الأذى) ثم مسح يده بالأرض، ثم مضمض واستنشق وغسل وجهه ويديه، ثم أفاض على جسده، ثم تحول من مكانه فغسل قدميه. (رواه البخاري ومسلم) (٣٠١).

- عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل بدأ بيمينه فصب عليها من الماء فغسلها، ثم صب الماء على الأذى الذي به بيمينه، وغسل عنه بشماله، حتى إذا فرغ من ذلك صب على رأسه. . . وكنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد ونحن جنبان. (وفي رواية) (٣٠٢): من إناء بيني وبينه واحد فيبادرني حتى أقول: دع لي دع لي». (رواه البخاري ومسلم) (وهذه رواية مسلم).

وقد ورد عن أم سلمة وميمونة أن كلاًّ منهما كانت تغتسل ورسول الله ﷺ في الإناء الواحد من الجنابة (٣٠٤).

---

(١) أرمَّ القوم: سكتوا ولم يجيبوا.

ـ عن حكيم عن أبيه قال: قلت يا رسول الله: عوراتنا. .ما نأتي منها وما نذر؟ قال: «**احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك**» (رواه أبو داود) (٣٠٥).

قال الحافظ ابن حجر: «واستدل الداودي بحديث عائشة «كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد» على جواز نظر الرجل إلى عورة امرأته وعكسه. ويؤيده ما رواه ابن حبان من طريق سليمان بن موسى: «وأنه سئل عن الرجل ينظر إلى فرج امرأته، فقال: سألت عطاء فقال: سألت عائشة، فذكرت هذا الحديث بمعناه «وهو نص في المسألة، والله أعلم» (٣٠٦).

وقال الشيخ ناصر الدين الألباني: وهذا يدل على بطلان ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ما رأيت عورة رسول الله ﷺ قط» أخرجه الطبراني في الصغير ومن طريقه أبو نعيم والخطيب، وفي سنده بركة بن محمد الحلبي ولا بركة فيه فإنه كذاب وضّاع، وقد ذكر له الحافظ ابن حجر في «اللسان» هذا الحديث من أباطيله» وقال ابن حبان: «انفرد عن الثقات بما لا يشبه حديثهم فخرج عن حد الاحتجاج به» ولهذا جزم العراقي في تخريج الإحياء» بضعف سنده، وأما حديث: «**إذا جامع أحدكم زوجته أو جاريته فلا ينظر إلى فرجها فإن ذلك يورث العمى**» فهو موضوع، كما قال الإمام أبو حاتم الرازي وابن حبان، وتبعهما ابن الجوزي، وعبد الحق في «أحكامه» وابن دقيق العيد كما في «الخلاصة»(٣٠٧). . . .

وقال ابن عروة الحنبلي في «الكواكب»: (ومباح لكل واحد من الزوجين النظر إلى جميع بدن صاحبه ولمسه، حتى الفرج، لهذا الحديث، ولأن الفرج يحل له الاستمتاع به، فجاز النظر إليه ولمسه كبقية البدن. وهذا مذهب مالك وغيره، فقد روى ابن سعد عن الواقدي أنه قال: رأيت مالك بن أنس وابن أبي ذئب لا يريان بأساً، يراه منها وتراه منه) (٣٠٨).

مسؤولية تحقيق الإنجاب بين الزوجين:

لكل من الزوجين: حق الإنجاب.

قال تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً** ﴾. (النحل: ٧٢).

ـ عن جابر قال: . . .قال رسول الله ﷺ: «**الكَيْس الكيس يا جابر**» (رواه البخاري ومسلم) (١٩٤أ).

وورد في فتح الباري: . . . فقال عياض: فسر البخاري وغيره الكيس بطلب الولد والنسل وهو صحيح، قال صاحب الأفعال: كاس الرجل في عمله، حذق. وقال الكسائي: كاس الرجل، ولد له ولد كيس (١٩٤ب).

وصدق رسول الله ﷺ حيث يحرضنا على طلب الولد: «**تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم**». (رواه النسائي) (١٩٤جـ).

إن حق الإنجاب والرغبة في الولد أمر فطري عند الرجل والمرأة على السواء، لكن قد يُزْهد في طلب الولد لاعتبار ما في زمن ما. وعندها ينبغي على الزاهد منهما أن يراعي حق صاحبه، ويستجيب لرغبته، وبخاصة إذا كا ن الدافع إلى الزهد مجرد مصلحة تحسينية (أي كمالية) لا ضرورية ولا حاجية.

على أنه كما ينبغي على كل من الزوجين رعاية حق صاحبه في طلب الولد، ينبغي كذلك أن يراعي حق صاحبه في تنظيم الإنجاب، أو تنظيم النسل حسب التعبير الشائع في زمننا. فالتنظيم عمل صالح ما دام يحقق مصلحة أساسية للزوجين أو لأحدهما أو للمجتمع، فمن مصلحة الزوجة ـ على سبيل المثال ـ أن يكون بين كل حمل وآخر زمن كاف، تفرغ فيه لرضاعة الطفل وحضانته، هذا فضلاً عن حصولها على فترة راحة من عناء الحمل والولادة. ذلك العناء البالغ المذكور في قوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ (الأحقاف: ١٥) وكذلك في قوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ (لقمان: ١٤).

وإذا كانت المرأة تتحمل العبء الأكبر في الإنجاب، فالرجل وهو يشارك المرأة حياتها لا شك يتحمل نوعاً من المشقة خلال زمن الحمل. وهذه المشقة تكون هينة حيناً وبالغة حيناً حسب ظروف الأم وحالتها الصحية وظروف الأسرة و الحياة بصفة عامة.

أما عن مصلحة المجتمع، فكما تكون أحياناً في زيادة النسل تكون أحياناً في تحديده، والعبرة باجتهاد أهل العلم والفضل والاختصاص، المدركين جيداً لواقع مجتمعه العارفين بما يعين على نهوضه وتقدمه، دون خضوع لاستهواء خارجي ودون غفلة عما تقتضيه ظروف مرحلة بعينها، من توسعة في النسل أو تضيق، قد تتبعها مرحلة أخرى توجب تغيير النهج.

وإذا كان بعض يقول إن هناك نصوصاً شرعية لا تأذن بتنظيم النسل مثل:

- عن أبي سعيد قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق فأصبنا سبياً من سبي العرب فاشتهينا النساء واشتدت علينا العُزْبة وأحببنا العزل فأردنا أن نعزل وقلنا: نعزل ورسول الله ﷺ بين أظهرنا قبل أن نسأله؟ فسألناه عن ذلك فقال: «**ما عليكم ألا تفعلوا، ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة**» (رواه البخاري ومسلم) (١٩٤ د).

- وعن أبي سعيد الخدري قال: ذكر العزل عند رسول الله ﷺ فقال: «**ولِمَ يفعل ذلك أحدكم؟. فإنه ليست نفس مخلوقة إلا الله خالقها**»(رواه مسلم) (١٩٥أ).

هناك نصوص أخرى تفيد أنه لا حرج في ذلك وهذه بعض الأمثلة:

- عن جابر أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: إن لي جارية هي خادمنا وسانيتنا[١] وأنا أطوف عليها وأنا أكره أن تحمل. فقال: «**اعزل عنها إن شئت، فإنه سيأتيها ما قُدِّر لها**» فلبث الرجل ثم أتاه فقال: إن الجارية قد حبلت فقال: «**قد أخبرتك أنه سيأتيها ما قُدِّر لها**» (رواه مسلم) (١٩٥ب).

وعن جابر رضي الله عنه: كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل، وفي رواية مسلم، فبلغ ذلك نبي الله ﷺ، فلم ينهنا «رواه البخاري ومسلم».

وقال أبو عيسى الترمذي: وقد رخص قوم من أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم في العزل.

(١) سانيتنا: أي التي تحمل لنا الماء، وقد شبهها بالسانية أي الناقة التي يستقى عليها الماء من الدوالب.

الزوجان والغيرة السوية

ـ عن جابر بن عتيك: أن النبي ﷺ كان يقول: «**من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يبغض الله، فأما التي يحبها الله فالغيرة في الريبة، وأما التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة**» (رواه أبو داود)(٣٢٠).

قال عياض: الغيرة مشتقة من تغير القلب وهيجان الغضب، بسبب المشاركة فيما به الاختصاص، وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين. . . وقيل: الغيرة في الأصل الحمية والأنفة، وهو تفسير «يلازم التغير» فيرجع إلى الغضب (٣٢١).

وهذا التعريف يفيد أن الغيرة المحمودة المشروعة من جانب الرجل، هي ما كانت بسبب مشاركة الرجال الأجانب له فيما به اختصاصه من زوجته، وعلى ذلك ليست رؤية الأجانب لوجهها وكفيها، أو محادثتها بالمعروف، مما به اختصاص الزوج.

أنواع الغيرة

الغيرة المحمودة: وهي ما كانت في ريبة، ومثالها:

ـ عن سعد بن عبادة قال: يا رسول الله، لو وجدت مع أهلي رجلاً لم أمسه حتى آتي بأربعة شهداء؟! قال رسول الله ﷺ: «نعم» قال: كلا والذي بعثك بالحق، إن كنت لأعاجله بالسيف قبل ذلك. قال رسول الله ﷺ: «**اسمعوا إلى ما يقول سيدكم، إنه لغيور، وأنا أغير منه والله أغير مني**». (وفي رواية البخاري (٣٢٢): «**ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين**». (رواه البخاري ومسلم) (٣٢٢) وهذه رواية مسلم.

الغيرة هنا في ريبة لذا كانت محمودة، لكنها زادت على الحد إذ دفعت إلى قول ما لا ينبغي أن يقال. وربما تدفع رجلاً آخر إلى فعل ما لا ينبغي وهو قتل الزاني، بينما الشارع وضع ضوابط لا تبيح قتل الزاني دون أربعة شهود.

وكذلك يحمد كل زوج وزوجة إذا كانت منهما غيرة، في ريبة وقعت من الطرف الآخر.

الغيرة المذمومة: وهي ما كانت في غير ريبة، ومثالها:

ـ عن محمد بن قيس بن مخرمة بن المطلب أنه قال يوماً: ألا أحدثكم عني وعن أمي؟! قال: فظننا أنه يريد أمه التي ولدته. قال: قالت عائشة: ألا أحدثكم عني وعن رسول الله ﷺ؟! قلنا: بلى. قال: قالت: لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ عندي، انقلب فوضع رداءه[1] وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه، وبسط طرف إزاره[2] على فراشه فاضطجع، فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت، فأخذ رداءه رويداً وانتعل رويداً، وفتح الباب فخرج ثم أجافه رويداً[3]، فجعلت درعي[4] في رأسي واختمرت[5] وتقنعتُ إزاري[6]، ثم انطلقت على إثره حتى جاء البقيع[7]، فقام فأطال القيام ثم رفع يديه ثلاث مرات، ثم انحرف فانحرفت، فأسرع فأسرعت، فهرول فهرولت، فأحضر[8] فأحضرت فسبقته فدخلت، فليس إلا أن اضطجعت، فدخل فقال: **«مالك يا عائشُ؟ حَشْيا[9] رابية؟»**[10] قلت: لا شيء. قال: **«لتخبريني أو ليُخبرني اللطيف الخبير»** قلت: يا رسول الله بأبي أنت وامي، فأخبرته قال: **«فأنت السواد الذي رأيت أمامي؟»** قلت: نعم فلَهَدَني[11] في صدري لهدة أوجعتني. ثم قال: **«أظننت أن يحيف[12] الله عليك ورسوله!»** قالت: مهما يكتم الناس يعلمه الله، نعم. قال: **«فإن جبريل أتاني حين رأيت فناداني فأخفاه منك، فأجبته فأخفيته منك، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك[13]، وظننت أن قد رقدت فكرهت أن أوقظك، وخشيت أن تستوحشي[14]. فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم»** قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: قولي: **«السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون»**(رواه مسلم: ٣٣٤، ٣٢٥).

---

(١) وضع رداءه: خلع رداءه وهو ثوب يحيط بالنصف الأعلى من البدن.

(٢) إزاره: الإزار ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن.

(٣) أجافه رويداً: أي رد الباب بلطف.

(٤) درعي: قميصي.

(٥) اختمرت: ألقيت على رأسي الخمار.

(٦) تقنعت إزاري: غطيت رأسي وبدني كله بإزاري.

(٧) البقيع: مقبرة بالمدينة.

(٨) أحضر: الإحضار هو العدو فوق الهرولة.

(٩) حشياً: من الحشا وهو النهيج الذي يعرض للمسرع في مشية.

(١٠) رابية: التي أخذه الربو وهو النهيج وتواتر النفس.

(١١) لهدني: دفعني.

(١٢) يحيف الله عليك ورسوله: من الحيف وهو الجور! أي ظننت أن قد ظلمتك بجعل نوبتك لغيرك؟

(١٣) وضعت ثيابك: خلعت ثيابك.

(١٤) تستوحشي: تلحقك وحشة بانفرادك في ظلمة الليل بقظى.

ـ عن أبي سعيد الخدري قال: كان فتى منا حديث عهد بعرس، قال: فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق، فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار يرجع إلى أهله، فاستأذن يوماً فقال له رسول الله ﷺ : «**خذ عليك سلاحك فإني أخشى عليك قريظة، فأخذ الرجل سلاحه ثم رجع، فإذا امرأته بين البابين قائمة. فأهوى إليها الرمح ليطعنها به، وأصابته غيرة، فقالت له: اكفف عليك رمحك، وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني، فدخل فإذا بَحيَّة عظيمة منطوية على الفراش، فأهوى إليها بالرمح...**» (رواه مسلم) (٣٢٦) وقد سبق ذكر هاتين الواقعتين عند عرضنا لحق الثقة وحسن الظن، وذلك لبيان إنكار الشارع لهذا المستوى من الغيرة التي تعني سوء الظن بالصاحب.

أسماء بنت أبي بكر تراعي غيرة زوجها:

ـ عن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ قالت: تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك. فجئت يوماً والنوى على رأسي فلقيت رسول الله ومعه نفر من الأنصار فدعاني. . . ليحملني خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس. (رواه البخاري ومسلم) (١٨٢).

هنا نرى أسماء تتحمل مشقة رعاية غيرة زوجها، إذ ضرر الغيرة يقع عليها، أما حين ترى أن ضرر الغيرة سوف يقع على رجل فقير، فإنها تحتال الحيلة الراشدة لرعاية الغيرة من ناحية ولإبعاد الضرر من ناحية:

ـ فعن أسماء قالت: جاء رجل فقال: يا أم عبد الله، إني رجل فقير، أردت أن أبيع في ظل دارك. قالت: إن رخصت لك أبي ذاك الزبير، فتعال فاطلب إليَّ والزبير شاهد. فجاء فقال: يا أم عبد الله، إني رجل فقير أردت أن أبيع في ظل دارك. فقالت: مالك بالمدينة إلا داري؟ فقال لها الزبير: مالك أن تمنعي رجلاً فقيراً يبيع؟ فكان يبيع إلى أن كسب. (رواه مسلم) (١٨٣).

نلحظ هنا كيف تحملت أسماء المشقة مراعاة لغيرة زوجها الزائدة.

كما نلحظ أن مروءة الزبير كادت تتغلب على غيرته الزائدة، وذلك عندما قال: «والله لحملك النوى على رأسك كان أشد عليَّ من ركوبك معه» ويوضح هذا المعنى الحافظ ابن حجر بقوله: أي كان ركوبها أخف مما تحقق من تبذلها بحمل النوى على رأسها من مكان بعيد؛ لأنه قد يتوهم خسة النفس ودناءة الهمة. . . ولكن كان السبب

الحامل على الصبر على ذلك، شغل زوجها بالجهاد وغيره. . .فكانوا لا يتفرغون للقيام بأمور البيت بأن يتعاطوا ذلك بأنفسهم، ولضيق ما بأيديهم عن استخدام من يقوم بذلك عنهم» (٣٣٢).

وهنا نرى أسماء تعمل الحيلة لمعالجة غيرة زوجها، ونرى الزبير في الوقت نفسه يغلب حب عمل المعروف على مشاعر الغيرة.

ـ عن أم سلمة: . . .قالت: أرسل إليَّ رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له، فقلت: إن لي بنتاً وأنا غيور. فقال: أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها، وأدعو الله أن يذهب الغيرة. (رواه مسلم) (٣٣٤).

هنا تقر أم سلمة رضي الله عنها بغيرتها الزائدة، وتعتذر بسببها عن قبول الزواج برسول الله ﷺ، رغم ما في صحبته ﷺ من تكريم وتشريف.

الغيرة الزائدة

أي غيرة تزيد قدراً ما على حد الاعتدال، وهذه ينبغي أن يُترفق في معالجة آثارها، وينبغي أيضاً اجتناب مثيراتها، هذا من جانب الصاحب المعافى. أما الطرف المبتلى فعليه أن يبذل جهده في ضبط مشاعره قدر الإمكان، كما عليه ضبط سلوكه حتى لا يصدر منه ما يخالف الشرع. وهذه بعض الأمثلة لأصحاب الغيرة الزائدة:

ـ عن ابن عمر قال: كانت امرأة لعمر تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد. فقيل لها لم تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار؟ قالت: وما يمنعه أن ينهاني؟ قال: يمنعه قول رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله». (رواه البخاري) (٣٢٧).

هنا نلمس ضبط عمر لغيرته الزائدة فلم يمنع زوجته من الذهاب للمسجد التزاماً منه بقول الرسول ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله».

ـ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «رأيتني دخلت الجنة... ورأيت قصراً بفنائه جارية»(وفي رواية (٣٢٨): «فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت:لمن هذا؟ قالوا:لعمر، فأردت أن أدخله فأنظر إليه، فذكرت غيرتك (فوليت مدبراً)»، فقال عمر: بأبي وأمي يا رسول الله، أعليك أغار؟! (رواه البخاري ومسلم) (٣٢٩).

الغيرة هنا لا علاقة لها بزوجة عمر. ولكن للحديث دلالة أشار إليها ابن بطال بقوله في صـ(٢٣٠): يؤخذ من الحديث أن من علم من صاحبه خلقاً لا ينبغي أن يتعرض لما ينافره. فالحديث يبين كيف راعى رسول اللهﷺ غيرة عمر الزائدة فولى مدبراً. كما يبين كيف تغلب إجلال عمر لرسول اللهﷺ على غيرته الزائدة. وهكذا ينبغي أن يتعلم الزوجان من رسول اللهﷺ فلا يتعرضا قدر الإمكان لما يثير الغيرة الزائدة ـ إن وجدت عند الطرف الآخر.

الغيرة المعذورة:

وهذه الغيرة يعذر صاحبها ما لم يفعل حراماً، اي يُغَضُّ الطرف عن الصغائر والهفوات التي تصدر منه. ومن أمثلتها:

غيرة المرأة من الزوجة السابقة:

ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على أحد من نساء النبيﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبيﷺ يكثر ذكرها. وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة، فيقول: إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد. (رواه البخاري) (٣٣٦).

ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول اللهﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاع[١] لذلك. فقال: «**اللهم هالة!**» قالت: فغرت. فقلت: ما تَذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين[٢] هلكت في الدهر، قد أبدلك الله خيراً منها؟ (رواه البخاري ومسلم) (٢٣٦).

هنا عذر النبيﷺ عائشة، وتغاضى عما قالته في حق خديجة.

غيرة المرأة من ضرتها:

ـ عن أنس قال: كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة[٣] فيها طعام. فضربت التي كان النبيﷺ في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبيﷺ فلق الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: «**غارت أمكم**» ثم حبس[٤] الخادم حتى أتى

---

(١) ارتاع: فزع.

(٢) حمراء الشدقين: كنت بذلك عن سقوط أسنانها حتى لا يبقى داخل فمها إلا اللحم الأحمر من اللثة.

(٣) صحفة: قصعة مبسوطة وتكون من غير الخشب. (٤) حبس الخادم: أخره.

بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كُسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت فيها. (رواه البخاري) (٣٣٧).

هنا أُلزمت الغيرى بضمان ما أتلفته، ولم يزد الرسول ﷺ على قوله: «غارت أمكم».

ـ عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب ابنة جحش ويشرب عندها عسلاً. (وفي رواية) (٣٣٨): فاحتبس أكثر ما كان يحتبس، فغرتُ فتواصيت أنا وحفصة: أن أيتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل: إني لأجد منك ريح مغافير[1]، أكلت مغافير؟ فدخل على إحداهما فقالت له ذلك، فقال: «لا بأس، شربت عسلاً عند زينب ابنة جحش ولن أعود له» (وفي رواية) (٣٣٩): «فلن أعود له، وقد حلفت، لا تخبري بذلك أحداً» فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ لعائشة وحفصة ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ لقوله: «بل شربت عسلاً» (رواه البخاري ومسلم)(٣٤٠).

هنا وقع إنكار للفعل ونزل في ذلك قرآن يتلى، وهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ[2] قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا[3] عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ[4]﴾ (التحريم: ١ ـ ٤).

غيرة المرأة من شروع زوجها في خطبة أخرى:

عن المسور بن مخرمة قال: إن علياً خطب بنت أبي جهل، فسمعت بذلك فاطمة فأتت رسول الله ﷺ، فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل. فقام رسول الله ﷺ، فسمعته حين تشهد يقول: «أما بعد...وإن فاطمة بضعة مني[5] وإني أكره أن يسوءها..» (وفي رواية ثانية (٣٤١): «وإني أتخوف أن تفتن في دينها...وإني لست أحرم حلالاً ولا أحل حراماً» وفي رواية ثلاثة (٣٤٢): «يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها». (رواه البخاري ومسلم) (٣٤٣).

---

(١) مغافير: صمغ حلو له رائحة كريهة.

(٢) صغت قلوبكما: أي مالت قلوبكما.

(٣) وإن تظاهرا عليه: تتعاونا عليه فيما يكره.

(٤) ظهير: أي أعوان له في نصره عليكما.

(٥) بضعة مني: قطعة مني.

أورد البخاري الرواية الثالثة في باب (ذب الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف) وقال الحافظ ابن حجر: . . . وفيه أن الغيرى إذا خشي عليها أن تفتن في دينها، كان لوليها أن يسعى في إزالة ذلك، كما في حكم الناشز. . . شرط ألا يكون عندها من تتسلى به ويخفف عنها (٣٤٤). . . قوله: «**وأنا أتخوف أن تفتن في دينها**» يعني أنها لا تصبر على الغيرة فيقع منها في حق زوجها في حال الغضب ما لا يليق بحالها في الدين (٣٤٥).

هنا عذر الرسول ﷺ فاطمة وأقر غيرتها وطلب من علي بن أبي طالب إما العدول عن الخطبة أو تطليق فاطمة.

والمطلوب من المسلم أن يعتدل في غيرته فلا يغفل عن الأمور التي تخشى عواقبها السيئة، ولا يبالغ في التشدد والتعنت والتجسس على البواطن، فقد نهى رسول الله ﷺ عن تتبع عورات النساء، وتلمس زلاتهن، وبين أن من الغيرة غيرة يحبها الله، ومنها غيرة يبغضها الله، فقال ﷺ: «**إن من الغيرة ما يُحبُّه الله ومنها ما يُبغضه الله... فأما الغيرة التي يُحبها الله فالغيرة في الريبة، والغيرة التي يُبغضها الله فالغيرة في غير ريبة**» (رواه أبو داود والنسائي وابن حبان). فبين الحديث أن الغيرة المحبوبة هي التي وجدت أسبابها، بأن قامت أدلة تبعث على الشك فهنا يجب البحث للتأكد، أو منع الأسباب الداعية إلى الشك، أما مع عدم وجود أسباب فإن الغيرة حينئذ يبغضها الله، ويلوم الناس عليها صاحبها، لأنه بهذه الغيرة يعكر صفو الحياة، ويقطع حبال المحبة والود، وتؤدى غيرته إلى أعمال شبه هستيرية أحياناً بما يجعله أضحوكة الناس وملهاتهم ومجال سخريتهم. وأمثلة هذا النوع كثيرة في الرجال مع النساء وفي النساء مع الرجال.

والغيرة المحبوبة المطلوبة هنا هي التي يحكمها الدين وتدفع إليها الكرامة والحمية الإسلامية والفطرة السليمة.

أما الغيرة الناشئة عن الأوضاع الاجتماعية الفاسدة، وعن التعليم والثقافات الماجنة، وعن التيارات المجلوبة من معاطن الجريمة والإباحية والانحلال والتخنث فإنها ذات مقاييس مختلفة وذات أوضاع مقلوبة.

لذا تجد الرجل يغار على امرأته إن غازلها إنسان وهي معه في الطريق العام، ولكنه قد يكون فاقد الغيرة والرجولة والحمية تماماً حين تمشي معه زوجته أو أخته أو

بنته وقد عرت ساقيها وفخذيها وصدرها وظهرها، ومضت الأعين في كل مكان تلتهمها.

وكذلك لا يغار حين تجالس الرجال وهي كذلك واضعة فخذاً على فخذ كي يروا كل شيء يخجل الإنسان السوي من ذكره..

ولا يغار حين تراقص أجنبياً يلتصق بها ويحتضنها ويلف ذراعه حول خصرها ويلفحها بأنفاسه كما تلفح وجهه بأنفاسها.

فهذه الديوثية مذمومة تماماً،والإنسان الغيور في مثل هذه المواقف هو الإنسان الطبيعي، والذي لا يغار هو إنسان شاذ، ولذا قالﷺ : «**إن الله تعالى يغار والمؤمن يغار**» (متفق عليه)،وقال عليه الصلاة والسلام: «**إني لغيور، وما من امرئ لا يغار إلا منكوس القلب**».

الفصل السادس

ما ينبغي عمله نحو الاولاد

علاقات الأسرة الداخلية

الأسرة لا تعيش في معزل عن الناس ولا عن المجتمع والأسر الأخرى كما لا يعيش الزوج والزوجة بعيداً عن الأهل والأقارب والآباء والأمهات وإنما تعيش الأسرة في محيط ذلك كله، ولهذا ينبغي أن يكون سلوكها سوياً مع الجميع حتى تكتسب الاحترام والتقدير من الجميع، وتشيع السعادة في المحيط الذي توجد فيه.

علاقة الزوج والزوجة بالأهل والعائلة:

علاقتهما بالآباء والأمهات: أما عن علاقة الرجل بوالده ووالدته فينبغي أن تكون علاقة قوية توافق شرع الله تعالى، ومنبثقه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ: قال تعالى في ذلك: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (الإسراء: ٢٤).

إذن فيجب أن ترد إليهما بعضاً من الفضل الذي أسدياه إليك طول عمرك فهذا واجب شرعي، وواجب إنساني وأدب اجتماعي تقتضيه الفطرة والمروءة ويحيل إليه العقل السليم، ولهذا كانت الوصية بهما لما تحملاه من مشقة في إخراجك للحياة - قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾(الأحقاف: ١٥) فبسببهما خرجت من العدم إلى الوجود وبفضل رعايتهما قوي عضدك واشتد ساعدك حتى صرت إنساناً كاملاً، ورجلاً نافعاً.

ثم من أحق الناس بعد أمك بالعطف والحنان والرحمة والإحسان من أبيك العطوف الذي سعى على رزقك وأعطاك من نفيس أمواله وأنفق عليك ماله وأحسن إليك في حال ضعفك وعلمك وحماك وأرشدك ورباك ونصحك إلى ما ينفعك في دينك ودنياك؟! أليس من حقه عليك أن تساعده في كبره لتعبه عليك في صغرك وحبه لك في كبرك وخوفه عليك في شبابك وصباك؟!

إذن فلا غرو، أن شرع الله واجب الإحسان إليهما والبر بهما بعد واجب توحيده وعبادته، وجعل الإحسان إليهما قضاء وإلزاماً فقال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾(الإسراء: ٢٣). وقال تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾(النساء: ٣٦).

لقد جعل الله مرتبة الإحسان إلى الوالدين بعد توحيده وعبادته، ولم يقدم على الوالدين مخلوقاً، ولذلك قال الإمام النيسابوري في تفسيره: وإنما جعل الإحسان إلى الوالدين تالياً لعبادة الله لوجوه منها:

١ـ أنهما سبب وجود الولد، كما أنهما سبب التربية، فلا إنعام بعد إنعام الله تعالى أعظم من إنعام الوالدين.

٢ـ ومنها: أن إنعامهما يشبه إنعام الله تعالى من أنهما لا يطلبان بذلك ثناءاً ولا ثواباً.

٣ـ ومنها: أنه تعالى لا يمل من إنعامه على العبد وإن أتى بأعظم الجرائم، فكذا الوالدان لا يقطعان عنه مواد كرمهما وإن كان غير بار بهما.

٤ـ ومنها: أنه لا كمال للولد إلا ويطلبه الوالد لأجله ويريده عليه، كما أنه تعالى لا يرضى لعباده إلا الخير، ومن غاية شفقة الوالدين: أنهما لا يحسدان ولدهما إذا كان خيراً منهما، بخلاف غيرهما، فإنه لا يرضى أن يكون غيره خيراً منه.

ولهذا حكم رسول الله ﷺ بأن الولد وماله ملك لأبيه. فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن لي مالاً وولداً، وإن أبي يريد أن يجتاح مالي، فدعا أباه، فهبط جبريل عليه السلام فقال: إن الشيخ قد قال في نفسه شيئاً لم تسمعه أذناه.

فلما قدم، فإذا هو شيخ يتوكأ على عصا، فسأله النبي ﷺ عما ادعى ولده.

فقال: سله يا رسول الله، هل أنفقه إلا على إحدى عماته أو إحدى خالاته ؟

فقال رسول الله ﷺ : **«دعنا من هذا، وأخبرني عن شيء، قلته في نفسك، ولم تسمعه أذناك!»**

قال الرجل: لا يزال الله يزيدنا بك بصيرة ويقيناً، نعم.

قال: هات... فأنشأ الرجل في خطاب ولده:

غذوتك مولوداً وعلتك يافعاً ... تعل بما أحنو عليك وتنهل(١)
إذا ليلة نابتك بالسقم لم أبت ... لتعلم أن الموت حتم مؤجل

---

(١) تسقى اللبن مرة بعد مرة.

كأني أنا المطروق دونك بالذي … طُرقت به دوني فعيني تهمُل(١)
فلما بلغت السن والغاية التي … إليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة … كأنك أنت المنعم المتفضل!
فليتك إذا لم ترع حق أبوتي … فعلت كما الجار المجاور يفعل
فأوليتني حق الجوار ولم تكن … عليَّ بمال دون ذلك تبخل

فبكى رسول الله ﷺ وقال: «ما سمع بهذا حجر ولا مدر إلا بكى؛ وأخذ بتلابيب الولد - أي بمجامع ثيابه؛ وقال: أنت ومالك لأبيك».

من معاني البر والعقوق:

قال الإمام القرطبي: بر الوالدين: موافقتهما على أغراضهما، وعلى هذا إذا أمر أحدهما ولده بأمر وجبت طاعته فيه إذا لم يكن ذلك الأمر معصية.

وعن سعيد بن أبي بردة قال: سمعت أبي يحدث أنه شهد رجلاً يمانياً يطوف بالبيت وقد حمل أمه وراء ظهره ويقول:

أنا لها بعيرها المذلل … إذا أذعرت ركابها لم أذعر

ثم قال يا ابن عمر: أتراني جزيتها؟ قال: لا، ولا بزفرة واحدة!!

وروى أن أبا هريرة رضي الله عنه أبصر رجلين، فقال لأحدهما: «ما هذا منك؟ فقال: أبي. فقال أبو هريرة: لا تسمه باسمه، ولا تمش أمامه، ولا تجلس قبله».

وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين، فقال: ألاَّ تقوم إلى خدمتهما وأنت كسلان، وقيل: ألاَّ ترفع صوتك عليهما، ولا تنظر إليهما شزراً ولا يريا منك مخالفة في ظاهر أو باطن، وأن تدعو لهما ما عاشا، وتترحم عليهما إذا ماتا.

ومن البر، الإنفاق عليهما إذا احتاجا إلى نفقة، والتوسعة عليهما إن كانت حالتهما أقل من حالة ابنهما أو بنتهما، وأن يرحم أباه وأمه من الأعمال الوضيعة، ويكفيهما النفقة.

وعقوق الوالدين: هو إهمال حقوقهما والخروج عن طاعتهما، وفعل ما لا يرضيهما، وإيذاؤهما ولو بكلمة مرة، أو نظرة شزرة.. فمن فعل شيئاً من هذا

---

(١) تبكي لأجلك.

استحق سخط الله تعالى؛ وحرم تأييده وتوفيقه، وارتكب إثماً من أكبر الكبائر قال رسول الله ﷺ: **«ألا أخبركم بأكبر الكبائر؟»** قالوا: **«بلى يا رسول الله»** قال: **«الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وشهادة الزور والزنا»** وقال ﷺ: **«من الكبائر أن يسب الرجل والديه»** قالوا: وهل يسب الرجل أباه؟ فقال: **«نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه فيسب أمه»**..

حق الأم في البر أكبر من حق الأب،

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: **«أمك»** قال: ثم من؟ قال: **«أمك»** قال: ثم من؟ قال: **«أمك»** قال: ثم من؟ قال: **«أبوك»**.

قال الإمام القرطبي: فهذا الحديث يدل على أن محبة الأم والشفقة عليها ينبغي أن تكون ثلاثة أمثال محبة الأب، وذلك أن صعوبة الحمل، وصعوبة الوضع، وصعوبة الرضاع والتربية تنفرد بها الأم دون الأب، فهذه ثلاث مشقات يخلو منها الأب.

من بر الوالدين استئذانهما للجهاد،

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى نبي الله ﷺ فاستأذنه في الجهاد فقال: **«أحي والداك؟»** قال: نعم. قال: **«ففيهما فجاهد»**.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رجلاً من أهل اليمن هاجر إلى رسول الله ﷺ فقال: **«هل لك أحد في اليمن؟»** قال: أبواي. قال: **«أذنا لك؟»** قال: لا. قال: **«فارجع إليهما فاستأذنهما، فإن أذنا لك فجاهد، وإلا فبرهما»**.

ويستدل الإمام القرطبي من هذه الأحاديث وغيرها على قوله: من الإحسان إليهما والبر بهما إذا لم يتعين الجهاد ألا يجاهد إلا بإذنهما.

وهذا دليل على وجوب استئذان الأبوين للجهاد إذا لم يتعين الجهاد عليه، لأنه حين يتعين يصير فرض عين لا فرضاً كفائياً، وهو يصير فرض عين في الأحوال الثلاثة الآتية:

١ـ أن يهاجم العدو بلده.

٢ـ أن يختاره الإمام المسلم للقتال.

٣ـ أن يكون الجيش الذي دافع عن بلد إسلامي غير كاف ويستطيع أن يساعد هذا الجيش.

بر الوالدين بعد وفاتهما:

ولا يقتصر البر بالوالدين على حياتهما، فلهما هذا الحق على أولادهما بعد موتهما أيضاً، وذلك بالاستغفار لهما والدعاء لهما بالرحمة والعفو ودخول الجنة، والنجاة من عذاب القبر ومن نار جهنم؛ فقد قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾(الإسراء: ٢٤)،وقد ورد في حديث رسول الله ﷺ الذي ذكر أن عمل المرء ينقطع بموته إلا من ثلاث،ذكر منها الولد الصالح الذي يدعو له، ويصل الوالدين بعد الموت ثواب صدقة الأبناء عنهما،فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ يسأله: إن أبي مات ولم يوص أفينفعه أن أتصدق عنه؟ قال: «نعم» كما ينفعهما الصلاة لهما، وقراءة القرآن، والصيام،وجميع الطاعات عند أهل السنة،فذهب أحمد بن حنبل وجماعة من العلماء وجماعة من أصحاب الشافعي إلى ذلك.

ولا يخفى على الأبناء أن من الواجب عليهم سداد الديون عن الوالدين بعد موتهما..

ومن البر بالوالدين بعد موتهما: صلة أقربائهما وأصدقائهما،فعن أبي بردة رضي الله عنه قال: قدمت المدينة فأتاني عبد الله بن عمر فقال: أتدري لم أتيتك؟ قال: قلت: لا، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ومن أحب أن يصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه بعده**»، وإنه كان بين أبي عمر وأبيك إخاء وود فأحببت أن أصل ذاك... وعن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه**»[١].

وعن أبي أسيد بن مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟قال: «**نعم،الصلاة عليهما[٢]، والاستغفار لهما[٣]، وإنفاذ عهدهما من بعدهما[٤] وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما[٥]**،

(١) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي.

(٢) الدعاء لهما بالرحمة.

(٣) طلب المغفرة لهما من الله.

(٤) العمل بوصيتهما.

(٥) صلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما مثل الأجداد والأعمام والأخوال وغيرهم.

وإكرام صديقهما»[(١)].

معاملة الزوج لأهل زوجته:

لا شك أن علاقة الزوج بأهل زوجته بنيت أساساً من أول الأمر على المحبة حيث أحبهم الزوج وصاهرهم، وأحبوه فزوجوه، واللائق عقلاً وشرعاً أن تستمر هذه العلاقة الطيبة، حفظاً للجميل وحق المصاهرة والنسب لأن أسرة الزوجة قد أعطته فلذة كبدها بعد تربيتها وتهذيبها وتوجيهها الوجهة الصالحة، ولأن المقصود هو الترابط العائلي بهذا الزواج، وليس الاستمتاع فقط، ولأن الزوج لابد أن يحب ما يسعد زوجته ويستديم ودها ويعرف لها الجميل حتى تكون هناك عدالة، وكما تحسن لأهله لابد أن يحسن لأهلها، وحتى لو كانت غير ذلك لوجب عليه هو أن يقودها إلى حب أهله بحب أهلها، ويضرب لها المثل على ذلك حتى ولو كان أهل الزوجة كافرين فيجب برهما: قال تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا[(٢)]﴾(لقمان: ١٥) قال القرطبي. والآية دليل على صلة الأبوين الكافرين وإعطائهما ما أمكن من المال إن كانا فقيرين، وإلانة القول لهما، قالت أسماء بنت أبي بكر الصديق للنبي ﷺ: «قد قدمت عليها خالتها، وهي أمها من الرضاع، فقالت يا رسول الله: إن أمي قدمت علي وهي راغبة، أفأصلها؟ قال: «نعم» وكان رسول الله ﷺ يأمر ببر أم الزوجة حتى ولو كانت كافرة، فوجب على المؤمن أن يبر أهل الزوجة، خاصة إذا كانوا مسلمين، يوكون على هذا برهم أوجب، كما أن ذلك من علامات صلاح الرجل.

معاملة زوجة الابن لأم الزوج:

في كثير من الأحيان تكون العلاقة حميمة بين الزوجة وأم زوجها قبل الزواج ثم تصير بغيضة بعد الزواج وهذا من الغرائب التي ينبغي علاجها خاصة في مجتمع مسلم وعند امرأة ملتزمة تخاف على دينها ودنياها وأخراها، ولهذا وجب أن نوجه إليها رسالة نصح وتذكرة، والذكرى تنفع المؤمنين.

رسالة إليها:

أتحدث إليك اليوم بحساسية دقيقة، غير أنها ضرورة، لأنها كثيراً ما خيمت على

(١) رواه أبو داود. (٢) تفسير القرطبي صـ ١٤، صـ٦٥.

بيوت سعيدة فأشقتها، وكثيراً ما خيمت على بيوت فأسعدتها. .إنها الصلة بين أم الزوج وزوجة الابن، وأم الزوج تسمى في العرف والتاريخ الحماة وما أجمل أن نتعامل معها على أساس الأمومة للزوجين؛ لأنها الشجرة التي أثمرت الزوج، ثم حنت عليه بظلالها، وسقته من ماء حياتها، حتى غدا ثمرة تاقت إليها النفوس، وتمنتها القلوب، فكنت أنت يا ابنتي القاطفة لها، فهل تحبين أن تكوني القاطعة لهذه الشجرة المباركة التي أعطتك هذا الزوج الحبيب الحاني؟!

إنني أدعوك إلى أن تناجي ظلالها وتسقيها بيدك ماء يباركها، تلك هي حماتك. أتعلمين يا ابنتي أنك لو أطعت الله فيها ماذا يكون لك من أجر عند الله؟! إنه أجر عظيم، فقد أوصى سبحانه في كتابه العزيز ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ (البقرة) فكما أنك تحرصين على مرضاة أمك وتفعلين كل ما يسعدها، وكذلك زوجك نحو أمه، فاتقي الله فيها. .

إن العقوق يا ابنتي من الكبائر فقد قال ﷺ : «ألا أدلكم على أكبر الكبائر؟!قالوا: بلى يا رسول الله قال «الشرك بالله،وعقوق الوالدين،ألا وشهادة الزور..» الخ... الحديث المعروف.. فمن أهم واجباتك أن تساعدي زوجك على أن يكون باراً بوالديه وأن توصيه دائماً بذلك، إن برّك يا ابنتي بأم زوجك هو بركة لك، إن وجدت ابنها أغضبك، غضبت لغضبك حتى يرضيك.. إن السعادة هي التي تشهد امتزاجاً بين أسرة الزوج وأسرة الزوجة بحب ومودة، فهل تكونين يا ابنتي لحماتك الابنة والصديقة والحبيبة، فتكون لك الأم والصديقة والحبيبة؟! أرجو أن تتفكري في كلماتي..

وعلى كلٍّ فحالة عدم التوافق وقلة الانسجام بين الزوجة و«الحماة» ـ أم الزوج ـ هي تمتد جذورها في أعماق التاريخ،وتثار دائماً في كل الأزمنة والعصور،وهذه العلاقة الهادئة أحياناً،والمتوترة في بعض الأحيان لها أسباب من ناحية الزوجة، وأخرى من ناحية أم الزوج،فالزوجة تريد أن تشعر باستقلاليتها وحريتها في إدارة بيتها، دون أن يشاركها أحد ـ عدا الزوج ـ في التوجيه واتخاذ القرار، دون أن تضع في اعتبارها أن هذا الزوج له أسرة سابقة،وله أم ربته وقدمته لها إنساناً ناضجاً منتجاً يقيم أسرة ويعولها،وأم الزوج تشعر أن زوجة الابن، قد أخذته منها واستولت عليه لنفسها، وأبعدته عن حضن أمه، وربما لها دخل كبير في ابتعاده عنها. .ثم هي من جيل والزوجة من جيل آخر. . واختلاف الأجيال أمر معروف، ودائماً ينظر الجيل

السابق إلى الجيل الحالي نظرة عدم تقبل أيضاً للأسلوب الذي كان يعيش به، وعدم حبه للتطور وقبوله للجديد.

والزوجة المسلمة التي تعي رسالتها وتفهم دورها، تقدر أم الزوج وتسعى لراحتها وتخفف عنها فراق ولدها، الذي هو الزوج، لأن ديننا يعلمنا احترام الآباء والكبار أولاً، ولأن احترام الأم وإسعادها هو الطريق إلى امتلاك قلب الزوج والحصول على مرضاته. . إن الزوجة المسلمة تعمل على إسعاد حماتها إرضاء لله أولاً، وإسعاداً للزوج ثانياً، ورجاء أن تجد من يريحها عندما تكبر في السن وتصير مكان الحماة، والزوجة المسلمة لا يليق بها أن تكثر من الشكوى، وكأنها امرأة عادية لا تلتزم بآداب الدين. . إنها يجب أن تتعامل مع أم الزوج وكأنها أمها؛ تستفيد من خبرتها وتستمع إلى نصيحتها، وتهدي إليها بعض ما تحب، وتجاملها في المناسبات وتقدرها عند ذكرها، وتعين زوجها على البر بأهله عموماً وأمه خصوصاً، ومن الطبيعي، والحماة تجد كل هذا التقدير من زوجة الابن، أن تسعى لراحتها وإسعادها، وعدم التدخل في شؤونها، وأن توصي ابنها بالحرص على راحتها وإسعادها. . إن البيت المسلم الملتزم، ليست فيه مشكلة بين الحماة وزوجة الابن.

معاملة أم الزوج وزوجة الابن:

وبالمثل يجب أن نوجه رسالة إلى أم الزوج التي يجب أن تظل على عهدها بفرحها بزواج ابنها وتكوينه لأسرة تحمل اسم العائلة، ولهذا ينبغي أن ترعى زوج ابنها، فنحن نوجه إليها رسالة أخرى.

أكتب إليك اليوم عن واجب أرجو أن تنتبهي إلى أسباب سلامته. . فكم كانت سعادتك وأنت تزفين ابنك يوم عرسه، كم كنت موفقة وأنت تؤكدين أن زوجة ابنك ستكون كابنتك. . فماذا يا سيدتي وقع بعد الزواج؟ إنها هي التي أخذتيها في صدرك والسعادة تجري في دمائك وتملأ وجهك، ثم تابعت الحب الذي كان بين الزوجين بعد زواجهما. . فماذا أغضبك من سعادة ولدك وزوجه؟ إنني يا سيدتي أعتب عليك ألا تنزليها منزلة ابنتك، فأنت تفرحين لابتسام زوج ابنتك وحنوه عليها، أفليس من واجبك أن تغمري ولدك وزوجه بهذا الذي تغمرين به ابنتك وزوجها؟

حبيبتي. . إن العدل شريعة الله، فراجعي نفسك في علاقتك بزوجة ابنك، واقرئي معاني الرحمة والمودة في كتاب الله، وأن ذوي القربى أولاهم بالمودة والمحبة. .

فالزوج هو فلذة كبدك، وأبناؤه هم أحفادك.. فاملئي قلبك بالحب للزوجة والأحفاد، حتى ينشأ البيت على أساس من النور الرباني، فالبيوت التعيسة لا يصل إليها نور مرضاة الوالدين ودعواتهما لأبنائهما وبناتهما.. فلا تحرمي بيت ولدك من دعواتك الحانية، ومودتك المثمرة، فالمال يفنى وتبقى المعاني الجميلة للحياة.. تراحم الأسرة وتوافقها، وأنت يا ابنتي العزيزة لك دور كبير في كل هذا، فلا تبحثي عن أخطاء زوجة ابنك، ولكن انصحيها، واعلمي أنها من جيل غير جيلك ومن واقع غير واقعك، فكوني لها الأم الحنون، الأخت والصديقة، وثقي أنها ستعاملك كابنتك وصديقتك، فترفرف بذلك أعلام السعادة على البيت...

وصايا للزوجة في حسن معاملة الحماة:

١- حسن معاملة أم الزوج.

٢- تشجيع زوجها على حسن معاملة أمه وصحبته لها.

٣- معرفة طبيعة شخصية أم الزوج (حساسة - غيورة - عصبية) وتفادى عيوبها.

٤- إظهار شعورك بالافتخار بها وشكرها على إعطائها لزوج صالح لك.

٥- الزيارة في المناسبات خاصة في حالة المرض.

٦- تقديم الهدايا إليها خاصة في المناسبات كالأعياد والمناسبات السارة.

٧- في حالة جلوسك في مجتمع النساء حاولي - قدر الإمكان - مدحها والثناء على صلتها بك وعلاقاتها الطيبة بزوجك وأولادك.

٨ - الدعاء لها.

٩- التماس العذر وعدم مؤاخذتها على كل ما تعلمه من صغائر الأمور.

١٠- التنازل عن بعض الأمور غير المهمة بالنسبة لك كدخول الزوج عليها أولاً في حال عودته من السفر أو الاتصال عليها.

١١- التسمية باسمها مثل تسمية البنت باسم الحماة وتدليلها وتدليعها.

١٢- مصاحبة الحماة إلى الرحلات والزيارات والمناسبات.

١٣- احترامك لها أمام الناس خاصة في مجتمع النساء.

١٤- عدم الغيرة عند قيام الزوج بالشراء لها أكثر منك أو اهتمامه بها أكثر منك.

وصايا للزوج في حسن معاملة أمه،

١- معرفة أن أمك لها عليك حق.

٢- حق أمك مقدم على حق زوجتك .

٣- شخصك مفتاح سعادتك مع أمك ومع زوجتك. . «إعطاء كل ذي حق حقه».

٤- لا تقارن بين زوجتك وأمك. . مثل أن تتمنى أن تكون زوجتك مثل أمك أو تكون أمك مثل زوجتك.

٥- افهم زوجتك وافهم أمك ولا تعمل الأشياء التي تثير أياً منهما.

٦- المحافظة على العادات والأمور التي كنت تعملها لأمك قبل زواجك حتى لا تشعر بالفراغ وأنك ضيعت حقها.

أشياء ينبغي الالتفات إليها عند معاملة الآخرين.

١- لا يوجد شخص كامل حتى أنت.

٢- كل إنسان له حسنات وسيئات.

٣- فكر قبل أن تفعل أي شيء.

٤- حاول أن تفعل الأفضل.

٥- اعمل حساب العواقب.

٦- ضع نفسك مكان الآخرين.

٧- حاول أن تكسب أحبة وأصدقاء.

٨- حاول أن تسعد الآخرين.

٩- حاول أن تكون مقبولاً.

١٠- حاول أن تكون ذا سمعة طيبة.

١١- لا تجعل حياتك مشكلة.

١٢- لا تضطر الآخرين إلى كراهيتك.

١٣- لا تتعرض للوم من الآخرين.

١٤ـ كن دائماً هادئ الأعصاب قدر الإمكان.

١٥ـ اعمل اليوم لتأخذ غداً.

١٦ـ الاستقامة خير مربح ومغنم.

١٧ـ الصحة في السعادة وهي بيدك.

١٨ـ احذر من الخطأ الأول.

١٩ـ حاول أن تشغل نفسك بما يفيد.

٢٠ ـ لا تُضع وقتك وحياتك فيما يضرك ولا ينفعك.

٢١ـ استمتع بوقتك الذي أنت فيه.

٢٢ـ كن عظيم الثقة في الله.

٢٣ـ كن صبوراً حتى تنجلي الغمة.

٢٤ـ إن مع العسر يسراً، إن مع العسر يسراً.

٢٥ـ لا تعش وسط الهمل.

٢٦ ـ تحسس غايتك وهدفك.

٢٧ـ حاسب نفسك وزن عملك قبل أن تحاسب.

٢٨ـ أوقات المرح تمر بسرعة، وأوقات الشدائد طوال.

٢٩ـ لا تكثر من لوم الآخرين أو تعنيفهم.

٣٠ ـ تعلم فن العلاقات الشخصية.

٣١ ـ ليعلم كلٌ طبيعته ودوره في الحياة.

٣٢ـ لا تسخر من الآخرين.

٣٣ـ لا تعود نفسك الكذب، أو النفاق.

٣٤ـ جدد حياتك واطرد الملل.

٣٥ـ أعدّ نفسك ولا تغفل عنها لأمر عظيم.

٣٦ـ دون بعض أخطائك ودون حسناتك.

٣٧ـ اختر الأصدقاء جيداً، فالمرء على دين خليله.

٣٨ـ إذا دعتك قدرتك إلى ظلم الناس فتذكر دعوة المظلوم وحقده.

٣٩ـ لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد.

٤٠ـ عود نفسك السيطرة والقيادة الحسنة.

اللوم من الآخرين:

قد يكون من يقع عليه اللوم سواءً أكان ذلك في شكل جمل أو كلمة مفردة دافعاً لتجنب الأخطاء فمثلاً إذا انحرف السائق بسيارته داخل ممر ضيق تسير فيه، فسوف يصيبك الغضب أثناء محاولة الابتعاد عنه قائلاً بغضب «ابتعد» أنت هنا تعمل جريمة وقد تكون بألفاظ أخرى، فهل يشعر بعد ذلك بأن عليه أن يقلع وينتبه؟:

قائمة بقوالب اللوم:

تعليمات: القائمة التالية تضم ستاً وثلاثين جملة من جمل اللوم الأكثر شيوعاً واستخداماً بين الأفراد. ضع علامة(√) على كلمة نعم إذا سبق لك أن سمعت الجملة في أي موقع وضع علامة(√) على كلمة أمام الجمل التي وجهها إليك شخص ما بشكل مباشر. وفي الحالات التي كنت فيها الفاعل الأساسي قم بتدوين ما شعرت به أسفل كلمة الشعور، تبين بعد ذلك مقدار ما أحسست به من أعمال مهينة وحاول أن تغير، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

م		الخبرة الشخصية				الشعور
١	كيف كنت بهذا الغباء ؟	نعم		صح		
٢	كيف أمكنك أن تفعل هذا الشيء ؟	نعم		صح		
٣	ألا تستطيع أن تفعل أي شيء صواب؟	نعم		صح		
٤	ألا تعرف ما تقوم بفعله؟	نعم		صح		
٥	ماذا بك؟	نعم		صح		
٦	لقد أجبرتها على المجيء.	نعم		صح		
٧	أنت تشبه أمك (أباك) تماماً.	نعم		صح		
٨	أنت عار.	نعم		صح		
٩	سوف تندم عندما أذهب.	نعم		صح		
١٠	أنت تقتلني.	نعم		صح		
١١	كان يجب عليك أن تنصت إلي.	نعم		صح		
١٢	أنت غير مجبر على أن تقوم بهذا الشيء	نعم		صح		
١٣	ألا تفهم ما أقول ؟	نعم		صح		
١٤	ألا تعلم أي شيء جيد؟	نعم		صح		
١٥	أنت غبي أحمق (أبله، مغفل، خاسر، .... الخ)	نعم		صح		
١٦	لم يكن ينبغي أن تفعل هذا الشيء.	نعم		صح		
١٧	ما الذي يشغل تفكيرك في هذا العالم؟	نعم		صح		
١٨	أنت تقودني إلى الجنون.	نعم		صح		
١٩	لقد فعلتها معك.	نعم		صح		
٢٠	عار عليك.	نعم		صح		
٢١	أنت محظوظ أني لم أطردك.	نعم		صح		
٢٢	إذا كان لديك نصف عقل، لما فعلت ذلك	نعم		صح		
٢٣	لقد حذرتك.	نعم		صح		
٢٤	ألا تنصت أبداً ؟	نعم		صح		
٢٥	انظر ماذا فعلت.	نعم		صح		
٢٦	ألا تعرف قدرك؟	نعم		صح		
٢٧	لقد أخبرتك منذ زمن طويل بألا تفعل ذلك.	نعم		صح		
٢٨	من علمك ذلك ؟	نعم		صح		
٢٩	هل تربيت في حظيرة؟	نعم		صح		
٣٠	لقد أخبرتك ذلك.	نعم		صح		
٣١	أنت مجنون.	نعم		صح		

٣٢	إن ما يحدث من حولنا ما هو كائن بالفعل.	نعم		صح		
٣٣	أنت لا تعرف مع من تتعامل.	نعم		صح		
٣٤	ماذا أمثل لك؟ طعام فاسد؟	نعم		صح		
٣٥	أنت لا تعرف ما تتحدث بشأنه.	نعم		صح		
٣٦	لماذا لا تنصت إلى صوت العقل؟	نعم		صح		

اعرف نفسك بنفسك واعرف شعور الناس عنك وحاول أن تجتنب اللوم.

إن الثقافة والشعور الداخلي يتعامل بقوة مع قوالب اللوم، ولكن بشكل خفي يكمن في مدلول المعاني التي تغلفها بعض العبارات والأسئلة المعتادة، على الرغم من أن هذا ليس اختباراً رسمياً مقدماً بطريقة علمية، إلا أنه يمكنك أن تستغل سماعك لعبارات اللوم المألوفة لزيادة إدراكك لقوالب اللوم الشائعة، وهكذا يمكنك أن تفهم المعاني الكامنة ومدلولها والتأثير الذي تحدثه، مع الأخذ في الاعتبار كم المعلومات الأخرى فإنك تستطيع أن تطبق دور اللوم في حياتك، وأن تحدد فرص التغيير الإيجابية التي تستهدف تحقيقها.

المسؤولية الاجتماعية للأسرة:

منذ أن خلق الله ـ جلت حكمته ـ الإنسان، ألقى على عاتقه مسؤوليات وتبعات لاستخلافه في الأرض، وجعل له منهجاً إلهياً يسير عليه؛ حتى لا يتخبط في ظلمات الجهل، ويعرف أن للحياة التي يعيشها أهدافاً وغايات، عليه أن يسعى تجاهها، وله حقوق وعليه واجبات مشتركة مع بني جنسه؛ فلا يشعر بعبثية الحياة وفوضويتها، وهي نفس المشاعر التي تتولد في النفس الإنسانية عندما تعيش بلا هدف سام.

أنشأ الله الإنسان وكلفه تبعات عديدة نحو نفسه ونحو ربه ونحو قومه، غير أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش فريداً في هذه الحياة.. فهو كائن اجتماعي من الدرجة الأولى، وهو ما حدا بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام إلى أن يجعل أفئدة من الناس تهوي إلى أسرته التي تركها وحيدة في الصحراء: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾(إبراهيم: ٣٧).

والقارئ في شعر أبي العلاء المعري يستطيع أن يستشعر هذه الروح الجمعية التي تأبى التفرد والعزلة حتى في النعيم الموعود، ويظهر هذا جلياً في بيتين من أروع ما

كتب في هذا السياق، حيث يقول:

ولو أني حُبيتُ الخُلْــدَ فَرْداً   لَمَا أحبَبْتُ بالخُـلد انفــرادا
فلا هطلت عليَّ ولا بأرضي   سَحَائـبُ لَيْس تَنْتَظِم البلادا

وهذه النزعة الإنسانية التي تنضح برهافة الحس ورقة الشعور، وقوة الإحساس بالضمير الجمعي والمسئولية الاجتماعية جعلت هذا الشاعر يسطر أبياتاً تدعم رؤيته الإنسانية هذه؛ التي قوامها مسئولية اجتماعية واعية وإحساس مرهف ببني جلدته، كما جاء في قصيدته المشهورة في رثاء الفقيه الحنفي، حيث يقول:

خَفّفِ الوطْءَ ما أظُنّ أديمَ الأرض   إلا مــن هــذه الأجساد
وقبيــح بنــا وإن قــدم العـهد   هَـوانُ الآبـاء والأجــداد
سِرْ إن استطعتَ في الهواء رُوَيْداً   لا اختيالاً على رُفات العباد

إن رقة شعور هذا الشاعر الواعي بمسؤليته تجاه بني جلدته تصل إلى ذروتها عندما تتجسد في هذه المشاعر الفياضة نحو الراحلين، أياً كان هؤلاء الراحلون؛ حتى تراه يتحرج من مجرد الخطو الهيِّن على وجه الأرض؛ حتى يقضي على أية بادرة من خيلاء يوحي بها الخطو الإنساني.

وكان من منهج الله للبشر اجتماعُ البشر إلى البشر؛ لأن الشيطان أقربُ من الواحد منه إلى الاثنين، كما قال نبي الإسلام ﷺ، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ (الصف: ٤) أي: متآلفين في جماعة؛ والله قد سنَّ صلاة الجماعة، وأكد عليها، وجعل من شرط قبولها إتمامها في جماعة، تأكيداً لروح الجماعة ونبذا للفرقة والانعزالية؛ لأن الإنسان بكل بساطة قليلٌ بنفسه، كثيرٌ بإخوانه.

المسئولية الاجتماعية من وجهة النظر الإسلامية جعلت للفرد حقوقاً وواجبات نحو قومه. ومن أهم هذه الحقوق إفشاء السلام، فهذا رسول الله ﷺ يقول: «**ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: أفشوا السلام بينكم**».
فما من قيمة أعظم من قيمة السلام على الأرض، والوئام بين الأنام، والتي تتحقق بين الأفراد بإفشاء السلام.

إن معدن الإنسان وأرُومته يظهران على أصالتها في التجاوب السلمي مع إخوانه،

فالرسول يرشدنا إلى أنه لا يحق لأي امرئ أن يهجر أخاه فوق ثلاث، ويوضح لنا أن أعمالنا لا تصعد إلى السماء ما دام بين المرء وأخيه به شحناء وخصام، وأن خير اثنين يتخاصمان من يبدأ بالسلام. وحتى وإن كان هذا السلام ظاهرياً فالله يؤكده، وهو يوبخ أيما امرئ يظن أن مسلماً يُلقي إليه السلام تظاهرا أو رياء وفي حقيقة أمره يظهر له الشر، حتى وإن كان هذا صدقاً: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ﴾(النساء: ٩٤) وبهذا كان حرياً بالتربية ورجالها ومؤسساتها أن تنمي وتدعم هذا الحس الإنساني الصافي.

ومن مسؤولية الإنسان نحو جماعته الدفاع عنها وقت الحرب، ولهذا شرع الله الجهاد. والإسلام أعطى البشرية مفهوماً جديداً للجهاد باعتباره وسيلة للسلم لا الحرب، فإذا اعتدى العدو فلا مفر للمسلمين من ان يواجهوا الأمر بحسم واقتدار﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ (البقرة: ٢١٦)، ولكنهم من منطلق مسؤوليتهم الاجتماعية، نحو قومهم فحسب، بل نحو المجتمع البشري بأسره، كانوا لا يقتلون مُدْبراً، ولا يتعرضون لشيخ ولا طفل ولا امرأة ولا راهب في صومعته، ولا يقطعون شجرة، وكانوا يعلنون الخصم قبل القتال بوقت كاف، ويوفون بالعهد ويحترمون الذمم والمواثيق، وكانوا إذا انسحبوا ردوا للناس جزيتهم. ومن ذلك أنه عندما شعر الفاتحون المسلمون بأن الروم تجهزوا في الشمال بحملة لا تقوى على صدها الحامية العربية المقيمة في حمص، قرروا الانسحاب، بيد أنهم قبل أن ينسحبوا دعا قائدهم كبار الأهالي ورجال الدين وعرض عليهم أن يأخذوا ما جبي منهم جزية، فقالوا: «والله إن الروم لو أنهم جبوا منا الأموال الأميرية واضطروا إلى مثل ما اضطررتم إليه ما أعادوا إلينا ديناراً واحداً مع ما بيننا من وحدة الدين، وإن حكومة فيها هذه الرحمة والإنصاف لانرضى عنها بديلاً ونحن مستعدون للوقوف إلى صفكم ومقاتلة الروم»

وخطاب الرسول ﷺ : «كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته» يوجز لنا مسؤولية كل فرد نحو جماعته التي ينتمي إليها. وتفصيل ذلك أن الحاكم راع ومسئول عن رعيته، والأم راعية ومسؤولة عن رعيتها، كما أن الكاتب مستأمن على كلمته، ومن مسؤليته نحو مجتمعه توضيح الحقائق ما دام ذلك للصالح العام، وكذا كل فرد في مهنته راع ومسؤول عن رعيته.

دور الأسرة في القضايا الاجتماعية والسياسية والدعوية:

دور الأسرة في التربية السياسية:

ليست التربية السياسية أمراً جديداً على الحياة الحضارية للأمم، وإنما هي أمر قديم ارتبط بحياة الشعوب منذ القدم، لأن السياسة ما هي إلا تدبير أمور حياة الناس ومعاشهم بما يسودها من قيم ومعايير توجه العلاقة بين الحاكم والمحكومين، أو بين الراعي والرعية، وذلك باشتقاق مجموعة من الموجهات والمعايير والقيم من مصادرها الأساسية المتمثلة في النظام الاجتماعي والسياسي للأمة، وفلسفة الحكم واستقراء ماضي الأمة وفحص حاضرها وامتحانه وتصور مستقبلها في سياق علاقاتها المتنوعة مع غيرها من الأمم.

وربما يكون الاهتمام بالتربية السياسية في العصر الحديث قد اكتسب عمقاً ووضوحاً وإلحاحاً عقب الثورة الطلابية التي اجتاحت العالم في ربيع عام ١٩٦٨م. وتجلى هذا الاهتمام في ظهور دراسات علمية رصينة في مجالات العلوم السياسية والاجتماع السياسي، حيث ركزت على إعادة تحديد كثير من المفاهيم والعمليات والاجراءات المرتبطة بالتربية السياسية.

ولما كانت التربية والتعليم يمثلان أداة المجتمع في بناء وتكوين أفراده على أساس من توجهاته المستمدة من نسيجه الثقافي الممتد إلى عمق التاريخ والمستشرف للمستقبل بما يحمله من متغيرات، فإن التربية السياسية احتلت في العصر الحديث عند غالبية الأمم، على اختلاف نظمها السياسية والاجتماعية،مكانة بارزة في تربية وتعليم وتدريب الصغار والكبار على السواء، وخصوصاً في المجتمعات التي تتخذ من الديمقراطية السياسية فلسفة للحكم.

والتربية السياسية عادة ما تتمثل في المجهودات الخاصة التي ينظمها ويقوم بها المجتمع ليساعد أبناءه على استيعاب الواقع استيعاباً موضوعياً ناقداً يتيح لهم التحرك في مجتمعهم نحو صياغة جديدة للحياة تحقق للجماهير واقعاً أفضل،ولا تستقيم هذه الجهود إلا من خلال نسق من القيم والمعايير الثابتة من النظام السياسي للمجتمع ينتقل متطوراً من جيل إلى جيل.

ولا يقتصر تحقيق التربية السياسية على المؤسسات التعليمية التي تبدأ من رياض الأطفال إلى التعليم العالي والجامعي، وإنما يتجاوزها إلى جميع مؤسسات المجتمع

العاملة فيه من مؤسسات إعلامية ودينية ورياضية واجتماعية ومكونات بيئية، فكلها تعد مصادر ووسائل في وقت واحد للتربية السياسية الفاعلة في تكوين الشخصية، وذلك من خلال تفاعلها وتعاملها اليومي، سواء عن وعي أو عن غير وعي، وعندما تصبح التربية السياسية عملية منظمة لها موجهاتها وأهدافها ووسائل تحقيقها، تعد عاملاً مهماً في جعل التنشئة السياسية ـ المستمرة باستمرار حياة الإنسان ـ ذات أهمية، ومغزى وفائدة لكل من الفرد والمجتمع.

وتختلف التربية السياسية بمعناها الذي قدمنا عن التلقين السياسي، أو التسييس، حيث يهتم الأخير بتلقين الفرد مجموعة من المعتقدات والاتجاهات والقيم السياسية التي تنتمي إلى عقيدة سياسية وبيئية معينة، وذلك بهدف تكوين اتجاه عام قوي مؤيد لتلك العقيدة السياسية، تحقيقاً لقوى بشرية تساندها والإيهام بوجود إجماع يؤيدها، ولا يسمح في هذه الحال بالمناقشة أو النقد أو الاعتراض، أو ممارسة أي سلوك ديمقراطي مبني على الاختيار، واحترام الآخرين، وتقبل النقد. وهذا التسييس استخدم في كثير من النظم السياسية من خلال التعليم والتلقين السياسي، استخداماً استراتيجياً، مثل النظام النازي، وإن كان يبدو محققاً لهدفه في بناء النظام النازي في وقت قياسي، ولكنه في الوقت ذاته ـ ومن وجهة النظر الديمقراطية ـ استُخدم في هدم وتقويض المجتمع الألماني المتحضر.

ويمكن تحقيق التربية السياسية من خلال الإجراءات التي تتبع في الأسرة والوسائط الاجتماعية الأخرى على النحو الآتي:

- التدريب المكثف والدائم على النقد العلمي.
- التدريب الواعي على التمسك بأداء الواجبات والحقوق.
- التدريب على تقبل آراء الآخرين ومناقشتها دون تعصب أو انحياز.
- التعاون مع الآخرين في أداء العمل السياسي والاجتماعي داخل المؤسسة التعليمية وغيرها من المؤسسات الاجتماعية الأخرى.
- التدريب على اكتساب القدرة على تكوين رأي مستقل، بناءً على ما يقدر على اكتسابه من معلومات وحقائق لازمة لتأسيس وجهة نظر جديدة.
- التدريب على احترام كرامة الآخرين وحريتهم في الفكر والمعتقد[1].

---

(١) عواطف أبو العلا، التربية السياسية للشباب، ودور التربية الرياضية، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر د.ت.

التوجه الإيماني للأسرة:

ولقد فطن علماء التربية والأخلاق مؤخراً إلى أهمية التربية الدينية الروحية وأثرها في إصلاح سلوك الأفراد، وتقويم اعوجاج النفوس بعد التجربة المريرة التي خاضتها الشعوب حين نشروا العلمانية والإلحاد، فوقعوا في كثير من الأمراض الاجتماعية، وكثرة الجرائم، وانحلال الأخلاق، وعلموا أنه ما من سبيل للإصلاح إلا بالتربية الإيمانية والاهتمام بالجانب الروحي، حتى تعيش الفضائل، ويعرف الخير من الشر، وينعم المجتمع بالقيم والأخلاق الحميدة، كل ذلك قد وصّى به الدين الإسلامي الحنيف في تربية الأولاد على العقيدة الصحيحة وربطهم بخالقهم. وليس أدل على ذلك من بيان طريقة القرآن ومنهجه في تربية الأسس العقائدية الصحيحة في منهج تربية لقمان لابنه إذ بدأ بعرض عقيدة التوحيد بنهيه عن الشرك ووصفه بالظلم العظيم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣).

ويتبع ذلك بذكر أوصاف يصور بها عظمة الله وعلمه وشمول قدرته وقوته على سائر خلقه فقال: ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾(لقمان: ١٦).

وبعد انتهائه من أمر العقيدة يرشد إلى تحقيق معاني العبودية المترتبة على الاعتقاد بوحدانية الله وهي الصلاة وعمل الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجملة الآداب والفضائل الخلقية الحميدة من صبر وتواضع وتسامح ولين ورفق. فقال تعالى: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾(لقمان: ١٧ ـ ١٩).

والملاحظ في التربية الإسلامية أنها تربط بين التربية الروحية وبين التربية الخلقية وسلوك الإنسان في الحياة الاجتماعية بوجه عام، وهذه الوصية القرآنية خير ما تقدمها الأم لأبنائها وتدربهم عليها وهي مسؤولة عنه باعتبارها المحضن الأساسي للطفل منذ ولادته إلى أن يشب ويكبر. فهي تتولى شؤونه وأموره صغيرها وكبيرها وتراقب تصرفاته، بل هي القدوة الأساسية أمامه، فالطفل مقلد بارع يتبع ما يراه

واقعه، لذا وجب على الأم أن تكون قدوة صالحة ذات سلوك مستقيم فيباشر الطفل بنفسه الاقتداء بها.

فعن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال: دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا؟ فقالت: هاك تعال أعطك! فقال رسول الله ﷺ: «**وما أردت أن تعطيه؟**» قالت: أردت أن أعطيه تمراً. فقال لها رسول الله ﷺ: «**أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة**»(١).

إنها تصرفات يسيرة في الظاهر ولكنها عميقة التأثير في السلوك، فقد خشي رسول الله ﷺ أن تكون الأم كاذبة، وأنها تستدرج ابنها كما تفعل بعض الأمهات الجاهلات بدين الله، فأراد أن يتأكد من صدقها لعلمه ما سيترك ذلك من أثر في نفسية الطفل البيضاء النقية، لأنه سيتعلم الكذب بالتقليد والإيحاء، وتصبح عادة الكذب لديه مستحكمة. والإنسان كما نعلم ربّي الأمة الإسلامية على الصدق ونهاها عن الكذب حتى في المزاح وهكذا في بقية الأخلاق الإسلامية والفضائل الحميدة نرى أن القدوة الصالحة لها أثر كبير في تعلم الطفل وتربيته وتدريبه على التمسك بمختلف الكمالات الخلقية.

فعلى الأم أن تكون ذات عقيدة صحيحة، سليمة من الانحرافات مؤمنة تطبق أركان الإيمان وتؤدي شعائر الإسلام، وتلتزم بالأخلاق الإسلامية الحميدة حتى تكون خير قدوة لأبنائها في تربيتهم التربية الإيمانية والخلقية الصحيحة، فالعقيدة هي أساس حياة الإنسان عليها يبني السلوك والأخلاق والميول والاتجاهات، فمن واجبها أن تتعهد أبناءها بغرس الأصول الإيمانية في نفوسهم عن طريقة الموعظة والقصة لأن الأطفال في صغرهم يرغبون في أسلوب القصص لما فيها من عنصر التشويق والإثارة، فبدلاً من أن تحكي لهم قصص الخرافات والغرائب عليها أن تقص عليهم قصصاً صحيحة من القرآن الكريم وسير الرسل والأنبياء الكرام وقصص الأبطال والعظماء من الصحابة والتابعين ورجال السلف الكرام، حتى يتعمق في ذهن الطفل حب هؤلاء والاقتداء بهم.

وعليها أن تتوخاهم بالنصيحة والإرشاد في أوقات مناسبة بأسلوب يناسب سنّهم ومستواهم في الإدراك، وخير مثل يضربه لنا رسول الله ﷺ في تعهده للصغار

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب التشديد في الكذب ج٣، ص ٣٣٥. وقال المنذري: مولى عبد الله مجهول.

بالموعظة ما رواه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً، فقال: **«يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإذا اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام وجفت الصحف»**(١).

يدل هذا الحديث على عنايته التامة بتربية الأطفال وتغذية نفوسهم بالعقائد الإسلامية وغرس الأعمال الصالحة في نفوسهم لينشأوا نشأة حسنة علماء بدينهم، عاملين بتعاليمه، حريصين على حسن أدائها حتى إذا كبروا كانوا مرجعاً لغيرهم كما كان شأن عبد الله بن عباس وغيره من الصحابة الأجلاء الذين كانوا نعم الموئل والملجأ للمسلمين بعد النبي ﷺ(٢).

وعلى الأم أن تعلم أبناءها الفرائض الواجبة على كل مسلم حسب تطوره في السن. فالصلاة يؤمر بها ابن السابعة كما بين رسول الله ﷺ في قوله: **«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع»**(٣).

يقول صاحب عون المعبود في شرح الحديث: **«مروا»** من الأمر **«أولادكم»** يشمل الذكور والإناث، **«وهم أبناء سبع»** ليعتادوا أو يستأنسوا بها **«واضربوهم وهم أبناء عشر»** لأنهم بلغوا أو قاربوا البلوغ **«وفرقوا بينهم في المضاجع»** أي المراقد، قال المناوي في فتح القدير: أي فرقوا بين أولادكم في مضاجعهم التي ينامون فيها إذا بلغوا عشراً، حذراً من غوائل الشهوة. وإن كنّ أخوات قال الطيبي: (جمع بين الأمر بالصلاة والتفرقة بينهم في المضاجع في الطفولية تأديباً لهم، ومحافظة لأمر الله كله، وتعليماً لهم المعاشرة بين الخلق، وألا يقفوا مواقف التهم فيجتنبوا المحارم)(٤).

إن دقائق التربية وأسرارها بالمعنى الصحيح لا تتكامل إلا في «التربية الإسلامية»

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، كتاب صفة القيامة ج ٧، ص ٢١٩. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) د. كامل سلامة الدقس، من الأدب النبوي، ص ١٤٩.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، كتاب الصلاة باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ج٢، ص ١٦٢. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية ج ٢، ص ١٦١-١٦٢.

التي جمعت بين خصائص الروح والجسد، وقدمت للإنسانية نموذجاً ليس له مثيل مهما وضع العلماء من نظريات وجاؤوا بفلسفات فإنها لن تصل إلى كمال وجمال التربية الإسلامية الأصيلة.

هذا ما يجب على الأم تعلمه والعمل به، فإنها لو اتخذت من أسلوب ومنهج التربية الإسلامية منهاجاً لها وطريقة مثلى لتعليم صغارها، فإنها ستصل حتماً في النهاية إلى إعداد جيل سليم متكامل.

وكذلك يجب عليها في كل الفروض الباقية، أن تحبب إليهم أداءها على حسب طاقاتهم وسني أعمارهم (كالصيام) فتدربهم عليه وكذلك إخراج الزكاة والصدقة المفروضة وغيرها من العبادات كالدعاء وقراءة القرآن وحفظه والتدبر في معانيه وتطبيق ما جاء فيه من أوامر، واجتناب ما ورد فيه من نواه، وعلى الأم أن تعوّد أبناءها على خلق الحياء لأن «الحياء لا يأتي إلا بخير»[1].

وعليها تدريب ابنتها على الاحتشام في الملبس والمظهر حتى تتعود على ذلك، فتنشأ مهذبة محبة للتستر والحجاب، فإذا ما وصلت سن البلوغ تقوم بما فرض الله عليها من حجاب برضا وسعادة، وكذلك كل خلق إسلامي يجب على الأم أن تحببه إلى نفوس أبنائها، وتدربهم على التحلي به في السلوك والمعاملات وتحذرهم من الرذائل الخلقية وآثارها حتى يستطيع الأولاد التميز بين الخير والشر والفضيلة والرذيلة، فالأخلاق ثمرة العقيدة والعبادة الصحيحة تظهر آثارها في السلوك. قال تعالى في وصف نبيه الكريم: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(القلم: ٤).

فالأم هي المدرسة الأولى يتعلم فيها الأبناء أول دروس الحياة. وهي القدوة المثلى أمامهم فيجب أن تتحلى بالأخلاق الفاضلة وتتمسك بالآداب الإسلامية فيوافق النصح بالكلام التطبيقي العملي فتعلمهم آداب الاستئذان داخل البيت وخارجه والتحية وآداب الكلام واحترام الكبير والعطف على الصغير وإكرام الضيف ومساعدة الجار والعطف على الفقراء والمساكين وإغاثة الملهوف ومساعدة المحتاج وبر الوالدين وصلة الرحم والصدق والأمانة والإيثار والحلم والصبر والعفو والتواضع والجرأة الأدبية والدفاع عن الحق والجهاد وبذل النفس والمال في سبيل إعلاء كلمة الحق، وتنهاهم عن رذائل الأخلاق كالكذب والنميمة والسرقة والسخرية والغرور ـ والكبر والسباب والشتم

(١) صحيح البخاري،كتاب الأدب، باب الحياء ج ٨، ص٣٥ .

والقسوة والجبن والخوف والجور.

وإليك بعض الأدلة من القرآن والسنة على الآداب الإسلامية لتكون مرجعاً للأم في تعلمها وتعليمها فمنها آداب الاستئذان.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(النور: ٥٨، ٥٩).

هذه جملة آداب الاستئذان أوردها الله سبحانه وتعالى ليتأدب المسلمون بها، ويؤدبوا أبناءهم وخدمَهُم عليها داخل البيوت والمساكن.

وقد سمى الله سبحانه وتعالى هذه الأوقات «بعورات ثلاث» لانكشاف العورة فيها، لذلك وجب تعليم الأبناء والبنات آداب الاستئذان من أول بدايات الوعي والإدراك لديهم، حتى لا تقع أعينُهم على ما يكره النظر إليه من عورتي الأبوين.

وهذا الأدب يغفلُ عنه كثير من الآباء والأمّهات في حياتهم المنزلية، فيجبُ عليهم الأخذ بهذه الآداب وتأديب الأولاد عليها والتقيد بها.

دورة الأسرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن مناهج التربية التي لا تدرك الغاية من وجود الإنسان لا تستطيع أن تسهم في إعداده لوظيفته وتحقيق غاية وجوده، ومن ثم تحدث خللاً في فطرة الإنسان، ولا تعده لأداء وظيفته في عمارة الأرض.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينبغي أن يكون واحداً من أهم أهداف المنهج، وهذا الهدف هو «صفة» أمة الإسلام، وهو في الوقت ذاته «وظيفة» هذه الأمة، وسيلها إلى تحقيق بقية أهداف المنهج.

فالله سبحانه وتعالى يصف الأمة المسلمة، ليعرفها مكانها وحقيقتها، ويطمئنها من جانب عدوها: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(آل عمران. ١١٠).

وبناءً على ذلك فلابد أن يسعى المنهج إلى تربية أبناء الأمة على صيانة الحياة من

الشر والفساد، على أن تكون لهم القوة التي تمكنهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تكون وظيفتهم في الحياة إعمار الأرض، فإعمار الأرض يقتضي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفق منهج الله تعالى، فهذه وظيفة الإنسان في الأرض كما قررها خالقه سبحانه، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(آل عمران: ١٠٤).

فلابد من جماعة تدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، كي تستقيم الحياة، وهذه إحدى مهام المنهج، وأحد الأهداف المرجو تحقيقها من خلال المناهج الدراسية؛ إذ يجب على المنهج أن يُنَشِّئَ المتعلمين على الإيجابية، والتخلي عن السلبية وإصلاح المعْوَجّ، شريطة أن يؤدوا واجبهم هذا بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يسيروا في ذلك على نهج رسول الله ﷺ: «بشروا ولا تنفروا»، وأن يكون منهجهم في ذلك: «أصلح نفسك، وادعُ غيرك».

وقد يتصور البعض ـ خطأ ـ أن تنشئة الفرد على الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما تتحقق بدراسة بعض النصوص الشرعية وبعض المعارف، بَيْد أن الأمر لا يتحقق على الوجه المنشود إلا بالممارسة، وهذه الممارسة تقتضي التوسع في الأنشطة المدرسية، لتبوأ مكانتها بوصفها عنصراً من أهم عناصر المنهج، فيمارس التلاميذ من خلال هذه الأنشطة واجبهم نحو الدعوة، ويحبونه، ويصبح جزءاً من كيانهم، يرتبطون به ولا ينفصلون عنه أبداً.

ويمكن تحقيق ذلك من خلال تكوين جماعات النشاط الديني، ومن هذه الجماعات:

ـ **جماعة الإرشاد:** ومهمتها نشر الآداب الإسلامية، وفصل الخصومات وما قد يطرأ من منازعات بين الرفاق، وتُختار هذه الجماعة من بين التلاميذ المعروفين بسلوكهم القويم وأخلاقهم الرفيعة، وعلى أعضاء هذه الجماعة ملاحظة سلوك زملائهم أثناء الفُسح وخلال الحصص في الفصول، وتوجيههم إلى الخُلُق الكريم والسلوك الطيب والتزام الآداب الدينية، وذلك بالحسنى واللين والمودة والرفق وحسن التصرف.

ومما لاشك فيه أن لوجود هذه الجماعة آثاره الطيبة في جعل المدرسة مجتمعاً نقيًا، وفي بناء شخصية التلميذ بناءً صحيحاً متيناً، ليكون عضواً فعالاً صالحاً في مجتمعه.

- **جماعة البر**: وتقوم بتلقي التبرعات من التلاميذ والآباء وغيرهم، لمساعدة المحتاجين من التلاميذ أو العاملين بالمدرسة أو اليتامى في المؤسسات الخاصة بهم، وذلك بتقديم معونات نقدية أو عينية كالأطعمة والملابس والأدوات المدرسية.

وينبغي أن يُختار أفراد هذه الجماعة من المعروفين بالنزاهة والرقة وحسن التصرف، وأن يتم التبرع والإنفاق بموجب «وصل» يحرر بقيمة المبلغ المالي، وذلك تحت إشراف دقيق من إدارة المدرسة.

- **جماعة الصحافة الدينية**: ومهمتها إنتاج صحف دينية جدارية على مستوى الفصل والمدرسة، وإنتاج مجلة مدرسية تهتم بالبحوث الدينية، والإسهام بكتابة مقالات أو موضوعات دينية تنشر في هذه المجالات.

- **جماعة إحياء المناسبات الدينية**: وتختار من التلاميذ ذوي المواهب الاجتماعية والثقافية، ومهمتها: الاحتفال بالمناسبات الدينية، كالهجرة والمولد النبوي الشريف، وليلة الإسراء والمعراج، وشهر رمضان وغزوة بدر، وليلة القدر، وعيد الفطر، وعيد الأضحى.. إلخ، وذلك بإقامة الحفلات والندوات والمؤتمرات.

- **جماعة مقاومة العادات الضارة والانحرافات**: وذلك بعقد الندوات والمحاضرات وعمل لوحات للتوعية بأضرار التدخين والتلوث البيئي والإدمان وغير ذلك من العادات السيئة.

- **جماعة المحافظة على القرآن الكريم**: وتقوم بتحفيظ القرآن الكريم، وعقد المسابقات للتنافس في ذلك، وتعليم زملائهم كيفية تلاوة القرآن الكريم.

- **جماعة الثقافة الدينية**: ومهمتها تشجيع التلاميذ على قراءة الكتب الدينية المناسبة لقدراتهم، وحفظ ما يمكن حفظه من القرآن الكريم والحديث الشريف، وعقد ندوات دينية، وإلقاء المحاضرات وإقامة مناظرات، وتقديم مسرحيات وتمثيليات دينية، ودعوة أولياء الأمور لمشاهدتها، وجمع قصاصات وصفحات من الصحف ترتبط بالموضوعات الدينية، وكتابة تراجم وبحوث عن بعض الشخصيات الإسلامية ورجال الإصلاح البارزين.

- **جماعة المسجد والمكتبة الدينية**: ووظيفتها المحافظة على نظافة مسجد المدرسة، وإقامة الأذان في المسجد، ودعوة التلاميذ لأداء الصلاة، والإشراف على المكتبة الدينية بالمسجد، وتزويدها بالكتب والأشرطة اللازمة، والتعريف بها، وتنظيم عملية الاستعارة

والإشراف عليها، وتنفيذ مجلة المسجد.

ـ **جماعة الخطابة الدينية**: ومهمتها تدريب الخطباء على التحدث وإتقان فن الخطابة.

ـ **قوافل الدعوة**: وهي عبارة عن مجموعات من التلاميذ الذين يجيدون فن الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، يتحولون في أثناء الفسحة فيدعون زملاءهم إلى الفضيلة برفق ولين، ويُقَوِّمون السلوكيات السلبية بالحسنى.

البيت أم الدعوة

تتردد أسئلة كثيرة على ألسنة الناس بالنسبة للمرأة المسلمة، تقول: هل نقول أيهما أولى: البيت ورعاية شؤونه والاهتمام بالزوج والأولاد، خصوصاً في السنوات الأولى من الزواج والأبناء لا يزالون صغاراً يحتاجون إلى رعاية زائدة، أم متطلبات الدعوة إلى الله والعمل في المساجد وفي المجالات الاجتماعية والإنسانية؟! بين هذين الرأيين، تتأرجح آراء الأخوات الداعيات، والفريق الذي يؤيد الرأي الأول وهو الاهتمام بالبيت أولاً وتنشئته على أسس الإسلام ومبادئ الدين، وأن هذا هو واجب المرأة الأول، ينسى أن واجب الدعوة إلى الله يأتي على قمة سلم الأولويات بالنسبة للمرأة الملتزمة الواعية، وأن المشاركة في أداء هذا الواجب، لا تعنى بالضرورة التفرغ له وترك البيت وإهماله والنشاط المكثف في المساجد أو الأعمال الخيرية والاجتماعية، ولكن الأخت الداعية تستطيع أن تشارك بما يتيسر لها من الجهد والوقت، وربما أدت بعض دورها ومسؤوليتها من خلال علاقاتها الأسرية والاجتماعية وصلتها بمن حولها..

أما الفريق الآخر، الذي يرى ضرورة البذل والتضحية في مجال الدعوة والعمل الإسلامي، وأنه من الطبيعي أن يتأثر البيت والاهتمام بالزوج والأولاد، ما دام ذلك في مصلحة الدين والأمة والوطن وبالتالي تتحول الأخت الداعية إلى شعلة نشاط في مجال الدعوة والعمل العام،وتستغرق فيه،وربما أهملت واجباتها نحو بيتها وأسرتها، هذا الفريق الذي أدرك ما يحيط بالأمة من أزمات ومؤامرات وخطورة دور المرأة المسلمة في هذه المرحلة، عليه أن يوازن بين متطلبات الدعوة وواجبات البيت والأولاد والزوج.

إن الأخت الداعية المتزوجة لا تستطيع أن تؤدي دورها في إقامة بيتها على

الإسلام بشكل صحيح ما لم تشارك في العمل الإسلامي، كما أن الأخت التي تبذل وتضحي في سبيل الدعوة إلى الله لا تستطيع ان تؤدي هذه الرسالة ما لم تكن مستقرة في بيتها، وما لم يكن بيتها قدوة لما تدعو إليه، فالتوازن بين متطلبات الدعوة إلى الله وبين الواجبات الأسرية أمر مطلوب.

والمرأة اليوم في الدول الإسلامية وغيرها تخرج للعمل وتوفق بينه وبين بيتها وفي غير الدول الإسلامية تخرج وتحارب إذا لزم الأمر، وقد كانت المرأة المسلمة في عهد الرسول وصحابته لها أربع مهام في خدمة الدعوة.

أولها: التسهيلات من طعام وعتاد وغيره والتحريض على الثبات والقتال.

ثانيها: التمريض، حيث كانت رفيدة وزميلاتها تعمل في مستشفيات الميدان.

ثالثاً: رد القادرين وتذكيرهم بالله وحضهم على رد هجمات المشركين دفاع عن الأعراض.

رابعاً: القتال إذا لزم الأمر، وقد اشتهر في الحروب كثيرات كن يجاهدن في سبيل الله تعالى منهن نسيبة التي كان ﷺ يقول: **«ما التفت يميناً أو شمالاً إلا وجدتها تقاتل دوني، وعلى هذا فنساؤنا قد قمن بالعمل الكثير في سبيل الدعوة، وكن يربين أولادهن تربية عظيمة، وكانوا هم التابعين بعد الصحابة»**.

دور الأسرة في قضايا المجتمع:

وليس المجتمع تلك الأندية والمجلس والحفلات التي يختلط فيها الرجال بالنساء في غير ورع أو قيود بل المجتمع هو البيئة التي تحيط بك، والتقاليد التي تنظم علاقة كل شيء فيه بعضه ببعض.. فعلى الأخت المسلمة الكريمة أن تساهم في بناء المجتمع على التقاليد الصالحة والعرف الذي يحرس الفضيلة ويثمر التعاون على البر والتقوى.

١ـ عليها أن تقاطع كل ما في المجتمع من مساوئ التبرج واللقاء في حفلات الرقص والخمر والميسر والملاهي الماجنة وما يسمى بحفلات الإحسان تلك التي ينثر فيها الرجال تبرعاتهم تحت تأثير ما يسلط عليهم من سحر المرأة وزينتها فيما يشبه الغزل والمعابثة.. ذلك ونحوه رجس من عمل الشيطان يجب عليها مقاطعته والعمل على تطهير المجتمع من وصمته المخزية بالتنفير منه، وبذل بالنصح والموعظة لمن تغشينه.

٢ـ أن تعمل على بث الأفكار الناضجة، والمبادئ القويمة في أذهان بنات جنسها مثقفات كن أو غير مثقفات.

فأولئك المثقفات اللائي يجرين وراء الاشتغال بالسياسة ونحوها، تافهات مقلدات، وهن في مجتمعنا كالفقاعات الحائرة الفارغة لا أثر لها إلا خفة الثوب هنا وهناك في ألوان الطيف التي تزينها. ولو أن كلاً منهن فقهت رسالتها الخطيرة، وامتلأ ذهنها بالحقائق الصادقة والمعاني السديدة لوجدت في محيطها النسوي من الأعمال الجليلة ما يعلي ذكره بين أهل الأرض والسماء.

وفي محيط غير المثقفات ملايين من نساء الطبقة الشعبية في أشد الحاجة إلى من يرشدهن ويثقف عقولهن وقلوبهن، وبما يطهر النفوس ويزيل الجهل والخرافة، وتعلم قواعد النظافة والصحة ومبادئ التمريض وتفصيل الملابس وإعدادها، وتدبير ميزانية البيت، على وجه سديد، وكيفية التغلب على أزمات الغلاء والدخل الصغير وبطالة الزوج أو الكفيل. هذا ونحوه لا ينهض به إلا جماعات من الفضليات، فعلى الأخت الكريمة أن توليه أكبر قسط من عنايتها ما وجدت إليه سبيلاً. وحبذا لو فقهت المثقفات أن ذلك خير وأنفع وأكرم من تدبير المظاهرات والتزاحم على منصات الخطاب لوعظ الرجال في الوطن والوطنية.

ونريد للأخت المسلمة أن يكون سلوكها العام والخاص، وتصرفها في كل شأن صورة صادقة لمبادئ دينها ودعوتها، وكان من حق هذا المعنى أن يلحق بالواجب السابق ولكن لا بأس أن يفرد بكلام خاص فإن التحقق بشرائط القدوة آية الإخلاص، وسبيل التأثير في نفوس الآخرين فعليها أن يكون حالها أفصح دلالة وأقوى أثراً في النفوس من مقالها ووعظها.

ولا نعني بذلك استكمال أوصاف الملبس الوقور والمظهر العفيف فحسب، بل نعني معه أن يكون كل عمل وكل حركة وكل إشارة صادرة عن تقيد بالمثل العليا، ورغبة فيها، وحب لها، حتى يصير العمل بها والتزام نهجها عادة مألوفة يجري عليها المرء دون أن يلقي إليها باله.

تلك هي القدوة الصالحة التي تلهم، وتؤثر، وتنهض عزائم الآخرين، وتخلق بيتاً مثالياً، وبيئة فاضلة ومجتمعاً كريماً، ولو لم تعمد إلى وعظ محضر أو نصح مقصود.

إنها القدوة الأولى للطفل، فهوكثير التقليد لها، قوي التأثير بما يكون من حالها، وهو من أعز الأمانات التي أكرمت بها بعد دينها، ولن نقول لها اطبعيه على الخير، بلا اطبعي نفسك أنت على مبادئ هذا الخير ومثله فإنما تصنعين المثال الذي يكون عليه ولدك.

ولتعلم الأخت الكريمة أنها لن تبلغ أن تكون مؤثرة في مجتمعنا إلا إذا كانت قوية الشخصية، وإنما تقوى شخصية المرء وتعظم إذا ترك هذر القول، وفارغ الحديث وأقام صلب نفسه على الحق في جد ووقار، بقوله ولو على نفسه، ويسيغ جرعته ولو كان مراً، وينتصف من نفسه دائماً. وليس أهيب في نفوس الناس من ذلك الذي أضنى نفسه برعاية الحق والصبر على تكاليفه حتى عظمت حرمته لديهم، وعلت منزلته في نفوسهم فأخذوا عنه وتأثروا به، واستجابوا له في غبطة ورضا، وليس لقوة الشخصية معنى أصدق من هذا فعلى الأخت الكريمة رعاية هذا الجانب فإن المجتمع يصح به ويعتدل ميزانه.

خامساً: نشر الدعوة

والدعوة إلى الله مرتبة الأنبياء والرسل، وأشرف ما شغل المرء نفسه والله سبحانه يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: ٣٣).

فلتدع الأخت المسلمة إلى الله ما استطاعت إليه سبيلاً.

١ـ فلتدع كل من في محيطها الخاص، وكل من استطاعت من أترابها إلى الإيمان بالله والدار الآخرة على النحو الذي يذكرنا بعض معالمه في صدد هذا الكلام.

٢ـ ولتذكر بالله فإنه يجلو صدأ الغفلة من القلوب، ويورثها وجلاً وخشية ويكسبها نزولا على أمر الله، ويفتح لها أبواب الجنة.

٣ـ ولتأمر بالخير، ولتنه عن المنكر، ولتفقه المسلمات في دينهم وفرائضهم وما جاء به الإسلام عن حقوق المرأة وسياسة الأسرة ما استطاعت.

٤ـ ولتبشر في المسلمات بما جاء به الإسلام من أسس العدالة، والحرية والتكافل الاجتماعي وأصول التشريع الصالح، والسياسات الوافية بكل خير. ليبشر بذلك كله أو بما عرفت منه.

٥- ونحن نعمل على إيجاد المجتمع الإسلامي الفاضل، وأخص خصائص هذا المجتمع الإخاء والحب في الله ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠) والغيرة على الإسلام والاعتزاز به، والاستمساك القوى بآدابه وتعاليمه، وكل تلك صفات قد يجدي في كسبها الوعظ والإرشاد، ولكنا لا نرى وسيلة أعمق أثراً وأوعب لما نريد من تأليف الجماعات الصغيرة التي نسميها أسرا، فعلى الأخت المسلمة أن تعمل على تأليف الأسر أو تلتحق هي بأسرة مؤلفة فإن الذكر والمدارسة في جماعة أنشط لحوافز النفس، وأعون على الإخاء وإحكام روابط المودة، وتوثق قوى الإيمان وإذكاء الغيرة على محارمه.

ونسأل الله أن يشرح صدورنا للخير، وأن يرزقنا الإيمان، وينير قلوبنا بمعرفته، ويوفقنا إلى طاعته وحسن عبادته ويجعلنا من السابقين إلى الخيرات، المقربين في الدنيا والآخرة.. آمين.

السيدة وفاء مصطفى مشهور

في حوار أجرته الأخت هناء محمد مع السيدة وفاء مصطفى مشهور حول قضايا تشغل الأخوات حول مراتب العمل الإسلامي وأهمها بالنسبة للأخت المسلمة.. قدمت الأخت هناء الحوار، بهذه المقدمة[1].

في لقائنا بالأخت وفاء مصطفى مشهور وجدنا الفرصة مناسبة ليكون الحوار حول بعض القضايا التي تدور في أذهان كثير من الأخوات حيث أولويات العمل المطلوبة من المرأة لتسهم بدورها في مسيرة الحركة الإسلامية، وبعض المشكلات التي تواجه كثيراً من الأمهات في تربية أطفالهن في ذلك الجو الذي تسهم فيه كثير من معاول الهدم لإفساد ذلك الجيل.. وتجيء أهمية هذا الحوار مع الأخت وفاء لأنها إحدى الأخوات اللائي يمارسن الدعوة بجوار الواجبات المنزلية والزوجية والعمل في مجال التربية، ونحسبها بفضل الله موفقة في كل ذلك.

دور الأخت في بناء الأسرة:

سألت الأخت وفاء: ما هي الأولويات المطلوبة من الأخت سواء الزوجة أو الطالبة؟ وكيف يمكن أن تؤدي دورها في الحركة الإسلامية؟

فأجابت: الأولويات المطلوبة من الأخت إذا كانت زوجة.. عليها أولاً أن

(١) مجلة «لواء الإسلام» في فترة إصدار الإخوان المسلمين العدد السابع، السنة الثالثة والأربعون (ربيع الأول سنة ١٤٠٩هـ = أكتوبر سنة ١٩٨٨م).

تؤمن في قرارة نفسها بدورها الكبير وأثره الفعال في بناء الأسرة والذي يبدأ من فهمها للزواج على أنه عبادة تتقرب بها إلى الله تعالى، وأنها بحسن سلوكها وحكمتها ومراقبتها لله تستطيع أن تجعل بيتها جنة يستروح فيها زوجها من متاعب الحياة خارج البيت، كذلك عليها أن تهتم بزادها الروحي حتى إذا كثرت عليها المسؤوليات والأعباء لا تنشغل عن صلتها بالله تعالى وتجتهد أن تُحوِّل كل عادة إلى عبادة وتستفيد من كل دقيقة من وقتها وتذكر فيها الله ليبارك لها في الوقت.

كذلك على الأخت أن تعد نفسها الإعداد الجيد لأن تكون زوجة مسلمة بحيث تتعرف على دورها في البيت سواء واجبات وحقوق الزوج والأولاد أو الاطلاع على فقه النساء ليساعدها على أداء ما عليها من طاعات، وأن تتقن الإدارة المنزلية وتتعلم بعض المهارات التي تحتاجها في بيتها وأن تحرص على ضبط مناخ البيت وتنظيم الوقت وترتيب أولويات الأعمال المطلوبة منها.

وترى الأخت وفاء: أن دور الأخت المسلمة في الحركة الإسلامية يبدأ عندما تهيئ المناخ لزوجها وتعينه على أداء رسالته تجاه دينه ودعوته، كما أن حسن معاونتها لزوجها ورعايتها وتربية الأولاد على الأسس الإسلامية هو من صميم العمل الإسلامي لأن أهم دور تقدمه للحركة الإسلامية هو بيت مسلم قدوة.

أما إذا كانت الأخت طالبة فعليها أن تفهم أن الغاية الأساسية من التعليم هي إفادة الإسلام والمسلمين بهذا العلم والإسهام في بناء مجتمع مسلم، وبهذا يتحول العلم إلى عبادة متقرباً به إلى الله.

وتضيف الأخت وفاء قائلة: على الطالبة المسلمة أن تطلع على المخطط الاستعماري وأهدافه حتى يتكون لديها الغيرة على الإسلام، فإذا علمت أن الاستعمار يهدف إلى تحطيم خلق الشباب والفتيات عن طريق وسائل الإعلام وشغل الفراغ بأشياء تافهة فغيرتها على الإسلام تدفعها إلى الابتكار وطرح البديل النافع لشغل فراغ أخواتها المسلمات.

قلت: من الملاحظ على بعض الأخوات أن ممارستهن للدعوة أحياناً تكون على حساب واجبات البيت والزوج والأولاد؟ كذلك يرجع تقصير بعضهن تجاه الدعوة إلى اهتمامهن البالغ بواجبات البيت والزوج، فكيف يمكن للأخت أن توفق بين واجباتها نحو الدعوة والبيت؟ فأجابت:

إذا اتفقنا أن شخصية الأخت المسلمة لابد أن تتربى على الجوانب الثلاثة الثقافي والسلوكي والحركي وأن الكل مطلوب إذن فسلوك الزوجة يظهر في معاملتها لزوجها

وأولادها وثقافتها تظهر عند القيام بواجباتها وطاعتها، أما حركتها فهي إعداد البيت المسلم ومعاونة الزوج على أداء واجبه الدعوي بجانب مساهمتها في توصيل دعوة الله لبنات جنسها. إذن فدورها تجاه الدعوة والبيت مطلوب دون إهمال لأي منها ولا يجوز للأخت أن تفرق بين دورها هنا وهناك وحتى لا يكون هناك تقصير فإنه ينبغي للأخت أن تراعي:

الحرص على كسب خبرات الأخريات في الإدارة المنزلية وأمور الطهي وسرعة الأداء.

الحرص على أداء واجبات ورغبات الزوج بحيث لا يؤثر عملها في الدعوة على أداء هذه الواجبات، ولابد أن تعرف الأخت الزوجة أنه كلما زادت المودة والصلة بين الزوجين كلما تيسر لها أداء واجبات الدعوة دون استياء الزوج.

- التركيز على تربية الأولاد خاصة في الفترة الأولى من عمرهم وتعويدهم الاعتماد على النفس في بعض التصرفات البسيطة.

التعامل مع الأطفال:

هناك بعض الأمهات يشتكين من عدم الانضباط عند أطفالهن، فكيف يمكن لهن التعامل مع هؤلاء الأطفال؟

أحب أن أنبه أختي الأم التي تشتكي من كثرة الحركة وعدم الانضباط عند الطفل إلى أهمية استخدام وسيلة التربية بتفريغ الطاقة وشغل وقت الفراغ حيث لا يتنبه إليها كثير من الأمهات فتذهب الأم لأداء عمل منزلي قد يستغرق ساعات وتترك أطفالها في هذه الساعات، فبالتالي يعتاد الطفل على اللعب الارتجالي فينطلق في البيت يميناً ويساراً وفي هذه اللحظة تشعر الأم بعدم انضباط الطفل في حين أنها لم تساعده أو توجهه إلى الطريق السليم.

وهذه بعض الإرشادات العامة حول شغل فراغ الأولاد وتفريغ طاقاتهم:

- على الأم أن تحرص على اختيار اللعبة التي تتناسب مع سن طفلها وتجلس معه الفترة الأولى عند تقديم اللعبة حتى يفهمها ويتعلق بها ليجلس أمامها بعد ذلك وحده.

على الأم أن تكوّن له مكتبة صوتية من الشرائط الإسلامية سواء أناشيد إسلامية أو قصص إسلامي مسجلة بصوتها أو صوت والده ليتوافر لديك البديل الإعلامي الإسلامي.

الفصل العاشر

نساء في طريق الدعوة

نساء في طريق الدعوة

بعض النساء في العمل الإسلامي في العصر الحديث كن مثالاً عظيماً في الدعوة إلى الله تعالى أعدن إلى الأذهان ذكرى المؤمنات الصالحات الصابرات المحتسبات زمن رسول الله ﷺ وصحابته، ولا غرو فالإسلام هو الإسلام والإنسان هو الإنسان والمنهج هو المنهج، والإسلام ولود وطريق الكفاح محدود، وستشهد الأمة جيلاً جديداً على الدرب سائرون على الكفاح قادرون، وبإذن الله منتصرون. ويحسن بنا أن نذكر نماذج من هؤلاء.

زوجة الإمام الشهيد حسن البنا،

الصابرة المحتسبة:

لقد كانت رحمها الله تقدم دائماً مصلحة الدعوة على مصلحة نفسها وبيتها، تقول ابنتها الدكتورة ثناء البنا: (كانت تقوم على رعايتنا حق الرعاية، وتهيئ جو البيت لاستقبال الوالد المرهق من كثرة الأعباء والأعمال، فيجد راحته في بيته لمدة سويعات قليلة ينطلق بعدها ثانية إلى شئون الدعوة.. ومما يذكر لوالدتي رحمها الله أنه عندما قام والدي بتأسيس المركز العام للإخوان المسلمين طلبت منه أن يأخذ كثيراً من أثاث البيت عن طيب نفس ليعمُر به المركز العام، فنقل السجاجيد والستائر والمكتبات وكثيراً من الأدوات، وكانت سعيدة بذلك غاية السعادة.

لقد كانت رحمها الله تعتبر أي فرد من أفراد الجماعة هو أحد أبنائها، وأذكر أنه عندما كانت تأتي أخت من الأخوات تشتكي من زوجها كانت أمي تناقشها وكأنها أمها وفي نفس الوقت حماتها، وتبادرها بالسؤال: ماذا فعلت في ابني فلان حتى تصرَّف معك هذا التصرف؟!

ولقد كانت تشارك الإخوان أفراحهم وأحزانهم، فكانت فرحة أي بيت من بيوت الإخوان هي فرحة بيتنا، وكانت مصيبة أي بيت هي مصيبة في بيتنا أيضاً)[1].

---

(١) مجلة «لواء الإسلام» عدد ١١ فبراير ١٩٨٨، باب الأخوات المسلمات ص ٥١، «حديث صحفي أجرته الأخت هناء محمد مع الدكتورة ثناء البنا».

ويدخل الإخوان في طور المحنة ويزج بهم سنة ١٩٤٨م في المعتقلات والسجون، فلا يجد النوم سبيلاً إلى عين هذه الأم المجاهدة، فقد كانت تشارك المرشد همومه في هذه الأيام الحالكة من تاريخ مصر.. لقد كان بكاء الأطفال وتوجع الزوجات والأمهات يعتصر قلبيهما.. وتهدأ نفسها بعض الهدوء عندما يقدم الزوج المرشد مائة وخمسين جنيهاً كان قد اقترضها للشيخ عبد اللطيف الشعشاعي واعظ قسم الأخوات المسلمات ليتولى توزيعها على أسر الإخوان المعتقلين.

وفي ليلة حزينة من ليال هذه المحنة، وهي مثقلة بحملها وبالقلق على الزوج الذي خرج إلى جمعية الشبان المسلمين وهو أعزل مجرد من السلاح وأعداء الدعوة يتربصون به..وفي صبيحة ليلة١٢ فبراير سنة١٩٤٩ لا يعودُ لها من الزوج الحبيب إلا جثمانه الطاهر وسط مظاهرة مسلحة من القتلة والسفاحين، الذين يشهرون أسلحتهم في وجه امرأة وشيخ عجوز.. المرأة هي هذه الزوجة المؤمنة الصابرة والشيخ العجوز هو والده..

وفرضت الحراسة على قبر الزوج الشهيد عدة سنوات وحرِّم على أسرته وأقاربه زيارته، ولم يسمح لأحد من أفراد الأسرة بمغادرة البيت لمدة عامين، ولم يسمح لأحد من خارج البيت بالاتصال بهم إلا عن طريق الشرطة..لقد ضرب حصار شديد على البيت، ومنع الجيران الاتصال بهم، وقطع خط التليفون الخاص بالبيت..كل شيء حولهم كان مراقباً، حتى الأبناء يروحون إلى مدارسهم ويجيئون منها تحت رقابة الشرطة!!

وعاشت الوالدة وأبناؤها تحت الحصار والتهديد والترويع بالقتل واستئصال كل فرد من أفراد البيت الصابر.

وتصل الخسة والنذالة إلى أقصاها عندما يوعز المجرمون أصحاب السلطة في مصر إلى مصلحة التنظيم بإزالة البيت الذي تسكن فيه الوالدة الثكلى وأبناؤها.. وتطرد الأسرة من بيتها بالإخلاء الإداري، وتضطر الأسرة الممتحنة إلى تأجير مسكن آخر يكلفها أجراً أضعاف المسكن القديم مما أثقل كاهلها وزاد من همومها..

وتمضي محنة العهد الملكي المظلم وتجيء محنة عهد العسكر المظلم، حيث صدرت أحكام بالإعدام على قيادات الإخوان، فيرسل الشهيد عبد القادر عودة وهو

ممن صدرت ضدهم هذه الأحكام المجرمة أخاه الدكتور عبد الملك عودة إلى الوالدة الكريمة وإلى أبناء الأستاذ أحمد سيف الإسلام البنا ليسلمها وصيته التي كتب فيها: (إن عبد القادر عوده سينفذ فيه حكم الإعدام غداً الخميس ويتمنى لو يدفن في قبر الإمام الشهيد حسن البنا بجواره،وهو يريد أن يعرف ردكما اليوم، وترحب الأسرة الصابرة المحتسبة بطلب الشهيد الجديد.. وكان بصحبة الدكتور عبد الملك عند توصيل الوصية عدد من ضباط المباحث الذين عرفوا بالأمر مما جر على الأسرة متاعب ومضايقات كثيرة بعد ذلك).

وتجتمع عليها عدة أمراض مبرحة منذ سنة ١٩٦٥م، فتزيد من آلامها ومعاناتها، حتى تفيض روحها الطاهرة في سنة ١٩٦٨ بعد هزيمة دولة الظلم والطغيان وسقوط أعلامها بنكسة سنة ١٩٦٧م، لتلحق بركب زوجها الكريم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

أمينة قطب وملحمة الحب العظيم:

اعتقل في سبتمبر سنه ١٩٨١ مع جميع أفراد مجلة الدعوة..

وبقي معنا في سجن استقبال طرة حتى الليلة الأخيرة التي قضيناها في هذا المعتقل. كان طوال تلك الفترة متألقاً.. نضراً.. مطمئناً.. راضياً.. مضيء الوجه باسماً أبداً. يفيض عاطفة للجميع.. لم أره طوال السنوات العشر التي قضيناها معه منذ لقائي الأول به في سجن قنا على مثل ماكان عليه في تلك الأيام، فكنت أقول لنفسي:

«كان عريساً.....».

وفي الليلة الأخيرة... ضابط سجان برتبة رائد نادى عليه بأعلى صوته: محمد كمال الدين السنانيري... فأجابه.. ففتح عليه باب الزنزانة. ووقفت على باب الزنزانة فرأيته للمرة الأخيرة يمشي في وقار.. بثوبه الأبيض.. وعباءته الحمراء وخلفه الضابط السجان..

وانتظرنا عودته طوال الليل.. لكنه لم يعد...

في الصبح رُحّلنا إلى سجن «أبو زعبل» دونه وبقي وحده هناك.

وجاءنا نبأ استشهاده. . ونحن في سجن «أبو زعبل»[١].

وهكذا في٥نوفمبر سنة ١٩٨١م، زفت ملائكة السماء «عريس الإخوان المسلمين» الأستاذ كمال الدين السنانيري إلى الملأ الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء. . وقدم وزير داخلية[٢]مصر الحزينة جسده الطاهر الذي ساموه كل صنوف التعذيب عربون وفاء وولاء للفرعون الذليل.

ومضى الأستاذ كمال الدين السنانيري عزيزاً مكرماً بعد حياة حافلة بالعمل والجهاد في سبيل الله وخلَّف لزوجه الفجيعة والأسى والألم، فلم يكن بالنسبة لها مجرد رجل وزوج، ولكنه كان الروح التي هامت بها حباً. . .

أرأيت يا أخي، كم ستكون حجم الفجيعة في نفس الزوجة في تعبير الصحابية الجليلة لرسول الله ﷺ عندما نعى إليها أولادها لو أن زوجها هو الذي استشهد؟!

وفي حالتنا كم يكون حجم المأساة في نفس الزوجة عندما تكون الزوجة شاعرة وأدبية هي الأخت أمينه قطب، أجزل الله مثوبتها. . .

لقد خلفت لنا المأساة جملة من المشاعر الراقية في الحب والوفاء لزوج مجاهد لم تَحْنَ له رأس ولم تلن له قناة أمام الطواغيت، سجلتها زوجة محبة هائمة في منظومة من القصائد، لتكون ترنيمة الأخت المسلمة في ظل البأساء والضراء لتمتنع على الطغاة والجبابرة الذين غيبوا عنها زوجها. . .

إن قصة الأخت أمينة قطب مع المجاهد العظيم كمال الدين السنانيري تكتب بماء الذهب لتكون نبراساً وضوءاً لامعاً على الطريق للأجيال من الأخوات المسلمات:

سجن المجاهد الشهيد كمال الدين السنانيري في عام ١٩٥٤م، وقدمه الطاغية جمال عبد الناصر إلى محاكمة صورية مع إخوانه من الإخوان المسلمين، وحكم عليه بالإعدام، ثم خفف الحكم إلى الأشغال الشاقة المؤبدة (٢٥ سنة) وكتب الطاغية على (كارت) السجن: (أشغال شاقة مؤبدة ثم يعاد إلى المعتقل) أي بعد أن يقضي مدة العقوبة يعاد بعدها إلى المعتقل!

---

(١) كلمات الأستاذ جابر رزق رحمه الله في ذكرى استشهاد الأستاذ السنانيري، نشرت بمجلة «لواء الإسلام» الصفحة الأخيرة ـ العدد الثامن (ربيع الآخر ١٤٠٨هـ / ٢٣ نوفمبر ١٩٨٧م).

(٢) وزير الداخلية كان حاضراً في هذا السجن في تلك الليلة.

وبعد أن قضى خمس سنوات من المدة، وأثناء ذهابه إلى مستشفى سجن ليمان طره للعلاج التقى هناك بأخيه الشهيد سيد قطب، وطلب منه يد أخته (أمينة)، وعاد إلى سجنه.

وعرض الأستاذ سيد الأمر على أخته.. أمر ذلك العريس الذي يقضي عقوبة المؤبد وباقي منها عشرون سنة، فما كان من الأخت المسلمة إلا أن وافقت بلا تردد، وأخذت عنوان ذلك الأخ وزارته في السجن وتمت الرؤية ثم عقد الزواج الذي كان مثار سخرية من الناس، وقويت الرابطة بينهما من وراء الأسوار، وكانت زياراتها ورسائلها إليه بما تحمل من روح دافعة تتحدى الظلم والظالمين والسجن والسجانين تقوى من أزره وأزر إخوانه.

وعندما زارته مرة في سجن قنا وكان برفقتها زهرة، لم تسكت زهرة بل حكت لشقيقها عن وعثاء الطريق وما تكبدتاه من مشقات حتى وصلتا إليه منذ أن ركبتا القطار من القاهرة إلى قنا ثم إلى السجن...

فتوجه الشهيد إلى زوجه من وراء القضبان وقال لها: «لقد طال الأمد وأنا مشفق عليك من هذا العناء، ومثل ما قلت لك في بدء ارتباطنا قد أخرج غداً وقد أمضي العشرين سنة الباقية، وقد ينقضي الأجل وأنا هنا، فلك الآن مطلق الحرية في أن تتخذي ما ترينه صالحاً في أمر مستقبلك، ولا أريد ولا أرتضي لنفسي أن أكون عقبة في طريق سعادتك..إنهم يفاوضوننا في تأييد الطاغية ثمناً للإفراج عنا، ولن ينالوا مني بإذن الله ما يريدون حتى لو مزقوني إرباً، فلك الخيار من الآن، واكتبي لي ما يستقر عليه رأيك، والله يوفقك لما فيه الخير»!

وأرادت الأخت المجاهدة أن تجيب زوجها المجاهد إلا أن السجان أمرها بالانصراف حيث انتهت الزيارة وعادت إلى البيت لتكتب له رسالة ضمن قصيدة نظمتها له لتعلن فيها أنها اختارت طريق الجهاد.. طريق الجنة المليء بالأشواك، المزين بالآلام والدماء.. وقالت له: دعني يا زوجي الحبيب أشاركك هذا الطريق! وفعلت هذه القصيدة فعلها في نفس الأخ المجاهد.

وأفرج عن المجاهد، وخرج من السجن بعد أن قضى ثنتين وعشرين وراء أسواره ليسلم النفس كما يفعل الجندي الأمين إلى القائد ليتلقى منه أوامره الجديدة، فلم تطر نفسه فرحاً بالأفراح فيهرول إلى بيته لينعم بالحرية!! ولكن ليس هذا شأن المجاهد

وجندي العقيدة.. ويأمره المرشد بالعودة إلى بيته حتى يتلقى أوامر جديدة.

وتم الزواج، وعاشت الأخت معه أحلى سنوات العمر، وفي الرابع من سبتمبر سنة ١٩٨١م اختطف منها مرة أخرى ليودع السجن، ويبقى فيه إلى أن يلقى الله شهيداً في السادس من نوفمبر من نفس العام.

ونظمت الأخت المجاهدة الشاعرة مجموعة من القصائد في صورة رسائل وجهتها إليه عبرت فيها عن أروع ملحمة للحب لزوج عظيم والوفاء لحياة رفرفت عليها ملائكة الرحمن وزواج باركه الله، وقدمت هذه الرسائل بهذه المقدمة: «هذه الرسائل كلها إليك.. كتبتها بعد تلك الليلة، بعد أن غادرت بيتنا ولم تعد...

إنها أول رسائل لن تراها ولن تقرأها، ولن تبعث بعدها برد.. ولكني كتبتها إليك رغم هذا اليقين، فما كنت أملك حبس الدموع وأنت ترحل عني بلا عودة.

إنها إليك في الدار التي سعيت لها وأدركتها في نهاية المطاف.

إنها تهتة، أبعث بها إليك، حتى ألقاك، بعد المسير العاني و وعورة الطريق.. إنها وفاء وعهد على السير مع القافلة التي ما انقطع سيرها على مر الزمان إلى ذلك المرتقى البعيد.

إنها إليك وإلى السائرين على الدرب، رغم أشواك الطريق، فإذا كانت الدموع تملأها فمعذرة، فقد تركتني وحدي أكمل بقية المسير.. إنها دموع الفراق،حتى ألقاك عند ذلك المرتقى بإذن الله.. مع قوافل الواصلين.

يضم ديوانها رسائل إلى شهيد ـ وهو أول ديوان لها ـ أكثر من عشرين قصيدة بكت فيها زوجها المجاهد الحبيب بدموعها التي خطت بها رسائلها إليه...

تقول في قصيدة لها بعنوان «صفحات مضيئة من عمره»: إنها فتشت في تاريخه في مرحلة ما قبل التحاق بالقافلة المؤمنة وفي مرحلة ما بعد التحاقه علها تجد ما يصدها عنه ويضع نهاية لدموعها، فلم تجد غير وجه يعلوه البشر دائماً ولسان عف يؤثر الصمت الجميل حتى ارتبط بالجماعة المؤمنة فتمثلت في شخصه الجندية الصادقة والصلابة في الحق، رضى أن يقضي زهرة شبابه في السجن في طاعة الله ولا أن يعصي الله إرضاء للطاغوت، فظل في السجن صابراً محتسباً إلا من فترة قصيرة عادوا بعدها به إلى السجن، وهناك تحققت له الشهادة التي كان يطلبها تقول:

قلَّبت في صفحات عمركَ علَّني ... ألقى من الأخطاء ما يُنْسيني

إشراقةُ الوجهِ الحبيب على المدَى ... منذ التقينا، من عديد سنينِ

فنشتْ علَّ الذكريات تصدّني ... عنها وتهجرُني دموعُ أنيني

بحثتُ في عهد الشباب فلم أجدْ ... عملاً معيباً مخجلاً لجبينِ

عفّ اللسان، وعن حديث هابطٍ ... تنأى وتبعُد، مؤثراً لسكُونِ

حتى ارتبطت مع الصّحاب مجاهداً ... في بَيعةٍ تمضي وصدقِ يقينِ

هناكَ في الوادي البعيد قضيتها ... أيامَ عمرٍ في عذاب سُجونِ

في القَبْو محبوس الأماني والرؤى ... في ظلمةِ الطُّغيان، قيد مَنُونِ

يذوي شبابُك في متاعبَ أو ضنىً ... يبغي به الفجّار، سحْق الدِّينِ

ما بحتَ يوماً للطغاة بلفظةٍ ... تُرضي الطغاة، مُطأطئاً لجَبينِ

وتقول في قصيدة أخرى:

نبغي بها أهلاً هناك على المدَى ... في البعد يُضنيهمْ عَناءُ سِنينِ

لم نبتغ العيشَ والأيام في رغدٍ ... أو راحةً من عناءِ الجَهد والسَّهرِ

كنّا على الدَّرب نمضي لا يُخالجُنا ... شكٌّ بأنّا نُريد الخيرَ للبشرِ

حتى انتقلتَ إلى الرحمان ملتزماً ... ترجُو الشهادَة، تَفْدي الدين بالعُمرِ

أوصيتني بالرِّضى بعد الفِراق عسى ... أن نلتقى في رحاب الله، بالصبرِ

فهل تُراني على الأيّام ناسيةً ... ما كانَ في عهدنا من واقعٍ عَطِرِ؟

إني على العهد والأيام باقيةٌ ... لن يقربَ القلبَ نسيانُ مدى العُمرِ

وسوف أمضي بإذن الله صابرةً ... ولن تزيغَ الخطا عن مطلبِ النَّصرِ

ولن يكفَّ جهادي للبُغاة إلى ... أن تُسلبَ الرُّوحُ والأنفاسُ من صدري

لعلَّ في روضةِ الرَّحمان موعدَنا ... فكم لدى الله للنّاجين من خيرِ

وشاركت أمينة إخوتها في كتابهم المشترك «الأطياف الأربعة»، وعرّف عليها الأستاذ سيد في الكتاب قائلاً: «تلك الفتاة الهادئة أمينة، إنها سارية في الماضي، لا تكاد منه تعود، إنها شاعرة، ثروتها من التصورات أجزل من ثروتها في التعبير. إنها مستغرقة في حُلْم: بالمستقبل الذي لا تملك وبالماضي الذي لن يعود».. وكانت مشاركتها في الكتاب بأقاصيص قصيرة..

وكما تقرض أمينة الشعر تكتب القصة، حيث أصدرت مجموعتين: **الأولى**: «في تيار الحياة» أهدتها إلى شقيقيها سيد ومحمد.. تقول: «يا شقيقيّ الحبيبين: إليكما أهدي هذه الأقاصيص. إن في بعضها صرخات في التيه. قبل أن تبدو لعيني معالم الطريق المأمون، وفي بعضها الآخر خطوات متعثرة، في منحنيات الطريق الطويل، فتقبلاها مني، ريثما أتحسس المعالم والسمات، وأدرب قدميّ على مشاق الصعود».

وقد تعرفت «أمينة» بعد ذلك على الطريق، ودربت قدميها على مشاق صعوده، فصعدته بخطى واثقة، وتحملت مشاقه وأهواله، وأخذت نصيبها من السجن والتعذيب والمحنة والابتلاء، فصبرت واحتسبت...

والمجموعة الثانية «في الطريق»، ويظهر فيها توجهها الإسلامي واضحاً، وقد عبرت عن هذا بقولها: «ومن ثم كانت مجموعة أقاصيصي الثانية «في الطريق» محاولة أولية لإيجاد قصة نظيفة، تأخذ طابعاً إنسانياً، يلون أحاسيس الإسلام والوجود الإيماني في داخله.

وقد رأى النقاد أن هذه الكاتبة يتمثل فيها التعبير عن الحياة من خلال التصور الإسلامي..

زينب الغزالي والصمود في مواجهة الطاغوت:

دارت الأحداث بسرعة ووقعت حوادث سنة ١٩٤٨م الأليمة:

هزمت العصابات اليهودية في فلسطين الجيوش العربية، وأُعلنت إسرائيل دولة في قلب الوطن العربي!!

وصدر الأمر العسكري الجائر بحل هيئة الإخوان المسلمين وجميع شعبها في القطر المصري، ومصادرة أملاكها ومؤسساتها، وزُج بالآلاف في المعتقلات والسجون..

في هذه الفترة الحالكة من تاريخنا برز دور الأخوات المسلمات باعتبارهن خط

الدفاع الثاني للحركة الإسلامية، وقمن بنشاط مبارك، وكانت السيدة تحية الجبيلي زوجة أخيها وابنة عمها إحدى الأخوات اللائي نهضن بنشاط موفور مشكور في رعاية أسر الإخوان خلال هذه المحنة، ومنها عرفت الكثير، ووجدت نفسها في شوق عارم إلى التعرف على كل مناهج وأساليب حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان ومرشدها، وأسباب دعوته لها باندماج جماعة السيدات المسلمات في قسم الأخوات المسلمات.. وجماعة السيدات المسلمات هي الجماعة النسائية التي أسستها سنة١٩٣٦م عقب استقالتها من الاتحاد النسائي العام الذي كانت تترأسه هدى شعراوي!!

والأخوات المسلمات هن التشكيل النسائي التابع لحركة الإخوان المسلمين وأحد أقسام هيئتهم العامة، وكان الإمام البنا قد دعاها إلى تولي رئاسته في أول لقاء لهما سنة ١٩٣٧م ودمج «جماعة السيدات المسلمات» في قسم الأخوات وتوحيد نشاطهما داخل الإطار العام لحركة الإخوان المسلمين... ولكن هذا المطلب لم يتم، حيث حبذت السيدة زينب الغزالي وجود تنسيق وتعاون، على أن تكون «جماعة السيدات المسلمات» إحدى لبنات الإخوان المسلمين[1].

تقول السيدة زينب بارك الله جهادها: (وفي صبيحة اليوم التالي لحل جماعة الإخوان، وكنت في مكتبي في دار السيدات المسلمات، وفي الحجرة التي عقد فيها آخر اجتماع لي بالمرشد الإمام، وجدت نفسي أجلس إلى مكتب وأضع رأسي بين يدي وابكي بكاءً شديداً، فقد أحسست أن حسن البنا كان على حق، فهو الإمام الذي يجب أن يبايعه المسلمون جميعاً على الجهاد بعودة المسلمين إلى مقعد مسؤوليتهم... وأحسست بأن حسن البنا كان أقوى مني وأكثر صراحة. ثم وجدت نفسي أتصل بالسكرتير ليوصلني بالأخ عبد الحفيظ الصيفي الذي كلفته بنقل رسالة شفوية للإمام البنا يذكره بعهدي في آخر لقاء لنا، وحين عاد لي بتحيته ودعائه، استدعيت أخي محمد الغزالي وكلفته بإيصال وريقة بواسطته أو بواسطة زوجته إلى الإمام المرشد، وأذكر أنني كتبت في هذه الوريقة: (سيدي الإمام حسن البنا، زينب الغزالي تتقدم إليك اليوم وهي أمة عارية من كل شيء إلا من عبوديتها لله وتعبيد نفسها لخدمة دعوة الله، وأنت اليوم الإنسان الوحيد الذي يستطيع أن يبيع هذه الأمة بالثمن الذي يرضيه لدعوة الله تعالى، في انتظار أوامرك وتعليماتك سيدي الإمام».

---

(١) كان الإمام البنا رحمة الله يطمح في أن يكون الاندماج تاماً، ليستفيد بقدرات وإمكانات الحاجة زينب القيادية في دفع الحركة النسائية الإسلامية للتوازي في تقدمها مع حركة الهيئة العامة للإخوان المسلمين، ومواجهة تيار التحلل الاجتماعي الذي تقوده دوائر الاستعمار والهيئات النسائية المنبهرة بنمط الحياة في الغرب.

وعاد شقيقي ليحدد لي لقاء سريعاً في دار الشبان المسلمين. . ولم أكن أعدم مبرراً لوجودي. . هناك فقد ذهبت إلى صالة دار الشبان لإلقاء محاضرة والتقيت الأستاذ البنا فقلت له: «اللهم إني أبايعك على العمل لقيام دولة الإسلام وأرخص ما أقدم في سبيلها دمي والسيدات المسلمات». فقال: «وأنا قبلت البيعة، وتظل السيدات المسلمات الآن على ما هي عليه».

وافترقنا على أن يكون اتصالنا بواسطة منزل أخي، وكانت أول رسالة من الإمام الشهيد تكليفاً لي بالذهاب إلى النحاس ليتوسط بين الإخوان والحكومة، وكلف النحاس باشا المرحوم أمين خليل للقيام بإزالة سوء التفاهم ورضي به الإمام الشهيد، وكنت أنا حلقة الاتصال. . . وفي إحدى ليالي فبراير سنة١٩٤٩جاءني رسول من أمين خليل يقول لي: يجب اتخاذ اجراءات سريعة ليسافر البنا من القاهرة فالمجرمون يتآمرون به ليقتلوه. ولم أجد وسيلة للاتصال به مباشرة، فقد اعتقل أخي، فحاولت الاتصال بالإمام الشهيد شخصياً وأنا في طريقي إليه بلغني خبر الاغتيال».

ومرت المحنة وخرج الإخوان منها أصلب عوداً، وعادوا إلى ساحة الدعوة بقيادة مرشدهم الجديد الإمام حسن الهضيبي. . وكانت ـ أكرمها الله ـ قد أهدت المركز العام «طقم صالون» ليؤنس به مكتب المرشد العام، وجاءها الأستاذ الشهيد عبد القادر عودة وشكرها على هذه الهدية التي تحمل معاني الولاء والوفاء للجماعة، وقال: لقد صارت زينب الغزالي الجبيلي من الإخوان المسلمين فقالت: أرجو أن أكون بإذن الله. . .

وسارت الأمور في هدوء ومودة بينها وبين الكثير من أفراد الجماعة، حتى جاءت الثورة وعرفت حقيقتها وأنها ليست الثورة المنتظرة، فأعلنت رأيها على صفحات مجلة «السيدات المسلمات» في أنه لا يجوز لأحد من الإخوان أن يوالي حكومة علمانية لا تحكم بما أنزل الله. . . !! وزارها الأستاذ الشهيد عبد القادر عودة للمرة الثانية حاملاً أمراً من فضيلة المرشد بعدم الكتاب في هذا الموضوع.

تقول: (فتذكرت بيعتي للإمام البنا، واعتقدت أن الولاء قائم بها للهضيبي، وامتثلت للأمر. . ومنذ ذلك الوقت والبيعة تحكم تصرفاتي، حتى ما يبدو منها خاصاً كرحلة مؤتمر السلام في فيينا التي لم أقم بها إلا بعد أن حصلت على إذن الإمام المرشد الهضيبي).

المواجهة

وجاءت أحداث عام ١٩٥٤م بكل مخازيها بعد أن سقطت الأقنعة عن وجه عبدالناصر وبانت حقيقة كراهيته للإسلام وتآمره على الإخوان، فشردهم، وصادر أموالهم وممتلكاتهم ودورهم ومؤسساتهم، وألقى بهم في غياهب السجون والمعتقلات وعلق لهم المشانق واستباح نفوسهم وحرماتهم، ومارس معهم أحدث أساليب التعذيب التي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً..

فهذه ساحات السجن الحربي وزبانيته تشهد على عار هذا العهد ومخازي هذا الفرعون اللعين، لقد زود السجن بنوع خسيس من الزبانية، غلاظ الأكباد لم تستشعر قلوبهم الرحمة، مدربين على كل وسائل القتل والأذى والتعذيب.. وقصة السجن الحربي هذه بكل ما تحمله من مآس وآلام حكاها شعراً في «الملحمة النونية»[(١)]. فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي.

لقد كانت مأساة عام ١٩٥٤م من أشق وأقسى المآسي على نفس هذه الأخت الكبرى، حيث صرخات اليتامى الذين فقدوا آباءهم بالتعذيب ودموع النساء اللائي ترملن وهؤلاء اللائي حيل بينهن وبين رجالهن بقضبان السجون والمعتقلات.. كانت دموع هؤلاء وآلامهن تنفذ إلى أعماقها، فوجدت نفسها وكأنها من المسؤولين عن ضياع الجياع وجراح المعذبين، فذهبت للشيخ الأودن رحمه الله وبعد أن حدثته عن مأساة الأسر، قالت: أرى أنني أستطيع بصفتي رئيسة للسيدات المسلمات أن أقدم العون إن

---

(١) قصيدة نظمها فضيلته داخل السجن عام ١٩٥٥م خلال فترة اعتقاله، تتكون من ٢٩٤ بيتاً، يقول في بعضها يصف حفل الاستقبال لخيرة دعاة مصر في ساحة «الحربي».

بالبد... بالكرباج... باليد.. بالعصا ... وبكل أسلوب خسيس دون

ويصف بعض ألوان التعذيب والممارسات الوحشية التي تمت في ساحات وزنازين هذا السجن:

فترى العساكر والكلاب معدة ... للنهش طوع القائد المفتون
أسمعت بالإنسان يضغط رأسه ... بالطوق حتى ينتهي لجنون!
أسمعت بالإنسان ينفخ بطنه ... حتى يرى في هيئة البالون؟!
أسمعت بالإنسان يشعل جسمه ... ناراً وقد صبغوه «بالفزلين»؟
بالنار أو بالزمهرير.. فتلك في ... حين وهذا الزمهرير بحين
وسل «المقطم» وهو أعدل شاهد ... كم من شهيد في التلال دفين
قتلته طغمة مصر أبشع قتلة ... لا بالرصاص ولا القنا المسنون
بل علقوه كالذبيحة هيئت ... للقطع والتمزيق بالسكين

شاء الله لأسر الاخوان بما يمكنني الله. . فقال فضيلته وهو يبكي: لا ترددي في أي عون، والله هو المبارك للخطى، لقد أصبح فرضاً عليك ألا تبخلي بجهد في هذا الطريق، وما تقومين به اجعليه بينك وبين الله، ثم أضاف: إن المنقذ الوحيد بأمر الله للإسلام هم هؤلاء المعذبون «الإخوان المسلمون»، لا أمل لنا إلا في الله ثم في إخلاصهم وما يبذلون في سبيل الدعوة، اعملي يا زينب كل ما تستطيعين عمله. .

وجاهدت في هذا الميدان جهاداً مشكوراً. .

ثم علمت أن الوالدة المجاهدة الكبيرة حرم الأستاذ الهضيبي تبذل هي أيضاً مجهوداً كبيراً مع الفضليات الكريمات من الأخوات المسلمات: مثل المجاهدة آمال العشماوي حرم الأستاذ المستشار منير الدلة، ومثل خالدة حسن الهضيبي وأمينة قطب وحميدة قطب وفتحية بكر والمجاهدة أمينة علي وعلية الهضيبي وتحية سليمان الجبيلي.

واتسعت الحاجة زينب رويداً رويداً فاتصلت بخالدة الهضيبي في سرية شديدة ثم بحميدة وأمينة قطب، وكل ذلك من أجل المعذبين والأطفال واليتامى[١].

لا... للطاغوت:

وصدرت أوامر حكومة العسكر بحل جماعة «السيدات المسلمات»، وقيل لها إن عبد الناصر يكرهك شخصياً يا حاجة زينب!! لا يطيق أن يسمع اسمك على أي لسان، وعندما يذكر اسمك يثور ويغضب وينهي المقابلة[٢]. . . فقالت: الحمد لله الذي جعله يخافني ويبغضني، وأنا أبغضه لوجه الله، ولن يزيدنا طغيانه، نحن معاشر المجاهدين، إلا إصراراً. . إنها دعوة التوحيد وسننتصر بإذن الله، وأرخص ما نبذله لها أن نستشهد في سبيلها. . . ليس لعبد الناصر الحق في أن يحل جماعة «السيدات المسلمات» إن الله تبارك وتعالى هو الذي يعقد للمسلمين، والذي يعقده الله لا يحله البشر. . !!

حاولوا معها أن تنضم للاتحاد الاشتراكي، وتعود جماعة «السيدات المسلمات» لنشاطها ويلغى قرار الحل، فقالت وهي ترفض التوقيع على ورقة الانتساب: لا

(١) أيام من حياتي: ص ٢٨، ٢٩.

(٢) بدأت العداوة منذ طلبها عبد الناصر لمقابلته، فقالت لمن أرسله إليها: أنا لا ألقى من تلوثت يده بدماء الشهيد عبد القادر عودة.

والله، شلت يدي إذا وقعت يوماً على ما يدينني أمام الله بأنني اعترفت بحكم الطاغوت جمال عبد الناصر الذي قتل عبد القادر عودة وزملاءه. . . إن الذين غمسوا أيديهم في دم الموحدين خصوم لله وللمؤمنين.

ولأمر ما أوقف قرار الحل، وحاول سدنة الطاغوت أن تشارك في مسيرات العبيد والمنافقين والدجالين، ولكن كيف تفلح هذه المحاولات مع مجاهدة تدور في جهادها مع الإسلام والقرآن حيث دار؟!. . ويئس أعوان الطاغوت في أن تلين لباطلهم، فصدر قرار حل المركز العام للسيدات المسلمات مرة أخرى!!

واقتحم زبانية الطاغوت دار المركز العام لجماعة «السيدات المسلمات» واستولوا على محتوياته وشردوا مائة وعشرين فتاة وطفلة من اليتامى كانت الجماعة تؤويهم وتكفلهم. . .

وانعقدت الجمعية العمومية لجماعة «السيدات المسلمات»، وفي عزة وإباء رفضت قرار الحل وأرسلت إلى رئيس الجمهورية ووزير الشؤون والنائب العام ووزير الداخلية هذه البرقية الخالدة: (إن جماعة: «السيدات المسلمات» أسست ١٣٥٧هـ - ١٩٣٦م لنشر دعوة الله والعمل على إيجاد الأمة المسلمة التي تعيد للإسلام عزته ودولته وكانت لله وستظل لله، ليس لأي حاكم علماني[1] حق الولاية على المسلمين؛ فجماعة «السيدات المسلمات» رسالتها الدعوة إلى الإسلام وتجنيد الرجال والنساء شباباً وشيباً لإقامة دولة الإسلام الحاكمة بما أنزل الله. ونحن السيدات المسلمات نرفض قرار الحل، وليس لرئيس الجمهورية وهو ينادي صراحة بعلمانية الدولة حق الولاء علينا، ولا لوزارة الشؤون الاجتماعية كذلك. ليست الدعوة أموالاً أو طعاماً تصادره حكومة العلمانيين المحاربين لله ولرسوله وللأمة المسلمة. فلتصادر الحكومة الأموال والحطام، ولكنها لا تستطيع أن تصادر عقيدتنا. . إن رسالتنا رسالة دعوة ودعاة، إننا نقف تحت مظلة لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وهذا الاعتقاد بأنه لا إله إلا الله يلزمنا بالجهاد المستمر المتواصل غير المنقطع حتى تقوم دولة الإسلام بأمة الإسلام الواعية لدينها الحاكمة بشرعه المجاهدة في سبيل نشره).

كان هذا الموقف الشامخ من «السيدات المسلمات» سنة ١٩٦٤ في ذروة عنفوان السلطة الناصرية الغاشمة التي أذلت أعناق الرجال!!

وفي جولة أخرى أخذ رجال المباحث والمخابرات الناصرية يطلبون مقابلتها ويعرضون عليها عروضاً لإعادة المركز العام للسيدات المسلمات، وكانت هذه العروض

(١) لفظ علماني في اللغة الإنجليزية يعني لا ديني.

ـ على حد قولها ـ تكلفها أن تشتري الدنيا بالآخرة.. عرضوا عليها أيضاً إعادة إصدار «مجلة السيدات المسلمات» باسمها بصفتها رئيسة للتحرير وصاحبة الامتياز مقابل ٣٠٠ جنياً شهرياً، على ألا يكون لها شأن بما يكتب في المجلة !! فكان جوابها: «مستحيل أن تستأنف (مجلة السيدات المسلمات) صدورها من مكتب المخابرات لتنشر الفكر العلماني، كذلك عرضوا عليها إعادة المركز العام وصرف إعانة قدرها عشرون ألف جنيه سنوياً، على أن يكون إحدى مؤسسات الاتحاد الاشتراكي!! وكانت إجابتها: إن شاء الله لن يكون عملنا إلا للإسلام ولن نُموِّه ولن نضلل[1].

في أتون محنة عام ١٩٥٤:

حملت الأخبار فيما حملت أن المخابرات الأمريكية والروسية والإسرائيلية قدمت إلى عبد الناصر تقارير بأن هناك نشاطاً للإخوان المسلمين يقوده سيد قطب من داخل السجن ويشرف عليه من خارجه الشيخ عبد الفتاح إسماعيل وزينب الغزالي الجبيلي، ومع هذه التقارير توصيات بأخذ الأمر بجد حتى يقضى على هذه الحركة الإسلامية وإلا تقوضت أركان حكمه..!!

وعلى الفور عمل عبد الناصر اللازم وزيادة !!

وأخذت الأخبار تتوالى من أوائل أغسطس سنة١٩٥٦ م بالقبض على العشرات والمئات حتى ارتفع الرقم إلى الآلاف بشهادة شمس بدران بنفسه، حيث أقسم برأس عبدالناصر، إنهم اعتقلوا مائة ألف من الإخوان في عشرين يوماً، ملؤوا بهم السجن الحربي وسجن القلعة وسجن أبي زعبل وسجن الفيوم والإسكندرية وطنطا وسجونا أخرى.

وفي ٢٠ أغسطس قبضوا عليها من منزلها بعد أن أهلكوا كل ما فيه وسرقوا خزائنها وصادروا كتبها ثم قادوها إلى السجن الحربي.

وهناك استقبلها صلاح نصر وشمس بدران بأحط وأقذر السباب والشتائم التي لا تصدر عن السوقة، وفي ساحة السجن أثناء مرورها وجدت الإخوان: بعضهم معلقاً على الأعواد كالذبائح والبعض ممدد على الأرض مشقوق الصدر والآخر متهتك الجسد من شدة الضرب والجلد والاستغاثات، وآهات الألم تصعد إلى السماء تشكو لربها ما يفعله الفجرة الفسقة.. وسط هذا المشهد الرهيب الذي تراه وكأنه ساحة نزال أحس بعض المعذبين بمرورها من بينهم فقال: صبراً يا أم!! فأخذها الموقف فجاءتهم استجابتها بصوت عال: صبراً يا أبنائي، إنها بيعة مع الله.. صبراً يا أبنائي إن موعدكم

---

(١) كتاب أيام من حياتي: ص ٨، ١٦.

الجنة.. صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة. ولم تكد تنتهي من ندائها لأبنائها وهي تشد من أزرهم حتى هوى الشيطان الذي يقودها بيده على صدغها وأذنها، ورغم ذلك: عندما انكشف النور عن أجساد ممزقة وأشلاء متناثرة تملأ المكان قالت: في سبيل الله، وسمعت صوتاً كأنه يأتي من الجنة: اللهم ثبت الأقدام: اللهم احفظهم من الفجرة، لولاك ربي ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا... فثبت الأقدام إن لاقينا...

وارتفعت أصوات السياط وتزاحمت، ولكن صوت الإيمان أقوى وأوضح...

وخرج صوت آخر كأنه مقبل من السماء يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فأجابته بقولها: صبراً يا أبنائي إنها بيعة، صبراً إن موعدكم الجنة! وأخذت يد الفاجر ظهرها بضربة موجعة أليمة ساخنة، فلم تجب إلا بهذا الهتاف: الله أكبر ولله الحمد، اللهم صبراً ورضاً، اللهم شكراً وحمداً على ما أنعمت به علينا من الإسلام والإيمان والجهاد في سبيلك[1]..

وانتهى بها مطاف الجلاد الفاجر صفوت الروبي إلى حجرة بها حشد من الكلاب المتوحشة لا تدري من شدة الفزع كم عددها عشرة أو خمسة عشر، وأوقدوا مصباحاً شديد الوهج يخطف نوره الابصار وأوصدوا عليها الباب حيث تعلقت بجسدها الكلاب تنشب في كل جزء فيه أنيابها... تقول: (فتحت عيني وبسرعة أغمضتها من شدة الفزع لهول ما رأيت، ووضعت يدي تحت إبطي وأخذت أتلو أسماء الله الحسنى مبتدئة بـ «يا الله، يا الله» وأخذت أنتقل من اسم إلى اسم، فالكلاب تتسلق جسدي كله، أحس أنيابها في فروة رأسي، في كتفي، في ظهري، أحسها في صدري، في جسدي كله. أخذت أنادي ربي هاتفة: اللهم اشغلني بك عمن سواك، اشغلني لك أنت يا إلهي يا واحد يا أحد يا فرد يا صمد، خذني من عالم الصورة، اشغلني عن هذه الأغيار كلها، اشغلني بك، أرقني في حضرتك، اصبغني بسكينتك، ألبسني أردية محبتك، ارزقني الشهادة فيك والحب فيك والرضا بك والمودة لك وثبت الأقدام يا الله... أقدام الموحدين).

كل هذا كنت أقوله بسري، فالكلاب ناشبة أنيابها في جسدي. مرت ساعات ثم فتح الباب وأخرجت من الحجرة.. كنت أتصور أن ثيابي البيضاء مغموسة في الدماء، كذلك كنت أحس وأتصور أن الكلاب قد فعلت، لكن يا لدهشتي كأن لم يكن شيء، كأن ناباً واحداً لم ينشب في جسدي.

---

(١) أيام من حياتي: ص ٤٦، ٤٧.

سبحانك يا رب، إنه معي، يا الله. . هل أستحق فضلك وكرمك، يا الله. . . يا إلهي لك الحمد وكان هذا هو الاستقبال، الذي تم في الساعات الأولى من دخولها السجن الحربي.

ثم أخذت مشاهد التنكيل بها تتعاقب منذ نقلت إلى الزنزانة رقم٣، حيث أغلقوا عليها الباب وأشعلوا مصباحاً في سقف الزنزانة متوهج الضوء ليخطف بالأبصار ويرهق الأعصاب. . طلبت الذهاب إلى دورة المياه فرد عليها أحد الزبانية في صوت بشع: ممنوع دورة المياه، ممنوع الوضوء، ممنوع الشرب، وإذا طرقت الباب سأجلدك خمسين جلدة وفرقع بالسوط. . أرادت أن تستريح فافترشت الأرض، لكن الجلادين أبوا عليها الراحة حيث تعمدوا أن يعرضوا عليها مشاهد التعذيب لأبنائها من الشباب الذين كانوا يجلسون عندها في مجالس العلم والذكر، حيث توجد نافذة تطل على فناء السجن الذي يوجد به مسرح العمليات: شاب يعقب أخاه بعد أن يصلب وتتهاوى السياط على جسده تمزيقاً حتى يفقد الوعي، وهم يلحون عليه لكي يتكلم عن علاقته بزينب الغزالي، فلا يقول إلا خيراً. . كانت ترى هذا الشاب الطاهر وهو يصلب ويجلد ويعلق كالذبائح بلا رحمة أو شفقة، يتمزق قلبها حسرة وألماً وهي لا تملك إلا الدعاء: أن يجعلها الله فداءً لهذا الشاب. . أثناء هذا المشهد الرعيب أخذها النوم، فرأت رسول الله ﷺ يقول لها: «أنتم يا زينب على الحق، أنتم يا زينب على الحق، أنتم يا زينب على قدم محمد عبد الله ورسوله» وقامت من نومها وكأنها ملكت الدنيا بهذه الرؤيا، وأحست براحة ما بعدها راحة وغشيتها السكينة والاطمئنان. .

أغلقت عليها هذه الزنزانة الأيام الستة الأولى منذ اقتيادها إلى هذا السجن الجهنمي. من ٢٠ أغسطس إلى ٢٦ منه لم يفتح عليها الباب إلا لماماً ليقول: يا بنت الـ. . إنت لسه عايشة؟!! ستة أيام بلا أكل ولا شرب، ولا دورة مياه!! كيف عاشت؟ فإذا عاش الإنسان بدون أكل وشرب، فهل يستطيع أن يعيش بدون قضاء حاجة؟!

يا الله، لكم تحلل المجرمون من كل دين وخلق وجنوا على كرامة الإنسان!!

إنه اليقين بالله واعتقاد الحق قد يصنع شيئاً كبيراً فوق طاقة البشر، فلا عجب، إذا كانت قد بقيت على قيد الحياة، فقوة الله فوق قوة الطواغيت، وهو سبحانه القادر على . . . كدهم!

. . . وبعد الكشف الصبي عليها، أخذوها إلى حوش مرعب مظلم مخيف ظلت به ما يقرب من ساعتين ووجهها إلى الحائط مع التحذير بعدم الحركة، وأغلقوا الباب وهم يقولون: أجلك النهاردة! يابنت الـ. . . وشغلت نفسها بالتلاوة حتى أيقظتها من

استغراقها صفعة من يد غليظة، ثم وابل من الكرابيج فوق جسمها حيثما اتفق.. ثم أعطيت ثلاث ورقات لتكتبها.. ودخل من يأمر الجلاد بمعاودة الجلد قائلاً: «حتى لا تنسي أن تكتب ما نريد يا بنت الـ..».

وبعد هذه الجولة من الجلد والركل سقطت على الأرض من شدة الإعياء، فجاؤوا بمقعد أجلسوها عليه وأعطوها الأوراق مرة ثانية لتكتب أسماء كل من تعرفهم في السعودية، في سورية، في السودان، في لبنان، في الأردن، في أي مكان في العالم... لتكتب كل معارفها من الإخوان المسلمين وكل شيء عن صلتها بهم.. وإلا فستضرب بالرصاص في مكانها، وقدموا لها قلماً ثم أغلقوا الباب وخرجوا...

وجلست إلى هذه الأوراق وكتبت ما خلاصته: أن معارفها كثيرون ومنتشرون في كثير من بلاد العالم، وهذا من بركات الدعوة الإسلامية وطبيعتها العالمية، وما عليكم أيها الطغاة إلا أن تتوبوا إلى الله وتسلموا إليه وجوهكم، وبلغوا عني رئيس جمهوريتكم لعله يتوب ويستغفر ويعود للإسلام ويخلع عن نفسه أطمار الجاهلية.. ألا قد بلغت؟ اللهم فاشهد.

وجاء القبيح صفوت وأخذ الأوراق، ولم يلبث أن عاد وهو يسب ويشتم: يا بنت الـ...و... إحنا بنهزر؟... إيه الكلام الفارغ اللي أنت كتبتيه ده؟

وبعد أن قام من في السجن وقعدوا لدخول حمزة باشا البسيوني(!!) مدير عام السجون الحربية، وبعد أن مزقوا ما كتبته لهم قال: خذوها، دي مافيش فيها فايدة.. وعاد الأشاوس إلى عملياتهم في الضرب والسحل في همجية ووحشية، ولكن هيهات!!

ولما لم يحصلوا على شيء مما كانوا يريدونه، قاموا بتجريب أسلوب آخر: فأرسلوا إليها رجلاً من شياطينهم يتصنع أنه من أهل النصيحة والخير ويدعي كذباً أنه وكيل نيابة؛ بدأ نصيحته قائلاً: «أنا يا حاجة زينب أريد أن أتفاهم معك لأنقذك من بين أنياب وبراثن هذه البلاوي.. كيف ترمين بنفسك في هذا القرف، وأنت زينب الغزالي، المحترمة المصونة، شوفي الإخوان المسلمين كلهم بمن فيهم الهضيبي اعترفوا بكل شيء، وقالوا عنك كلاماً يحكم عليك بالإعدام، حموا أنفسهم ورموك أنت فأدركي نفسك قبل فوات الأوان وقولي الحقيقة».

فأجابت: أعتقد أن الإخوان المسلمين وأنا معهم ومنهم لم نفعل شيئاً يغضب الله، ماذا فعلنا ؟ كنا نعلم الناس الإسلام، فهل في هذا جريمة؟.. قال: لكن أقوالهم

ثبت أنهم كانوا يتآمرون على حاجات كثيرة منها قتل جمال عبد الناصر وتخريب البلد، وكنت أنت تحرضين على ذلك، وهذا تآمر على قلب نظام الحكم.

قالت ما معناه: ليس من أهداف الإخوان المسلمين قتل عبد الناصر أو غيره أو تخريب البلد، الذي يخرب البلد فعلاً هو جمال عبد الناصر، إن هدفنا الإصلاح لا التخريب، والبناء لا الهدم، كما أن الإسلام لا يعرف لغة التآمر، ولكن يجابه الباطل بالحق، ويوضح للناس الطريقين: طريق الرحمن وطريق الشيطان.

ألوان من التعذيب بأمر عبد الناصر:

بالتجويع، إلى الحد الذي تدهورت معه حالتها الصحية، مما جعل الأطباء يقررون أن حياتها في خطر ولا تستطيع المثول أمام المحققين:

التعذيب في زنزانة حالكة الظلام، كريهة الرائحة رطبة تمرح فيها فئران متوحشة.

التعذيب بالتهديد والوعيد بخطاب صادر من عبد الناصر شخصياً يقول فيه: «بأمر جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية، تعذب زينب الغزالي الجبيلي فوق تعذيب الرجال. إمضاء: جمال عبد الناصر».

التعذيب في زنزانة الماء، وهي حجرة يبلغ ارتفاع الماء فيها إلى ذقن الجالس فيها، والأوامر بعدم التحرك، فالتسعيرة: كل حركة بعشرة كرابيج، وأنت في نصف الحجرة، إياك أن تفكري في الزحف للاستناد إلى الحائط، إذا سولت نفسك أن تفعلي هذا فعشرة كرابيج، وإذا وقفت عشرة، ومد رجليك خمسة، ومد ذراعيك خمسة، فلينفعك الهضيبي وسيد قطب.. عبد الناصر أمر بجلدك كل يوم ألف جلدة بالكرباج!! ستة أيام من زنزانة الماء إلى الفئران والعكس حتى أشرفت على الموت!!

التعذيب في الحجرة ٢٤: وهي زنزانة في وسطها نار موقدة، وعند كل ركن من أركانها الأربعة يقف شرطي بيده كرباج كلسان الأفعى.. تؤمر بالدخول في النار فإذا اقتربت منه منعها بكرباجه، ويتلقاها الشرطيان الثاني والثالث وهكذا والنار المشتعلة قريبة منها يلفحها لهيبها.. إنها بين لهيبين: لهيب النار المشتعلة التي تخشى السقوط فيها، ولهيب كرابيج الزبانية...

التعذيب في الحجرة ٣٢: وهي زنزانة بها عمود أفقي على حاملين من الخشب تتدلى منه حلقتان.. أوقفوها تحته على كرسي ثم أمروها بالإمساك بالحلقتين، وفجأة يزاح الكرسي من تحت أقدامها حتى تتعلق في الهواء.. وعند سقوطها على الأرض

يلقفوها بالسياط وتتكرر العملية حتى يغمى عليها. . .

التعذيب بمحاولة الاغتصاب: والاعتداء على العرض. . أدخلوا عليها في الزنزانة وحشاً من وحوشهم الآدمية، ولكن الله أمكنها منه فصرعته، فجاء إليها رياض ليقول لها بكل صلابة: هل تريدين أن تكوني قديسة؟. . الجنود الذين أعددناهم في المستشفى الآن حقنوهم وأصبحوا كالكلاب المسعورة، سيأتون إليك غداً ينهشون لحمك نهشاً، إنها أوامر جمال عبد الناصر، لن نتركك أبداً. حاولنا معك بالنصيحة مرات ومرات وأنت لا تتزحزحين عن موقفك. . . تريدين أن تكوني قديسة ؟ ولما لم يجدوا رداً انهالت الكرابيج. . ثم أرغى وهو يقول «عليه لعنة الله»: إنت فاهمة ربكم عنده جهنم صحيح!!! جهنم هنا عند عبد الناصر. . الجنة عند عبد الناصر جنة موجودة حقيقية، وليست جنة وهمية خيالية مثل التي يعدكم بها ربكم!!! ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾(الكهف: ٥)

المنازلة... مع من ؟!

ولما لم يحصلوا على شيء مما يريدون، عاد زبانيتهم بكرابيجهم وأساليبهم الخسيسة، وعاد أشاوسهم إلى المنازلة التي لم يكونوا يجيدون غيرها. . ومع من المنازل ؟. . مع النساء، نساء من أفضل نساء العالمين في هذا العصر، مثلاً: زوجة الأستاذ المستشار حسن الهضيبي المجاهدة العظيمة أُخذت إلى السجن الحربي وهي في سن الثامنة والسبعين. . والسيدة خالدة الهضيبي وهي حامل في شهورها الأخيرة. . والسيدة أمينة قطب وشقيقتها نفيسة وحميدة قطب، وعلية الهضيبي، والسيدة المجاهدة العظيمة أم أحمد، والسيدة فاطمة عيسى والسيدة غادة عمار والسيدة آمال العشماوي، وعروس أخذوها من كوشة الفرح وعروس كرداسة الأخرى زوجة الأخ سيد نزيلي، وعروس الطيار محمد ضياء الطوبجي، وعروس المهندس مصطفى مرسي، وعشرات النساء في السجن الحربي، ونساء كرداسة عددهن ٨٥ امرأة مسلمة رحلن إلى سجن القناطر. . إنه عار احتملته مصر، وستعيش تاريخها تتألم لهذه الفترة التي ابتليت فيها بحكم هذا الطاغوت، الذي حطم كل القيم وكل معاني الشرف، لقد كانت النساء تجيء إلى التحقيق جراً يسحبن على وجوههن في طرقات هذا السجن اللعين!

وعلى صفحات كتاب «أيام في حياتي» إدانة كاملة لهذا العهد الأسود في تاريخ مصر. . هذا الكتاب الذي يعاد طبعه سنوياً، ويقدم له ناشره بقوله:

وهذا الكتاب تنفد طبعاته المتتالية في أرقام قياسية لنفاد الكتب! فقد أقبل

القراء مشدودين بحقائقه المثيرة الرهيبة، زاد من وقعها وأثرها ما اقترنت به من عرض للدعوة وفلسفتها ومنهاجها عرضاً ثابتاً جريئاً لا مواربة فيه.. في مواجهة الطغيان نفسه وفي ثنايا أبشع تعذيب وتنكيل.. وفي موقف الهجوم لا موقف الدفاع!!

الكتاب أولاً وأخيراً، يعطينا الإجابة ويفسر لنا: لماذا لم يكن ممكناً أن يتأتى لنا النصر؟! وقد كانت هذه هي «ساحات النزال» التي حذقها «المغاوير» وتوفروا عليها» وبرعوا فيها تصول «جحافلهم» وتجول، تنفذ أبشع الجرائم، وتمارس أحط الأساليب.. للقهر والتعذيب، والتنكيل والتخريب.. للشرفاء والمؤمنين!

تصور بعض ذلك الداعية الإسلامية المجاهدة، الصابرة المصابرة.. زينب الغزالي الجبيلي عبر تجربتها الشخصية التي عانتها وخاضتها. بثبات المجاهدين وبلاء الصابرين وشموخ المؤمنين! ترويها في وقائع مثيرة.. مذهلة.. محزنة!

وتقدمها في هذا الكتاب بعنوان «أيام في حياتي» هدية إلي: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران: ١٧٣).

لماذا لم يحاكم عبد الناصر؟

تقول المجاهدة العظيمة الحاجة زينب:

هل لي أن أتساءل لِمَ لم يحاكم عبد الناصر على ما ارتكب من جرائم لتستطيع مصر أن تواجه التاريخ وتقف مرفوعة الرأس؟

إن الأمر لجد خطير إن لم تبرأ مصر من جرائم وقعت في عهد عبد الناصر، وإلى أن يأتي ذلك اليوم فستظل مصر كلها مسؤولة عن جرائمه إلا جماعة الإخوان المسلمين التي برئت إلى الله ورفعت صوتها عالياً باستنكار جرائمه، لقد خدعها في الأيام الأولى للحركة فأيدته، ولما علمت من هو ولمن عمالته قررت في عزمة الإيمان أن تقاومه.. وكانت معركة الشرف بين الحق والباطل سنة ١٩٥٤ ثم معركة المجد سنة ١٩٦٥. نعم كانت معركة٦٥ معركة مجد وشرف، لبعث الإسلام شامخاً قوياً، بعد أن خيل للطاغوت أن دعوة الإخوان أصبحت تاريخاً يروى وعملاً أسدلت عليه الأستار، وقصصاً تلوكها الألسنة وبعض رجال خلف قضبان السجون.

كانت مواجهة ١٩٦٥ وثبة الأشبال ونهضة الشباب من الجيل الذي ولد في أيام انقلاب عبد الناصر وصَبَّ به كل ما يملك من سموم مناهجه في التربية والإعلام.

نعم ذلك الجيل هو الذي استوعبته الدعوة ونظمته في صفوفها من جديد. فجن جنون عبدالناصر فقد سلبته امرأة ورجل جيله، كما كان يصيح فيمن حوله. كانت المرأة هي الحاجة زينب الغزالي، وكان الرجل هو الشيخ عبد الفتاح إسماعيل...

وانتهت أيام السجن الحربي بكل مخازيها والإخوان المسلمون كالطود الشامخ شرفاً ورجولة ومجداً، أما عبد الناصر فسجل خزيه يوم حملتهم عرباته وعساكره في الخامس من يونية ١٩٦٧ من السجون الحربية إلى السجون المدنية لتفسح المجال لمن امتلأت بهم ا لسجون من طغمته يستر بهم عاره الذي لن يستطيع أن يفر منه يوم البعث والحساب!!

وإذا كان عبد الناصر لم يحاكم حتى الآن على جرائمه، فإن مصر ما زالت ترسف في أغلال طغمته المجرمة من رجال التنظيم الطليعي... وإلى أن تتحرر مصر من هؤلاء الأنجاس ويكتب لها الخلاص من هذا الجيل العفن تتم محاكمة عبد الناصر!!

الفصل الحادي عشر

حقــوق أخــرى

حقوق أخرى

وهناك حقوق أخرى كفلتها شريعة الإسلام للمرأة،ويجب على الزوج القيامُ بها حقَّ القيام ومن هذه الحقوق أن يناديها بأحبِّ الأسماء إليها، وأن يكرمها في أهلها بالثناء عليهم أمامها، وبمبادلتهم الزيارات، وبدعوتهم في المناسبات، وأن يحلم عليها إذا غضبت، ويستمع إلى حديثها إذا تكلمت، ويحترم رأيها، ويأخذ بمشورتها، وأن ينبسط لها في البيت، فيمزح معها، عن عمر رضي الله عنه قال: «ينبغي للرجل أن يكون في بيته كالصبي، فإذا كان في القوم وُجِدَ رجلاً !!.».

مقارنات تاريخية:

الطريقة المثلى للدفاع عن الإسلام تستخدم منهج المقارنة بين الإسلام واليهودية والمسيحية. وفي هذا المنهج تمت محاولة لتوضيح أن الإسلام عامل المرأة بطريقة مساوية منذ زمن محمد ﷺ، بينما وضعت المسيحية واليهودية المرأة في وضع أدنى.

ففي مقالة د. جمال بدوي «تعدد الزوجات بين الإسلام والمسيحية واليهودية».
يوضح حقائق كثيرة عن الديانتين الأخريين تبين عدم المساواة في معاملة المرأة، ففي «العهد القديم» شخصيات بارزة مثل داود وسليمان وإبراهيم كانوا متزوجين من أكثر من امرأة، الشيء الذي يعتبر دليلاً على وجود تعدد الزوجات.

لقد كان الإسلام أكثر واقعية في اتجاهه نحو تعدد الزوجات من المسيحية واليهودية، فبدلاً من تحريم تعدد الزوجات نهائياً، أدرك محمد ﷺ أنه في بعض الحالات مثل الزوجة العاقر سيكون حلاً عملياً أكثر وأفضل من الزوجة الواحدة. وبهذه الطريقة أصبحت عملية تعدد الزوجات حماية للمرأة العامة من أن تعزل وأن تتعرض لوضع مهين بسبب الطلاق. ويتضح في هذا المجال أن الإسلام عامل المرأة باهتمام واحترام أكثر من كل من المسيحية واليهودية.

التسليم بالاختلافات:

أقر معظم الكتاب بأن هناك بعض الاختلافات الجنسية التي يذكرها الإسلام عادة عندما يتناول بالتفصيل المساواة بين الجنسين في الشريعة الإسلامية. ويمكن تفسير أسباب تلك الاستثناءات بأن على الرجل أن يقوم بواجبات والتزامات إضافية. فعلى سبيل المثال يذكر الإسلام أن الرجل يجب أن يأخذ نصيباً مساوياً لنصيب المرأتين في الإرث. ويعزو الإسلام من خلال كتاب محمد حميد الله «مقدمة في الإسلام» الفصل الحادي عشر «المرأة المسلمة »، هذه الفروق في المعاملة للأسباب التالية:

١ـ المرأة في الإسلام «تحوز ملكيتها بمفردها التي لا يستطيع أبوها أو زوجها أو أي قريب أن يأخذها تحت اي حق».

٢ـ للمرأة الحق في النفقة (المأكل والملبس والمسكن وغيرها) وتفرض المحكمة على والدها أوزوجها أوابنها أو غيرهم أن يلبوا تلك الاحتياجات.

٣ـ وتحصل المرأة في الإسلام من زوجها على المهر الذي يصبح من حقها كلية. وهكذا ـ تبعاً لكتاب حميد الله ـ فالمرأة عليها مطالب مادية على حسابها الخاص أقل من الرجل المفروض عليه التزامات أثقل(ص١٤١٠)،ومثال آخر لفروق معاملة المرأة في الإسلام هو أن المرأة تعتبر غير مؤهلة لقيادة المجتمع «لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة».

وتفسر مقالة بدوي «وضع المرأة في الإسلام » هذا الفرق كالتالي: «لا يؤثر هذا التخصيص في كرامة المرأة أو حقوقها. وإنما يرجع هذا إلى الفروق الطبيعية في التكوين النفسي والجسماني لكل من الرجل والمرأة» وتبعاً للإسلام فإن قائد الدولة يؤم الناس في الصلوات خاصة أيام الجمع والأعياد ويكون باستمرار منغمساً في اتخاذ القرارات ومختصاً بأمن ورخاء شعبه. وهذا المنصب ذو الأعباء لا يناسب التكوين النفسي والطبيعي للمرأة بصفة عامة. وهناك حقيقة طبيعية هي أن المرأة تعاني أثناء دورتها الشهرية وحملها تغيرات نفسية وطبيعية.

وقد تحدث مثل هذه التغييرات في ظرف طارئ وبالتالي تؤثر على قرارها. وأكثر من هذا فإن بعض القرارات يستلزم حداً أقصى من التفكير العقلي وحداً أدنى من العواطف، وهو مطلب لا يتلاءم مع الطبيعة الفطرية للمرأة (ص ١٠١).

ولتلخيص هذه الاختلافات المختصة بالإرث والحياة العامة نراها تقوم على أساس أنها لحماية المرأة ولجعل حياتها أفضل. وهكذا فإن تلك الاختلافات البسيطة في الحقوق والامتيازات لا ينظر إليها على أنها اختلافات قد تتسبب في وضع المرأة في مرتبة أقل من الرجل.

المرأة في المجتمعات القديمة وفي الإسلام[1]

تعرضت المرأة في التاريخ إلى أنواع من المعاملات سواء كانت في عصور غير متدينة أو في عصور سيطرت فيها ديانات معينة، يحسن بنا أن نتعرض لشيء من ذلك:

أ ـ الصين:

ففي الصين كانت المرأة تحتل في المجتمع مكانة مهينة، ولقد كتبت إحدى سيدات الطبقة العليا بالصين رسالة قديمة تصف فيها مركز المرأة، فكان مما جاء فيها: «نشغل نحن النساء آخر مكان في الجنس البشري، ويجب أن يكون من نصيبنا أحقر الأعمال».

ومن أغانيهم: «ألا ما أتعس حظ المرأة، ليس في العالم كله شيء أقل قيمة منها، إن الأولاد ـ يقصد الذكور ـ يقفون متكئين على الأبواب، كأنهم آلهة سقطوا من السماء، أما البنت فإن أحداً لا يسر بمولدها... وإذا كبرت اختبأت في حجرتها تخشى أن تنظر في وجه إنسان، ولا يبكيها أحد إذا اختفت من منزلها»[2].

ب ـ الهند:

وفي الهند نجد في أساطير مانو أن مانو «عندما خلق النساء فرض عليهن حب الفراش، والمقاعد، والزينة، والشهوات الدنسة، والغضب، والتجرد من الشرف، وسوء السلوك... فالنساء دنسات كالباطل نفسه، وهذه قاعدة ثابتة»[3]... وفي تشريع مانو: «أن الزوجة الوفية ينبغي أن تخدم سيدها ـ زوجها ـ كما لو كان إلهاً، وألا تأتي شيئاً من شأنه أن يؤلمه حتى إن خلا من الفضائل... وكانت المرأة بناءً على ذلك كله تخاطب زوجها في خشوع قائلة: يا مولاي.. وأحياناً: يا إلهي... وتمشي خلفه بمسافة، وقلما يوجه إليها هو كلمة واحدة.. وكانت لا تأكل معه، بل تأكل مما يتبقى منه»[4].

---

(١) الإسلام والمرأة المعاصرة. البهي الخولي، ص ١٠.

(٢) حضارة الصين ـ ول ديورانت، «ترجمة محمد بدران» ٢٧٣.

(٣) تاريخ العالم «ترجمة الإدارة الثقافية بوزارة المعارف سابقاً» ٣٩٤.

(٤) حضارة الهند. ول ديورانت ١٧٩، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود.

ج- اليونان:

أما في اليونان القديمة فيكفي أن المرأة في العصر الذهبي لم يكن لها أي دور في حضارته، إذ كانت معزولة عن المجتمع، تعيش في أعماق البيوت على أنها سقط متاع، حتى كان من مفكريهم ومؤرخيهم الكبار من ينادي: «يجب أن يحبس اسم المرأة في البيت كما يحبس جسمها»[١]........وكان ينظر إلى الزوجية على أنها: «وظيفة لاستيلاد الأطفال، لا تعلو كثيراً عن وظيفة الخدمة في البيوت... ولم يكن من الأوضاع المألوفة أن تكون الزوجة موضع حب أو ملاطفة، فإن لتلك المشاعر مجالاً آخر، يصوره ديموستين خطيبهم المشهور بقوله: «إننا نتخذ العاهرات للذة، ونتخذ الخليلات للعناية بصحة أجسامنا اليومية، ونتخذ الزوجات ليلدن لنا الأبناء الشرعيين».. وعلى هذا كانت الزوجة تنتقل من بيت أهلها لا لتكون سيدة البيت في بيت زوجها، بل لتؤدي فيه - إلى جانب الخدم - وظيفتها في استيلاد الأطفال وحضانتهم..

د- الرومان:

وفي الحضارة الرومانية - في عهد الجمهورية الأولى - كان رب الأسرة هو رئيسها الديني، وحاكمها السياسي، ومديرها الاقتصادي، فإليه ترجع الحقوق كلها، فهو الذي يملك، وهو الذي يبيع ويشتري، ويتعاقد ويتصرف في كافة شؤون أسرته.. أما المرأة فلم يكن لها إلى جانبه شيء، إذ لم تكن لها أهلية أو شخصية قانونية، فقد كان القانون يعتبر «الأنوثه» سبباً أساسياً من أسباب انعدام الأهلية، كحداثة السن، والجنون[٢]... ولقد بلغ من ذلك أن البائنة المالية «الدوطة» التي كانت تنقل بها المرأة من بيت أهلها تصير ملكاً خالصاً لزوجها بمجرد تحولها إليه ولم يكن لها أن تظهر في المحكمة ولو شاهده ولقد عرف الرومان نوعاً من الزواج اسمه الزواج بالسيادة.. وبه تدخل المرأة في سيادة زوجها وتصير في حكم ابنته وتنقطع صلتها بأسرتها الأولى، ولقد بلغ من سيادة زوجها عليها، أنها كانت تحال إليه إذا ما اتهمت بجريمة ليحاكمها ويعاقبها بنفسه، وكان له أن يحكم عليها بالإعدام في بعض التهم كالخيانة مثلاً...

(١) حياة اليونان، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران١١٤، ١١٧.

(٢) ١٩٧، ٢٤١ مبادئ القانون الروماني للدكتور محمد عبد المنعم بدر، والدكتور عبد المنعم البدراوي.

وكان إذا توفي عنها زوجها، دخلت في وصاية أبنائها الذكور، أو إخوة زوجها، أو أعمامه»[١].

هـ. العرب:

كان كثير من العرب لا يرحب بميلاد الأنثى، وذلك من الأمور الطبيعية في مجتمع قبلي لا تهدأ فيه الغارات، ولا تسكن خصومة الثأر، وكان الرجل هو صاحب الغناء والبلاء في تلك الحروب التي يعلو بها شأن القبيلة أو يخفت، أما الأنثى فلا غناء لها في هذا المجال، علاوة على أنها في نظر العدو غنيمة مطلوبة للخدمة أو للاستمتاع، فيضاعف ذلك على رجال قبيلتها عبء الصيانة والمدافعة خوف ما يلحقهم من عار إذا وقعت سبيا ذليلاً في يد العدو... وكان الرجل في بعض القبائل إذا ولدت له الأنثى عراه الغم الشديد، وأخذ يعالج الأمر في نفسه: أيبقيها على مضض ومهانة أم يتخلص من عبثها وعارها فيقتلها أو يدفنها حية في التراب؟... وكثيراً ما كان يلجأ إلى التصرف الأخير، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾(النحل: ٥٩).

وكان الرجل من العرب إذا مات عن زوجته، قام أكبر أبنائه، فإذا كانت له بها حاجة طرح عليها ثوبه فصارت حقاً له بدون إذنها»[٢].

و. اليهود:

ومع أن اليهودية دين سماوي، فإن مواريث البداوة دعت بعض طوائفهم إلى أن يعتبروا البنت دون مرتبة أخيها، وهبطوا بها حتى سووها بالخدم، وكانت لا ترث مع إخوتها الذكور.. وكان لأبيها أن يبيعها وهي طفلة أو دون البلوغ...

ز. علماء المسيحية:

وفي المسيحية غالى رجال الكنيسة في إهدار شأن المرأة، وهم دعاة شريعة الحب والرحمة، فكانوا يقولون للنساء قولاً له وزن الشرع المقدس: «إنه أولى لهن أن

(١) المصدر السابق ص ٢٢١، ص ٢٦٥.

(٢) جـ٣ ص ٥٢ من بلوغ الأرب للألوسي، جـ ٣ ص ٤٢ وما بعدها من المرجع نفسه، ويراجع أيضاً تفسير ابن كثير والكشاف للزمخشري في الآيتين السابقتين من سورة النحل.

يخجلن من أنهن نساء، وأن يعشن في ندم متصل جزاء ما جلبن على الأرض من لعنات، فكانت تعاد بهذا نفس العبارات التي قالها «مانو» فيهن، وهي أن النساء باب للجحيم، وأنهن الخطيئة مجسمة؛ وقد ذهب البعض إلى أبعد من هذا، فزعموا أن أجسامهن من عمل الشيطان... وأنه يجب أن يُلعن النساء لأنهن سبب الغواية، وكان يقال: إن الشيطان مولع بالظهور في شكل أنثى»[1]...

غالى رجال الكنيسة إلى هذا الحد حتى كان من موضوعاتهم التي يتدارسونها:

هل للمرأة أن تعبد الله كما يعبده الرجل؟

هل تدخل الجنة وملكوت الآخرة ؟.

هل هي إنسان له روح يسري عليه الخلود؟ أو هي نسمة فانية لا خلود لها؟

(١) تاريخ عالم ترجمة وزارة المعارف المصرية.

إجمال الأخطاء وخلاصة موقف الإسلام

تلك ملامح أو معالم موجزة تعطينا حكماً صادقاً عن الوضع الاجتماعي للمرأة في كثير من البيئات القديمة المتحضرة متدينة وغير متدينة.. ويمكن مما تقدم أن نلخص الأخطاء القديمة فيما يأتي:

١ـ أن إنسانيتها لم تكن موضع اعتبار لدى الرجل، فلم يكن لها جهد معلوم أو دور مقرر تسهم به في تنظيم المجتمع. . وقد رأينا كيف هبط بها بعضهم حتى كانوا يتدارسون فيما بينهم: هل المرأة إنسان له روح، أو هي حيوان نجس لا روح له؟!

٢ـ أنها لم تكن لدى كثيرين أهلاً للتدين والتخلق بالفضيلة، وقد رأينا «مانو» يجردها من شرف السلوك، ورأينا غيره يتابعه على ذلك، ويتشكك في أهليتها لعبادة الله. . .

٣ـ انعدام المساواة بين الابن والبنت في نطاق الأسرة، كما رأينا لدى العرب وقدامى الصين. . وانعدامها بين الزوج والزوجة، كما رأينا لدى الهنود.

٤ـ إهدار شخصيتها القانونية، أو أهليتها للتصرف الاقتصادي، إذ كانت غالباً لا تملك، ولا ترث، ولم يكن لها دور في بيع أو شراء أو شركة أو نحوها من الشؤون الاقتصادية والاجتماعية، وقد رأينا كيف كان القانون الروماني يعتبر «الأنوثة» سبباً أساسياً من أسباب انعدام الأهلية. . .

وقد نستطيع أن نجمل تلك الأخطاء في خطأ واحد، هو: أن «إنسانيتها لم تكن محل اعتبار لدى الرجل إما لجحود تلك الإنسانية، وتجريدها منها ألبتة، وإما لإحساسهم بأن مهمات الحياة لا تقتضيها دوراً أساسياً تسهم به في المحيط العام، والمقرر أن أنوثة المرأة ـ مع مقتضيات الحياة البدائية التي أشرنا إليها ـ كانت السبب المباشر في تسلسل تلك الأخطاء وتطورها إلى الوضع الذي عرضنا بعض ملامحه. . ولهذا كان من حكمة الإسلام وأصالته أنه حين عرض لتقرير مكان المرأة في الحياة عرض له على أساس الواقع من تقويمها أو تكوينها الفطري الجامع لخصائصها الروحية والحسية. . . فأعلن إنسانيتها التي تستوي فيها مع الرجل، وأعلن وصفها الخاص الذي تنفرد به عنه باعتبارها أنثى. . وفي تشريعه لكل من هذين الوصفين لم يقصر بها عن الوضع الذي قررته الفطرة لإنسان، ولم يجاوز بها المدى الذي رسمته الطبيعة لأنثى. . .

تقرير الإسلام لإنسانية المرأة

قدمنا أن «إنسانية» المرأة لم يكن لها اعتبار في كثير من المجتمعات القديمة المتحضرة، متدينة وغير متدينة... وقد رأينا أنه كان من موضوعات بعضهم التي يتدارسونها: هل للمرأة أن تعبد الله كما يعبده الرجل؟.. وهل تدخل الجنة وملكوت الآخرة؟.. وهل هي إنسان له روح يسري عليه الخلود، أوهي حيوان نجس أعد للخدمة؟... وبينما كانت هذه المجتمعات تعاني ذلك ظهر الإسلام في جزيرة العرب يقرر لها من الحقوق والواجبات، والخصائص النفسية، والاستعدادات العليا ما كان مثار عجب ودهشة بين بعض أتباع النبي انفسهم، فضلاً عن غيرهم، لأنه كان يقتضي تغييراً أساسياً في أوضاعهم الراسية، وتقاليد فروسيتهم التي درجوا عليها منذ قرون كثيرة... فقد قرر لها أهليتها الاقتصادية وجعلها فيها صنو الرجل، وقرر لها أهليتها الاجتماعية... كما قرر أهليتها للعبادة والتكاليف الشرعية.. وأبرز لها وجوداً اجتماعياً عاماً إذ جعل لها دوراً في إصلاح المجتمع، يقوم على حراسة قيمه، وتقويم انحرافاته، وتزكية عقائده ومبادئه للسمو بها إلى أفضل ما يستطاع، لا تتخلف في ذلك عن الرجل، ولا تقل عنه مسؤولية فيه، وهو سبحانه يقول: ﴿والمُؤمنون والمُؤمنات بعضُهم أولياءُ بعضٍ يأمُرون بالمعروف وينهَون عن المُنكر ويُقيمون الصّلاة ويُؤتون الزكاة ويُطيعون الله ورسُولهُ أُولئك سيرحمُهُم اللهُ إنّ الله عزيزٌ حكيمٌ﴾... (التوبة: ٧١)

وقد جعل الإسلام أساس ذلك كله تقريراً لحقيقة «الوصف العام» للمرأة..

وهو الوصف الذي تشترك فيه مع الرجل، ويتألف من عنصرين أساسيين يمتزج كل منهما بالآخر حتى يكونا حقيقة واحدة هي ما سميناه: «الوصف العام» وهذا العنصران هما:

أخوة النسب البشري ووحدة المعنى الإنساني

وهي تتساوى في كل منهما مع الرجل كل المساواة، وقد جاء تقريرهما في الإسلام على النحو الآتي:

أ ـ فهي أخت الرجل، إذ تنسب وإياه إلى أب واحد وأم واحدة، وذلك قوله تعالى: ﴿يا أيُها النّاسُ إنّا خلقناكُم مّن ذكرٍ وأُنثى وجعلناكُم شُعُوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكُم عند الله أتقاكُم إنّ الله عليمٌ خبيرٌ﴾.. (الحجرات: ١٣) فهو ينادي الجميع بكلمة «الناس»

معلناً أن خلقهم من أب واحد وأم واحدة» ﴿إنَّا خلقناكُم مِن ذكرٍ وأُنثىٰ﴾. . ولفظ «الناس» في اللغة يشمل أفراد الإنسان كافة رجالاً ونساء، فهو على هذا يقرر الأخوة - أخوة النسب - بين الرجل والمرأة إذ خلقهما من «ذكر وأنثى»، فكل منهما شقيق الآخر، ورسول الله ﷺ يقرر هذه الحقيقة بقوله: «إنما النساء شقائق الرجال». . وأخوة النسب على هذا النحو تقتضي المساواة فيه، إذ لا يكون أحد الشقيقين أوفر حظاً في النسبة إلى أبويه من الآخر، فالمرأة على هذا مساوية للرجل في النسبة إلى الأبوين، لا تزيد فيها عنه ولا تنقص. .

ب - وهي إنسان مثله مساوية له في الإنسانية، وذلك في قوله تعالى: ﴿يا أيُّها النَّاسُ اتَّقُوا ربَّكُمُ الَّذي خلقكُم مِّن نَّفسٍ واحدةٍ وخلق منها زوجها وبثَّ منهُما رجالاً كثيرًا ونساءً واتَّقُوا اللَّه الَّذي تساءلُون به والأرحام إنَّ اللَّه كان عليكُم رقيبًا﴾ (النساء: ١). . . وشاهدنا يتعلق من هذه الآية بثلاث جمل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿يا أيُّها النَّاسُ اتَّقُوا ربَّكُمُ﴾، فهو إذ ينادي الجميع بكلمة «الناس» يختلف عن سابقه في المراد بالنداء، فهو هنا يطلب إليهم أن يتقوا ربهم، وهناك يخبرهم أنه خلقهم من ذكر وأنثى. . . وتقوى الله تعالى إنما تتعلق بخصائص روحية في النفس، ولا صلة لها بما بين الأفراد من روابط النسب، وعلائق اللحم والدم. . فإذا نودي «الناس» أن يتقوا ربهم، فالنداء متوجه إليهم باعتبار خصوصية الإنسانية فيهم، تلك الخصوصية التي تجعلهم نوعاً قائماً بذاته بين «أنواع» كائنات هذه الأرض. . وبما أن المرأة داخلة مع الرجل في مفهوم كلمة الناس - على ما قدمنا - فهي مخاطبة معه بتكاليف التقوى، أي أن الخطاب متوجه إليها باعتبار «خصوصية الإنسانية فيها» فهي - إذاً - إنسان كما هو إنسان.

والجملة الثانية: مما يتعلق به مرادنا قوله تعالى: ﴿خلقكُم مِّن نَّفسٍ واحدةٍ﴾. فإن دلالة هذا القول على النسبة الروحية أوضح وأوكد من دلالته على أخوة النسب الحسي الذي لابد فيه من نفسين اثنتين، لا «نفس واحدة» ولا سيما أن النفس في اللغة تدل على الروح، وعلى الصفات المعنوية للمرء، ولا تقتصر دلالتها على شخص الإنسان الظاهر للحس.

والجملة الثالثة: قوله تعالى: ﴿وخلق منها زوجها﴾ فإنها مع سابقتيها تسهم في توكيد الدلالة على وحدة المعنى الإنساني، ذلك أن الجملة السابقة ترد الجميع إلى نفس

واحدة هي نفس آدم عليه السلام، أما هذه الجملة فتنفرد بتقرير نسبة الزوجة ـ أم الجميع ـ حواء عليها السلام إلى نفس المصدر الروحي الذي نسب إليه بنوها... فالأبناء ـ إذاً ـ وأمهم معهم داخلون في التقويم الإنساني المستمد من خصائص تلك النفس الواحدة.

ونعتقد أن ليس ثمة نص في قديم أو حديث عالج ـ في إيجاز وإعجاز ـ تقرير إنسانية المرأة من جميع النواحي، وبأبعد الأعمال أصالة، وبمختلف طرق التقدير والتعبير، على مثل مانجد في ذلك النظم القدسي الكريم: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾.

ولما كان التقويم الإنساني الذي قدر لآدم عليه السلام معنى علوياً من أمر الله، وليس مادة قابلة للتجزئة والتبعيض، فإن ما استمد منه لإنسانية زوجه، وإنسانية أولاده جميعاً رجالاً ونساءً لا يمتاز بعضه عن بعض، ولا اعتبار فيه لذكورة أو أنوثة، وذلك أمر له دلالته على وحدة المعنى الإنساني لدى الرجل والمرأة، ومساواة المرأة للرجل فيه، هذا في الوقت الذي كانت تنعقد فيه مؤتمرات بعض الأديان لتبحث في أمر المرأة، هل هي إنسان أو غير إنسان!!

بتقرير هذين العنصرين وامتزاج أحدهما بالآخر يتألف الوصف العام الذي يشترك فيه كل من الرجل والمرأة على نحو من المماثلة التامة لايفترق فيه أحدهما عن الآخر، وعلى أساس هذا الوصف وتلك المماثلة قرر الإسلام للمرأة نفس ما قرر للرجل من أهلية دينية واقتصادية واجتماعية ودور في المجتمع على ما سنورده فيما يأتي.

٢. تقرير أهليتها للتدين.

ففي تقرير أهليتها للتدين وتلقي التكاليف الشرعية قدمنا أنها إذ نوديت بتكاليف تقوى الله كان الخطاب متوجهاً إليها باعتبار «خصوصية الإنسانية» فيها، أي أن إنسانيتها هي التأهيل الروحي والعقلي لهذا التكليف... وهي في ذلك مثل الرجل على ما قدمنا.

ومما له مغزاه في هذا المقام، أن الله تعالى أشرك حواء مع آدم ـ عليهما السلام ـ فيما خاطبه به، وأمره ونهاه.. فحين أمره أن يسكن الجنة، ونهاه أن يأكل من الشجرة، وجه إليهما الخطاب معاً: ﴿ يا آدمُ اسكُنْ أنت وزوجُكَ الجنَّةَ وكُلا منها رغدا حيث

شئتما ولا تقربا هذه الشجرة﴾ (البقرة ٣٥). وحين أنكر سبحانه ما كان من مخالفة أمره، وجه الإنكار إليهما معاً: ﴿ألم أنهكما عن تلكما الشجرة﴾؟(الأعراف: ٢٠)... » إلخ.

وتأكيداً لمساواتها بالرجل في تلك الأهلية جُعلت مستقلة عنه فيها كل الاستقلال، لكل منهما مسؤوليته الخاصة عن نفسه عند الله، حيث لا تغني نفس عن نفس شيئاً، ولأمر ما كان للنساء بيعة خاصة بهن في الإسلام دون بيعة الرجال، لتدخل كل منهن الإسلام من باب غير باب زوجها أو أبيها: ﴿يا أيها النبيُّ إذا جاءك المؤمناتُ يبايعنك على أن لا يُشركن بالله شيئًا﴾إلى أن قال: ﴿فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفورٌ رحيمٌ﴾ (الممتحنة: ١٢)، قال فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت - رحمه الله - في رسالة القرآن والمرأة: «ولعلك تأخذ من مبايعة النبي - ﷺ - للنساء مبايعة مستقلة عن الرجال أن الإسلام يعتبرهن مسؤولات عن أنفسهن مسؤولية خاصة مستقلة عن مسؤلية الرجل»[1].

وتأسيساً على تلك المسؤولية كانت مع الرجل في ميزان الثواب والعقاب الأخروي على درجة سواء، على حسب ما قدم كل منهما لنفسه من إحسان أوسوء: ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمنٌ فأولئك يدخلون الجنة ولا يُظلمون نقيراً﴾ (النساء: ١٢٤)...

﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم﴾(التوبة: ٦٨)

أهليتها الاقتصادية:

وأما أهليتها الاقتصادية فنعني بها: أهليتها لتملك القيم الاقتصادية والتصرف فيها.. وقد قدمنا أن ما أُهِّلَت به المرأة من عقل ومواهب روحية جعلها أهلاً لتلقي شرف التكليف الإلهي بعبادة الله تعالى، وفعل الخير، فأولى أن تكون أهلاً لما دون ذلك من القيم الاقتصادية على اختلاف أنواعها.. وقد كانت الأنوثة لدى الرومان - على ما سبق - من أسباب انعدام أهلية المرأة، وأنها لم تكن لدى العرب وغيرهم بأحسن حالاً من حيث التملك والتصرف، فجاء الإسلام، وجعل لها كالرجل حق مباشرة عقود التصرفات بجميع أنواعها، وجعلها صاحبة الحق المطلق على ملكها، ولم يجعل للرجل أيا كانت صفته أو قرابته منها - أي سلطان عليها..

---

(١) ص ٣ من رسالة القرآن والمرأة لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت.

فقد قرر لها حق التملك بالميراث، بعد أن كانت محرومة منه في الجاهلية، ونزل بذلك المبدأ قوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾(النساء: ٧).

وغدت بذلك ترث أباها، وأخاها، وابنها، وزوجها، وغير هؤلاء من أقاربها.

ولم يكن لها في الجاهلية حق في المهر الذي يدفعه زوجها، بل هو حق لأبيها، أو أخيها، أو نحوه من الأولياء.. وقدمنا أن الدوطة لدى الرومان كانت تصير حقاً للزوج بمجرد تحول الزوجة إلى بيته.. وكان ذلك منطق الوضع الذي لا يعترف لها بتملك أو ميراث، فقرر الإسلام أن المهر حقها وحدها، ولم يجعل لزوجها أو وليها أي سلطان عليه، أو أي حق فيه، يقول الله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾. (النساء: ٤) قال ابن حزم: «لا يجوز أن تجبر المرأة أن تتجهز إلى الزوج بشيء أصلاً، لا من مالها، ولا من صداقها، والصداق كله لها تفعل فيه ما شاءت، لا إذن للزوج في ذلك، ولا اعتراض».. إلى أن يقول: «ولا يحل لأبي البكر صغيرة كانت أم كبيرة، أو الثيب، ولا لغيره من سائرة القرابة أو غيرهم حكم في شيء من صداق الابنة أو القريبة، ولا لأحد ممن ذكرنا أن يهبه ولا شيئاً منه لا للزوج، ولا لغيره، فإن فعلوا شيئاً من ذلك فهو منسوخ باطل مردود أبدا، ولها أن تهب صداقها أو بعضه لمن شاءت، ولا اعتراض لأب ولا لزوج في ذلك»[1].

ولها أن تملك الضياع، والدور، وسائر أصناف المال بكافة أسباب التملك، ولها أن تمارس التجارة، وسائر تصرفات الكسب المباح، ولها أن تضمن غيرها وأن يضمنها غيرها، وأن تهب الهبات، وأن توصي لمن تشاء من غير ورثتها، وأن تخاصم غيرها إلى القضاء.. لها أن تفعل ذلك ونحوه بنفسها، أو بمن توكله عنها باختيارها.. ويعلق الإمام محمد عبده على ذلك بقوله: «هذه الدرجة التي رفع الله النساء إليها لم يرفعهن إليها دين سابق، ولا شريعة من الشرائع، بل لم تصل إليها أمة من الأمم قبل الإسلام ولا بعده.. وهذه الأمم الأوربية التي كان من تقدمها في الحضارة أن بالغت في احترام النساء وتكريمهن، وعنيت بتربيتهن وتعليمهن الفنون والعلوم، لا تزال دون هذه الدرجة التي رفع الإسلام النساء إليها، ولا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف في مالها بدون إذن زوجها، وغير ذلك من الحقوق التي منحتها إياها الشريعة الإسلامية من نحو ثلاثة عشر قرناً ونصف قرن، وقد كان النساء في أوربا منذ خمسين

(١) المحلى جـ ٩ ص ٥٠٧، ٥١١.

سنة بمنزلة الأرقاء في كل شيء، كما كنّ في عهد الجاهلية عند العرب، بل أسوأ حالاً» إلى أن قال: «وقد صار هؤلاء الإفرنج الذين قصرت مدنيتهم عن شريعتنا في إعلاء شأن النساء ويفخرون علينا، بل يرموننا بالجهل في معاملة النساء، ويزعم الجاهلون منهم أن ما نحن عليه هو أثر ديننا»(١).

ولعل شبابنا ونساءنا بما قدمنا من بيان، وما جاء بقلم الأستاذ الإمام؛ يدركون فضل دينهم على كافة الشرائع في تقرير معالم الحضارة، فيعتزون به، ويجعلونه مناط هممهم فيما ينشدون لمجتمعنا الجديد من أقوم الأسس وأفضل الدعامات.

أهليتها الاجتماعية:

وقد قرر الإسلام لها أهليتها الاجتماعية، وجعل من مقتضيات ذلك ما يأتي:

أ- أنها إذا بلغت، وظهرت عليها علامات الرشد وحسن التصرف زالت عنها ولاية وليها أو الوصي عليها، سواء أكان أباً أم غيره، فيكون لها التصرف الكامل في شئونها المالية والشخصية، واختيار المكان الذي تقيم فيه، وليس لأحد من أوليائها أو أقربائها أن يجبرها على الإقامة عنده ما دامت ذات عقل وعفة، قال الشيخ أحمد إبراهيم: «والأنثى إذا بلغت مبلغ النساء، فإن كانت بكراً شابة أو ثيباً غير مأمون عليها، فلأبيها أو من يقوم مقامه من الأولياء والمحارم والمأمونين عليها أن يحفظها عنده جبراً عنها، وإن كانت بكراً ودخلت في السن، واجتمع لها رأي وعفة، أو ثيباً مأمونة على نفسها، فليس لأحد من أوليائها أن يجبرها على الإقامة عنده»(٢)، فإذا تزوجت البكر أو الثيب سقط حقها في اختيار مكان الإقامة لتعارضه مع حق الزوج الذي قدر له الشرع أن تتبعه زوجته في السكن حيث يقيم، وذلك لاعتبارات معلومة عادلة لا مجال لذكرها.

كما أن لها الحق في قبول أو رفض من جاء يطلب يدها، ولا حق لوليها أن يجبرها على قبول من لا تريد، ولا أن يمنعها أن تتزوج من رضيته من أهل الخلق والدين؛ فذلك شأنها وحدها، بل إنه أخص خصائصها تتصرف فيه بالمعروف على ما ترى فيه استقرارها وألفتها، وفي هذا جاء قوله عليه الصلاة والسلام: «**ليس للولي مع البنت أمر**»(٣) وقوله: «البنت أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأذن في نفسها،

---

(١) تفسير المنار ص ٣٧٥، ٢٧٦.

(٢) الأحكام الشرعية للأحوال الشخصية للشيخ أحمد إبراهيم ص ١٥٨.

(٣) رواه أبو داود والنسائي.

وإذنها صمتها»[١]، وقال ابن القيم في تقرير ذلك فأبدع: «إن البالغة العاقلة الرشيدة لا يتصرف أبوها في أقل شيء من مالها إلا برضاها، ولا يجبرها على إخراج اليسير منه بدون إذنها، فكيف يجوز أن يخرج نفسها منها بدون رضاها؟! ومعلوم أن إخراج مالها كله بغير رضاها أسهل عليها من تزويجها بمن لا تختاره»[٢].

فإذا أهدر وليها هذا الحق وزوجها وهي كارهة، فهي بالخيار ـ ثيباً كانت أو بكراً ـ إن شاءت أمضت فعل وليها، وإن شاءت ردته، وقد روي أن «خنساء بنت جذام زوجها أبوها وهي كارهة، وكانت ثيباً، فأتت رسول الله ﷺ فرد زواجها»[٣].

بل إن لها أن تباشر عقد الزواج بنفسها، قال في الأحكام الشرعية:

«يشترط لنفاذ النكاح ـ أي عقد الزواج ـ أن يكون كل من الزوجين حراً بالغاً عاقلاً إذا باشرا العقد بأنفسهما، أو بوكيلهما، أو باشره أحدهما مع وكيل الآخر»[٤]، وقال الفقيه العلامة الشيخ محمود شلتوت في تقرير حق المرأة في مباشرة عقد زواجها بنفسها: «ونحن إذا رجعنا إلى القرآن في هذه المسألة وجدناه يضيف هذا التصرف إلى المرأة نفسها، انظر قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(الأحزاب: ٥٠)، ويقول في سورة البقرة: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ آية ٢٣٠، ويقول: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ آية ٢٣٤ وهذه الآيات ظاهرة في أن زواج المرأة ورجوعها إلى زوجها مضاف إليها صادر عنها، من غير أن يتوقف على مباشرة وليها لهذه التصرفات... وليس من المعقول ولا المعهود شرعاً أن يستعير رضا إنسان في صحة تصرف، ثم يحكم ببطلانه إذا ما باشره بنفسه. ولا شك أن صحة التصرفات لا تستدعي أكثر من العقل والبلوغ، وما دامت البكر كالثيب عاقلة بالغة، فإنا لا نكاد نفهم أنها إذا باشرت عقد الزواج يكون باطلاً. ولا شك أيضاً في أن مقاصد عقد الزواج يرجع معظمها إلى المرأة، ومن الأصول المقررة أن مثل هذا العقد يتولاه من يختص بمقاصده الأصلية»[٥]. وهو تقرير يغنينا بروعته ووضوحه عن أي تعليق على ما بلغ الإسلام بأهلية المرأة من سمو واعتبار.

---

(١) رواه الجماعة إلا البخاري.

(٢) زاد المعاد ج ٤ ص ٢ بتصرف.

(٣) رواه الشيخان.

(٤) الأحكام الشرعية للشيخ أحمد إبراهيم ص ٩.

(٥) رسالة القرآن والمرأة ص ١٢، ١٣.

جـ ـ ومن أبرز معالم تلك الأهلية مكانة، لم تقرر للمرأة في شريعة من الشرائع قديمة ولا حديثة، وها هو ذا الغرب ممثل الحضارة القائمة، وحامل لواء الدعوة لتحرير المرأة، وتقرير حقوقها لم يبلغ بها تلك المكانة، ذلك أن الإسلام جعل لها أن تجير ـ أي تحمي ـ في الحرب أو السلم من أرادت من غير المسلمين.

وقد جاء في فتح مكة أن أم هانئ بنت أبي طالب ـ أخت علي كرم الله وجهه ـ اجارت رجلاً من المشركين، فأبى علي إلا أن يقتله، فأسرعت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، زعم ابن أبي؛ علي بن أبي طالب أنه قاتل رجلاً قد أجرته ـ وسمت الرجل ـ فقال رسول الله ﷺ: «**قد أجرنا من أجرت ياأم هانئ**»[١].. وقد جاء في ذلك قوله عليه السلام: «**يد المسلمين على من سواهم تتكافأ دماؤهم، ويجير عليهم أدناهم**»[٢]... والمسلمون وصف جامع للرجل والمرأة، فهي داخلة في مفهوم قوله عليه السلام: «**يجير عليهم أدناهم**» إلى دلالة حديث أم هانئ السابق. ودلالة قوله عليه السلام: «**إن المرأة لتأخذ للقوم**»[٣]، وقال صاحب المنتقى: «يعني تجير على المسلمين»، ودلالة حديث عائشة رضي الله عنها: «إن كانت المرأة لتجير على المؤمنين فيجوز»[٤]، وقولها: «فيجوز» معناه أن يحترم فعلها في تأمين أو إجارة من تريد، ولا يخفره أحد أو ينقضه.

وذلك أمر من أخطر الأمور، بل لعله أخطرها وأولاها بالحذر والاحتياط. فتقرير أهليتها وعدالتها فيه إلى هذا المدى هو توكيد لثقة الإسلام المطلقة في كفاية الخصائص العالية التي أهلّت بها، وإعلان لكرامة مكانها في الحياة. وإذا كان الغرب لم يبلغ ذلك المدى من الثقة بأهلية المرأة لتلك التبعات الخطيرة، فلأنه هو نفسه لا يفترض في الإنسان ـ رجلاً كان أو امرأة ـ استعداداً علوياً تزكيه العقائد، ولذلك لا يُعد مجتمعاته ـ لا رجالاً ولا نساءً ـ لحمل الأمانات والقيم والمبادئ التي يسلح الإسلام بها ذويه، في نسق تتكافأ فيه الدماء، إذ تزول فوارق النسب والمولد والمنازل الاجتماعية، ولا يبقى إلا العقيدة الصافية الصادقة قد انصهر الجميع في بوتقتها، وصاروا إرادة واحدة في الاعتزاز بها، والحياة لها، والدفاع عنها بالمال والروح، يتساوى في ذلك أدناهم في المجتمع منزلة وأعلاهم، وبذلك تكون المساواة في المجتمع، والثقة بأفراده أتم ما تكون، فيجير عليهم أدناهم والجميع يجيزون إجارته ـ أي تأمينه ـ حباً وكرامة.

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه.
(٣) رواه الترمذي.
(٤) رواه أبو داود والنسائي.

تأثير الحضارة الحديثة على الأسرة المسلمة:

لاحظ الفلاسفة والمحللون الاجتماعيون أن المجتمع بناء مكون من أسر، وأن خصوصية أي مجتمع يمكن أن تعرف عن طريق التعرف على العلاقات الأسرية فيه. وتذهب أقدم الدراسات الأخلاقية إلى أن المجتمع يفقد قوته عندما يفشل أفراده في القيام بواجباتهم الأسرية. كذلك، فإن الفلاسفة والمصلحين والزعماء ـ الدينيين منهم والعلمانيين ـ في كل العصور كانوا على وعي واضح بأهمية النماذج الأسرية عنصراً أساسياً في البناء الاجتماعي لمجتمعاتهم.

إذن، فلابد من فهم العلاقات والواجبات الأسرية بوصفها ضرورة لفهم العمليات الاجتماعية.

أما الإسلام، فإنه علاوة على هذا يعطي أهمية كبرى لبناء الأسرة نقطة انطلاق أساسية وجوهرية لأي إصلاح على أي مستوى صغير أو كبير. ولقد ابتدأ النبي محمد ﷺ خطته العظيمة لتغيير المجتمع العربي بفرض قواعد السلوك الإسلامي في إطار أسرته وعشيرته. وشدد على الحاجة إلى تحريك العمليات الأسرية عن طريق الجهود الفردية والجماعية. وترسم سورة «النساء» في القرآن الكريم أبعاد العلاقات المتنوعة في بناء الأسرة. ومن بين ما تضمنته موضوعات تفصيلية نحو: معاملة النساء وحقوقهن من ممتلكاتهن والشقاق بين الزوجين... إلخ.

إن القوى الدافعة التي توجه العلاقات الأسرية في الإسلام هي القوى الأخلاقية، والهدف الأسمى لها هو ترقي الإنسان خلقياً وروحياً.

ولقد دلت الدراسات الإنسانية (الأنثروبولوجية) أن الأسرة ـ على امتداد عمليات تطورها ونموها، وهي عمليات ذات طبيعة عالمية ـ قد أسهمت في هذا بتقديم خدمات أساسية من بينها إنجاب الذرية والدفاع عن أعضاء الأسرة وتحديد نسب الطفل أو موقعه في المجتمع ثم القيام بالتهيئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي. والأسرة مفهوم شعبي محبوب على الرغم من تبعاتها الثقيلة والمتمثلة في وظائفها الاجتماعية. وكل فرد يحس بأن الأسرة مهمة له شخصياً، كما أنها قد برهنت على قدرتها على استيعاب المتطلبات الحديثة بصفة عامة. على المستوى العالمي تعتبر فكرة الأسرة محور الترابط بين الناس. هي كذلك تمثل الحب والأمن وسواهما من القيم وتعمل بوصفها قوة من قوى التماسك الاجتماعي.

اتجهت الحضارة الغربية إلى إعادة توجيه الوظائف الأساسية التي تضطلع بها الأسرة. وبالتحديد، فإن علمانية الغرب ـ وما صاحبها من إضفاء الشرعية على الاتجاهات الحسية وعلى نزعة التمرد التي زعموا أنها نتيجة حتمية للتكيف مع عصر الصناعة ـ قد قضت بالتدريج على معاني الاستقامة والإخلاص في النية والعناية بغرس القيم التي يجب على الأسرة المسلمة أن تلتزم بها.

إن نظام الأسرة عند المسلمين في الوقت الحاضر ثمرة للملابسات الفاسدة التي انطلقت من عقالها، واستمرت تتتابع، نتيجة للآثار التي تولدت منذ الغزو التتري، وحتى الهجمة الشرسة للقوى الغربية ذات التوجه الدنيوي. وبالتحديد، فإن الأسر المسلمة في أنحاء الهند والباكستان تعتبر حصيلة صراع الثقافات القائم بين قيم الإسلام ومثله من ناحية وقيم الغرب ومثله من ناحية أخرى، ولقد كانت الأسرة الإسلامية في الهند، قبل قيام الحكومة الإنجليزية فيها، واقعة تحت تأثير البيئة الهندوكية المادية لفكر المسلمين وقيمهم. فكان للقوانين الهندوكية في الأحوال الشخصية تأثير في المسلمين في أغلب الأحيان، وكانت الطقوس والشعائر والعادات والتقاليد ـ ولا تزال حتى الآن تعكس هذا التأثير أكثر وأكثر خلال محاولات أباطرة الدولة المغولية هندكة الإسلام. ولقد حاول «أورانجزيب» أن يقضي على تلك التأثيرات المناقضة للإسلام ولكن محاولاته أُحبطت بسبب سقوط الإمبراطورية الإسلامية وظهور القوى الغربية في الهند. وهكذا تعاونت الثقافة الغربية والتأثيرات الهندوكية في القضاء على التأثيرات الإسلامية لتتركا الأسر المسلمة تعيش في وضع شاذ. أضف إلى هذا أن الصفوة «المُتَغَرِّبَة» من أبناء المسلمين قد اعتنقت عادات الحاكمين الأجانب وقيمهم وأساليبهم في العلاقات الأسرية. أما من يُدعون بالطبقة الوسطى من هذه الأقلية الصغيرة فقد حاولوا الاستمساك بالتقاليد الإسلامية لكن سرعان ما انجذبوا كغيرهم نحو المثالية الموهومة للأنماط الأسرية الغربية.

أما غالبية المسلمين ممن هووا عن القمة إلى القاع وضربهم الفقر بشدة، فقد كانوا في غفلة وشغل عن غاية الحياة، وإن كانوا لا يزالون يتعلقون بما ورثوه من ضلالات وخرافات ونوادر وتقاليد تنسب إلى «الأولياء» (المزعومين).

على هذه الأرضية ظهرت باكستان في أفق العالم الإسلامي وهي تنادي بالتحول إلى ما يتفق مع مبادئها الإسلامية. لكنها ـ بوصفها دولة ـ لم تستطع أن تفصل نفسها تماماً عن التقاليد الهندية، كما أحدقت بها في نفس الوقت صعوبات عديدة نتيجة

للضغوط الدولية. وكان تغلغل النفوذ الغربي جارفاً جداً، وقد وصف «وليمز» هذه القوى المؤثرة لتيار الانحراف الثقافي الجديد بأنها «ثقافة تكنولوجية أو ذَرِّية للعرف العقلاني الفردي».

أصبحت الأسرة الباكستانية ـ نتيجة ظهور هذا التحول الثقافي ـ تواجه تأثيراً جديداً قوياً مشبّعاً تماماً بنظرة علمانية إلى الحياة، ولذلك تغيرت تغيراً واضحاً في اتجاهات أطر علاقاتها من الناحيتين الشكلية والنفسية، فتغيرت لديها الأزياء وطرائق التفكير والعمل واختلفت عن طرق حياة وتفكير الأسر الهندية. ولم يحدث هذا في أسر المدن فقط، بل اتجهت الأسر في القرى إلى تقليد الأنماط الغربية. أصبح الناس ينظرون نظرة إعجاب إلى استخدام وسائل التجميل والروائح وألوان الشفاه وسواها من أدوات التزين. وقلدت نساؤنا نساء الغرب تقليداً أعمى في أزيائهن وتصفيف شعورهن. وكان لوسائل الإعلام دور فعّال في عمليات التأثير هذه. كذلك، فإن عرض الأفلام الغربية، التي تهتك معايير العفة لدى المرأة الشرقية، قد أدى إلى نتائج مدمرة في إفساد الأغنياء الجدد ذوي العقول الفارغة وأهل الريف ذوي العقول الساذجة. هذه العدوى لا يمكن الاستهانة بآثارها الظاهرة، ففي هذا الوضع إشارة واضحة إلى انحراف مستوى القيم. لقد قضى بالتدريج على البساطة والنقاوة اللتين اعتزت بهما التقاليد الإسلامية الأصيلة الصافية. والحق أن الأسرة إذا تركت تعيش على هذا النحو دون رادع أو تحكم فإن الوضع سيؤدي إلى خلق المزيد من الصراعات.

لقد توصلنا ـ بوصفنا متخصصين في علم العمران ـ (الاجتماع)، وعلى أساس دراسات ضيقة النطاق أجريت على نظام الأسرة عندنا ـ إلى اكتشاف حقائق مَرَضية أساسية تمكننا من التعرف على طبيعة الفجوة التي تفصلنا عن النظام الإسلامي للأسرة والتي تولدت عن التأثر الشديد بطرائق التفكير الحديثة الشائعة في المجتمع الغربي. وفي مجال المبادئ(الأيديولوجيات) نجد أنه قد انتشرت على مدى واسع تناقضات تضغط على نظام الأسرة فتدفعه إلى الانحراف.

يعتبر الإسلام أن وَحدة الأسرة هي المحور الأساسي للتماسك، وأن أعمق صور التماسك وأقواها في كل مجتمع هي صور التماسك الأسري التي تشمل في حدها الادنى تماسك الزوجين، والإخوة والأخوات، والوالدين والأولاد، والأخ وأخيه... إلخ. والمدى أوسع أبعاداً من هذه، لكن تلك الأشكال ذات معان خصبة عند أغلبية واسعة من أعضاء المجتمع. والحضارة الغربية، من خلال اهتمامها بالإنجاز كشرط

ضروري للنمو الفردي، تؤثر تأثيراً بالغاً في المراهقين.

وهذا يترجَم عملياً في صورة التعلم الفردي للتمكن من التكيف مع أشكال التماسك القائمة على غير أساس الأسرة أو التي لا تأتلف مع الارتباط المبني على أساس الأسرة، نظراً لقيام النظام الرأسمالي على أساس التمحور حول الذات وعلى مبدأ التنافس المستعر، لذا فإن عددا كبيراً من الشباب يتجاهلون التماسك الأسري، وهم بهذا يؤذون مشاعر الآخرين. يقول محمد أسد: «إن النتيجة من الناحية الثقافية هي خلق نمط من البشر تنحصر أخلاقياته في مسألة المنفعة المادية وحدها، ويصبح النجاح المادي هو أعلى مقياس لديه لقياس الخير والشر» ومع تزايد الاتجاه نحو الفردية أصبح الشباب يواجه مشكلة التعامل مع من يفترض فيه أن يعولهم، بالطريقة التي يحبذها الإسلام، وهم غالباً أسلافه ومن يكبرونه سناً. هذه الأخلاقيات الفردية، التي تتباين كثيراً فيما بينها، والتي تعرف غالباً بالقواعد الأخلاقية المتحررة، يبدو أنها تشيع بين غير المتزوجين وحتى بين المتزوجين ولكن بدرجة أقل.

ومن الواضح أن إحلال مبادئ الغرب ومناهجه في التفكير والحياة محل نظام الأسرة المتكاملة والمتماسكة فكرياً كان عامل إضعاف لنا. لقد تأثرت شخصياتنا وتشكلت بقوة طبقاً لنوع القيم المنحرفة والبعيدة عن نظام الأسرة التي تربينا فيها. وهنا يجب علينا أن نستكشف ونحدد المشكلات التي نجمت عن انهيار نظام الأسرة عندنا حين نقيسه بما يتطلبه نظام الإسلام. ويمكنني أن أؤكد ـ طبقاً لقراءتي ـ أن النظام الإسلامي للأسرة ـ باعتبارها ركناً أساسياً في المجتمع ـ قد ظل خمسة قرون هجرية على الأقل يجري ويتطور في انسجام دقيق مع التشريعات والمبادئ الموجودة في القرآن والسنة. ولقد حاول النبي محمد طيلة حياته في مكة أن يبني نظاماً أسرياً كشرط أولي لتطور المجتمع بجملته، ذلك التطور الذي توج بقيام الدولة الجديدة.

إن لنظام الأسرة في الإسلام موقعاً أساسياً، إلى حد أن الجزء الأكبر من القرآن والسنة قد خصص لبناء هذه الوحدة الأساسية من وحدات المجتمع وتطويرها. كذلك، فإن التشريعات التي تنظم عملية بناء الأسرة في الإسلام قد جاءت مكتملة إلى حد أننا نجد في كتب العقيدة والفقه الإسلامي مادة وفيرة جداً حول هذه المشكلة. ولا شك أن مشاكل الأسرة، بوصفها وحدة لها تركيبها الخاص ووظائفها المتميزة، ذات حيوية وأهمية تبرران قيام المؤرخين والفلاسفة ـ مسلمين أو غير مسلمين ـ بمحاولات كثيرة لتعرف أسس تكوّنها وذلك بهدف دراسة المجتمع المسلم دراسة تحليلية.

من الممكن أن نحدد أصول نظام الأسرة في الإسلام من خلال القرآن والسنة. وتاريخ نظام الأسرة في الإسلام لا يسير في خط مستقيم، بل كان يتذبذب تبعاً لظروف الزمان والمكان. وكانت النتيجة أن صار نظام الأسرة الإسلامي نمطاً عظيم التنوع، لكن هذه النظام لم ينحرف انحرافاً حقيقياً عن قيمه ومعانيه الأصيلة.

إن أسرنا اليوم قد تغيرت ولابد أن تتغير، لكن الخطر الحقيقي عليها يكمن ـ في رأينا ـ في انهيارها الخلقي، وبشكل خاص في فقد صلتها بتشريعات الإسلام الأساسية ومبادئه وقيمه ومقاصده، ومع أن تاريخنا الثقافي يظهر أن أسرنا قد تغيرت، إلا أنها ظلت «وحدانية» مثالية مترابطة، ومن حسن الحظ أن تأثير الغرب في الأسرة كان في الشكليات ولم يتأصل في أعماقها أو يلوث روحها، ولقد وقعت الأسر التي تأثرت بالغرب فريسة للتحلل الخلقي، لكنها ما زالت في مأمن من الفجور والفساد الذي لا يعرف الخجل. عرضنا جانب التأثير الغربي في الأزياء والطرائق الغربية في العيش والسلوكيات. ونحمد الله تعالى أن انحرافنا عن القيم ـ كما نراه حالياً ـ ما زال بريئاً من الأمراض الاجتماعية البغيضة كالإسراف في التطليق دونما قيد، والانفصال بين الزوجين معيشياً، والإباحية الجنسية، وعادات الصداقة المفتوحة بين الجنسين، وأولاد السفاح ونحو ذلك. لكن الخطر لا يزال قائماً، وإذا لم نوقفه فمن الممكن أن تغزونا الأمراض التي تغلغلت في المجتمع الغربي.

قد نسمع أحياناً عن حالات من العلاقات الجنسية غير المشروعة. ومعلوم أن الإباحية الجنسية أمر يناقض تشريعات الزواج في الإسلام نصاً وروحاً، فالإسلام يشدد على ضرورة تزويج الشباب والشابات لأن الزواج ـ كما جاء في أحد الأحاديث النبوية ـ خطوة حتمية يستلزمها التطور السوي للشخصية واكتمال الرسالة الاجتماعية. كما في «حديث» آخر أن الزواج استكمال لنصف الدين، وعلى الزوجين أن يتقيا الله في النصف الآخر، وهذا التصور الذي قدمته الأحاديث النبوية يضيف بعداً جديداً لا وجود له في أي نظرية حديثة عن تكوين الشخصية وتطويرها. وثمة ملمح آخر فذّ في التصور القرآني لتطور الشخصية نجده في توجيهاته إلى أن الإيمان هو أحد مقومات تطور الشخصية الإنسانية. فالإيمان أحد أركان البناء الروحي، وحين يؤكد القرآن تلك الحقيقة فإنه يضفي هذه الصبغة الروحية على كل مكونات الشخصية.

والجانب الروحي ذو علاقة بالجانب النفسي. فالقرآن هو الذي أعلن أن العامل النفسي ينطوي على العمق الروحي والمقاصد الروحية.

وإعلان أن «الإيمان» ضرورة حتمية لاكتمال الشخصية وتقرير التلازم بينه وبين الزواج، فيه إشارة إلى القداسة التي تضفيها الثقافة الإسلامية على المؤسسة القائمة على الزواج. إن القصد من الأسرة والزواج، إقامة نظام اجتماعي وحماية الجنس البشري من العلاقات الجنسية غير الشرعية. وأعضاء الأسرة ليسوا أعضاء فقط في المؤسسة الأسرية، وإنما هم (أعضاء في المجتمع) يخدمونه من خلال تلك المؤسسات. إن واجب الوالدين أن يساعدا الأطفال على السير في المنهج الثقافي الملائم، وأن يهيئوهم اجتماعياً ويبثوا فيهم الوعي بقيم الأسرة ومقاصدها وهي النصف المكمل لقيم المجتمع. يجب أن يغرس في نفوس الأطفال الشعور بالمسؤولية تجاه مساعدة الوالدين عندما يضعفان لبلوغهما الكبر. وإنا لنسمع عن حالات عارضة من الانحراف في هذا المجال، وهو منحى يلزم كبحه وإلا أدى إلى تعريض المجتمع للعديد من المشاكل، إذ هو علامة على التفكك والتحلل الاجتماعي.

إن الاهتمام بالكسب والمجد الدنيويين من جانب الصغار والكبار، وعدم المبالاة بتفهم المسؤولية الخلقية والدينية وعدم القيام بحقها، لمّا يمهّد الطريق في بطء إلى إصابة الأسرة بالتحلل. وإذا ما قارنا بين العلم بالقرآن والعمل في الجيلين الأخيرين من المسلمين أدركنا مدى الإهمال الذي تلقاه تلك الواجبات الدينية الأساسية. ومن الطبيعي أن تمتلئ هذه الفجوة بالأفكار والممارسات الأجنبية الدخيلة التي قد يلوح أنها أكثر فائدة. ولقد كشفت دراسة أجريت على نطاق محلي في جامعة كراتشي أن الناشئة كانوا أكثر جهلاً من والديهم الذين لم يهتموا بتلقينهم أوليات مبادئ الإسلام.

لقد فشل الوالدان والمدرسون كما فشلت الدولة في إدراك واجبهم في التثقيف والتهيئة الاجتماعية طبقاً لأساليب الإسلام في الحياة والفكر. وكانت النتيجة أن تولد الشعور بالغربة لدى الناشئة والشك في خيرية الإنسان لدى المراهقين والنفور لدى الكبار، وكلها أخطار، علينا أن نحصنهم ضدها، فتلك هي حال الأسرة في الغرب.

وقد أدرك العلماء الغربيون هذا الخطر، وهم يكافحون كي تبقى مسيرة الأسرة هادئة.

إن صراع الثقافات حقيقة والتأثيرات المضادة هي التجسيد للإمكانات الداخلية.

وإن علم الاجتماع الكوني ليحذر البشرية لعلها تدرك أهمية هذا العنصر. والمؤكد أن آثار عصر التكنولوجيا ستصل إلى كل مكان في العالم، فالواجب على كل أمة أن تتنبه بالقدر الكافي وتعمل على حماية شخصيتها وهويتها الثقافية والاجتماعية من أخطار هذه التأثيرات. وإذا كان نظام الأسرة عندنا ـ نتيجة لجمود التقاليد ـ لما يمسخ بدرجة مخيفة بعد هجمة القوى المدمرة تلك، فليس ثمة ضمان بأنه سيبقى في مأمن من الخطر الذي يتهدده والذي وضع المجتمع الغربي بالفعل على طريق الزوال.

وأود أن أشير بإيجاز إلى حقيقة مرضية أخرى هي جنوح الصغار. لقد وصلت المشكلة في الغرب إلى مدى مخيف وهي الآن تترصدنا على الأبواب. إن بداية العلاج تبدأ من الأسرة، وذلك بأن تقوم بواجبها في كبح جرائم الصغار المتفشية ومشاكساتهم المخيفة. ولكن كل الدلائل تشير إلى أن الأسرة لا تهتم الاهتمام الواجب بتوجيه النشء فيها. فكثيراً ما نجد الوالدين مشغولين إلى حد إهمال تنشئة الصغار وتدريبهم. وإني ولعلى يقين بأن خريجي الجامعات ـ دعْك من الصبيان ـ لا يعرفون إلا النذر اليسير عن القرآن والسنة. نحن مسلمون بالاسم والمولد، وهذا السلوك من أولي الأمر في الأسرة، ومن الأساتذة في معاهد التعليم ـ وهو سلوك مناهض للتدين، ليمهد الطريق أمام النظام الغربي للأسرة ـ وهو حصيلة عقلية ثقافية مغايرة تماماً، أن يعمل عمله في الأسرة المسلمة.

على كل حال، نحن بحاجة إلى منهج عقلي في التفكير لنتمكن من تبين تشابكات العلاقات الاجتماعية وتعقداتها ومن فصل المشكلات الاجتماعية المهمة في هذا المجال. كذلك، فإننا بحاجة إلى تخطيط الجهود من أجل تصنيف المقترحات المطروحة لمواجهة هذه المشكلات. إن التعرف بدقة على نقاط الضعف في النظام الثقافي أمر لابُدّ منه، لكن نقص الإحصاءات الحيوية والحقائق الأساسية عن الأسرة يشكل عقبة أخرى في طريق إثبات صحة هذه الاستنتاجات. أما بالنسبة للدارسين الغربيين المدربين، فإن دراستهم للمشكلة وحلولهم التي يقترحونها مبنية برمتها على أسس ومناهج غربية لا تتمشى مع بيئتنا الثقافية. ولهذا لم يكن هناك قبول شعبي لـ «قانون تشريعات الأسرة» الذي صدر وطبق في عهد «أيوب خان»، وهو الآن قيد الفحص والمراجعة من قبل «مجلس الفكر الإسلامي».

وباختصار، نرى أن الأسرة المسلمة تقوم الآن بوظائفها الأساسية التي أشرنا إليها، ولكنها ليست محصنة ضد القوى التي يمكن أن تصيب تلك الوظائف بالفوضى

والتعثر والأمر يتطلب اتخاذ إجراءات إيجابية للوقاية.

والعلاج كسَنّ التشريعات الاجتماعية المتفقة مع نظامنا الأخلاقي، والتي نتوصل إليها عن طريق «الاجتهاد»، وذلك بغية الحيلولة دون مزيد من الانحراف عن البنى والعلاقات الأسرية الطاهرة[١].

(١) انظر: بحث تأثير الحضارة الحديثة، المسلم المعاصر عدد ٣٨ صـ ١٠٧.

أقوال الباحثين الغربيين المنصفين في المرأة المسلمة

مارسيل بوازار(١).

(. . كانت المرأة تتمتع بالاحترام والحرية في ظل الخلافة الأموية بأسبانيا، فقد كانت يومئذ تشارك مشاركة تامة في الحياة الاجتماعية والثقافية، وكان الرجل يتودد لـ(السيدة) للفوز بالحظوة لديها. . إن الشعراء المسلمين هم الذين علموا مسيحي أوروبا عبر إسبانيا احترام المرأة. . .)(٢).

(إن الإسلام يخاطب الرجال والنساء على السواء ويعاملهم بطريقة (شبه متساوية) وتهدف الشريعة الإسلامية بشكل عام إلى غاية متميزة هي الحماية، ويقدم التشريع للمرأة تعريفات دقيقة عما لها من حقوق ويبدي اهتماماً شديداً بضمانها. فالقرآن والسنة يحضان على معاملة المرأة بعدل ورفق وعطف، وقد أدخلا مفهوماً أشد خلقية عن الزواج وسعيا أخيراً، إلى رفع وضع المؤمنة بمنحها عدداً من الطموحات القانونية أمام القانون و الملكية الخاصة الشخصية والإرث.

(لقد خلقت المرأة في نظر القرآن من الجوهر الذي خلق منه الرجل. وهي ليست من ضلعه بل (نصفه الشقيق) كما يقول الحديث النبوي: **«النساء شقائق الرجال»** المطابق كل المطابقة للتعاليم القرآنية التي تنص على أن الله قد خلق من كل شيء زوجين. ولا يذكر التنزيل أن المرأة دفعت الرجل إلى ارتكاب الخطيئة الأصلية كما يقول سفر التكوين. وهكذا فإن العقيدة الإسلامية لم تستخدم ألفاظاً للتقليل من احترامها كما فعل آباء الكنيسة الذين طالما اعتبروها (عميلة الشيطان)، بل إن القرآن يضفي آيات الكمال على امرأتين: امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، أم المسيح (عليه السلام).

(ليس في التعاليم القرآنية ما يسوغ وضع المرأة الراهن في العالم الإسلامي. والجهل وحده؛ جهل المسلمة بحقوقها بصورة خاصة هو الذي يسوغه. . . .)

---

(١) مارسيل بوازار ... مفكر وقانوني فرنسي معاصر. أولى اهتماماً كبيراً لمسألة العلاقات الدولية وحقوق الإنسان، وكتب عدداً من الأبحاث للمؤتمرات والدوريات المعنية بهاتين المسألتين. يعتبر كتابه (إنسانية الإسلام) علامة مضيئة في مجال الدراسات الغربية للإسلام بما تميز به من موضوعية، وعمق، وحرص على اعتماد المراجع التي لا يأسرها التحيز والهوى، فضلاً عن الكتابات الإسلامية نفسها.

(٢) إنسانية الإسلام ص ١٠٨.

(... أثبتت التعاليم القرآنية، وتعاليم محمد ﷺ أنها حامية حمى حقوق المرأة التي لا تكل...).

إميل درمنغم:[١]

(مما لا ريب فيه أن الإسلام رفع شأن المرأة في بلاد العرب و حسن حالها، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ما فتئنا نعد النساء من المتاع حتى أوحى في أمرهن مبيناً لهن) وقال النبي ﷺ: **«أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم»**. أجل إن النبي ﷺ أوصى الزوجات بإطاعة أزواجهن ولكنه أمر بالرفق بهن، ونهى عن تزويج الفتيات كرهاً وعن أكل أموالهن بالوعيد أو عند الطلاق.... ولم يكن للنساء نصيب في المواريث أيام الجاهلية... فأنزلت الآية التي تورث النساء. وفي القرآن تحريم لوأد البنات وأمر بمعاملة النساء والأيتام بالعدل، ونهى محمد عن زواج المتعة وحمل الإماء على البغاء، وأباح تعدد الزوجات. ولم يوص الناس به ولم يأذن فيه إلا بشرط العدل بين الزوجات فلايهب لإحداهن بره دون الأخرى.. وأباح الطلاق أيضاً مع قوله ﷺ: **«أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق»** وليس مبدأ الاقتصار على زوجة واحدة من الحقوق الطبيعية مع ذلك ولم يفرضه كتاب العهد القديم على الآباء، وإذا كان هذا قد أصبح سنة في النصرانية، فذلك لسابق انتشاره في بلاد الغرب وذلك من غير أن يحمله رعايا نيرون إلى بلاد إبراهيم ويعقوب) عليهما السلام (...وأيهما أفضل: تعدد الزوجات الشرعي أم تعدد الزوجات السري؟... إن تعدد الزوجات من شأنه إلغاء البغاء والقضاء على عزوبة النساء ذات المخاطر....)

(من المزاعم الباطلة أن يقال إن المرأة في الإسلام قد جُردت من نفوذها، زوجةً وأماً كما تزعم النصرانية، لعدها المرأة مصدر الذنوب والآثام ولعنها إياها ، فعلى الإنسان أن يطوف في الشرق ليرى أن الأدب المنزلي فيه قوي متين، وأن المرأة فيه لا تحسد بحكم الضرورة نساءنا ذوات الثياب القصيرة والأذرع العارية، ولا تحسد عاملاتنا في المصانع وعجائزنا، ولم يكن العالم الإسلامي ليجهل الحب المنزلي والحب الروحي ولا يجهل الإسلام ما أخذناه عنه من الفروسية المثالية والحب العذري).

---

(١) إميل درمنغم مستشرق فرنسي عمل مديراً لمكتبة الجزائر من آثاره: (حياة محمد) (باريس ١٩٢٩) وهو من أدق ما صنفه مستشرق عن النبي ﷺ و(محمد والسنة الإسلامية) (باريس ١٩٥٥) ونشر عدداً من الأبحاث في المجلات الشهيرة مثل: (المجلة الإفريقية) و(حوليات معهد الدراسات الشرقية) و(نشرة الدراسات العربية)... الخ.

هنري دي كاستري:[١]

(.. إن الناس بالغوا كثيراً في مضار تعدد الزوجات عند المسلمين، إن لم نقل أن ما نسبوه إليه من ذلك غير صحيح. فما تعدد الزوجات هو الذي ولّد في الشرق تلك الرذائل الفاضحة، بل المعقول أنه من شأنه تلطيفها، على أنني لست أدري إن كانت تلك الرذائل أكثر منها في الغرب، بل تلك وصمة ألصقت بالإسلام، بواسطة السواح الذين يرون أمراً في فرد، فيجعلونه عاماً من غير تثبيت فيه، لولا هذا التعميم السطحي لما وجدوا شيئا يملأون به مؤلفاتهم، والواقع أن الرذائل الفاضحة موجودة في كل أمة، ولقد يقع منها في باريس ولندن وبرلين أكثر مما يحدث في الشرق بأجمعه، لأن النبي ﷺ بالغ في تحريمها، ولم يعدها من الذنوب الخفيفة...).

(من الخطأ الفاضح والغلو الفادح قولهم إن عقد الزواج عند المسلمين عبارة عن عقد تباع فيه المرأة، فتصير شيئا مملوكاً لزوجها؛ لأن ذلك العقد يخول للمرأة حقوقاً أدبية وحقوقاً مادية، من شأنها إعلاء منزلتها في الهيئة الاجتماعية...).

(لم يقتصر القرآن في التضييق على تعدد الزوجات على عددهن بل حرم ما كان معروفا عند العرب قبله من الزواج لزمن محدد، وفي ذلك شبه تحريم للطلاق، لكونه لا يتأتى إلا بشروط مخصوصة...).

(إننا لو رجعنا إلى زمن النبي ﷺ ومكان ظهوره، لما وجدنا عملاً يفيد النساء أكثر مما أتاه عليه السلام فهن مدينات لنبيهن بأمور كثيرة، وفي القرآن آيات ساميات في حقوقهن وما يجب لهن على الرجال.. ويرى القارئ من جميع تلك الآيات مقدار اهتمام (الإسلام) بمنع عوامل الفساد بين المسلمين لكي يجعل الأزواج والآباء في راحة ونعيم.. ولقد(أصبحت) للمسلمين أخلاق مخصوصة عملاً بما جاء في القرآن أو في الحديث وتولدت في نفوسهم ملكات الحشمة والوقار، وجاء هذا مغايراً لآداب الأمم المتمدنة اليوم على خط مستقيم، ومزيلاً لما عساه كان يحدث عن ميل الشرقيين إلى الشهوات لولا هذه التعاليم والفروض، والفرق بين الحشمة عند المسلم وبينها عند المسيحي كما بين السماء والأرض...).

---

(١) الكونت هنري دي كاستري (١٨٥٠-١٩٢٧) مقدم في الجيش الفرنسي قضى في الشمال الإفريقي ردحاً من الزمن. من آثاره: (مصادر غير منشورة عن تاريخ المغرب) (١٩٠٥) (الأشراف السعديون) (١٩٢١) (رحلة هولندي إلى المغرب) (١٩٢٦) وغيرهما.

إيتين دينيه،[١]

(لا يتمرد الإسلام على الطبيعة التي لا تغلب وإنما هو يساير قوانينها ويزامل أزمانها بخلاف ما تفعل الكنيسة من مغالطة الطبيعة ومصادمتها في كثير من شؤون الحياة مثل ذلك الفرض الذي تفرضه على أبنائها الذين يتخذون الرهبنة فهم لا يتزوجون وإنما يعيشون غرباء.

على أن الإسلام لايكفيه أن يساير الطبيعة، وألا يتمرد عليها، وإنما هو يدخل على قوانينها، ما يجعلها أكثر قبولاً وأسهل تطبيقاً في إصلاح ونظام ورضا ميسور مشكور، حتى لقد سمي القرآن لذلك (بالهدى) لأنه المرشد إلى أقوم مسالك الحياة، والأمثلة العديدة لا تعوزنا ولكنا نأخذ بأشهرها وهو التساهل في سبيل تعدد الزوجات. . . . فمما لا شك فيه أن التوحيد في الزوجة هو المثل الأعلى، ولكن ما العمل وهذا الأمر يعارض الطبيعة ويصادم الحقائق بل هو الحال الذي يستحيل تنفيذه؟! فلم يكن للإسلام أمام الأمر الواقع وهو دين اليسر إلا أن يستبين أقرب أنواع العلاج، فلا يحكم فيه حكماً قاطعاً، ولا يأمر به أمراً باتاً)

(. . . هل حقيقي أن الديانة المسيحية بتقريرها الجبري لفردية الزوجة، وتشديدها في تطبيق ذلك قد منعت تعدد الزوجات ؟ وهل يستطيع شخص أن يقول ذلك دون أن يأخذ منه الضحك مأخذه ؟

وإلا فهؤلاء مثلاً ملوك فرنسا ـ دع عنك الأفراد ـ الذين كانت لهم الزوجات المتعددات والنساء الكثيرات وفي الوقت نفسه لهم من الكنيسة كل تعظيم وإكرام. وإن تعدد الزوجات قانون طبيعي وسيبقى ما بقي العالم ، لذلك فإن ما فعلته المسيحية لم يأت بالغرض الذي أرادته فانعكست الآية معها، وصرنا نشهد الإغراء بجميع أنواعه. . . . إن نظرية التوحيد في الزوجة (التي) تأخذ بها المسيحية ظاهراً، تنطوي تحتها سيئات متعددة، ظهرت على الأخص في ثلاث نتائج واقعية شديدة الخطر

---

(١) إيتين دينيه (١٨٦١-١٩٢٩).

تعلم في فرنسا وقصد الجزائر فكان يقضي في بلدة بو سعادة نصف السنة من كل عام وأشهر إسلامه وتسمى بناصر الدين (١٩٢٧) وحج إلى بيت الله الحرام (١٩٢٨).

من آثاره: صنفه بالعربية (محمد في السيرة النبوية) وله بالفرنسية (حياة العرب) و(حياة الصحراء) و(أشعة خاصة بنور الإسلام) و (الشرق في نظر الغرب) و (الحج إلى بيت الله الحرام).

جسيمة البلاء تلك هي الدعارة والعوانس من النساء والأبناء غير الشرعيين. إن هذه الأمراض الاجتماعية ذات السيئات الأخلاقية لم تكن تعرف في البلاد التي طبقت فيها الشريعة الإسلامية تمام التطبيق، وإنما دخلتها وانتشرت فيها بعد الاحتكاك بالمدنية الغربية).

(جاء في كتاب (الإسلام) تأليف (شمتز دوملان)[١] أنه (عندما غادر الدكتور مافروكورداتو الأستانة سنة ١٨٢٧م، إلى برلين لدراسة الطب لم يكن في العاصمة العثمانية كلها بيت واحد للدعارة، كما لم يعرف فيها داء الزهري، وهو السفلس المعروف بالشرق بالمرض الأفرنكي، فلما عاد الدكتور بعد أربع سنين، تبدل الحال غير الحال. وفي ذلك يقول الصدر الأعظم الكبير رشيد باشا في حسرة موجعة: إننا نرسل أبناءنا إلى أوروبا ليتعلموا المدنية الأفرنكية، فيعودون إلينا مرضى بالداء الأفرنكي)[٢].

(... إننا نخشى أن تخرج المرأة الشرقية إلى الحياة العصرية... فينتابها الرعب لما تشهده لدى أخواتها الغربيات واللاتي يسعين للعيش وينافسن في ذلك الرجال)[٣].

(إن تعليم المرأة يساير كل المسايرة جميع تعاليم الدين وقد كان في عصر ازدهار الإسلام يفاض فيضاً على المسلمات وكانت ثقافتهن حينذاك أرفع من ثقافة الأوربيات دون جدال)[٤].

ول ديورانت:[٥]

(رفع الإسلام من مقام المرأة في بلاد العرب... وقضى على عادة وأد البنات وسوى بين الرجل والمرأة في الإجراءات القضائية والاستقلال المالي وجعل من حقها أن تشتغل بكل عمل حلال وأن تحتفظ بما لها ومكاسبها وأن ترث وتتصرف في مالها كما تشاء، وقضى على ما اعتاده العرب في الجاهلية من انتقال النساء من الآباء إلى الأبناء فيما ينتقل لهم من متاع وجعل نصيب الأنثى في الميراث نصف نصيب

---

(١) أشعة خاصة بنور الإسلام ص ٣١.
(٢) نفسه ص ٣٢-٣٣.
(٣) نفسه ص ٣٤٠-٣٤١.
(٤) نفسه ص ٣٤١.
(٥) ول ديورانت، مؤلف أمريكي معاصر، يعد كتابه (قصة الحضارة) ذو الثلاثين مجلداً واحدٌ من أشهر الكتب التي تؤرخ للحضارة البشرية عبر مساراتها المعقدة المتشابكة، عكف على تأليفه السنين الطوال وأصدر جزأه الأول عام ١٩٣٥م ثم تلته بقية الأجزاء ومن كتبه (قصة الفلسفة).

الذكر ومنع زواجهن بغير إرادتهن. . . .)[١]

(المسلم لا يرى الامتناع عن إشباع الغريزة الجنسية حالاً طبيعة أو مثالية، وقد كان لمعظم الصالحين من المسلمين زوجات وأبناء، وحدود الزواج أوسع في الإسلام منه في كثير من الأديان وتفتح الشريعة الإسلامية منافذ كثيرة، لإشباع الغريزة الجنسية ولهذا قل البغاء في أيام الرسول ﷺ، والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم. . .)[٢]

(. . . كان مركز المرأة المسلمة يمتاز عن مركز المرأة في بعض البلاد الأوروبية من ناحية مهمة تلك هي أنها كانت حرة التصرف فيما تملك لا حق لزوجها أو لدائنيه في شيء من أملاكها. . . .)[٣].

(. . . كانت البنات يذهبن إلى المدارس سواء بسواء ونبغ عدد من النساء المسلمات في الأدب والفن. . . .)[٤].

جاك ريسلر[٥]

(. . لقد وضعت المرأة على قدم المساواة مع الرجال في القضايا الخاصة بالمصلحة فأصبح في استطاعتها أن ترث، وأن تورث، وأن تشتغل بمهنة مشروعة، لكن مكانها الصحيح هو البيت. كما أن مهمتها الأساسية هي أن تنجب أطفالاً. . وعلى ذلك رسم النبي ﷺ واجبها **«أيما امرأة مات زوجها وهو راض عنها دخلت الجنة»** . . وفي الحق أن تعدد الزوجات ـ بتقييده الانزلاق مع الشهوات الجامحة ـ قد حقق بهذا التشريع الإسلامي تماسك الأسرة وفيه ما يسوغ عقوبة الزوج الزاني)[٦].

(كانت الأسرة الإسلامية ترعى دائماً الطفل وصحته وتربيته رعاية كبيرة، وترضع الأم هذا الطفل زمناً طويلاً وأحياناً لمدة أكثر من سنتين وتقوم على تنشئته بحنان وتغمره بحبها وباحتياطات متصلة، وإذا حدث أن أصاب الموت بعض الأسرة وأصبحوا يتامى، فإن أقرباءهم المقربين لا يترددون في مساعدتهم وفي تبنيهم)[٧].

(يقوم تعليم البنات على تلقيهن تربية دينية قويمة وعلى تعويدهن على الصلاة

---

(١) قصة الحضارة ٦٠ / ١٣. (٢) نفسه ١٣٥/ ١٣.

(٣) نفسه ١٤٠/ ١٣. (٤) نفسه ٣٠٦/ ١٣.

(٥) جاك. س. ريسلر باحث فرنسي معاصر وأستاذ بالمعهد الإسلامي بباريس.

(٦) الحضارة العربية ص ٥٢. (٧) نفسه ص ٥٣.

وجعلهن في وقت مبكر صالحات للأعمال المنزلية، وبعد سنوات أيضاً يعلمن قرض الشعر والفنون. . .)(١).

أحمد سوسه:(٢)

(يجب ألا يغرب عن البال أن المرأة لم تكن قد حازت حقوقاً تتمتع بها، إلا بعد ظهور الإسلام، لأن الإسلام هو أول من رفع قدر المرأة وأعطاها حقها في الحياة كحق الرجل)(٣) .

(لقد حرمت المسيحية الطلاق، ولكن في الوقت نفسه نجد أنظمة البلاد المسيحية وقوانينها الرسمية تنص على إباحته. إن المسيحيين أنفسهم قد ضربوا بتعاليم دياناتهم عرض الحائط ووضعوا القوانين التي تنقضها من الأساس، وما كان ذلك كرهاً لدياناتهم ولكن رغبة في وضع ما تتطلبه نفسية المجتمع البشري من نظام يضمن الاطمئنان في علاقات الجنسين ويكفل السعادة البشرية. ولو صحا المسيحيون من غفلتهم وتأملوا في الأمر لاتضح لهم بأن الإسلام قد سبقهم في هذا المضمار من قبل ثلاثة عشر قرناً)(٤).

(من الغريب أن يصبح الطلاق اليوم عند المسلمين، إلى جانب القلة ويكثر عند الغربيين الذين كانوا ينكرونه أشد الإنكار وما فتئ يزداد مع الزمن انتشاراً مطرداً فإنه يحصل بالولايات المتحدة الأمريكية كل سنة ما ينيف على المائتي الف طلاق ، وفي أوروبا يبت في عشرات الألوف من قضايا الطلاق، وعلى الأخص في فرنسا، ولا يغيب عن الذهن أن الإسلام مع إباحته الطلاق للضرورة، فإنه يعد أبغض الحلال عند الله، كما أنه ورد في القرآن الكريم ما يحتم الرفق بالمرأة ويفرض المحافظة على حقوقها، ويقصي الرجل عن الإقدام على الطلاق ما أمكن)(٥).

(. . كانت المرأة في ديار العرب قديماً محض متاع مجرد ذكرها أمر ممتهن،

---

(١) نفسه ص ٥٤.

(٢) الدكتور أحمد نسيم سوسة، باحث مهندس من العراق، وعضو في المجمع العلمي العراقي، وواحد من أبرز المختصين بتاريخ الري في العراق، كان يهودياً فاعتنق الإسلام متأثراً بالقرآن الكريم، توفي قبل سنوات قلائل. ترك الكثير من الدراسات في مختلف المجالات وخاصة في تاريخ الري، وفند في عدد منها ادعاءات الصهيونية العالمية من الناحية التاريخية ومن مؤلفاته الشهيرة: (مفصل العرب واليهود في التاريخ) و(في طريقي إلى الإسلام) الذي تحدث فيه عن سيرة حياته.

(٣) في طريقي إلى الإسلام ١٨٧/١.

(٤) نفسه ٣١/ ٣٠/ ٢.

(٥) نفسه ٣٢/١-٢.

هكذا كان الوضع حينما جاء النبي فرفع مقام المرأة في آسيا من وضع المتاع الحقير، إلى مرتبة الشخص المحترم، الذي له الحق بالحياة، حياة محترمه كما أن له الحق في أن يملك ويرث المال)(١).

(مما يدل على أن الإسلام هو دين أبدي قد أنزل لكل وقت ومكان؛ نجد أن عادة تعدد الزوجات لم تعد تتبع في كثير من الأنحاء الإسلامية إلا ما ندر وقل وذلك لسبب التطور الذي طرأ في حياة معظم الجماعات، بحيث جعل العسر الاقتصادي والظروف الحالية، تعدد الزوجات متعذراً تطبيقه. . . هذا وإذا دققنا كم هي النسبة المئوية من المؤمنين بالدين الإسلامي، الذين يطبقون عادة تعدد الزوجات في الوقت الحاضر، نجد فعلاً أنها نسبة جد قليلة. . .)(٢).

لويس سيديو:(٣)

(إن القرآن وهو دستور المسلمين رفع شأن المرأة بدلاً من خفضه. . فجعل حصة البنت في الميراث تعدل نصف حصة أخيها، مع أن البنات كن لا يرثن في زمن الجاهلية. . «وهو» وإن جعل الرجال قوامين على النساء، بين أن للمرأة حق الرعاية والحماية على زوجها، وأراد ألا تكون الأيامى جزءاً من ميراث رب الأسرة، فأوجب أن يأخذن ما يحتجن إليه مدة سنة، وأن يقبضن مهورهن وأن ينلن نصيباً من أموال المتوفى. . . .)(٤)

(لا شيء أدعى إلى راحة النفس من عناية محمد -ﷺ- بالأولاد. فهو قد حرم «بأمر الله» عادة الوأد وشغل باله بحال اليتامى على الدوام. . . وكان يجد في ملاحظة صغار الأولاد أعظم لذة. ومما حدث ذات يوم أن كان محمد ﷺ يصلي فوثب الحسين ابن علي رضي الله عنهما فوق ظهره، فلم يبال بنظرات الحضور فانتظر صابرا إلى حين نزوله كما ورد. وما ألطف أقوال محمد ﷺ عن حنان الأم وحب الوالدين

(١) نفسه ٢/٤٢. (٢) نفسه ٢/١٤٥/١٤٤.

(٣) لويس سيديو (١٨٠٨-١٨٧٦) مستشرق فرنسي عكف على نشر مؤلفات أبيه جان جاك سيديو الذي توفي عام ١٨٣٢ قبل أن تتاح له فرصة إخراج كافة أعماله في تاريخ العلوم الإسلامية. وقد عين لويس أميناً لمدرسة اللغات الشرقية (١٨٣١) وصنف كتاباً بعنوان (خلاصة تاريخ العرب) فضلاً عن(تاريخ العرب العام) وكتب العديد من الأبحاث والدراسات في المجلات المعروفة.

(٤) تاريخ العرب العام ص ١١٠.

وما أجمل ما في كلمته «**الجنة تحت أقدام الأمهات**»[١] من تكريم الأمهات! فيمكن أن يكتب فصل رائع من حياة محمد ﷺ حول هذا الموضوع) .

(أحل الطلاق في الإسلام ولكنه جعل تابعاً لبعض الشروط فيمكن الرجوع عنه عند الطيش والتهور والطلاق لكي يكون باتاً يجب أن يكرر ثلاث مرات..... والمرأة إذا طلقت الطلقة الثالثة لا تحل لزوجها الأول إلا بعد أن تنكح زوجاً آخر فيطلقها هذا الزوج، وهذا الحكم على جانب عظيم من الحكمة لما يؤدي إليه من تقليل عدد الطلاق، ولا يحق للمرأة أن تطلب الطلاق إلا عند سوء المعاملة...)[٢].

(**جزاء الزنا صارم في الإسلام**).. ولا بد من أربعة شهود لإثباته، ولم يقصر محمد ﷺ في منع انتشار الفجور وله نصائح غالية بهذا الصدد وهو يأمر المؤمنين بالاحتشام وينظم أمورهم نحو أجرائهم وأبنائهم وآبائهم وأمهاتهم برفق أبوي ممزوج بلسان المشترع الوقور الجليل)[٣].

لورا فيشيا فاغليري[٤]

(.. في ما يتصل بالزواج، لا تطالب السنة الإسلامية بأكثر من حياة أمينة، إنشائية يسلك فيها المرء منتصف الطريق، متذكراً الله من ناحية، ومحترماً حقوق الجسد والأسرة والمجتمع وحاجاتها من ناحية ثانية)[٥].

(.. إنه لم يقم الدليل حتى الآن بأي طريقة مطلقة على أن تعدد الزوجات هو بالضرورة شر اجتماعي، وعقبة في طريق التقدم، ولكنا نؤثر ألا نناقش المسألة على هذا الصعيد. وفي استطاعتنا أيضاً أن نصر على أنه في بعض مراحل التطور الاجتماعي عندما تنشا أحوال خاصة بعينها كأن يقتل عدد من الذكور ضخم إلى حد استثنائي في الحرب مثلاً يصبح تعدد الزوجات ضرورة اجتماعية، والحق أن الشريعة الإسلامية التي تبدو اليوم وكأنها حافلة بضروب التساهل في هذا الموضوع، إنما قيدت

---

(١) هذا معنى حديث، وليس حديثاً كما ذكر الباحث. (٢) نفسه ص ١١٠-١١١

(٣) نفسه ص ١١١-١١٢

(٤) لورا فيشيا فاغليري، باحثة إيطالية معاصرة انصرفت إلى التاريخ الإسلامي قديماً وحديثاً إلى فقه العرب وآدابها. ومن آثارها: (قواعد العربية) في جزءين (١٩٣٧-١٩٤١) و(الإسلام) (١٩٤٦) و(دفاع عن الإسلام)(١٩٥٢) والعديد من الدراسات في المجالات الاستشراقية المعروفة.

(٥) دفاع عن الإسلام ص ٨٨ .

تعدد الزوجات بقيود معينة وكان هذا التعدد حراً قبل الإسلام مطلقاً من كل قيد. لقد شجب الإسلام بعض أشكال الزواج المشروط والمؤقت، التي كانت في الواقع أشكالاً مختلفة للتسري الشرعي (المعاشرة من غير الزواج)، وفوق هذا منح الإسلام المرأة حقوقاً، لم تكن معروفة قط من قبل، وفي استطاعتنا في كثير من اليسر أن نحشر الشواهد المؤيدة لذلك)[١].

(القرآن يبيح الطلاق. ومادام المجتمع الغربي قد ارتضى الطلاق أيضاً واعترف به في الواقع فهو ضرورة من ضرورات الحياة وخلع عليه في مكان تقريباً صفة شرعية كاملة، ففي ميسورنا أن نغفل الدفاع عن اعتراف الإسلام به. ومع ذلك فإننا بدراستنا له وبمقارتنا بين عادات العرب بالجاهلية وبين الشريعة الإسلامية نفوز بفرصة نظهر فيها أن القانون الإسلامي قد دشن في هذا المجال أيضاً إصلاحاً اجتماعياً).

فقبل عهد الرسول ﷺ كان العرف بين العرب، قد جعل الطلاق عملاً بالغ السهولة.. أما القانون الإلهي فقد سن بعض القواعد التي لا تجيز إبطال الطلاق فحسب بل التي توصى به في بعض الأحوال..وليس للمرأة حق المطالبة بالطلاق ولكنها قد تلتمس فسخ زواجها باللجوء إلى القاضي وفي إمكانها أن تفوز بذلك إذا كان لديها سبب وجيه يبرره، والغرض من هذا التقييد لحق المرأة في المبادرة هو وضع حد لممارسة الطلاق لأن الرجال يعتبرون أقل استهدافاً لاتخاذ القرارات تحت تأثير اللحظة الراهنة من النساء، وكذلك جعل تدخل القاضي ضماناً لحصول المرأة على جميع حقوقها المالية الناشئة عن إنجاز فسخ الزواج. وهذه القاعدة والقاعدة الأخرى التي تنص على أنه في حال نشوب خلاف داخل الأسرة، يتعين اللجوء إلى بعض الموفقين ابتغاء الوصول إلى تفاهم، تنهضان دليلاً كافياً، على أن الإسلام يعتبر الطلاق عملا جديراً باللوم والتعنيف. والآيات القرآنية تقرر ذلك في صراحة بالغة.. وثمة أحاديث نبوية كثيرة تحمل الفكرة نفسها..)[٢]

(اجتنابا للإغراء بسوء، ودفعاً لنتائجه، يتعين على المرأة المسلمة أن تتخذ حجاباً وأن تستر جسدها كله ماعدا تلك الأجزاء التي تعتبر حريتها ضرورة مطلقة كالعينين والقدمين. وليس هذا ناشئا عن قلة احترام للنساء أو ابتغاء كبت إرادتهن ولكن لحمايتهن من شهوات الرجال).

---

(١) نفسه ص ٩٧-٩٨ (٢) نفسه ص ١٠١ -١٠٣

(وهذه القاعدة العريقة في القدم القاضية بعزل النساء عن الرجال والحياة الأخلاقية التي نشأت عنها قد جعلتها تجارة البغاء المنظمة مجهولة بالكلية في البلدان الشرقية إلا حيثما كان للأجانب نفوذ أو سلطان. وإذا كان أحد لا يستطيع أن ينكر قيمة هذه المكاسب فيتعين علينا أن نستنتج أن عادة الحجاب... كانت مصدر فائدة لا تثمن للمجتمع الإسلامي)(١).

(إذا كانت المرأة قد بلغت من وجهة النظر الاجتماعية في أوروبا مكانة رفيعة فإن مركزها شرعياً على الأقل كان حتى سنوات قليلة جداً ، ولا يزال في بعض البلدان أقل استقلالاً من المرأة المسلمة في العالم الإسلامي. إن المرأة المسلمة إلى جانب تمتعها بحق الوراثة مثل إخوتها ولو بنسبة صغيرة وبحقها في ألا تزف إلى أحد إلا بموافقتها الحرة، وفي أن لا يسيء زوجها معاملتها تتمتع أيضاً بحق الحصول على مهر من الزوج وبحق إعالته إياها وتتمتع بأكمل الحرية إذا كانت مؤهلة لذلك شرعيا في إدارة ممتلكاتها الشخصية)(٢).

ليوبولد فايس:(٣)

(إن الشريعة الإسلامية بمقتضى الحكمة التي تأخذ الطبيعة البشرية بعين الاعتبار الكلي دائما لا تأخذ على عاتقها أكثر من صيانة الوظيفة الاجتماعية ـ البيولوجية للزواج (بما فيها طبعاً العناية بالنسل أيضاً) فتسمح للرجل بأن يتخذ لنفسه أكثر من زوجة واحدة ولا تسمح للمرأة بأن تتخذ لنفسها أكثر من زوج واحد في الوقت نفسه في حين أنها تترك للشريكين مسألة الزواج الروحية التي لا يمكن أن تقاس وبالتالي تقع خارج دائرة الشريعة. فمتى كان الحب تاماً كاملاً فعندئذ تنعدم الرغبة عند كل منهما في الزواج ثانية ومتى كان الرجل لا يحب زوجته من كل قلبه ولا يرغب مع ذلك في فقدها فإن بإمكانه أن يتزوج بأخرى.. ومهما يكن فإنه لما كان الزواج في

(١) نفسه - ١٠٣ـ١٠٤   (٢) نفسه ص ١٠٦ .

(٣) ليوبولد فايس (محمد أسد) مفكر وصحفي نمساوي أشهر إسلامه وتسمى بمحمد أسد وحكى في كتابه القيم (الطريق إلى مكة) تفاصيل رحلته إلى الإسلام، وقد أنشأ بمعاونة وليم بكتول الذي أسلم هو الآخر مجلة (الثقافة الإسلامية) في حيدر أباد الدكن (١٩٢٧) وكتب فيها دراسات وفيرة معظمها في تصحيح أخطاء المستشرقين عن الإسلام.

من آثاره: ترجم صحيح البخاري بتعليق وفهرس، وألف (أصول الفقه الإسلامي) و (الطريق إلى مكة) و (منهاج الإسلام في الحكم) و (الإسلام على مفترق الطرق).

الإسلام عقداً مدنياً فحسب، فإن في مكنة الشريكين في الزواج أن يلجآ دائماً إلى الطلاق خصوصاً وأن الوصمة التي تلصق بالطلاق سواء بشدة أقل أو أكثر في المجتمعات الأخرى معدومة في المجتمع الإسلامي)[١].

(إن الحرية التي تمنحها الشريعة الإسلامية كلاً من الرجل والمرأة على حد سواء لعقد الزواج، أو حل هذا العقد يفسر السبب الذي من أجله تعتبر هذه الشريعة الزنا من أقبح الآثام: ذلك أنه تجاه هذا التسامح وهذه الحرية، لا يمكن أن يكون هناك أيما عذر للوقوع في حبائل العاطفة أو الشهوة. . . .)[٢].

جاء النبي ﷺ بما لم يسمع به من قبل الرجال والنساء سواء أمام الله وأن جميع الواجبات الدينية مفروضة على الرجل والمرأة على حد سواء،والحق أنه ذهب إلى أبعد من ذلك فأعلن . . أن المرأة شخص بملء حقها وليس لمجرد صلتها بالرجل أماً أو زوجة أو أختاً أو ابنه وأنها لذلك من حقها أن تقتني ملكاً، وأن تتعاطى التجارة على حسابها ومسؤوليتها وأن تهب نفسها لمن تشاء عن طريق الزواج)[٣].

روجيه جارودي[٤]

(إن القرآن ـ من وجهة نظر اللاهوتية ـ لا يحدد بين الرجل والمرأة علاقة من التبعية الميتافيزيقية؛ فالمرأة في القرآن توأم وشريكة للرجل لأن الله خلق البشر ككل شئ ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات: ٤٩)، والقرآن لا يحمل المرأة المسؤولية الأولى للخطيئة)[٥].

(إذا نحن قارنا قواعد القرآن بقواعد جميع المجتمعات السابقة، فإنها تسجل

---

(١) الطريق إلى مكة ص ٣٠٠ـ٣٠١.   (٢) نفسه ص ٣٠١

(٣) نفسه ص ٣٠

(٤) روجيه جارودي ، المفكر الفرنسي المعروف وأحد كبار زعماء الحزب الشيوعي الفرنسي سابقاً. تتميز ثقافته بالعمق والشمولية والرغبة الجادة في البحث عن الحق مهما كان الثمن الذي يكلفه. أتيح له منذ مطلع الأربعينات أن يحتك بالفكر الإسلامي والحياة الإسلامية، وازداد هذا الاحتكاك بمرور الوقت و تمخض عن اهتزاز قناعاته المادية وتحوله بالتدريج إلى خط الإيمان ، الأمر الذي انتهى به إلى فصله من الحزب الشيوعي الفرنسي كما قاده في نهاية الأمر (أواخر السبعينات) إلى اعتناق الإسلام حيث تسمى بـ(رجاء جارودي).

كتب العديد من المؤلفات منها: (حوار الحضارات) ((منعطف الاشتراكية الكبير)) (البديل) (واقعية بلا ضفاف) وبعد إسلامه أنجز سيرة ذاتية خصبة وعددا من المؤلفات أبرزها: (وعود الإسلام) فضلاً عن العديد من المحاضرات التي ألقاها في أكثر من بلد.

(٥) وعود الإسلام ص ٧٨ .

تقدماً لا مراء فيه، ولا سيما بالنسبة لأثينا ولروما، حيث كانت المرأة قاصرة بصورة ثابتة)[١]

(في القرآن تستطيع المرأة التصرف بما تملك، وهو حق لم يعترف لها به في معظم التشريعات الغربية ولا سيما في فرنسا إلا في القرن التاسع عشر والعشرين، أما في الإرث فصحيح أن للأنثى نصف ما للذكر إلا أنه بالمقابل تقع جميع الالتزامات وخاصة أعباء مساعدة أعضاء الأسرة الآخرين على عاتق الذكر، المرأة معفاة من كل ذلك. والقرآن يعطي المرأة حق طلب الطلاق، وهو ما لم تحصل عليه المرأة في الغرب إلا بعد ثلاثة عشر قرناً)[٢].

(في القرآن إقرار بتعدد الزوجات، إلا أن هذا التعدد لم يؤسسه هو كان موجوداً من قبل (وهو موجود كذلك في التوراة وفي الإنجيل) وقد فرض عليه على العكس حدوداً مثل العدل التام بين مختلف الزوجات، في الإنفاق والمحبة والمعاشرة الجنسية وهي قواعد إذا ما جرى تطبيقها بحرفيتها، تجعل تعدد الزوجات مستحيلاً)[٣].

(يحسن ألا ننسى بأن جميع ألوان الرقة في الحب والشفافية فيه.. على نحو ما ظهر في الغرب لدى شعراء التروبادور.. وفي قصائد دانتي.. من أصول عربية إسلامية)[٤].

هاملتون جب[٥]

(حين ننتهي من حذف الانحرافات (الفقهية المتأخرة) وشجبها تعود تعاليم القرآن والرسول ﷺ الأصلية، إلى الظهور في كل نقائها ورفعتها وعدالتها المتساوية إزاء الرجل والمرأة معاً، عندئذ نجد أن هذه التعاليم تعود إلى المبادىء العامة وتحدد الفكرة التي تجب أن يوضع ويطبق القانون بمقتضاها أكثر من أن تعين صيغاً

(١) نفسه ص ٧٨.
(٢) نفسه ص ٧٨-٧٩
(٣) نفسه ص ٨٠
(٤) نفسه ص ٧٩
(٥) سير هاملتون الكساندر روسكين جب ١٩٦٧-١٨٩٥ يعد إمام المستشرقين الإنكليز المعاصرين أستاذ اللغة العربية في جامعة لندن سنة ١٩٣٠م وأستاذ في جامعة أكسفورد منذ سنة ١٩٣٧م وعضو مؤسس في المجمع العلمي المصري تفرغ للأدب العربي و حاضر بمدرسة الشرقيات بلندن. من آثاره: (دراسات في الآداب العصرية) (١٩٢٦م)) الفتوحات الإسلامية في آسيا الوسطى و علاقتها ببلاد الصين) (رحلات ابن بطوطة) (اتجاهات الإسلام المعاصرة) وهو أحد محرري دائرة المعارف الإسلامية.

حقوقية حاسمة، وهذه الفكرة فيما يخص المرأة لا يمكنها إلا أن تكون نابضة بالود الإنساني، وبشعور الاحترام لشخصيتها، والرغبة في محور الأضرار التي ألحقها بالمرأة سير المجتمع سيراً قاسياً وناقصاً فيما مضى، وبعدما ننتهي من استخلاص هذه الفكرة وهضمها يمكننا أن نفهم التشريع الخاص بالقرآن فهماً صحيحاً، حالما نتوصل إلى ذلك نرى أن الموقف الإسلامي تجاه المرأة والطريقة الإسلامية في فهم شخصيتها ونظامها الاجتماعي وطريقة حماية التشريع الإسلامي لها تفوق كثيراً ما هي عليه في الديانات الأخرى)[١].

إيفلين كوبولد،[٢]

(الحق أقول إن الحب عندنا وكما يفهمه الغربيون، ما يزال قريباً من الغريزة الجنسية مقصورة دائرته أو تكاد على ما تلهمه هذه الغريزة...

فأما المناطق العليا التي يرتفع الحب المهذب إليها، أما الحب بمعناه الإنساني السامي.. الحب على أنه عاطفة إنسانية سامية أساسها إنكار الذات والرقي النفسي إلى عالم الخير والجمال والحق فهذا ما لا يفكر به أحد أو يتصور وجوده إنسان وهو إلى ذلك كله موجود في الإسلام منطوٍ في هذه الأخوة الإسلامية، التي تجعل من الفرد عبداً يعمل لخير المجموع، وفرداً قصارى همه أن يعمل للإحسان والإحسان أبداً)[٣].

(لم تكن النساء (المسلمات) متأخرات عن الرجال في ميدان العلوم والمعارف، فقد نشأ منهن عالمات في الفلسفة، والتاريخ، والأدب، والشعر، وكل ألوان الحياة)[٤].

(لما جاء الإسلام رد للمرأة حرياتها فإذا هي قسيمة الرجل لها من الحق ما له وعليها ما عليه، ولا فضل له عليها إلا بما يقوم به من قوة الجلد وبسطة اليد واتساع الحيلة فيلي رياستها، فهو لذلك وليها، يحوطها بقوته، ويذود عنها بدمه، وينفق عليها من كسب يده فأما فيما سوى ذلك، فهما في السراء والبأساء على السواء. ذلك ما

---

(١) الاتجاهات الحديثة في الإسلام ص ١٢٣.

(٢) الليدي ايفلين كوبولد، نبيلة إنجليزية اعتنقت الإسلام وزارت الحجاز وحجت إلى بيت الله وكتبت مذكراتها عن رحلتها تلك في كتاب لها بعنوان: (الحج إلى مكة)، لندن ١٩٣٤م، والذي ترجم إلى العربية بعنوان: (البحث عن الله).

(٣) البحث عن الله ص ٢٨. (٤) نفسه ص ٥١.

أجمله الله بقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة:٢٢٨) وهذه الدرجة هي الرعاية والحياطة، لا يتجاوزها إلى قهر النفس وجحود الحق وكما قرن الله سبحانه بينهما في شؤون الحياة قرن بينهما في حسن التوبة، وادخار الأجر، وارتقاء الدرجات العليا في الدنيا والآخرة، وإذا احتمل الرجل مشقات الحياة ومتاعب العمل وتناثرت أوصاله وتهدم جسمه في سبيل معاشه ومعاش زوجه، فليس ذلك بزائد مثقال حبة عن المرأة إذا وفت لبيتها، وأخلصت لزوجها، وأحسنت القيام في شأن دارها).

(كتبت الليدى ماري مونتكاد زوجة السفير الإنكليزي في تركيا إلى شقيقتها تقول: (يزعمون أن المرأة المسلمة في استعباد وحجر معيب وهو ما أود تكذيبه، فإن مؤلفي الروايات في أوروبا لا يحاولون الحقيقة ولا يسعون للبحث عنها ولولا أنني في تركيا وأنني اجتمعت إلى النساء المسلمات ما كان إلى ذلك سبيل، وإنني أستمع إلى أخبارهم وحوادثهم وطرق معيشتهم من سبل شتى لذهبت أصدق ما يكتب هؤلاء الكتاب ولكن ما رأيته يكذب كل التكذيب أخبارهم، ولا أبالغ إذا قررت لك أن المرأة المسلمة وكما رأيتها في الآستانة أكثر حرية من زميلاتها في أوروبا، ولعلها المرأة الوحيدة التي لا تعني بغير حياتها البيتية، ثم إنهن يعشن في مقصورات جميلات ويستقبلن من يرد من الناس..)(١).

(إن جهل النساء في الإسلام أمر لا يتفق وأوامر الرسول الكريم ﷺ، فقد أمر رسول الله ﷺ النساء بطلب العلم، وحظر الإسلام الجهل على المؤمنين به، وشدد في ذلك بما لا يدع مجالاً للشبهة والتأويل)(٢).

عبدالله كويليام:(٣)

(إن زعماء النصرانية أبدلوا دين المسيح عليه السلام بما كانت ترمي إليه أهواؤهم، وأوجدوا عقائد أخرى من تلقاء ذاتهم، وتظاهروا في مقاومة الشهوات البشرية بالرهبنة والعزوبية.. واتخذوهما ستاراً للفسق ولأعمالهم التضليلية، حتى ضل الناس وأشركوا بالواحد القهار، واتخذوا لفيفاً من هؤلاء القديسين والرهبان أرباباً من دون الله، فلما جاء الإسلام استأصل شأفة هذه الخزعبلات، وقضى على جميع الأباطيل

(١) البحث عن الله ص ٨١-٨٢. (٢) نفسه ص ٨٥.

(٣) عبدالله كويليام مفكر إنجليزي ولد سنة ١٨٥٦م وأسلم سنة ١٨٨٧ وتلقب باسم: (الشيخ عبدالله كويليام) ومن آثاره (العقيدة الإسلامية) (١٨٨٩م) و (أحسن الأجوبة).

والترهات، وأقيمت الحجة الثابتة على استهجان العزوبية، واعتبار الزواج دليلاً للتقوى الحقيقية، وأنه من أوليات القواعد الدينية، إذ فيه بيان قدرة الخالق ووحدانيته وجلاله. . . فالإسلام هو الذي حض على الزواج وأبطل الرهبنة. . .)[١].

(أما تعدد الزوجات فإن موسى عليه السلام لم يحرمه، وداود عليه السلام أتاه، وقال به، ولم تحرم في العهد الجديد (أي الإنجيل). . . إلا من عهد غير بعيد. ولقد أوقف محمد ﷺ الغلو فيها عند حد معلوم، وعلى كل حال فإن مسألة تعدد الزوجات أمر شاذ كثيراً، عن الدستور المعمول به في البلاد الإسلامية المتمدنة. . وهو بكل ما قيل فيه من القول الهراء، لا يخلو من الفائدة، فقد ساعد على حفظ حياة المرأة وأوجد لها في الشريعة حسن المساعدة، وتعدد الزوجات في البلاد الإسلامية أقل إثماً وأخف ضرراً من الخبائث التي ترتكبها الأمم المسيحية تحت ستار المدنية، فلنخرج الخشبة التي في أعيننا أولاً، ومن ثم نتقدم لإخراج القذى من أعين غيرنا)[٢].

(جاء في القرآن ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾(النساء: ٣). فيما يتعلق بمسألة تعدد الزوجات التي تنتقدون فيها على المسلمين ظلماً وعدواناً، إذ لا شك في أنكم تجهلون عدل النبي ﷺ بين أزواجه رضوان الله عليهن وحبه لهن حباً مساوياً مما علم المسلمين العدل والإنصاف بينهن، على أن القرآن لم يأمر بتعدد الزوجات، بل جاء بالحظر مع الوعيد لمن لا يعدل في الآية المتقدمة ولذلك ترى اليوم جميع المسلمين منهم يتزوجون امرأة واحدة إلا القليل منهم، خوف الوقوع تحت طائلة ما جاء من الإنذار في القرآن المجيد، وإذا سلمنا على العموم بأن عدم تعدد الزوجات أوفق للمعاشرة الدنيوية من تكررهن فلا نسلم بالاعتراف بذلك على الوجه المتعارف اليوم بأوروبا، من حصر الزواج في امرأة واحدة، إذعاناً للقانون واتخاذ عدة أزواج أخرى) غير شرعيات من وراء الجدار. . . .)[٣].

(. . . ورد في القرآن نصوص كثيرة، تثبت أن النساء لا يعاقبن في الدار الآخرة فقط على ما أتين من سيئ الأعمال، بل كذلك يجازين خير الجزاء على ما يعملنه من طيب أعمالهن بمثل ما يكون للرجال، وعلى ذلك نرى أن الله سبحانه لا تميز

(١) العقيدة الإسلامية (ص ١٩) كانن إسحق تيلر في خطبة له بمؤتمر الكنيسة الإنجليزية بتاريخ ٧ أكتوبر سنة ١٨٨٧ نشرت بجريدة التايمز في اليوم التالي).

(٢) نفسه ص٢٢-٢٣.

(٣) نفسه ص ٣٨ - ٣٩ عن (لوازون في خطبة ألقاها بتونس، ونشرت في جريدة الحاضرة التي تصدر في تونس بتاريخ ٣ ديسمبر سنة ١٨٩٥م)

عنده في الإسلام بين الأجناس)[١].

روم لاندو[٢]

(يوم كانت النسوة يعتبرن في العالم الغربي مجرد متاع من الأمتعة ويوم كان القوم هناك في ريب جدي من أن لهن أرواحاً كان الشرع الإسلامي قد منحهن حق التملك، وتلقت الأرامل نصيباً من ميراث أزواجهن، ولكن البنات كان عليهن أن يقنعن بنصف حصة الذكر.. إلا أن علينا ألا ننسى أن الأبناء الذكور وحدهم كانوا حتى فترة حديثة نسبياً ينالون في الديار الغربية حصة من الإرث)[٣].

لايتنر[٤]

(... إن الزواج عند المسلمين يجل عما رماهم به كتاب النصارى، والقول بأنه لا يوجد حد للزواج والطلاق عند المسلمين فغير صحيح، والطلاق عندهم ليس بالأمر الهين، فعدا عن وجود المحكمين فعلى الرجل أن يدفع صداقها المسمى عند إجراء العقد وهذا غالباً يكون فوق ما يقدر زوجها على إيفائه بسهوله، فمركز المرأة بالإسلام قوي مؤمّن من الطلاق، إن النصارى والبوذيين يرون الزواج أمراً روحياً ومع ذلك نرى عقدة النكاح محترمة عند المسلمين أكثر مما هي محترمة في البلاد المسيحية.. ويسوؤني أن اذكر ما ليس لي مناص من ذكره، وهو أنني سكنت بين المسلمين أربعة وخمسين عاماً، ابتداؤها سنة ١٨٤٨م، فمع وجود التساهل في أمر الطلاق عندهم، وعسره عند النصارى فقد وقع حودات طلاق عند النصارى أكثر مما وقع عند المسلمين بكثير، وإني أقول الحق بأن الشفقة والإحسان عند المسلمين نحو عيالهم

---

(١) نفسه ص ١٤٣

(٢) روم لا ندو، نحات وناقد فني إنجليزي زار زعماء الدين في الشرق الأدنى(١٩٣٧م) وحاضر في عدد من جامعات الولايات المتحدة (١٩٥٢م - ١٩٥٧م) أستاذ الدراسات الإسلامية وشمالي إفريقيا في المجمع الأمريكي للدراسات الأسيوية في سان فرانسسكو (١٩٥٣م).

من آثاره: (الله ومغامراتي) (١٩٣٥م) بحث عن الغد) (١٩٣٨م) سلم الرسل (١٩٣٩م) دعوة إلى المغرب) (١٩٥٠م) سلطان المغرب (١٩٥١) فرنسا والعرب (١٩٥٣) الفن العربي (١٩٥٥)... وغيرها.

(٣) الإسلام و العرب ص ٢٠٣ .

(٤) لايتنر باحث انجليزي حصل على أكثر من شهادة دكتوراه في الشريعة والفلسفة واللاهوت، وزار الأستانة عام ١٨٥٤م . كما طوف بعدد من البلاد الإسلامية والتقى برجالاتها وعلمائها.

والغرباء والمسنين والعلماء، لمثال مجدٌ يجب على النصارى أن يقتدوا به)[١].

(أما تعدد الزوجات.. فإننا بقطع النظر عن منافعه الحقيقية لأنه يقلل النساء في الأماكن التي هن فيه أكثر من الرجال، وبقطع النظر عن أنه يقلل وجود المومسات وأضرارهن ويمنع مواليد الزنا، فلا يمكننا أن ننكر بأن أكثر المسلمين ذوو زوجة واحدة، والسبب في ذلك هو تعليم دين الإسلام. لقد أتى محمد بين أمة تعد ولادة الأنثى شراً عظيماً عليهم وهكذا كانوا يئدونها ولم يكن للرجال حد يقفون عنده من جهة الزواج وكانوا يعدون النساء من جملة المتاع، ويرثونها من بعد موت بعلها، فجعل لهذه الحالة حداً، فلا يقدر الرجل أن يتزوج بأكثر من أربع نساء بشرط المساواة بينهن في كل شي حتى بالمحبة والوداد، فإن لم يكن قادراً على كل ذلك فلا يباح له بأن يتزوج غير واحدة. ومن يتدبر شريعته يرى أنه قد حض على الزواج بامرأة واحدة، ولقد رفع مقام المرأة ورقاها رقياً عظيماً فإنها بعد ما كانت تعد كمتاع مملوك صارت مالكة وحكمها مؤيد وحقوقها محفوظة)[٢].

(أما بخصوص الرهبانية، فليس لها وجود في الإسلام وتكاد لا ترى امرأة غير متزوجة وقصاص الزنا متساو فيه الرجل والمرأة.. والشريعة الإسلامية لا تسمح بإهانة أولاد المملوكة وهم يرثون أبناءهم مع أولاد السيدة، وليس في الإسلام محلات للفاجرات ولا قانون يبيح انتشار المومسات، ومسامرات المسلمين العمومية خير مما هي في أوروبا، ومسامرات شبان المسلمين في المدارس خير وأطهر من مسامرات شبابنا، والحق أولى أن يقال فإن كثيراً من كلام شبان الإنجليز، لو قاله أحد في بلاد المسلمين لنال قائله القصاص الصارم، وللمرأة المسلمة مركز شرعي خير من مركز المرأة الإنجليزية بكثير....)[٣].

جوستاف لوبون[٤].

(تعد مبادئ المواريث التي نص عليها القرآن بالغة العدل والإنصاف، ويظهر من مقابلتي بينها وبين والحقوق الفرنسية والإنجليزية، أن الشريعة الإسلامية منحت

---

(١) دين الإسلام ص ١٠ ـ ١١. (٢) نفسه ص ١١.

(٣) نفسه ص ١٤ـ١٥.

(٤) جوستاف لوبون. ولد عام ١٨٤١م وهو طبيب ومؤرخ فرنسي عني بالحضارة الشرقية.
من آثاره: (حضارة العرب) (باريس ١٨٨٤م) (الحضارة المصرية) و (حضارة العرب في الأندلس).

الزوجات ـ اللائي يزعم أن المسلمين لا يعاشروهن بالمعروف ـ حقوقاً في المواريث، لا تجد مثلها في قوانيننا)[١].

(لم يقتصر الإسلام على إقرار مبدأ تعدد الزوجات الذي كان موجوداً قبل ظهوره بل كان ذا تأثير عظيم في حال المرأة في الشرق والإسلام قد رفع حال المرأة الاجتماعي وشأنها رفعاً عظيماً، بدلاً من خفضهما، خلافاً للمزاعم المكررة على غير هدى والقرآن قد منح المرأة حقوقاً إرثية أحسن مما في أكثر قوانيننا الأوربية.. أجل أباح القرآن الطلاق كما أباحته قوانين أوربة التي قالت به ولكنه اشترط أن يكون ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف﴾[٢].. وأحسن طريق لإدراك تأثير الإسلام في أحوال النساء في الشرق، هو أن نبحث في حالهن قبل القرآن وبعده)[٣].

(إذا أردنا أن نعلم درجة تأثير القرآن في أمر النساء، وجب علينا أن ننظر إليهن أيام ازدهار حضارة العرب، وقد ظهر مما قصه المؤرخون أنه كان لهن من الشأن ما اتفق لأخواتهن حديثا في أوربة.. إن الأوربيين أخذوا عن العرب مبادئ الفروسية، وما اقتضته من احترام المرأة، فالإسلام إذن ـ لا النصرانية ـ هو الذي رفع المرأة من الدرك الأسفل الذي كانت فيه وذلك خلافاً للاعتقاد الشائع. وإذا نظرت إلى نصارى الدور الأول من القرون الوسطى، رأيتهم لم يحملوا شيئاً من الحرمة للنساء وإذا تصفحت كتب تاريخ ذلك الزمن، وجدت ما يزيل كل شك في هذا الأمر وعلمت أن رجال عصر الإقطاع كانوا غلاظاً نحو النساء قبل أن يتعلم النصارى من العرب أمر معاملتهن بالحسنى)[٤]..إن حالة النساء المسلمات الحاضرة، أفضل من حالة أخواتهن في أوربا حتى عند الترك.. وإن نقصان شأنهن حدث خلافاً للقرآن لا بسبب القرآن. على كل حال.. إن الإسلام الذي رفع المرأة كثيراً بعيد من خفضها ولم نكن أول من دافع عن هذا الرأي فقد سبقنا إليه كثيرون[٥].

إن تعدد الزوجات المشروع عند الشرقيين أحسن من تعدد الزوجات الرياني عند الأوروبيين وما يتبعه من مواكب أولاد غير شرعيين[٦].

(١) حضارة العرب ص ٣٨٩.
(٢) سورة البقرة الآية ٢٤١.
(٣) حضارة العرب ص ٤٠١.
(٤) نفسه ص ٤٠٣.
(٥) نفسه ص ٤٠٤ـ٤٠٥.
(٦) روح السياسة عن(محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية،١ /٣٨١.

(إن النساء المسلمات قد أخرجن في الدهر الغابر من المشهورات العالمات، بقدر تخرج مدارس الإناث في الغرب اليوم)(١).

نظمي لوقا(٢)

(المرأة في الإسلام إنسان له حقوق الإنسان وكل تكاليفه العقلية والروحية، فهي في ذلك صنو الرجل تقع عليها اعباء الأمانة التي تقع عليه أمانة العقيدة والإيمان وتزكية النفس.. وقد نجد هذا اليوم من بدائه الأمور، ولكنه لم يكن كذلك في العالم القديم في كثير من الأمم حيث كانت المرأة تباع أحياناً كثيرة كما تباع السلعة، وكانت في كثير من الأحيان منقوصة الأهلية لا تمارس التصرفات المالية والقانونية إلا عن طريق وليها الشرعي أو بموافقته، بل لم تكن تملك تزويج نفسها على الخصوص وإنما الأمر في ذلك لوليها، يُجريه على هواه، وأكثر من هذا؛ كانت قبائل العرب في الجاهلية تئد البنات كراهة لهن وازدراء لشأنهن ومن لم يئدهن كان يضيق بهن ضيقاً شديداً)(٣).

(في سور القرآن أشار إلى المساواة عند الله بين الذكر والأنثى، بغير تفريق في التكليف أو الجزاء وإشارة صريحة إلى مساواة المرأة والرجل في ثمرات الأعمال والجهود.. وفي بعض الأمم القديمة والحديثة كانت المرأة تحرم غالباً من الميراث فأبى الإسلام هذا الغبن الفاحش....)(٤).

(ليس الإسلام ـ على حقيقته ـ عقيدة رجعية تفرق بين الجنسين في القيمة، بل إن المرأة في موازينه تقف مع الرجل على قدم المساواة، لا يفضلها إلا بفضل ولا يحبس عنها التفضيل إن حصل لها ذلك الفضل بعينه، في غير مطل أو مراء، وما من امرأة سوية تستغني عن كنف الرجل بحكم فطرتها الجسدية والنفسية على كل حال، وذلك حسب عقيدة لتكون صالحة لكل طور اجتماعي على تعاقب الأطوار والعصور على سنة العدل التي لم يجد لها عصرنا اسماً أوفق من (تكافؤ الفرص)

---

(١) نفسه ٨٣/١

(٢) د. نظمي لوقا، مسيحي من مصر. يتميز بنظرته الموضوعية وإخلاصه العميق للحق. ورغم إلحاح أبويه على تنشئته على المسيحية منذ كان صبياً فإنه كثيراً ما كان يحضر مجالس الشيوخ المسلمين ويستمع بشغف إلى كتاب الله وسيرة رسوله عليه السلام، بل إنه حفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز العاشرة من عمره. ألف عدداً من الكتب أبرزها (محمد... الرسالة والرسول) و (محمد في حياته الخاصة).

(٣) محمد الرسالة والرسول ص ٩٥-٩٦.

(٤) نفسه ص ٩٦.

الذي يلغي كل التفريق ويسقط كل حجة ويقضي على كل تميز إلا بامتياز ثابت صحيح)(١).

(العلاقة الزوجية في الإسلام ليست مسافدة حيوانية بين ذكر وأنثى على إطلاق بواعث الرغبة والاشتهاء الغريزي بين جنسي النوع البشري، لغير هذا قامت كوابح الآداب وضوابط الشرائع والعقائد ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الروم: ٢١). هكذا جاء في سورة الروم وإني لأرى في قوله ﴿من أنفسكم﴾ لمسة تمس شغاف القلب، وتذكر بما في الزواج من قربى، تجعل الزوجة قطعة من النفس ثم أردف ذلك بالسكن، وما أقرب السكن في هذا الباب من سكينة النفس لا من مساكنة الأجساد! بدليل ما أردف بذلك من المودة والرحمة، وتلك أعم من المعاشرة الإنسانية بما فيها من غلبة الروح على نزوات الأجساد ودفعات الرغبة العمياء، فالزواج مطلب نفسي وروحي عند الإنسان وليس مطلباً شهوياً جسدياً وإن كان له أساس جسدي..)(٢).

(كان لابد من إصلاح مابين الإنسان ونفسه التي بين جنبيه، بعقيدة موفقة بين الدين والدنيا، وقد نهض بهذا الإسلام وكانت سنته في الزواج كفاء خطته في جوانب الهداية البشرية الفطرية لتحرير البشر من الذعر والخزي وعقدة الإثم الشوهاء، التي كبلته ولم تزل تكبل الكثيرين عن انطلاقة الحياة وسوء الفطرة).

مارش،(٣)

(.. على فرض وجود بعض القيود على المرأة المسلمة في ظل الإسلام فإن هذه القيود ليست إلا ضمانات لمصلحة المرأة المسلمة نفسها ولخير الأسرة والحفاظ عليها متماسكة قوية وأخيراً فهي لخير المجتمع الإسلامي بشكل عام)(٤).

(لقد لاحظت أن المشكلات العائلية التي يعاني منها الغرب لا وجود لها بين الأسرة المسلمة، التي تنعم بالسلام والهناء، وكذلك الحب فلا الزوج ولا زوجته في

---

(١) نفسه ص ١٠٠ ـ ١٠١. (٢) نفسه و ص ١١٥ـ١١٦.

(٣) سالي جان مارش: لوى جان مارش. ولدت في واشنطن عام ١٩٥٤م في عائلة بروتستانية، حصلت على درجة الماجستير في العلوم السياسة من واشنطن كما تفرغت لدراسة اللغة العربية بجامعة الكويت، قرأت كثيراً في معظم الأديان المعروفة في الغرب فلم يقبل عقلها أي واحد منها فلما التقت بالإسلام أحست منذ البداية أنها تؤمن بكافة تعاليمه بحكم فطرتها التي فطر الله الناس عليها، فانتمت إليه.

(٤) نفسه ٤٧ ـ ٤٦/٨

ظل الإسلام يعرفان شيئاً عن موعد العشاق ومودة الصديقات، السائدين هذه الأيام في الأقطار غير الإسلامية، لقد أحببت هذا الجانب من الحياة الإسلامية حباً كثيراً لأنه يمنح الزوج والزوجة والأبناء ما لا بد لهم عنه من حب وإخلاص وسلام يعمر حياتهم، وليس ذلك فحسب، بل بفضل هذا الإخلاص في العلاقات الزوجية بين المسلمين هم واثقون أن أبناءهم حقاً من صلبهم غير دخلاء عليهم، وهذا مفقود في المجتمعات الأخرى).

ماكلوسكي:(١)

(. . .في ظل الإسلام استعادت المرأة حريتها واكتسبت مكانة مرموقة، فالإسلام يعتبر النساء شقائق مساوين للرجال وكلاهما يكمل الآخر)(٢).

(لقد دعا الإسلام إلى تعليم المرأة وتزويدها بالعلم والثقافة لأنها بمثابة مدرسة لأطفالها، قال رسول الله ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**»، لقد منح الإسلام المرأة حق التملك وحرية التصرف فيما تملك، وفي الوقت الذي نرى فيه أن المرأة في أوروبا كانت محرومة من جميع هذه الحقوق إلى عهد قريب جداً نجد أن الإسلام منح المرأة بالإضافة إلى ما تقدم حق إبرام العقود للزواج، والمهر في نظر الإسلام هو حق شخصي للمرأة، والمرأة في الإسلام تتمتع بحرية الفكر والتعبير. .)(٣).

(. . .إن المرأة المسلمة معززة مكرمة في كافة نواحي الحياة ولكنها اليوم مخدوعة مع الأسف ببريق الحضارة الغربية الزائف، ومع ذلك فسوف تكتشف يوماً ما، كم هي مضللة في ذلك بعد أن تعرف الحقيقة)(٤).

(إن الإسلام يحضنا على القيام بالعمل المثمر شريطة أن نلتزم نحن النساء بالحشمة في لباسنا وأن نستر جمال أجسادنا، وعلينا أن نكون جادين في حديثنا. وهكذا فالإسلام لا يمنع المرأة من ممارسة أي عمل شريف يناسب طبيعتها، إلا أن أقدس واجب على المرأة هو واجبها الطبيعي في خدمة أسرتها والعناية بأعضائها، لأن جزاءها

---

(١) منى عبدالله ماكلوسكي ألمانية تعمل قنصلاً لبلادها ألمانيا الاتحادية في بنجلاديش، اهتدت إلى الإسلام في مطلع عام ١٩٧٦م على يد شيخ الجامع الأزهر الدكتور عبدالحليم محمود ـ رحمة الله ـ وشعرت يومها (وكأنها ولدت من جديد).

(٢) رجال ونساء أسلموا ٦٢/٩ . (٣) نفسه ٦٣ ـ ٦٢/٩ .

(٤) نفسه ٦٣/٩.

على هذا يعادل أجر المقاتلين في سبيل الله والمرأة المسلمة مازالت تقوم بهذه الواجبات بكل اعتزاز)[١].

(إن نشاطات المرأة المسلمة قد تمتد أحياناً خارج المنزل، فبعض النساء المسلمات كن يقمن بمسؤوليات عامة في الحرب والتجارة، ولكن ذلك كله كان في إطار الخلق الكريم)[٢].

روز ماري هاو[٣]

(الحجاب شيء أساسي في الدين الإسلامي، لأن الدين ممارسة عملية أيضاً والدين الإسلامي حدد لنا كل شيء، كاللباس والعلاقة بين الرجل والمرأة والحجاب يحافظ على كرامة المرأة ويحميها من نظرات الشهوة ويحافظ على كرامة المجتمع ويكف الفتنة بين أفراده، لذلك فهو يحمي الجنسين من الانحراف، وأنا أؤمن أن السترة ليست في الحجاب فحسب بل يجب أن تكون العفة داخلية أيضاً وأن تتحجب النفس عن كل ماهو سوء)[٤].

(إن الإسلام قد كرم المرأة وأعطاها حقوقها بوصفها إنساناً وامرأة، وعلى عكس ما يظن الناس من أن المرأة الغربية حصلت على حقوقها. . . فالمرأة الغربية لا تستطيع مثلاً أن تمارس إنسانيتها الكاملة وحقوقها مثل المرأة المسلمة، فقد أصبح واجباً على المرأة في الغرب أن تعمل خارج بيتها لكسب العيش، أما المرأة المسلمة فلها حق الاختيار ومن حقها أن يقوم الرجل بكسب القوت لها، ولبقية أفراد الأسرة، فحين جعل الله سبحانه وتعالى للرجال القوامة على النساء، كان المقصود هنا أن على الرجل أن يعمل ليكسب قوته وقوت عائلته. فالمرأة في الإسلام لها دور أهم وأكبر من مجرد الوظيفة وهو الإنجاب وتربية الأبناء، ومع ذلك فقد أعطى الإسلام المرأة الحق في العمل إذا رغبت هي في ذلك وإذا اقتضت ظروفها ذلك)[٥].

---

(١) نفسه ٦٣-٦٤/٩. (٢) نفسه ٦٤/٩.

(٣) روز ماري: مريم هاو صحفية إنجليزية نشأت في عائلة نصرانية متدينة، ولكنها مع بلوغها مرحلة الوعي، بدأت تفقد قناعاتها الدينية السابقة وتتطلع إلى دين يمنحها الجواب المقبول، وفي عام ١٩٧٧م أعلنت إسلامها وهي تعمل الآن في صحيفة (العرب تايمز) اليومية الكويتية التي تصدر بالإنجليزية.

(٤) رجال ونساء أسلموا ٢٥/ ٢٦.

(٥) نفسه ٢٨/ ٨.

(. . .أنا أفهم أن الإسلام يعتبر الزوج أقرب صديق لزوجته إذ تُكن له كل ما في نفسها لأن الزواج في الإسلام علاقة حميمة مبنية على شريعة الله لا تضاهيها العلاقات العادية الأخرى. . . .)(١).

زيجريد هونكه:(٢)

(إن احترام العرب لعالم النساء واهتمامهم به، ليظهران بوضوح عندما نرى أنهم خصوه بفيض من العطور وبأنواع الزينة التي وإن لم تكن غير مجهولة قبلهم إلا أنها فاحت بثروة الشرق العطرية الزكية وبالأساليب الفائقة في تحضيرها، كذلك فإن العثنون الذي كان يزين الوجوه الحليقة منذ حملات الصليبيين على طريقة النبي محمد قد أصبح نموذجاً يقلده الرجال)(٣).

(. . قاوم العرب كل التيارات المعادية (للمرأة) واستطاعوا القضاء على هذا العداء للمرأة والطبيعة وجعلوا من منهجهم مثالا احتذاه الغرب ولا يملك الآن منه فكاكاً وأصبح الاستمتاع بالجمال جزءاً من حياة الأوروبيين شاءوا أم أبوا)(٤)

(. . ظلت المرأة في الإسلام تحتل مكانة أعلى وأرفع مما احتلته في الجاهلية، ألم تكن خديجة (رضي الله عنها) زوجة النبي ﷺ الأولى التي عاش معها أربعة وعشرين عاماً أرملة لها شخصيتها ومالها ومكانتها الرفيعة في مجتمعها؟ لقد كانت نموذجاً لشريفات العرب أجاز لها الرسول ﷺ أن تستزيد من العلم والمعرفة كالرجال تماماً، وسار الركب وشاهد الناس سيدات يدرسن القانون والشرع، ويلقين المحاضرات في المساجد، ويفسرن أحكام الدين. فكانت السيدة تنتهي دراستها على يد كبار العلماء ثم تنال منهم تصريحاً لتدريس ما تعلمته هي بنفسها فتصبح الأستاذة الشيخة، كما

(١) نفسه ٨/٢٩.

(٢) دكتورة زيجريد هونكه، مستشرقة ألمانية معاصرة وهي زوجة الدكتور شولتز المستشرق الألماني المعروف الذي تعمق في دراسة آداب العرب والاطلاع على آثارهم ومآثرهم، وقد قضت هونكه مع زوجها عامين اثنين في مراكش كما قامت بعدد من الزيارات للبلدان العربية دارسة فاحصة.

من آثارها: (أثر الأدب العربي في الآداب الأوروبية) وهو أطروحة تقدمت بها لنيل الدكتوراه من جامعة برلين و (الرجل والمرأة) وهو يتناول جانباً من الحضارة الإسلامية (١٩٥٥م) و (شمس الله تسطع على الغرب) الذي ترجم بعنوان: (شمس العرب تسطع على الغرب) وهو ثمرة سنين طويلة من البحث والدراسة.

(٣) شمس العرب تسطع على العرب، ص ٥٣ .

(٤) نفسه ص ٤٦٨ .

لمعت من بينهن أديبات وشاعرات والناس لا ترى في ذلك غضاضة أو خروجاً على التقاليد)[١].

(إن النساء في صدر الإسلام لم يكن مظلومات أو مقيدات ولكن هل دام هذا طويلاً؟ لقد هبت على قصور العباسيين رياح جديدة قدمت من الشمال فغيرت الأوضاع وقدم الحريم من الجاريات الفارسيات واليونانيات.. و كان أن حرمت المرأة العربية من مكانتها الرفيعة في المجتمع، وقيدت حرياتها حين سيطرت على المجتمع العادات الفارسية القديمة. والإسلام بريء من كل ما حدث والرسول ﷺ لم يأمر قط بحجب النساء عن المجتمع، لقد أمر المؤمنين من الرجال والنساء على حد سواء بأن يغضوا الطرف وأن يحافظوا على أعراضهم،وأمر النساء بألا يظهرن من أجسادهن إلا ما لا بد من ظهوره وألا يظهرن محاسن أجسادهن إلا في حضرة أزواجهن)[٢].

(الإسلام قدس الزواج وطالب بالعدل بين الزوجين أو الثلاث أو الأربع في المعاملة، ﴿فإنْ خفتمْ ألاَّ تعدلوا فواحدةً﴾ (النساء: ٣). أليس هذا نصاً صريحاً يطلب فيه من المؤمنين ألا يتزوجوا بأكثر من واحدة، إلا إذا كان في استطاعتهم تحري العدل بين النساء؟ والمشكلة لم تكن اقتصادية فحسب، فمؤرخو العرب يذكرون أن العربي الأصيل المؤمن لم يكن يتخذ إلا زوجة واحدة،يبقى مخلصاً لها، وتبقى هي مخلصة له، حتى يفرق بينهما الموت)[٣].

مونتجومري وات[٤]

(إن الفكرة الرائدة في القرآن هي أنه إذا تبنى المسلمون تعدد الزوجات فإن جميع الفتيات اللواتي هن في سن الزواج يمكنهن الزواج بصورة حسنة)[٥].

(..كان (تعدد الزوجات) عادة غريبة على تفكير أهل المدينة، وقد عالج هذا التغيير المساويء التي نتجت عن ازدياد النزعة الفردية، إذ إن تعدد الزوجات يسمح للنساء الكثيرات بالزواج الشريف كما يضع حداً لاضطهاد الأرامل اللواتي تحت

(١) نفسه ص ٤٧٠. (٢) نفسه ص ٤٧٠-٤٧١

(٣) شمس العرب تسطع على العرب، ص ٤٧٢.

(٤) مونتجومري وات Montgomery Watt عميد قسم الدراسات العربية في جامعة أدنبره سابقاً، من آثاره: (عوامل انتشار الإسلام) (محمد في مكة) (محمد في المدينة) (الإسلام والجماعة الموحدة) وهو دراسة فلسفية اجتماعية لرد أصل الوحدة العربية إلى الإسلام (١٩٦١م).

(٥) محمد في المدينة، ص ٤٢٢

الوصاية كما يخفف من إغراء الزواج المؤقت، الذي يسمح به مجتمع عربي ذو عوائد أمية، ويجب اعتبار هذا الإصلاح بالنظر لبعض العادات السائدة آنذاك تقدماً مهماً في تنظيم المجتمع)[١].

(لقد قام محمد ﷺ في ميدان الزواج والعلاقات العائلية بتنظيم عميق وواسع للبناء الاجتماعي، وقد وجدت قبله نزعات جديدة فردية ولكن أثرها كان هداماً أكثر منه بناء، وكان عمل محمد ﷺ بهذا الصدد يقوم على استخدام هذه النزعات الفردية، لتكون بناءً جديداً، فقد انهارت عادات المجتمعات القبلية وتقاليدها فأنقذ محمد ﷺ منها ما يمكن إنقاذه، وحوله إلى المجتمع الفردي الجديد، وهكذا استطاع توليد نظام عائلي ظهر مرضياً ومغرياً في مجتمع ينتقل من مرحلة الجماعية إلى مرحلة الفردية)[٢]

(كانت التشريعات القرآنية تهدف إلى ألا يتعدى الوصي على حقوق أي قاصر أو امرأة في الميراث الطبيعي. . .)[٣]. (. . بالرغم من أن الإنسان المسلم يملك ممتلكاته في حياته ويستطيع التصرف بها كما يشاء فهو مسؤول عنها أمام عائلته. . .)[٤].

واندر[٥]

(من خلال معايشتي للمسلمين اكتشفت العلاقة الرائعة بين أفراد الأسرة المسلمة وتعرفت كيف يعامل الآباء المسلمون أبناءهم وعرفت العلاقة الوثيقة التي تربط أفراد الأسرة المسلمة، كما أعجبت بالمكانة التي يتمتع بها كبار السن بين المسلمين، وفي الوقت الذي أجد فيه كبار السن في الغرب، وفي بلادي أمريكا قمة الحضارة الغربية المادية المعاصرة يلقى بهم في مؤسسات العجزة ويُنبذون فلا يلتفت إليهم أحد أجد الجد والجدة المسلمين في مركز الأسرة وبؤرتها من حيث الحفاوة والتكريم، لقد أحببت ذلك كثيراً. . .)[٦].

---

(١) نفسه. ص ٤٢٣-٤٢٤ . (٢) نفسه ص ٤٤١ .

(٣) نفسه و ص ٤٤٣ . (٤) نفسه ص ٤٤٧

(٥) جاري واندر Gary . Wander صحفي امريكي يعمل في صحفية (كويت تايمز)، من مواليد نيويورك، نشأ في ظل أسرة برونستانتية، تخرج من قسم العلوم السياسية بجامعة نيويورك، زار عدداً من البلاد العربية حيث وجد نفسه يندفع لاعتناق الإسلام، وهو الآن في العقد الرابع من عمره. رجال ونساء أسلموا ٧/ ١٠٦

(٦) رجال ونساء أسلموا ٧/ ١٠٦ .

محاولة تخريب التربية
في الأمة الإسلامية للأولاد

وثيقة الهدم التحرري التي يحاول الغرب فرضها على البلاد الإسلامية مستعيناً بالأمم المتحدة، حتى يشيع روح التحلل في الأمة ويخرجها عن ثقافتها التي هي قوامها وهذه رؤية تحليلية للوثيقة تقارن بين مواقف الأطراف المتباينة.

نتناول هنا النقاط الخلافية في وثيقة الأمم المتحدة «عالم جدير بالأطفال»، وذلك بعرض الرأي المطروح في وثائق المؤتمر، بالإضافة إلى الموقف الإسلامي وموقف الفاتيكان وموقف التيار المتحرر من تلك النقاط الخلافية التي تركزت حول:

١ـ موقع الدين في حياة الإنسان.

٢ـ الأسرة

٣ ـ تحديد الجنس.

٤ ـ التثقيف الجنسي .

٥ ـ الخدمات الصحية الإنجابية والجنسية .

٦ ـ الإيدز.

١- موقع الدين في حياة الإنسان

موقف تيار التحرر المطلق	موقف الفاتيكان	الموقف الإسلامي	وثائق المؤتمر
يعتبر أن الأصولية الدينية صاحبة الدور الأكبر في قهر الفئات الضعيفة في المجتمع ومنها الطفل. ينبغي أن يعاد تفسير تعاليم الدين من قبل المنظمات الأهلية المختلفة.	ينوه بدور المسيحية في حياة الإنسان. يدين كافة أشكال التطرف الديني والعلماني التي تترك أثراً سلبياً على الطفل.	ضرورة التأكيد على دور الدين لأن لفظ الدين يحتوي على تشريعات حاكمة.	تقلص دور الدين في هذه الوثيقة مقارنة بالإعلان العالمي لحقوق الطفل الصادر عام١٩٩٠م. استبدال لفظ الدين بلفظ (Spirituality) ومعناه الروحانيات.

٢ ـ الأسرة

وثائق المؤتمر	الموقف الإسلامي	موقف الفاتيكان	موقف تيار التحرر المطلق
تهميش دور الأسرة ومحاولة إخراج الطفل من السياق الأسري. أوكلت الوثيقة مهمة رعاية الصغار إلى مؤسسات الدولة. لم تذكر الوثيقة لفظ الأسرة إلا مرات محدودة مما لا يتناسب ودورها.	دور الأسرة دور محوري ولا يمكن إغفاله أو التقليل من شأنه.	لا يرى بديلاً عن دور الأسرة في رعاية الأطفال.	يرى ضرورة إخراج الطوائف المستضعفة كالمرأة والطفل من سياق الأسرة التي تعيق بضوابطها التقليدية (المقصود بذلك الدين والنظم الأخلاقية) استمتاع تلك الطوائف بحرياتها وكامل حقوقها.

٣ ـ الجندر

وثائق المؤتمر	الموقف الإسلامي	موقف الفاتيكان	موقف تيار التحرر المطلق
أطلقت وثائق المؤتمر تسمية (Gender) «جندر» ومعناها «نوع» بدلاً من «جنس»، على اعتبار أن الأولى تعني النوع الإنساني بما يشمل المرأة والرجل معاً وغيرهما من الشواذ.	يحذر من خطورة هذه الدعوة وما تتضمنه من أفكار وأهداف ترمي إلى إلغاء الفوارق البيولوجية بين الذكورة والأنوثة. ضرورة تغيير لفظ -Gen der إلى Sex أو بلفظي Girls& Boys.	أعرب عن القلق من هذه الأفكار الحديثة باعتبارها تهدد العالم المسيحي، وانتقد بان بابوي مصطلح «جندر» ووصفه بالإبهام.	صاحب الدعوة إلى هذه الفكرة، فالناس يولدون محايدين، والمجتمع يظلمهم بتصنيفهم إلى ذكور وإناث.

جاء في الإصدار الرابع للوثيقة في البند ٢٨ الفقرة١١ ما يلي: « تطوير وتنفيذ برامج تهدف إلى تقليل عدم المساواة القائمة على النوع (Gender) في كل حق الالتحاق بالتعليم والرؤى التي تتسم بالتمييز على أساس النوع (Gender) في العملية التعليمية، سواء أكان ذلك في المناهج أم في الوسائل المستخدمة تعليمياً بغض النظر عما إذا كانت هذه النظرة التمييزية نابعة من تقاليد وعادات وممارسات اجتماعية وثقافية أم ظروف اقتصادية وتشريعية». ملحوظة: لفظ (Gender) يكاد يخلو منه بند من بنود الوثيقة.

٤ ـ التثقيف الجنسي

موقف تيار التحرر المطلق	موقف الفاتيكان	الموقف الإسلامي	وثائق المؤتمر
عدم ضرورة ارتباط التثقيف الجنسي بالوالدين. دعوة كافة مؤسسات المجتمع الأخرى كالمدرسة والإعلام إلى أن تتبوا دوراً رئيساً في هذا التثقيف.	يشير إلى حق الوالدين في اختيار نوعية التثقيف المناسب لأبنائها.	يعتقد عدم ربط هذه الدعوة بضوابط الدين والخلق، ويرفضها ويحذر منها ويجعلها محصورة في مرحلة عمرية مناسبة، على أن يقوم بعملية التثقيف أفراد مؤهلون خلقياً ودينياً، ويشير إلى حق الوالدين في اختيار نوعية التثقيف المناسب لأبنائهما.	ضرورة إشاعة التثقيف الجنسي في المجتمعات لاسيما لمن هم في سن المراهقة وما قبلها عبر وسائل التعليم والإعلام.

جاء في الإصدار الرابع للوثيقة في البند رقم ٣٥ الفقرة ١٥: «توفير الثقافة، والمعلومات الصحية المناسبة لجميع الأطفال، وتوفير المساعدات المناسبة للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة والاضطرابات النفسية بما في ذلك ما يخص الصحوة الإنجابية للمراهقين».

٥ ـ الخدمات الصحية الإنجابية والجنسية

موقف تيار التحرر المطلق	موقف الفاتيكان	الموقف الإسلامي	وثائق المؤتمر
يعتبرون خياراً شخصياً للمراهقة الحامل بأي صورة، وللمراهقو الحق في إجهاض نفسها متى شاءت كي تتحكم في حياتها كما يفعل المراهق. يجب أن تؤمن التشريعات هذا الحق، وأن ترفع أي قيود أو عقوبات	التأكيد على عدم تراجع الكنيسة عن موقفها تجاه الإجهاض، فللفاتيكان موقف واضح جداً من مناهضة فكرة الإجهاض. التأكيد على أن الاغتصاب لا يبرر الإجهاض ويصفه بأنه خطيئة مميتة.	الاعتراض على المفهوم الجديد لأنه فضفاض، ولكونه يتضمن حرية الإجهاض. التحذير من هذا اللفظ لأنه يعتبر الإجهاض الآمن حقاً مكتسباً للمراهقين، بغض النظر عن ضرره على المجتمع، وعن تعارضه مع الشرائع الدينية والضوابط الاجتماعية.	استخدمت الوثيقة لفظ «خدمات الصحة الجنسية والإنجابية»، والتعريف المتعارف عليه الخاص بهذا اللفظ يتضمن خدمة الإجهاض الآمن».

ورد هذا اللفظ في الإصدار الرابع للوثيقة في عدد من البنود، كان أهمها البند رقم٣٤ الفقرة: g «ضرورة توفير الخدمات الصحية الإنجابية لكافة الأشخاص في السن المناسبة في أسرع وقت ممكن وفي موعد أقصاه ١٥-٢٠».

٦ـ الإيدز

موقف تيار التحرر المطلق	موقف الفاتيكان	الموقف الإسلامي	وثائق المؤتمر
علت بعض الأصوات في الأونة الأخيرة باعتبار الشذوذ حقاً من حقوق الإنسان، ولا يصح أن يتصادم موضوع معالجة الإيدز من قريب أو بعيد مع قضية الشذوذ الجنسي! باعتبارها قضية من قضايا حقوق الإنسان.	الدعوة الصريحة إلى العودة لثقافة « العفة » والقيم والأخلاق.	رؤية تعاليم الدين فيما يخص العلاقة بين الجنسين هي خير وقاية من انتشار هذا المرض. الدعوة الصريحة إلى العودة لثقافة «العفة» والأخذ بالضوابط الأخلاقية لمكافحة المرض. انتقاد تهميش باقي المشاكل ا لصحية التي يتعرض لها الأطفال في مناطق شتى من العالم.	يحتل موضوع الإيدز مساحة كبيرة جداً في الوثيقة. لم يتم التطرق إلى أهمية دور الضوابط الأخلاقية في محاصرة تفشي المرض. انحصرت الرؤية الخاصة بمكافحة المرض في توسيع نطاق الخدمات الصحية

جاء في الإصدار الرابع للوثيقة في البند رقم ٤٤ الفقرة ٢: «التأكد من أنه مع إطلالة عام ٢٠٠٥ يكون لدى ٩٠٪ من الشباب والفتيات فيما بين سن ١٥-٢٤ سنة المعلومات والتعليم، وبصفة خاصة التعليم المرتبط بمرض الإيدز، ومع عام ٢٠١٠ تصل هذه النسبة إلى ٩٥٪ ويضاف إلى ذلك أن يتم مد الشباب والشابات المذكورين بكافة الخدمات الضرورية لتطوير المهارات الحياتية اللازمة التي تساعد على تقليل إمكانية العدوى بمرض الإيدز بالمشاركة الكاملة ما بين: الشباب، الأهل، الأسر، التربويين والمسئولين عن الإشراف الصحي، ملحوظة: (ويقصد بالخدمات الضرورية بوضوح شديد استخدام موانع الحمل مثل الواقي الذكري).

فهرس الموضوعات

الموضوع — الصفحة

مقدمة ٥
تمهيد ٧

الفصل الأول

مفهوم الأسرة المسلمة ١٣
معنى الأسرة ١٣
الألفاظ ذات الصلة ١٣
تعدد الآراء في مفهوم الأسرة ١٤
الأسرة والتاريخ ١٦
بناء الأسرة في الإسلام ١٩
مكانة البيت المسلم في منهاج العمل الإسلامي ٢٣

الفصل الثاني

مقومات البيت المسلم ٢٧
١ـ حسن الاختيار ٢٨
٢ـ الالتزام بحدود الإسلام ٢٩
٣ـ السعادة بين الزوجين ٢٩
٤ـ المودة والرحمة ٣٠
هلال بن أمية وزوجته ٣١
من أقوال العلماء في تبادل الرحمة بين الزوجين ٣٢
٥ـ تحقيق شمول العبادة ٣٢
٦ـ الثقة المتبادلة ٣٣
نماذج تطبيقية تؤكد وجوب حسن الظن ٣٤
من جانب الرجل ٣٤
من جانب المرأة ٣٤
٧ ـ المشاركة في تحمل المسئولية ٣٦
أزواج النبي ﷺ يشركنه في أمورهن ٣٨
٨ ـ الإسهام في بناء المجتمع المسلم ٣٩
٩ ـ حمل أمانة الدعوة والتوجيه ٤٠

الفصل الثالث

أساس بناء الأسرة ٤٥

الموضوع | الصفحة

أولاً : النكاح أساس بناء الأسرة ٤٥
ثانياً : حكم النكاح ٤٦
الترغيب في النكاح سيما بذات الدين الولود ٤٧
حكمة وجود الأسرة ٥٠
١ـ ضرورة التكاثر تنفيذ الحكم من وجود الإنسان ٥٠
٢ـ تحصين النفس البشرية ٥٠
٣ـ السكن النفسي ٥١
٤ـ تكوين رباط اجتماعي قوي ٥٢
٥ـ الوقاية من الأمراض والانحرافات ٥٢
رعاية الذرية ٥٨
٦ـ تحديد العلاقة بين الزوجين ٥٩

الفصل الرابع

الأسرة المسلمة قدوة إنسانية في تحقيق السعادة ٦٣
تحقيق القدوة داخل البيت ٦٤
١ـ بناء المنزل واختياره ٦٥
٢ـ حول أثاث البيت ٦٥
٣ـ حول الملبس ٦٦
٤ـ حول المطعم والمشرب ٦٧
٥ـ حول ميزانية المصارف اليومية ٦٨
تحقيق القدوة في العلاقات الاجتماعية ٧٠
١ـ صلة الأرحام وذوي القربى ٧٠
٢ـ حسن الجوار ٧١
٣ـ حسن اختيار المعارف والأصدقاء ٧١
٤ـ إكرام الضيوف ٧٢
العناصر المكونة للأسرة المسلمة القدوة ٧٣
١ـ الزوج والأب القدوة ٧٣
استمارة قياس معاملة الزوج ٧٦
٢ـ الزوجه والأم المسلمة القدوة ٧٧
استمارة قياس معاملة الزوجة لزوجها ٨٠
الأولاد في الأسرة المسلمة القدوة ٨١

الموضوع	الصفحة
مراجع التعلم الذاتي	٨٢
الفصل الخامس	
الأهداف التربوية للأسرة المسلمة	٨٧
تعريف الإنسان بنفسه وعالم ليعرف قدره وقيمته الإنسانية	٨٨
١ـ تعريف الإنسان ربه تعريفاً يقوم على أساس الوعي والفهم	٨٨
٢ـ تكوين النفسية الاجتماعية والهمه العاليه	٩٠
تنمية مشاعر الحب والعطف والإحساس وتوجيهها بما يتفق مع قيم العقيدة والشريعة	٩٢
١ـ تقبيل الأولاد رأفة ورحمة بهم	٩٢
٢ـ مداعبة الأولاد وممازحتهم	٩٤
٣ـ إهداء الأولاد وتقديم الهبات لهم مع مرعاة العدل بينهم	٩٧
٤ـ البشاشة لهم وحسن استقبالهم	٩٧
٥ـ حسن استقبال الطفل	٩٨
٦ـ تفقدها له والسؤال عنه	٩٨
الهدف الخامس: تنمية قدراته العقليه ومواهبه الذهنية وتوجيهها نحو الخير العام	٩٨
الوسائل المعينة على تحقيق هذا الهدف	١٠١
١ـ غرس حب العلم والتزام آدابه منذ الطفولة	١٠١
٢ـ توجيه الطفل وفق ميوله العلمية	١٠٢
٣ـ إيجاد مكتبة منزلية صالحة ومتنوعة	١٠٣
٤ـ تعليم الطفل لغة أجنبية حية إن أمكن ذلك	١٠٣
٥ـ مجالسه العلماء والدعاة والاقتداء بهم	١٠٦
٦ـ الإخوة الصالحة الدافعة إلى الخير	١٠٩
الهدف السادس: تحقيق الأمن والسكن النفسي والبدني	١١٣
خديجة بنت خويلد	١١٣
أم حارثة عند موت ابنها	١١٤
أم خلاد عند قتل ابنها	١١٤
أبو طلحة وأم سليم عند فقد ولدهما	١١٥
هاجر أم إسماعيل	١١٦
الهدف السابع: تنشئتهم على قيم الإسلام وحسن الخلق	١١٩
الهدف الثامن: تأهيله لحمل أمانة الدعوة إلى الإسلام والذود عنه وعن المسلمين	١٢١

الموضوع | الصفحة

أمثلة ونماذج على مر العصور ١٢٢
١ـ غلام الأخدود وقدوه للأطفال ١٢٢
٢ـ الأمهات يشجعن أطفالهن على الجهاد ١٢٤
٣ـ الأمهات يفرحن باستشهاد أطفالهن ١٢٤
٤ـ قصة صاحبة الشكال ١٢٤
٥ـ الأطفال يقتلون الطغاة أعداء الرسول ﷺ ١٢٩
٦ـ الأطفال يبكون ويتوارون حتى يخرجوا للجهاد ١٢٩
٧ـ الأطفال يطلبون تجهيزهم للجهاد ١٣٠
٨ـ الآباء يصحبون أطفالهم في المعارك ١٣٠
ـ خطاب الإمام البنا للشباب ١٣١
المرجعية الإسلامية للنظام الأسري ١٣٤
أولاً: رسالة المرأة في الأسرة ١٣٥
أ ـ إعداد المرأة لتحمل مسئوليتها في الأسرة ١٣٥
ب ـ وجود تهذيب المرأة ١٣٧
جـ ـ حرمة الاختلاط بين الرجل والمرأة الأجنبية ١٣٩
مسؤولية المرأة في الأسرة ١٤٤
مسؤوليتها نحو الأولاد ١٤٤
المسئولية الأولى للمرأة حضانة الأطفال وتربيتهم ١٤٥
شواهد من السنة على مسئولية المرأة عن الحضانة ١٤٦
التعاون بين الزوجين في حضانة الأطفال وتربيتهم ١٥١
مسئوليتها نحو بيت الزوجية ١٥٣
شواهد من السنة لمسؤولية المرأة عن تدبير شؤون البيت ١٥٣
التعاون بين الزوجين من أجل كمال أداء مسؤولية البيت ١٥٥
حقوق وواجبات ينبغي مراعاتها ١٥٨
رئاسة الأسرة ١٦٣

الفصل السادس

ما ينبغي عمله نحو الأولاد ١٦٩
١ـ البشارة وحسن التسمية ١٦٩
٢ـ العقيقة والختان ١٧٤
٣ـ تفقد أحوالهم ١٧٧

الموضوع	الصفحة
المثل الأعلى لكل والد مع أولاده	١٨٣
الفصل السابع	
ما ينبغي عمله نحو الزوجة	١٨٩
١ـ مسئولية الإنفاق	١٩٠
٢ـ إحسان العشرة بالمعروف	١٩٢
٣ـ مسئولية القوامة	١٩٤
إشكاليات حول القوامة	١٩٦ء
نماذج من لطف الصحابيات مع أزواجهن	١٩٧
الشريعة تحض الزوجين على الصبر على نقاط الضعف	١٩٩
الفصل الثامن	
مسئوليات أخرى للرجل حث عليها السنة	٢٠٥
١ـ تفهم حقيقة أنوثتها والصبر عليها	٢٠٥
٢ـ بر أهلها وصلتهم	٢٠٨
٣ـ إكرام صديقاتها	٢٠٨
٤ـ رعايتها وقت مرضها أو ضعفها	٢٠٩
٥ـ تعليمها ما به أمر دينها ودنياها	٢١٠
٦ـ أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر	٢١٢
٧ـ العدل بين الزوجات	٢١٤
ـ الشريعة تحض الرجال على اللطف مع الزوجات	٢١٦
١ـ نماذج من تلطف الرسول ﷺ بأهله	٢١٦
نماذج من تلطف الصحابيات مع أزواجهن	٢٢٢
ـ الشريعة تحض الزوجين على الصبر على نقاط الضعف	٢٢٣
ـ مسئولية تحمل كلاً من الزوجين للآخر	٢٢٥
ـ شواهد عامة من القرآن على التجمل	٢٢٦
إباحة ابداء الزينة الظاهرة للأجانب بشروط	٢٢٦
شواهد من السنة على التجمل	٢٢٧
ـ نماذج من تجمل النساء	٢٢٩
ـ نماذج من تجمل الرجال	٢٣٢
الموقف من وسائل التجميل الحديثة	٢٣٤
مسئولية ترويح كل من الزوجين عن الآخر	٢٣٧

الموضوع	الصفحة

نماذج من الترويح عن الزوجة ٢٣٧
نموذج من الترويح عن الزوج ٢٣٩
مسئولية إمتاع كل من الزوجين للآخر ٢٤٠
الشريعة تحض المرأة على أداء حق زوجها ٢٤٢
الشريعة تحض الرجل على أداء حق زوجته ٢٤٣
من آداب المباشرة ٢٤٤
١ـ النية الصالحة ٢٤٤
٢ـ الدعاء قبل المباشرة ٢٤٥
٣ـ الغسل أوالوضوء أو التيمم قبل النوم ٢٤٥
٤ـ كتمان السر ٢٤٥
هل يحل أن يرى كل من الزوجين عورة صاحبه؟ ٢٤٦
مسؤولية تحقيق الإنجاب ٢٤٧
الزوجان والغيرة السوية ٢٥٠
أنواع الغيرة ٢٥٠

الفصل التاسع

علاقات الأسرة الداخلية ٢٦١
علاقة الزوج والزوجة بالأهل والعائلة ٢٦١
ـ معاملة الزوج لأهل زوجته ٢٦٦
ـ معاملة الزوجة لأم الزوج ٢٦٦
ـ معاملة أم الزوج وزوجة الابن ٢٦٨
وصايا للزوجة في حسن معاملة الحماة ٢٦٩
وصايا للزوج في حسن معاملة أمه ٢٧٠
ـ أشياء ينبغي الالتفات إليها عند معاملة الأخرين ٢٧٠
ـ المسئولية الاجتماعية داخل الأسره وخارجها ٢٧٤
ـ دور الأسرة في القضايا الاجتماعية والسياسية والدعوة ٢٧٧
ـ التوجيه الإيماني للأسرة ٢٧٩
ـ دور الأسرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٨٣
ـ البيت أم الدعوة ٢٨٦
دور الأسرة في قضايا المجتمع ٢٨٧
خامساً: نشر الدعوة ٢٨٩

الموضوع	الصفحة
ـ السيده وفاء مشهور	٢٩٠
ـ دور الأخت في بناء الأسرة	٢٩٠
ـ التعامل مع الأطفال	٢٩٢
الفصل العاشر	
نساء في طريق الدعوة	٢٩٥
زوجة الإمام الشهيد	٢٩٥
أمينة قطب	٢٩٧
زينب الغزالي	٣٠٢
المواجهة	٣٠٥
لا للطاغوت	٣٠٦
الفصل الحادى عشر	
حقوق أخرى	٣١٩
مقارنات تاريخية	٣١٩
التسليم بالاختلافات	٣٢٠
المرأة في المجتمعات القديمة وفي الإسلام	٣٢٢
أ ـ الصين	٣٢٢
ب ـ الهند	٣٢٢
جـ ـ اليونان	٣٢٣
د ـ الرومان	٣٢٣
هـ ـ العرب	٣٢٤
و ـ اليهود	٣٢٤
ر ـ علماء المسيحية	٣٢٤
ـ إجمالي الأخطاء وخلاصة موقف الإسلام	٣٢٦
ـ تقرير الإسلام لإنسانية المرأة	٣٢٧
ـ أخوة النسب البشري ووحده المعنى الإنساني	٣٢٧
ـ تقرير أهلتها للتدين	٣٢٩
أهليتها الاقتصادية	٣٣٠
أهليتها الاجتماعية	٣٣٢
تأثير الحضارة الحديثة على الأسرة المسلمة	٣٣٥
أقوال الباحثين الغربيين المنصفين في المرأة المسلمة	٣٤٣
الفهرس	٣٧٣

المراجع

م	الكتاب	المؤلف	دار النشر
١	أبناء نجباء	لابن ظفر المكي	
٢	ابن عابدين	ابن عابدين	بولاق الثانية
٣	إتجاهات الشباب ومشكلاته	محمد عثمان نجاتي	القاهرة دار النهضة
٤	احفظ أولادك من الأخطار	د/ ماهر إسماعيل صبرى	سلسلة سفير التربوية
٥	أدب الأملاء والاستملاء	للسمعاني	
٦	أسس علم النفس	د/ أحمد محمد عبد الخالق	دار المعرفة الجامعية
٧	أعلام الموقعين	ابن القيم	ط مصر
٨	أطفالنا خطة عملية للتربية الجمالية	عبد الله محمد عبد المعطى	دار التوزيع والنشر الإسلامية
٩	الأحكام الشرعية للأحوال الشخصية	الشيخ / أحمد إبراهيم	
١٠	الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية	محمد عبد الكريم، محمود محمد الجوهرى	دار الدعوة
١١	الأسرة المسلمة فى العالم المعاصر	د/ وهبة الزحيلى	دار الفكر المعاصر (بيروت)
١٢	الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة	د/ فؤاد البهى السيد	دار الفكر العربى
١٣	الاحياء	الإمام الغزالي	الدار العلمية
١٤	الإسلام والمرأة المعاصرة	البهى الخولى	دار القلم
١٥	الأسلوب الأمثل فى تربية المراهقين	د/ دون فونتيل	مكتبة جرير
١٦	الأسلوب الأمثل لتربية الطفل بعد عامه الثالث	سوزان أى جونيليت	مكتبة جرير
١٧	الأسلوب الأمثل لتربية الطفل بعد عامه الثانى	أ د / ميج زويباك	مكتبة جرير
١٨	الأسلوب الأمثل لتنمية احترام الذات لدى طفلك	د/ كارل أى بيكاد	مكتبة جرير
١٩	الإصابة	ابن حجر	
٢	الأم	الشافعى	المطبعة الأميرية
٢١	البحث عن الله		
٢٢	التربية الجنسية للأبناء	أ د/ على مدكور	سلسلة سفير التربوية للأبناء (١٣)
٢٣	التربية السياسية للشباب	عواطف أبو العلا	دار نهضة مصر للطبع والنشر
٢٤	الترغيب والترهيب	للمنذري	المكتبة التجارية مصر
٢٥	الجامع لأخلاق الراوى وأدب السامع	للخطيب البغدادى	
٢٦	الحاجات النفسية للطفل	د/ مصطفى أبو سعد	مركز الراشد
٢٧	الحضارة العربية		

م	الكتاب	المؤلف	دار النشر
٢٨	الحيوان	الجاحظ	سلسلة المختار من التراث الإسلامى
٢٩	الرسالة القشيرية		
٣٠	السلام العالمى والإسلام	سيد قطب	طبعة العروبة
٣١	السلوك الاجتماعى فى الإسلام	حسن أيوب	التراث العربى
٣٢	السياسة الشرعية	إبن تيمية	القاهرة
٣٣	الطبقات	إبن سعد	
٣٤	الطريق إلى مكة	محمد أسد	
٣٥	الطفل العربى والمستقبل	دار العربي	كتاب العربى العدد ٢٣
٣٦	العلوم السلوكية والإنسانية فى الطب	د/ منير حسين فوقى	مكتبة النهضة العربية
٣٧	الكفاية في علم الرواية	الخطيب البغدادي	
٣٨	المجموعة في شرح المذهب		
٣٩	الفواكه الروانى	مصطفى محمد	
٤٠	المبسوط للسرخسى	الطبعة الأولى	ط السعادة
٤١	المغنى لابن قدامة	الطبعة الثالثة	دار المنار مصر
٤٢	المهام التربوية للأبناء	أ/ على السيد د/ جمال عبد الهادى	المركز المصرى للطفولة
٤٣	المنتخب فى السنة	المجلس الأعلى	المجلس الأعلى
٤٤	المنهج العلمى وتفسير السلوك	د/ محمد عماد الدين إسماعيل	مكتبة النهضة المصرية
٤٥	النمو النفسى والتكيف الاجتماعى	جابر عبد الحميد محمد مصطفى	دار النهضة القاهرة
٤٦	أولادنا أكبادنا	د/ إكرام بشير	دار السلام للمعرفة
٤٧	بسببه الإسلام		
٤٨	أيام من حياتى	زينب الغزالى	
٤٩	بداية المجتهد	ابن رشد	ط الاستقامة مصر
٥٠	بلا ندم	د/ أكرم رضا	دار التوزيع والنشر الإسلامية
٥١	بلوغ الأدب	للألوسي	
٥٢	بلوغ الأمانى فى سيرة محمد بن الحسن الشيانى	للشيخ / زاهد الكوثر	
٥٣	بناء البيت السعيد فى الإسلام		دار المريخ الرياض
٥٤	بناء الأسرة المسلمة فى ضوء القرآن والسنة	د/ خالد عبد الرحمن	دار المعرفة
٥٥	تاريخ التربية الإسلامية	د/ أحمد شلبى	النهضة

م	الكتاب	المؤلف	دار النشر
٥٦	تاريخ العالم		ترجمة لإدارة الثقافة بوزارة المعارف سابقا
٥٧	تحرير المرأة في عصر الرسالة	أبو شُقّة	دار القلم
٥٨	تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي		
٥٩	تحفة المودود فى أحكام المولود	ابن القيم الجوزية	
٦٠	تربية الأولاد فى الإسلام	د/ عبد الله ناصح علوان	
٦١	تربية المراهقين	محمد جمال الدين	دار السلام للطباعة والنشر (بيروت)
٦٢	تعلم التفاؤل	هوف مان	الهيئة المصرية العامة للكتاب
٦٣	ابن كثير	للإمام إسماعيل بن كثير	مكتبة جرير
٦٤	تفسير الرازى	الإمام الرازي	دار الحديث ط ٨٨
٦٥	تفسير القرطبى	أبي عبد الله الأنصاري القرطبي	دار إحياء التراث ـ بيروت طبعة ٨٥
٦٦	تفسير المنار	رشيد رضا	دار المنار
٦٧	فى ظلال القرآن	سيد قطب	دار الشروق ٨٠
٦٨	تكنولوجيا تفريد التعليم والتعلم الذاتى	د/ سمير يونس	دار الكتاب الجامعى
٦٩	تهذيب التهذيب	للحافظ ابن حجر	
٧٠	جامع الأصول	الأرناؤوط	
٧١	حضارة الصين	ول ديورانت	ترجمة محمد بدران
٧٢	حضارة الهند	ول ديورانت	ترجمة زكى نجيب محمود
٧٣	حقائق الإسلام وأباطيل خصومة	عباس محمود العقاد	دار الكتاب العربى
٧٤	حياة اليونان	ول ديورانت	ترجمة محمد بدران
٧٥	دليل المعلمين والطلاب فى التربية الحديثة	د/ سمير يونس أحمد	مكتبة الطالب الجامعى
٧٦	دور الأسرة فى تربية الأبناء	د/ علي سليمان	سلسلة سفير التربوية للأبناء (١١)
٧٧	رجال ونساء أسلموا	عرفات العشي	دار القلم
٧٨	رحلة بين العقل والوجدان	د. محمد كمال جعفر	دار الهلال القاهرة
٧٩	رسالة القرآن والمرأة	للشيخ / محمود شلتوت	
٨٠	رعاية المراهقين	يوسف ميخائيل	وكالة المطبوعات
٨١	رسالة المسترشدين	للمحاسبي ـ تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة	ط ٢
٨٢	روح السياسة	محمد كرد على	الإسلام والحضارة العربية

م	الكتاب	المؤلف	دار النشر
٨٣	رياض الصالحين	للنووي	دار المأمون
٨٤	زاد المعاد	ابن القيم	الجزء الثاني
٨٥	سبل الهدى والرشاد	محمد بن يوسف الصاغي	طبعة الكتب العلمية
٨٦	سلسلة الأحاديث الصحيحة	الألباني	التراث
٨٧	سيدنا محمد رسول الله	الشيخ / عبد الله سراج الدين	
٨٨	سيكلوجية المراهقة	د/ سعيد محمد على بهادر	دار البحوث العلمية
٨٩	سيكلوجية المراهقة للمربين	بير وجونز ترجمة أحمد عبد العزيز	القاهرة دار النهضة
٩٠	سيكلوجية الطفولة والمراهقة	مصطفى أحمد فهمى	القاهرة (مكتبة النهضة)
٩١	شعب الإيمان	للبيهقي	
٩٢	شمس العرب تسطع على العرب	سيجريد هنكه	
٩٣	صحيح الجامع الصغير	للألباني	
٩٤	صحيفة الخليج		
٩٥	طبقات الحفاظ	للسيوطي	
٩٦	طبقات القراء		
٩٧	طفلك يسأل وأنت تجيب	د/ ماهر إسماعيل صبرى	سلسلة سفير التربوية (١٧)
٩٨	علم الاجتماع العائلي	مصطفى الخشاب	دار النهضة
٩٩	علم النفس التربوي	د. فؤاد أبو حطب ود. آمال صادق	مكتبة الأنجلو المصرية
١٠٠	علم النفس ومشكلات الفرد	عبد الرحمن العيسوى	الكويت وكالة المطبوعات
١٠١	علم نفس الطفل وتربيته	د/ عبد العزيز جادو	المكتبة الجامعية
١٠٢	علم نفس النمو	حامد زهران	
١٠٣	علو الهمة		
١٠٤	عون المعبود	شرح سنن أبي داود	
١٠٥	فتح الباري	ابن حجر	طبعة دار التراث
١٠٦	فقه الأسرة المسلمة	حسن أيوب	دار التوزيع والنشر الإسلامية
١٠٧	فن الحوار والإقناع	محمود عباس	دار إبن حزم
١٠٨	فن تربية الأولاد فى الإسلام	محمود سعيد مرسى	دار التوزيع والنشر الإسلامية
١٠٩	فى طريقى إلى الإسلام		
١١٠	فى علم النفس التربوى	محمد عبد العزيز	الكويت دار البحوث
١١١	قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى الوطن العربى	لويس كامل مليكة	مطابع الهيئة العامة للكتاب
١١٢	قصة الحضارة	ول ديورانت	

م	الكتاب	المؤلف	دار النشر
١١٣	قوانين الأسرة	المستشار / سالم البهناوى	دار البحوث
١١٤	كيف تقوتها لاطمئنانك	كوئلن	مكتبة جرير
١١٥	كيف تقوى شخصية ابنك	د/ محمد فهمى الثوينى	مكتبة المنار
١١٦	كيف تنشئ طفلا يتمتع بذكاء عاطفى	لورانس شابيرو	مكتبة جرير
١١٧	كيف تنمى قدراتك على تحفيز الآخرين	سامى تيسير سليمان	مكتبة جرير
١١٨	كن معلمنا	د/ صلاح صالح الراشد	مكتبة المنار
١١٩	لسان العرب وتاج العروس والمصباح المنير	ابن منظور	لبنان
١٢	مبادئ القانون الرومانى	د/ محمد عبد المنعم النمر د/ عبد المنعم بدراوى	
١٢١	مجلة الوعى العربى	وزارة الأوقاف الكويتية	السنة الأولى عدد ١
١٢٢	مجلة لواء الإسلام فى فترة إصدار الإخوان المسلمين العدد السابع	أحمد حمزة	القاهرة
١٢٣	مخاوف الأطفال	د/ عبد العزيز القوصى محمد عبد الظاهر الطيب	دار المطبوعات الجديدة
١٢٤	مدخل إلى الصحة النفسية	د/ أشرف محمد عبد الغنى	المكتب الجامعى الحديث
١٢٥	مراهقة بلا أزمة	د/ أكرم رضا	دار الطباعة
١٢٦	مسند الإمام أحمد		طبعة الساعاتي
١٢٧	مشكلة الحكم	د زكريا ابراهيم	مكتبة مصر
١٢٨	مغنى المحتاج وشرح المنهاج	الشربينى	مطبعة الحلبى
١٢٩	مقدمة فى منهج الإبداع	د/ زهير منصور المزيدي	دار الوفاء
١٣	من الأدب النبوى	د/ كامل سلامة	
١٣١	منهج التربية الإسلامية	محمد قطب	دار الشروق
١٣٢	منهج التربية النبوية للطفل	محمد نور بن عبد الحفيظ	دار الطباعة والنشر الإسلامية
١٣٣	موسوعة التشريع الجنائى الإسلامى	عبد القادر عودة	
١٣٤	موسوعة الفقه الإسلامى	جهاز الموسوعة	الكويت
١٣٥	موسوعة سفير لتربية الأبناء الجزء الثانى والثالث	دار سفير	دار سفير
١٣٦	نصيحة الملوك	للماوردى	طبعة دار الجيل
١٣٧	نيل الأوطار	الشوكاني	
١٣٨	هكذا علمتنى الحياة	د/ مصطفى السباعى	دار البشير

منتدى اقرأ الثقافي
----
www.iqra.ahlamontada.com